

الترغيب بالجنة والترهيب من النار

**الباحث في القرآن والسُّنة
علي بن نايف الشحود**

الطبعة الثانية

١٤٣٥ هـ ٢٠١٣ م

حقوق الطبع لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد خلق الله تعالى الإنس والجن لعبادته، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الذاريات

وجعل لهذه الحياة الدنيا نهاية محددة ، لا يعلمها إلا الله وحده، قال تعالى: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} (٦٣) سورة الأحزاب

وهناك حياة أخرى بعدها يعرض الناس فيها على الله تعالى، ويحاسبون على أعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، قال تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُلُونَكُمْ عَلَيْكُمْ آيَاتُ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) [الزمر/٦٨-٧٤]

وقال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) [آل عمران/١٨٥]

قال أبو العتاهية:

| | |
|---|--|
| لا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَفِي نَفْسٍ | ولو تَمَنَعْتَ بِالْحُجَابِ وَالْحَرَسِ |
| فَمَا تَزَالُ سِهَامُ الْمَوْتِ نَافِذَةً | فِي جَنْبِ مُدَّرِعٍ مِّنَّا وَمُتَّسِرِ |
| مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَىٰ أَنْ تُدَنِّسَهُ | وَتُوبِكَ الدَّهْرُ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ |
| تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا | إِنْ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى يَبَسِ |

وقال الشاعر عن الجنة:

| | |
|--|---|
| لا تَأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا | فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يَفْنِيهَا وَيَفْنِيهَا |
| وَأَعْمَلْ لِدَارِ الْبَقَاءِ رِضْوَانُ خَازِنِهَا | وَالْجَارُ أَحْمَدُ وَالْجِبَارُ بَانِيهَا |

قصورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها
يامن يشتري الفردوس يعمرها بركة في ظلام الليل يحييها

وقال آخر محذرا من النار:

إذا برزت ليوم العرض نار لها الناس الوقود مع الحجارة
يفر المرء حقاً من أحييه ويُنكر في المعاد من استزاره
فلا الخل الحميم يُغيث خلاً ولا الجار المجير يُجير جاره
إذا جاء الجليل لفصل حكم ونُشرت الصحائف مستطارة
فيفتضح المسيء بقبح فعله ومن يك مُحسناً فله البشارة

وقد قابل الله تعالى بين أهل الجنة وأهل النار في كثير من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) [الانشقاق/٦-١٥]

وقابل بين نعيم الجنة وعذاب النار، كقوله تعالى: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ (٥١) وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) [القمر/٤٧-٥٥]

وقال تعالى: وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) [الكهف/٢٩-٣١]

هذا وقد منَّ الله تعالى عليَّ فكتبت كتابين مطولين الأول ((الخصال الموجبة لدخول الجنة في القرآن والسنة)) والثاني ((الخصال الموجبة لدخول النار))

وهذا الكتاب هو مختصر لهما، وفيه بعض الزيادات من القرآن الكريم، وقد قسمته لأربعة فصول، وهي:

الفصل الأول - صفات من يستحق الجنة في القرآن الكريم

الفصل الثاني - صفة نعيم الجنة في القرآن والسنة

الفصل الثالث - صفة من يستحق دخول النار في القرآن الكريم

الفصل الرابع -صفة عذاب النار في القرآن والسنة

وقد قمت بشرح الآيات القرآنية بشكل مختصر، وبشرح غريب الحديث، والتعليق على بعض ما يلزم. وقد سلكت فيه مسلك المعتدلين في قبول الأخبار، وغالبها يدور بين الصحيح والحسن، وفيه بعض الضعيف المتمم لهما، واستبعدت الأحاديث الواهية والمنكرة فما دونهما، وقد كثرت عند من كتب عن الجنة أو النار حتى الأئمة الكبار .

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) } [الحشر/١٨-٢٠]

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة، بمَنِّه وكرمه آمينــــــــــــــ.

وكتبه

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشجود

في ٣ رجب ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/٨/٥م

وعدل بتاريخ ٧ صفر ١٤٣٥هـ - ٢١٠٣/١٢/١٠م



الفصل الأول

صفات من يستحق الجنة في القرآن الكريم

الذين آمنوا وعملوا الصالحات

قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٥) سورة البقرة

وَيُشِيرُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، أَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي حَبَّاتِهَا، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الدَّنَسِ وَالْأَذَى وَالْآثَامِ وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، كَالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ.. وَتَأْتِيهِمُ الثَّمَارُ فِي الْجَنَّةِ فَيَظُنُّونَ أَنَّهَا مِنَ الثَّمَارِ الَّتِي عَرَفُوهَا فِي الدُّنْيَا (أَوْ أَنَّهَا مِنَ الثَّمَارِ الَّتِي أَتَتْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ، وَتَخْتَلِفُ عَنْهَا طَعْمًا مَعَ أَنَّهَا تُشَبِّهُهَا فِي شَكْلِهَا وَمَنْظَرِهَا). وَكُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا ثَمَرَةً قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا بِهِ فِي الدُّنْيَا جَزَاءً عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَالَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا صَادِقًا، وَعَمِلُوا عَمَلًا صَالِحًا يَبْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحُولُونَ عَنْهَا .

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٨٢) سورة البقرة

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، فَأَدُّوا الْوَاجِبَاتِ، وَانْتَهَوْا عَنِ الْمَعَاصِي فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَدًا. فَدُخُولُ الْجَنَّةِ مَنُوطٌ بِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مَعًا.

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٢٧٧) سورة البقرة

يَمْدَحُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ، وَعَامِلِي الصَّالِحَاتِ وَالْمُزَكِّينَ، وَيُخَبِّرُهُمْ أَنَّهُ يَحْفَظُ لَهُمْ أَجْرَهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ فِي الدُّنْيَا .

وقال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (٥٧) سورة آل عمران

وَأَمَّا الْمُهْتَدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فَيُثَبِّتُهُمْ ثَوَابًا وَافِيًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فِي الدُّنْيَا
بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْخُلُودِ فِي جَنَّتِهِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ الْمُتَجَاوِزِينَ لِحُدُودِهِ، وَلَا يَرْفَعُ
لَهُمْ قَدْرًا .

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} (٥٧) سورة النساء
وَالَّذِينَ صَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُثَبِّتُهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ
الصَّالِحِ، بِادْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ الَّتِي تَجْرِي فِي أَرْضِهَا الْأَنْهَارُ، وَيَقْبُضُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا
يَزُولُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ، مِنَ الْخَيْضِ وَالِدَنَسِ وَالْأَذَى، وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَالصِّفَاتِ
النَّقِصَةِ، وَيُدْخِلُهُمْ فِي ظِلٍّ وَارِفٍ كَثِيفٍ لَا حَرَّ فِيهِ وَلَا قَرٌّ .

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} (١٢٢) سورة النساء
بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ أَتْبَاعِ الشَّيْطَانِ، ثَنَى بَيَّانَ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ السُّعْدَاءِ، الَّذِينَ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ
الشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْتَسِلُونَ لِأَمْرِهِ، وَمَا لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ الثَّامَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَصَدَّقَتْ قُلُوبُهُمْ، وَعَمِلَتْ جَوَارِحُهُمْ بِمَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرَكُوا مَا نُهُوا عَنْهُ مِنْ
الْمُنْكَرَاتِ، سَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ، وَيَكُونُونَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَهُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنْ
اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَ مَا وَعَدَ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَصْدَقُ قَوْلًا مِنَ اللَّهِ .

وقال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا فَسَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} (١٧٣)
سورة النساء

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، فَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَامْتَنَعُوا عَنْ عِبَادَتِهِ، فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا، فَهُوَ تَعَالَى يُجَازِي الْمُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ بِالْعَدْلِ وَالْفَضْلِ، وَيُجَازِي الْمُسِيءَ عَلَى إِسَاءَتِهِ
بِالْعَدْلِ. وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ وَلِيًّا يَلِي أُمُورَهُمْ وَيُدَبِّرُهَا، وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَبَأْسِهِ .

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيْمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ (١٠) [يونس/٩، ١٠]

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَاتَّقَوْهُ، وَتَبَصَّرُوا بِمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الْكَوْنِ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ إِيْمَانًا وَبَقِينًا، وَعَمِلُوا مَا
أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ إِيْمَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَاتِ سَتَكُونُ لَهُمْ نُورًا يَهْدِيهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا رَبُّهُمْ، وَهِيَ جَنَّةُ رِفَةٍ وَنَعِيمٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي حَبَابَتِهَا .

يَدْعُونَ كُلَّ دُعَاءٍ وَتَنَاءٍ عَلَى اللَّهِ بِكَلِمَةٍ (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) أَيُّ تَقْدِيساً وَتَنْزِيهاً لَكَ يَا رَبِّ. وَيُجِيبُهُمْ رَبُّهُمْ بِكَلِمَةٍ (سَلَامٌ) وَهِيَ تَدْلٌ عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَتُحْيِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِقَوْلِهِمْ (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)، وَيُحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِكَلِمَةٍ سَلَامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً } وَفِي آخِرِ كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، مِنْ دُعَاءٍ يُنَاجُونَ بِهِ رَبَّهُمْ، أَوْ مَطْلَبٍ يَطْلُبُونَهُ مِنْ إِحْسَانِهِ وَكَرَمِهِ يَقُولُونَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

المنفقون في سبيل الله

قال تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) [البقرة/٢٦٥]

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ طَلَباً لِمَرْضَاةِ اللَّهِ عَنْهُمْ، وَهُمْ مُتَحَقِّقُونَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ سَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ بُسْتَانٍ (جَنَّةٍ) بِرَبْوَةٍ مُرْتَفَعَةٍ عَنِ الْأَرْضِ، فَأَصَابَهَا مَطَرٌ شَدِيدٌ (وَابِلٌ)، فَأَثْمَرَتْ ضِعْفَيْنِ مِمَّا أَثْمَرَتْهُ غَيْرُهَا مِنَ الْجَنَانِ (أَوْ ضِعْفَيْنِ مِمَّا كَانَتْ تُثْمِرُهُ قَبْلًا) فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا الْمَطَرُ الشَّدِيدُ، أَصَابَهَا مَطَرٌ خَفِيفٌ يَكْفِيهَا لِحَوْدَةِ ثَرْبَتِهَا، وَحُسْنِ مَوْقِعِهَا، فَهِيَ لَا تُثْمَلُ أَبَداً. وَكَذَلِكَ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ لَا يَبُورُ أَبَداً، بَلْ يَتَقَبَّلُهُ اللَّهُ وَيُكَثِّرُهُ وَيُنَمِّيهِ.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى هُوَ: وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْحَوَادِثُ الْبَرُّ إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ أَغْدَقَ وَوَسَّعَ فِي الْإِنْفَاقِ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ قَلِيلٌ أَنْفَقَ بِقَدَرِهِ، فَخَيْرُهُ دَائِمٌ، وَبِرُّهُ لَا يَنْقَطِعُ) .

وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ .

المتقون

قال تعالى: قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (١٦) [الفرقان/١٥، ١٦]

قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِهَؤُلَاءِ الْمَكْدِيِّينَ: أَهَذَا الَّذِي وَصَفْنَاهُ لَكَ مِنْ حَالِ الْأَشَقِيَاءِ، الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فَتَتَلَقَّاهُمْ بِوَجْهِ عُبُوسٍ وَتَغِيْظٍ وَزَفِيرٍ، وَيُلْقُونَ فِي أَمَاكِنَ ضَيِّقَةٍ مِنْهَا مُقَرَّنِينَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ حَرَكَاً وَلَا اسْتِنصَاراً مِمَّا هُمْ فِيهِ... أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ، وَأَعَدَّهَا لَهُمْ لِيَتَكُونَ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا عَلَى مَا أَطَاعُوا رَبَّهُمْ فِي الدُّنْيَا؟

وَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْمَاكِلِ، وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ، وَالْمَسَاكِينِ، وَالْمَنَاطِرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ خَالِدُونَ أَبَداً سَرْمَداً، وَلَا يَبْغُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ تَحَوُّلاً وَلَا زَوَالاً، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَحْسَنَ بِهِ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ وَاجِبُ الْوُقُوعِ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقَعَ .

وقال تعالى: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) [الرعد/٣٥]

صفة الجنة التي وعد الله بها المتقين، ونعتها، أنها تجري الأنهار في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها يفجرونها تفجيراً، فيها الفواكه والمطاعم والمشارب، لا انقطاع لها ولا فناء (أكلها دائماً)، وظلها دائماً لا ينكمش ولا يزول. وهذه الجنة التي تقدمت صفتها، هي جزاء المتقين عند ربهم (عقبي الذين اتقوا)، أما الكافرون فعقباهم ومصيرهم النار. ولا يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار .

وقال تعالى: وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين (٣١) الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون (٣٢) [النحل/٣٠-٣٢]

ويخبر الله تعالى عن المؤمنين السعداء، فإذا قيل لهم: ماذا أنزل ربكم على رسوله؟ قالوا: أنزل القرآن، فيه خير ورحمة، وبركة لمن اتبعه، وآمن به .

ثم يخبر الله تعالى عما وعد به عباده المؤمنين فيما أنزله على رسوله، فقال: من أحسن عمله في الدنيا، فأمن بالله ورسوله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.. أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة. وإن دار الآخرة خير من الدنيا الفانية، والجزء فيها أتم من الجزء في الدنيا، ونعمت دار الآخرة داراً للمتقين .

والدار التي وعد الله بها المتقين من عباده في الآخرة هي جنات مقام (عدن)، يدخلونها، تجري في أرضها الأنهار (من تحتها) بين أشجارها وقصورها، ولهم فيها ما يطلبون ويستشئون، وكذلك يجزي الله كل من آمن به واتقاه، وأحسن عمله .

ويخبر الله تعالى عن حال المؤمنين القائمين بجميع ما أمر الله به، والمتقين عن جميع ما نهى عنه (الطيبين) حين تحضرهم الملائكة لقبض أرواحهم عند احتضارهم، فقال: إنهم طيبون، مخلصون من الشرك والدنس، والسوء، وإن الملائكة تسلم عليهم، وتبشرهم بالجنة، جزاء لهم على إيمانهم بربهم، وعلى أعمالهم الصالحة .

وقال تعالى: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤) لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد (٣٥) [ق/٣١-٣٥]

وأدنى الجنة من المتقين، الذين آمنوا بربهم وخافوه، واحتنبوا معاصيه، حتى أصبحت على مرأى العين منهم، وذلك لتطمئن قلوبهم، وهم يرون فيها ما أعد لهم من لهم من نعيم لا نفاذ له .

وَيُقَالُ لِلْمُتَّقِينَ - يَقُولُهُ الرَّبُّ تَعَالَى أَوْ يَقُولُهُ الْمَلَائِكَةُ الْأَطْهَارُ - هَذَا هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي وَعَدَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ الْكَرَامِ، وَجَاءَتْ بِهِ كُتُبُهُ، وَقَدْ أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ رَجَاءٍ تَوَّابٍ إِلَى رَبِّهِ، مُقْلَعٍ عَنْ مَعَاصِيهِ، رَجَّاعٍ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ .

مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَرَاهُ غَيْرَ اللَّهِ، وَجَاءَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ خَاضِعٍ لَهُ .

وَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ الْمُكْرَمِينَ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ سَالِمِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْهُمُومِ وَالْخَوْفِ، وَاطْمَئِنُّوا وَقَرُّوا عَيْنًا فَهَذَا يَوْمُ الْخُلُودِ فِي هَذَا النَّعِيمِ، فَهُوَ دَائِمٌ عَلَيْكُمْ لَا تَحُولُونَ عَنْهُ وَلَا تَزُولُونَ، وَلَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُخْرَجُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَطْلُبُونَ وَمَا يَشْتَهُونَ، ثُمَّ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ فَوْقَ مَا سَأَلُوا مِمَّا لَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ عَلَى بَالٍ .

من أتى الله بقلب سليم

قال تعالى: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) [الشعراء/٨٨، ٨٩] وفي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يُبْعَثُ الْخَلَائِقُ، لَا يَبْقَى الْمَرْءُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَالُهُ، وَلَوْ افْتَدَى بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَلَا يَنْفَعُهُ بَنُوهُ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ .

وَلَا يَنْفَعُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا إِيمَانُهُ، وَعَمَلُهُ الصَّالِحُ، وَأَنْ يَأْتِيَ اللَّهَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، مُبْرَأً مِنَ الشَّرِكِ وَالذَّنْسِ، وَالْخَطَايَا، وَقَدْ أَخْلَصَ الْإِيمَانَ لِلَّهِ، وَأَخْلَصَ الْعَقِيدَةَ لَهُ، وَأَمَّنَ إِيمَانًا صَادِقًا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ .

اليقين بالآخرة والعمل لها

قال تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) [الحاقة/١٩-٢٤]

وَيُعْطَى النَّاسُ صُحُفَ أَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ تَنَاوَلَ صَحِيفَةَ عَمَلِهِ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ فَرِحًا مَسْرُورًا لِكُلِّ مَنْ يَلْقَاهُ: هَذِهِ هِيَ صَحِيفَةُ أَعْمَالِي، خُذُوهَا فَاقْرَؤُوهَا، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا فِيهَا خَيْرٌ وَحَسَنَاتٌ، لِأَنَّهُ مِمَّنْ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ .

إِنِّي كُنْتُ فِي الدُّنْيَا أَعْتَقِدُ يَقِينًا بِأَنِّي سَأَحَاسِبُ أَمَامَ اللَّهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَعَمِلْتُ خَيْرًا قَدَرْتُ مَا اسْتَطَعْتُ، وَكُنْتُ أَوْمِلُ أَنْ يُحَاسِبَنِي اللَّهُ عَلَى أَعْمَالِي حِسَابًا يَسِيرًا، وَقَدْ صَدَقَ مَا أَعْتَقَدْتُ وَمَا تَوَقَّعْتُ، فَكَانَ حِسَابِي يَسِيرًا . فَهُوَ يَعِيشُ عِيشَةً رَاضِيَةً خَالِيَةً مِنَ الْهُمُومِ وَالْأَكْدَارِ .

فِي جَنَّةٍ رَفِيعَةِ الْمَكَانِ وَالذَّرَجَاتِ، فِيهَا الْخَضِرَةُ وَالْمِيَاهُ وَالظَّلَالُ الْوَارِقَةُ. فِيهَا أَشْجَارٌ ثَمَارُهَا دَانِيَةٌ مِمَّنْ يُرِيدُونَ قُطْفَهَا، فَيَأْخُذُونَهَا بِدُونِ عَنَاءٍ .

الوفاء النذور والخوف من يوم الحساب

قال تعالى: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢)

[الإنسان/٧-٢٣]

وهؤلاء الأبرار يُوفُونَ بِمَا أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ نُدُورٍ، لَأَنَّ مَنْ أَوْفَى بِمَا أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ أَكْثَرَ وِفَاءً بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَتْرَكُونَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي نَهَاَهُمْ رَبُّهُمْ عَنْهَا، خِيفَةَ سُوءِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ ضَرَرِهِ مُنْتَشِرًا فَاشِيًا عَامًّا عَلَى النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ. وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ، مَعَ شَهْوَتِهِمْ لَهُ، وَرَغَبَتِهِمْ فِيهِ، لِلْفَقِيرِ الْعَاجِزِ عَنِ الْكَسْبِ (الْمُسْكِينِ)، وَالْيَتِيمِ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ، وَهُوَ دُونَ سِنِّ الْبُلُوغِ وَالْأَسِيرِ الْعَانِي الَّذِي لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ قُوَّةً. وَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُطْعِمُونَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْأَيْتَامَ وَالْأَسْرَى، لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ ثَوَابَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ وَحَدَهُ، لَا يَطْمَعُونَ فِي جَزَاءٍ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ عَلَى إِنْفَاقِهِمْ، وَلَا فِي شُكْرِ مَنْ الْمُنْفَقِ عَلَيْهِ. وَإِنَّا إِنَّمَا نَفْعَلُ ذَلِكَ رَجَاءً أَنْ يَرْحَمَنَا رَبُّنَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ طَوِيلٌ عَصِيبٌ، تَعَبَسُ فِيهِ الْوُجُوهُ وَتَكَلَّحُ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهِ. فَأَمَنَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ مَا خَافُوهُ، وَأَعْطَاهُمْ أَمْنًا تَكُونُ لَهُ وَجُوهُهُمْ نَضْرَةً، وَسُرُورًا تُسَرُّ بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَالْقَلْبُ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ الْوَجْهُ. وَجَزَاهُمْ اللَّهُ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِثَارِ، وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنَ الْجُوعِ وَالْعُرْيِ، جَنَّةً لَهُمْ فِيهَا مَنَزَلٌ رَحْبٌ، وَعَيْشٌ رَغْدٌ، وَلِبَاسٌ مِنْ حَرِيرٍ. وَيَجْلِسُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى السَّرَائِرِ وَالْأَرَائِكِ، وَهُمْ مُتَكِنُونَ فِي وَضْعٍ مَنْ هُوَ مُنْعَمٌ، لَا يُقَاسُونَ حَرًّا مُزْعَجًا، وَلَا بَرْدًا مُؤْلِمًا. وَتَدْنُو أَشْجَارُ الْجَنَّةِ بِظِلَالِهَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ السُّعْدَاءِ، وَتُسَخَّرُ قُطُوفُهَا لَأَمْرِهِمْ لِيَنَالُوا مِنْهَا مَا شَاءُوا. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ خَدَمُ الْجَنَّةِ بِأَوَانِي الطَّعَامِ، وَهِيَ مِنْ فِضَّةٍ خَالِصَةٍ، وَبِأَكْوَابِ الشَّرَابِ، وَهِيَ أَيْضًا مِنْ فِضَّةٍ، وَقَدْ جُعِلَتْ هَذِهِ الْأَكْوَابُ جَامِعَةً بَيَاضَ الْفِضَّةِ، وَصَفَاءَ الزُّجَاجِ وَشَفَافِيَّتِهِ .

وَهَذِهِ الْقَوَارِيرُ يَحْمِلُهَا إِلَيْهِمُ السُّعَاةُ وَقَدْ قَدَّرُوا مَا صُبُّهُ فِيهَا عَلَى قَدَرٍ كِفَايَةِ الشَّارِبِينَ وَرَبِّهِمْ، لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ. وَيُسْقَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ فِي الْجَنَّةِ كَأْسًا مِنْ خَمَرِ الْجَنَّةِ مُزَجَّتْ بِالزَّيْتِ الْبَارِدِ وَالزَّيْتِ الْحَارِّ. وَيُسْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ عَيْنٍ غَايَةٍ فِي السَّلَاسَةِ وَالْإِسْتِسَاغَةِ.

يَطُوفُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ غُلَمَانٌ (وَلَدَانِ) يَخْدُمُونَهُمْ، وَهُمْ شَبَابٌ، وَجُوهُهُمْ نَضْرَةٌ، كَأَنَّهُمْ لِحُسْنِ أَلْوَانِهِمْ، وَنَضْرَةِ وَجُوهِهِمْ، وَكَثْرَةِ انْتِشَارِهِمْ فِي قِصَاءِ الْحَاجَاتِ، اللَّوْلُؤُ الْمُنْثُورُ، وَهُمْ لَا يَهْرُمُونَ وَلَا يَشْيَبُونَ، وَلَا تَتَبَدَّلُ أَحْوَالُهُمْ. وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ نَعِيمٍ فِي الْجَنَّةِ، لَرَأَيْتَ نَعِيمًا عَظِيمًا، وَمُلْكًا كَبِيرًا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ. وَيَلْبَسُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الرَّفِيعَ مِنَ الْحَرِيرِ، مِمَّا يَلِي أَبْدَانَهُمْ كَالْقَمْصَانِ وَنَحْوَهَا، وَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ الَّتِي لَهَا لَمَعَانٌ وَبَرِيقٌ، مِمَّا يَلِي الْخَارِجَ، وَيَتَحَلَّوْنَ بِأَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَسْقِيهِمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا يُطَهِّرُ بَاطِنَ شَارِبِهِ مِنَ الْحَسَدِ، وَالْحَقْدِ، وَالْغِلِّ، وَرَدِيءِ الْأَخْلَاقِ. وَيُقَالُ لَهُمْ تَكْرِيمًا: إِنَّ هَذَا الَّذِي أُعْطِيتُمُوهُ مِنَ الْكَرَامَةِ إِنَّمَا كَانَ ثَوَابًا لَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ شَكَرَ اللَّهُ لَكُمْ سَعْيَكُمْ فَأَنَابَكُمْ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابًا حَسَنًا.

من أسلم وجهه لله وهو محسن

قال تعالى: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) [البقرة/١١١، ١١٢]

ادَّعَى الْيَهُودُ، وَادَّعَتِ النَّصَارَى أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمْ هُمْ. فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: تِلْكَ أَشْيَاءُ يَتَمَنَّوْنَهَا عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، وَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ وَلَا حُجَّةٌ عَلَى مَا يَقُولُونَ. فَإِنْ كَانَ لِدَعْوَاهُمْ هَذِهِ أُسَاسٌ فَلْيَأْتُوا بِبُرْهَانٍ عَلَيْهَا. وَبِمَا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ الدَّلِيلِ عَلَى دَعْوَاهُمْ هَذِهِ فَهُمْ إِذَا كَاذِبُونَ مُتَخَرِّصُونَ. وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى دَعْوَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى تِلْكَ فَيَقُولُ لَهُمْ: بَلَى سَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ الَّذِينَ يُسَلِّمُونَ وَجُوهَهُمْ لِلَّهِ. وَيَنْقَادُونَ لِأَمْرِهِ مُطِيعِينَ مُخْلِصِينَ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ فَهَؤُلَاءِ يُؤْفِقُهُمْ رَبُّهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ، وَيَذْهَبُ عَنْهُمْ الْخَوْفُ وَالْحَزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنَ الْأَمْرِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا يَتْرُكُونَهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا. فَرَحْمَةُ اللَّهِ لَا يَخْتَصُّ بِهَا شَعْبٌ دُونَ شَعْبٍ، وَكُلٌّ مِنْ عَمَلٍ لَهَا، وَأَخْلَصَ فِي عَمَلِهِ، كَانَ مِنْ أَهْلِهَا.

الذين صبروا على البأساء والضراء

قال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) [البقرة/٢١٤]

يُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ هَدَاهُمْ إِلَى السَّلَامِ، وَإِلَى الْخُرُوجِ مِنْ ظُلْمَةِ الْاِخْتِلَافِ، إِلَى نُورِ الْوِفَاقِ، بِاتِّبَاعِهِمْ هُدَى الْكِتَابِ زَمَنَ التَّنْزِيلِ، الَّذِينَ يَطُنُّونَ مِنْهُمْ أَنَّ انْتِسَابَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فِيهِ الْكَفَايَةُ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ دُونَ أَنْ يَتَحَمَّلُوا الشَّدَائِدَ وَالْأَذَى فِي سَبِيلِ الْحَقِّ، وَهَدَايَةِ الْخَلْقِ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِسُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْهُدَى مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُمْ. فَيَقُولُ لَهُمْ: هَلْ تَحْسِبُونَ أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ تُبْتَلَوْا وَتُخْتَبَرُوا كَمَا فُعِلَ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ ابْتَلَوْا بِالْفَقْرِ (الْبَأْسَاءُ)، وَبِالْأَسْقَامِ وَالْأَمْرَاضِ (الضَّرَاءُ)، وَخَوْفُوا وَهَدِّدُوا مِنَ الْأَعْدَاءِ (زُلْزَلُوا)، وَامْتَحِنُوا امْتِحَانًا عَظِيمًا، وَاشْتَدَّتِ الْأُمُورُ بِهِمْ حَتَّى تَسْأَلَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ: مَتَى يَأْتِي نَصْرُ اللَّهِ .

وَحِينَمَا تُثَبِّتُ الْقُلُوبُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْمَحَنِ الْمَزْلَزِلَةِ، حِينَئِذٍ تَتِمُّ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَيَجِيءُ نَصْرُهُ الَّذِي يَدْخِرُهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَسْتَيْقِنُونَ أَنَّ لَا نَصْرَ إِلَّا نَصْرُ اللَّهِ .

المجاهدون الصابرون

قال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) [آل عمران/١٤٢]

وَلَا تَحْسِبُوا أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَبِرَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَيُمَحِّصَكُمْ فِي الشَّدَائِدِ وَالْجِهَادِ لِيَرَى صِدْقَ إِيمَانِكُمْ، وَيَرَى مَنْ يَسْتَجِيبُ لِلَّهِ، وَيُخْلِصُ فِي طَاعَتِهِ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَكَارِهِ الْحُرُوبِ .

العاملون بطاعة الله تعالى

قال تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكَمُ الْجَنَّةَ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) [الأعراف/٤٢، ٤٣]

وَالَّذِينَ آمَنُوا قُلُوبُهُمْ، وَصَدَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ بِجَوَارِحِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَدًا . وَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ سَهْلَانِ مَيَسُورٌ فَعَلُهُمَا لِجَمِيعِ النَّاسِ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ أَحَدًا إِلَّا قَدْرَ طَاقَتِهِ وَاسْتَطَاعَتِهِ .

وَيَنْزِعُ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ حَقْدٍ وَضَغِينَةٍ وَحَسَدٍ، فَيُصْبِحُونَ مُتَحَابِّينَ، وَتَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ فِي أَرْضِ الْجَنَّةِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ فَيَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا إِلَى

طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَلَوْلَا هُدَى اللَّهِ لَمَّا كُنَّا اهْتَدَيْنَا إِلَيْهِ، لَقَدْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ رُسُلُ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ. وَيُنَادُونَ (يُنَادِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ تُنَادِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ) : إِنَّ هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي أَنْتُمْ تَحْلُونَهَا قَدْ أَوْرَثَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا ثَوَابًا لَكُمْ وَجَزَاءً عَلَى إِيْمَانِكُمْ وَأَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ .

وقال تعالى: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) [الزمر/٧٣، ٧٤]

وَيُوجَّهُ الْمُتَّقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ جَمَاعَاتٍ إِنَّزَرَ جَمَاعَاتٍ: الْمُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الْأَبْرَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.. فَإِذَا وَصَلُوا الْجَنَّةَ تَفَتَّحَ لَهُمْ أَبْوَابُهَا لَا سَتَقْبَلُهُمْ، وَيَسْتَقْبِلُهُمْ حُرَّاسُهَا (خَزَنَتُهَا) بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَأَقْوَالُكُمْ، وَطَابَ سَعْيُكُمْ وَجَزَاؤُكُمْ، فَادْخُلُوا الْجَنَّةَ لِتَمَكَّنُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا .

وَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ يَعَابُونَ فِي الْجَنَّةِ الْجَزَاءَ الْوَافِرَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ، وَالنَّعِيمَ الْمُقِيمَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ وَعَدَنَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ الْكَرَامِ بِالثَّوَابِ الْكَرِيمِ فِي الْآخِرَةِ فَصَدَّقْنَا مَا وَعَدَنَا بِهِ، وَأَكْرَمَنَا بِأَنْ جَعَلَنَا نَتَصَرَّفُ فِي أَرْضِ الْجَنَّةِ تَصَرَّفَ الْوَارِثِ فِيمَا يَرِثُ، فَتَتَّخِذُ مِنْهَا مَبَاةً وَمَسْكَنًا حَيْثُ نَشَاءُ، فَنِعْمَ الْأَجْرُ أَجْرُنَا عَلَى عَمَلِنَا، وَنِعْمَ الثَّوَابُ ثَوَابُنَا الَّذِي أَكْرَمَنَا بِهِ اللَّهُ تَعَالَى .

من باعوا أنفسهم لله

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) [التوبة/١١١-١١٢]

يُرْعَبُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ فِي الْجِهَادِ، وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ سَيَعُوضُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ عَنْ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَإِلْحِقَاقِ الْحَقِّ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ، فَهُمْ حِينَ يُجَاهِدُونَ يَقْتُلُونَ أَعْدَاءَهُمْ، وَيُقْتَلُونَ هُمْ، وَهُمْ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُثَابُونَ عَلَى ذَلِكَ. وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا الْجَزَاءِ الْحَقِّ، وَجَعَلَهُ حَقًّا عَلَيْهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ .

ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى مَنْ التَزَمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَهْدِهِ اللَّهُ إِلَى الْاسْتَبْشَارِ بِذَلِكَ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَفَاءً بِالْعَهْدِ، وَلَا أَكْثَرُ مِنْهُ التَّزَامًا بِالْوَعْدِ الَّذِي يَقْطَعُهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ رِبْحٌ أَكْبَرُ مِنَ الرِّبْحِ الَّذِي يُحَقِّقُهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي هَذِهِ الصِّفْقَةِ .

وَهُنَا يُعَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اشْتَرَى مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ: التَّائِبُونَ مِنْ

الدُّنُوبِ كُلِّهَا، التَّارِكُونَ لِلْفَوَاحِشِ، الْقَائِمُونَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَالْمَحَافِظُونَ عَلَيْهَا، وَالْحَامِدُونَ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ، السَّائِحُونَ فِي الْأَرْضِ، لِلْإِعْتِبَارِ وَالِاسْتِصْصَارِ بِمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ، (وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ مَعْنَى السَّائِحِينَ هُنَا الصَّائِمُونَ) وَالْمُصَلُّونَ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَسْعَوْنَ فِي نَفْعِ خَلْقِ اللَّهِ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى طَاعَتِهِ، بِأَمْرِهِم بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، مَعَ الْعِلْمِ بِمَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ، وَيَجِبُ تَرْكُهُ طَاعَةً لِلَّهِ (أَيَّ إِنَّهُمْ يَحْفَظُونَ حُدُودَ اللَّهِ). وَيُيَسِّرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْكَرِيمَةِ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

المحسنون

قال تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) [يونس/٢٦]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ اللَّهِ، وَيُحْسِنُونَ الْعَمَلَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، سَيَكُونُ جَزَاؤُهُمُ الْحُسْنَى مِنَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ (وَهَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، وَسَيُضَاعَفُ اللَّهُ لَهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ (وَزِيَادَةٌ)، وَسَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، وَسَيُعْطِيهِمْ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } : (الْحُسْنَى الْجَنَّةُ. وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ). وَلَا يَعْشَى وُجُوهُهُمْ قَتَامٌ أَسْوَدٌ، مِمَّا يَعْتَرِي وُجُوهَ الْكَافِرَةِ، مِنَ الْقَتَرَةِ وَالْعَبْرَةِ، وَلَا يَلْحَقُ بِالْمُؤْمِنِينَ صَعَارٌ وَلَا هَوَانٌ وَلَا ذِلَّةٌ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَصِفُ الْمُؤْمِنِينَ فِي آيَةٍ أُخْرَى { فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا. } لَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ - لَا يَعْشَى وُجُوهَهُمْ وَلَا يَعْْلُوها.

وقال تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) [الذاريات/١٥-١٩]

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَاتَّقَوْا رَبَّهُمْ وَأَطَاعُوهُ، وَاجْتَنَبُوا مَعَاصِيَهُ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي بَسَاتِينٍ وَجَنَّاتٍ تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ. قَرِيرَةً أَعْيُنُهُمْ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ نَعِيمٍ يُفُوقُ مَا كَانُوا يُؤْمَلُونَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، طَلِبًا لِمَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، فَنَالُوا هَذَا الْجَزَاءَ الْعَظِيمَ.

كَانُوا يَنَامُونَ الْقَلِيلَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَيَقُومُونَ لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ فِي مُعْظَمِهِ. وَكَانُوا يُحْيُونَ اللَّيْلَ مُتَهَجِّدِينَ، فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ السَّحَرِ أَخَذُوا فِي الْإِسْتِغْفَارِ كَأَنَّهُمْ أَسْلَفُوا فِي لَيْلَتِهِمُ الدُّنُوبَ. وَجَعَلُوا فِي أَمْوَالِهِمْ جُزْءًا مُعَيَّنًا خَصَّصُوهُ لِّلسَّائِلِ الْمُحْتَاجِ، وَلِلْمُتَعَفِّفِ الَّذِي لَا يَجِدُ مَا يُغْنِيهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ، وَلَا يَفْطَنُ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ.

المحافظون على الصلاة، البعيدون عن الشهوات

قال تعالى: فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣) [مريم/٥٩-٦٣]

ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الصَّالِحِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الْقَائِمِينَ بِحُدُودِ اللَّهِ وَأَوَامِرِهِ الْمُؤَدِّينَ فَرَائِضَهُ، خَلَفَ سُوءُ، تَرَكَوا الصَّلَاةَ وَإِقَامَتَهَا، وَأَقْبَلُوا عَلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، فَهَؤُلَاءِ سُوفَ يَلْقَوْنَ خَسَارَةً وَشَرًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِلَّا مَنْ تَدَارَكَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ، وَصَدَّقَ الْإِيمَانَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَرَجَعَ عَنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَعَنِ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ، وَيُحَسِّنُ عَاقِبَتَهُ، وَخَتَامَهُ، وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، لِأَنَّ التَّوْبَةَ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا، وَلَا يَنْقُصُهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ .

(وَفِي الْحَدِيثِ: " التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ") . (أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ) .

وَالْجَنَّاتُ الَّتِي يُدْخِلُهَا اللَّهُ تَعَالَى التَّائِبِينَ، هِيَ جَنَّاتُ الْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ (جَنَّاتُ عَدْنٍ)، الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ بِهَا، وَهِيَ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ، وَلَمْ يَرَوْهُ، وَإِنَّمَا آمَنُوا بِهِ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ، وَتَصَدِيقِ رُسُلِهِ بِمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا، فَإِنَّ مَا يَعِدُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ سَيَحْصُلُ، وَسَيَصِلُ إِلَى الْعِبَادِ (أَوْ سَيَأْتِيهِ) وَفِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ لَا يَسْمَعُ نَزْلًا وَهِيَ كَلَامًا لَغْوًا تَافِهًا لَا مَعْنَى لَهُ، وَلَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَسْمَعُونَ الْمَلَائِكَةَ يُحْيِيوْنَهُمْ بِالسَّلَامِ، مِمَّا يُشْعِرُهُمْ بِالْأَطْمِنَانِ وَالسَّعَادَةِ وَالرِّضَا، وَيَأْتِيهِمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي طَرَفِي النَّهَارِ (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) كَمَا كَانَ حَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَالْجَنَّةُ الَّتِي بَيَّنَّ اللَّهُ أَوْصَافَهَا الْعَظِيمَةَ فِيمَا تَقَدَّمَ، هِيَ الَّتِي يُورِثُهَا عِبَادُهُ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَيَكْظُمُونَ الْغَيْظَ، وَيَعْفُونَ عَنِ النَّاسِ

من صدع بالحق ومات دونه

قال تعالى: وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) [يس/٢٠-٢٧]

وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ يَسْعَى مُسْرِعًا إِلَى حَيْثُ كَانَ يَجْتَمِعُ النَّاسُ وَهُمْ يُحَاوِرُونَ الرُّسُلَ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا رُسُلَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ .

اتَّبِعُوا الَّذِينَ لَا يَطْلُبُونَ أَجْرًا عَلَى تَبْلِيغِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ، وَلَا يَطْلُبُونَ غُلُوبًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا، وَهُمْ مُهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ الْقَوِيمِ، فَإِذَا اتَّبَعْتُمُوهُمْ اهْتَدَيْتُمْ بِهِدَاهُمْ وَيَبْدُوا أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ اتَّهَمُوا مَوَاطِنَهُم، الَّذِي جَاءَ يَسْعَى مُسْرِعًا لِيُدَافِعَ عَنِ الرُّسُلِ، وَلِيَنْصَحَ قَوْمَهُ، بِأَنَّهُ مُوَالٍ لِلرُّسُلِ، وَمُؤْمِنٌ بِمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ، فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا: وَلِمَاذَا لَا يَعْبُدُ اللَّهُ، وَلَا يُخْلِصُ الْعِبَادَةَ لَهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخَلْقُ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ .

وَهَلْ تُرِيدُونَنِي أَنْ أَعْبُدَ إِلَهَةً غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ أَنْ يُنْزِلَ بِي ضَرًّا لَمْ تَنْفَعْنِي تِلْكَ الْإِلَهَةُ شَيْئًا، وَلَمْ تَشْفَعْ لِي عِنْدَهُ، وَلَمْ تُنْقِذْنِي مِنْ عَذَابِهِ .

إِنِّي إِنْ اتَّخَذْتُ تِلْكَ الْأَصْنَامَ إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، كُنْتُ فِي ضَلَالٍ بَيِّنٍ، وَاضِحٍ .

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ لِلرُّسُلِ الْكَرَامِ: إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ الَّذِي أَرْسَلَكُمْ، وَاتَّبَعْتُكُمْ، فَاشْهَدُوا لِي بِذَلِكَ، عِنْدَ رَبِّكُمْ الْكَرِيمِ .

(وَهَذَا مَنْ قَالَ إِنَّهُ إِنَّمَا خَاطَبَ قَوْمَهُ، قَائِلًا إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ الَّذِي كَفَرْتُمْ أَنْتُمْ بِهِ) .

وَيُرْوَى أَنَّ الْقَوْمَ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ بَيْنَهُمْ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ، وَأَكْرَمَهُ عَلَى حُسْنِ إِيمَانِهِ وَثِقَتِهِ بِرَبِّهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ جَزَاءَ لَكَ عَلَى مَا قَدَّمْتَ مِنْ إِيمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَمَا أَسْلَفْتَ مِنْ إِحْسَانٍ. فَلَمَّا دَخَلَهَا، وَعَايَنَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ وَصَبْرِهِ، قَالَ: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا أَنَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ، بِسَبَبِ إِيمَانِي بِرَبِّي، وَتَصَدِيقِي بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ الْكَرِيمُ .

أن يكونوا عبادا لله حقا

قال تعالى: يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بَايَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) [الزخرف/٦٨-٧٣]

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا عِبَادِي لَا تَخَافُوا مِنْ عِقَابِي، فَقَدْ آمَنْتُمْكُمْ مِنْهُ، وَرَضِيتُ عَنْكُمْ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا خَلَفْتُمْ فِي الدُّنْيَا. فَالَّذِي أَدَّخَرْتُمْ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْهُ .

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ صِفَةَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْأَمْنَ مِنَ اللَّهِ، وَالرِّضَا، فَلَا يَخَافُونَ الْعَذَابَ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَفُوهُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ إِنْ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ آمَنْتُ قُلُوبُهُمْ، وَصَفَّتْ نَفْسُهُمْ، وَانْقَادَتْ لِشَرَعِ اللَّهِ بِوَاطِنُهُمْ وَظَوَاهِرُهُمْ .

وَقَالَ لَهُمْ: ادْخُلُوا أَهْلَ الْمُؤْمِنُونَ وَنُظَرَاؤَكُمْ الْجَنَّةَ تَنْعَمُونَ فِيهَا وَتَسْعَدُونَ (تُحْبَرُونَ) بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ وَلَا مَقْطُوعٍ .

وَبَعْدَ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا فِي الْجَنَّةِ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَوَانٍ مِنْ ذَهَبٍ عَلَيْهَا أَنْوَاعُ الطَّعَامِ، وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَكْوَابٍ لِلشَّرَابِ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِي كُلِّ مِنَ الْأَوَانِي وَالْأَكْوَابِ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ، وَتَتَلَذَّذُ بِهِ الْأَعْيُنُ، فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَنَعَمُونَ وَيَتَلَذَّذُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ إِكْمَالًا لِسُرُورِهِمْ: إِنَّهُمْ بِأَقْوَانٍ فِي هَذَا النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ أَبَدًا .

ثُمَّ يُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الرَّاتِعِينَ فِي هَذَا النَّعِيمِ الدَّائِمِ: إِنَّ هَذِهِ هِيَ الْجَنَّةُ، وَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ بَاقِيَةً لَكُمْ كَالْمِيرَاثِ الَّذِي يَبْقَى عَنِ الْمَوْرَثِ، جَزَاءً لَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ، وَإِيمَانِكُمْ بِرَبِّكُمْ. وَلَكُمْ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ مَا لَا حَصْرَ لَهُ تَأْكُلُونَ مِنْهَا مَا تَخْتَرُونَ بِغَيْرِ حِسَابٍ لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَالْغِنَةِ وَالْخُبُورِ .

المستقيمون

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) [الأحقاف/١٣، ١٤] إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، ثُمَّ تَبَتُّوا عَلَى تَصْدِيقِهِمْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ أَوْ ظُلْمٍ، وَلَمْ يُخَالِفُوا أَمْرَ اللَّهِ، أُولَئِكَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَقُوهُ وَرَأَوْهُمْ فِي الدُّنْيَا .

وهؤلاء الذين آمنوا بالله واستقاموا على الإيمان والعمل الصالح، هم أصحاب الجنة يخلدون فيها أبداً، ثواباً لهم من عند الله وجزاءاً لهم على ما قدموا من أعمالٍ صالحاتٍ في الدنيا .

التائبون الداعون الشاكرون

قال تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِإِحْسَانٍ بَوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) [الأحقاف/١٥-١٦]

بَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِتَصْدِيقِ رَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى الْإِيمَانِ، حَثَّ النَّاسَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ فَأَخْبَرَ تَعَالَى: أَنَّهُ أَمَرَ الْإِنْسَانَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى وَالِدَيْهِ، وَبِالْحُنُوِّ عَلَيْهِمَا، وَجَعَلَ بَرَّهُمَا مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ، وَجَعَلَ عُقُوبَهُمَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى سَبَبَ تَوْصِيَةِ الْإِنْسَانِ بِرِّ وَالِدَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ قَاسَتْ فِي حَمْلِهِ مَشَقَّةً وَتَعَبًا، وَقَاسَتْ فِي وَضْعِهِ مَشَقَّةً وَأَلَمًا، وَكُلُّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مِنَ الْإِنْسَانِ الشُّكْرَ، وَاسْتِحْقَاقَ التَّكْرِيمِ، وَحَمِيلَ الصُّحْبَةِ. وَمُدَّةَ حَمْلِ الطِّفْلِ، وَفِطَامِهِ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا تَحْتَمِلُ فِيهَا الْأُمُّ أَعْظَمَ الْمَشَاقِّ. حَتَّى

إِذَا بَلَغَ الطِّفْلُ كَمَالَ قُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ قَالَ: رَبِّ أَلْهِمْنِي وَوَقِّفْنِي إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ، وَعَلَى وَالِدَيَّ، مِنْ صِحَّةِ جِسْمٍ، وَسَعَةِ عَيْشٍ، وَاجْعَلْنِي أَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا يُرْضِيكَ عَنِّي لِأَنَالَ مَثُوبَتَهُ عِنْدَكَ، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ الصَّلَاحَ سَارِيًّا فِي ذُرِّيَّتِي، إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِي الَّتِي صَدَرَتْ عَنِّي فِيمَا سَلَفَ مِنْ أَيَّامِي، وَإِنِّي مِنَ الْمُسْتَغْلِبِينَ لِأَمْرِكَ وَقَضَائِكَ .

وهؤلاء الْمُتَصِفُونَ بِالصِّفَاتِ السَّابِقَةِ (التَّائِبُونَ إِلَى اللَّهِ، الْمُتَنِبِّونَ إِلَيْهِ، الْمُسْتَدِرُّونَ مَا فَاتَ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ..) هُمُ الَّذِينَ يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَصْفَحُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَيَعْفِرُ لَهُمُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ الَّذِي صَدَرَ مِنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَتَرَسَّخْ فِعْلُهُ فِي نُفُوسِهِمْ، وَيَقْبَلُ الْقَلِيلَ مِنَ الْعَمَلِ. وَهُمْ فِي عِدَادِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَحْقِيقًا لِلْوَعْدِ الصَّدَقِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يُخْلَفُ اللَّهُ وَعْدَهُ أَبَدًا .

(وَرُوي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ .

وَرُوي أَيْضًا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَالْآيَةُ تُنَبِّطُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ فَهُوَ مُوصِيٌّ بِوَالِدَيْهِ، مَأْمُورٌ بِشُكْرِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمَا، وَبَأَن يَعْمَلَ صَالِحًا، وَأَن يَسْعَى فِي إِصْلَاحِ ذُرِّيَّتِهِ، وَأَن يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَهُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .

من قتل في سبيل الله

قال تعالى :وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) ي [محمد/٤-٦]

وَاللَّهُ يَجْزِي الشَّهَدَاءَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيُثَمِّرُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَيُنْمِيهَا لَهُمْ . وَسَيَهْدِي اللَّهُ الشَّهَدَاءَ فِي سَبِيلِهِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَيُصْلِحُ حَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ . وَيُدْخِلُهُمُ رَبُّهُمْ الْجَنَّةَ، فَيَجِدُ كُلُّ وَاحِدٍ فِيهَا مَقَرَّهُ لَا يُضِلُّ فِي طَلَبِهِ، وَكَأَنَّهُ يَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ .

من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى

قال تعالى:وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) [النازعات/٤٠-٤١]

وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ سَيُسْأَلُ عَنْ أَعْمَالِهِ، فَحَازَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَحَسَبَ حِسَابَهُ، وَجَنَّبَ نَفْسَهُ الْوُفُوعَ فِي الْمَحَارِمِ، وَالْإِنْسِيَاقَ وَرَاءَ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ. فَتَكُونُ الْجَنَّةُ جَزَاءَهُ، وَفِيهَا مَأْوَاهُ وَمَصِيرُهُ .

الذين يؤثرون ما عند الله على متاع الدنيا

قال تعالى: زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ (١٤) قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) [آل عمران/١٤، ١٥]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَى حُبِّ الشَّهَوَاتِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَذَّاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، وَالْأَمْوَالِ وَالْخَيْلِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، وَهِيَ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَزِينَتُهَا الرَّائِلَةُ، وَهِيَ لَا تُقَاسُ بِمَا ادَّخَرَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَعِنْدَ اللَّهِ حُسْنُ الْمَرْجِعِ، وَعِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ .

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ أَتْرِيدُونَ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِخَيْرٍ مِمَّا زَيْنَ لِلنَّاسِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ نَعِيمِهَا الرَّائِلِ؟ هُوَ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ، الَّذِينَ أَحْبَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ، مِنْ جَنَّاتٍ تَنْفَجِرُ فِي أَرْضِهَا الْأَنْهَارُ، مُخَلَّدِينَ فِيهَا لَا تَزُولُ عَنْهُمْ أَبَدًا، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا تَحَوُّلًا، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الدَّنَسِ وَالْحُبْثِ وَالْكَيْدِ وَسُوءِ الْخُلُقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْتَرِي النِّسَاءَ. وَيَعْمُرُهُمْ رِضْوَانُ اللَّهِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَبَدًا، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، يُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْعَطَاءِ .

الذَّاكِرُونَ لِلَّهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ

قال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنتَنِي بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) [آل عمران/١٩٠-١٩٥]

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنْ مَشَاهِدٍ عَظِيمَةٍ، وَكَوَاكِبَ وَسَيَّارَاتٍ، وَفِي خَلْقِ الْأَرْضِ، وَمَا فِيهَا مِنْ بَحَارٍ، وَأَنْهَارٍ وَجِبَالٍ وَأَشْجَارٍ وَنَبَاتٍ، وَفِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَقَارُضِهِمَا الطُّولَ وَالْقِصَرَ، وَيَطُولُ هَذَا تَارَةً، وَيَطُولُ الْآخَرُ تَارَةً أُخْرَى... لآيَاتٍ وَبَرَاهِينَ وَحُجَجًا وَدَلَائِلَ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، لِأَهْلِ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ الرَّكِيَّةِ . وَيَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى أُولِي الْأَلْبَابِ فَيَقُولُ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَائِمِينَ وَقَاعِدِينَ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَلَا يَقْطَعُونَ ذِكْرَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، بِسَرَائِرِهِمْ، وَأَلْسِنَتِهِمْ... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَفْهَمُوا مَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارٍ

خَلْقَتِهِ، وَمِنْ حِكْمٍ وَعِظَةٍ، تُدْلُ عَلَى الْخَالِقِ، وَقُدْرَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا الْخَلْقَ عَبَثًا وَبَاطِلًا، رَبَّنَا تَنْزَهْتَ عَنِ الْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ بِالْحَقِّ، وَالْإِنْسَانِ مِنْ بَعْضِ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقْهُ عَبَثًا، وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ لِحِكْمَةٍ. وَمَتَى حُشِرَ الْخَلْقُ إِلَيْكَ حَاسِبَتُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَتَجْزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا، وَتَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. ثُمَّ يَتِمُّونَ دُعَاءَهُمْ سَائِلِينَ رَبَّهُمْ أَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ النَّارِ .

ثُمَّ يَتَابِعُونَ دُعَاءَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ لِرَبِّهِمْ قَائِلِينَ: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُهُ النَّارَ فَقَدْ أَهَنْتَهُ وَأَذَلْتَهُ، وَأُظْهِرْتَ خِزْيَهُ لِأَهْلِ الْجَمْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالظَّالِمُونَ لَا يَجِدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللَّهِ. وَبَعْدَ أَنْ عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ بِالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ، عَبَّرُوا عَنْ وُضُوحِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ، وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ سِرَاعًا، فَقَالُوا: رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ (وَهُوَ الرَّسُولُ)، وَيَقُولُ: آمَنُوا بِرَبِّكُمْ، فَآمَنَّا مُسْتَجِيبِينَ لَهُ، رَبَّنَا فَاعْفُ رُبَّنَا، وَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِنَا، فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ الصَّالِحِينَ وَأَلْحِقْنَا بِهِمْ .

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِكَ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْخَلْقِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ رَسُولُكَ الْكَرَامَ، وَهُوَ قِيَامُ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَإِنَّكَ تَجْزِي الْعَامِلِينَ الصَّالِحِينَ بِالْخَيْرِ وَالْحُسْنَى، وَتَجْزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ .

لَمَّا سَأَلَ الْمُؤْمِنُونَ ذُووِ الْأَلْبَابِ رَبَّهُمْ مَا سَأَلُوا فِي الْآيَاتِ السَّابِقَاتِ، اسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ لِيَصْدِقَهُمْ فِي إِيْمَانِهِمْ، وَذَكَرَهُمْ وَتَفَكَّرَهُمْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَنْزِيهِهِمْ رَبَّهُمْ عَنِ الْعَبَثِ، وَتَصْدِيقَهُمْ رَسُولَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ لَا يُضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْهُمْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أَنْثَى، وَإِنَّهُ سَيُوفِي كُلَّ عَامِلٍ أَجْرَهُ، وَجَمِيعُهُمْ لَدَيْهِ سَوَاءٌ فِي الثَّوَابِ (بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دَارِ الشَّرْكِ وَآتَوْا إِلَى دَارِ الْإِيمَانِ، وَضَاقَتْهُمْ الْمُشْرَكُونَ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، لَا لَشَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ، وَالَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُقْتَلُونَ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ... فَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا سَيَكْفُرُ اللَّهُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَسَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا، وَيُنِيلُهُمْ ذَلِكَ جَزَاءَ لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَثَوَابًا جَزِيلًا مِنْهُ، لِأَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ، وَالْعَظِيمُ لَا يُعْطِي إِلَّا جَزِيلًا. وَلِلْعَبَادِ الصَّالِحِينَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ .

المحافظون على حدود الله

قال تعالى: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) [النساء/١٣]

وَهَذِهِ الْأَنْصِبَةُ الَّتِي حَدَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْوَرَثَةِ بِحَسَبِ قُرْبِهِمْ مِنَ الْمَيِّتِ هِيَ حُدُودُ اللَّهِ، فَلَا تَعْتَدُوا فِيهَا، وَلَا تَتَجَاوَزُوهَا. وَمَنْ يُطِيعِ أَمْرَ اللَّهِ، وَأَمْرَ رَسُولِهِ، فِيمَا فَرَضَهُ اللَّهُ لِلْوَرَثَةِ، فَلَمْ يَنْقُصْ لِبَعْضِهِمْ، وَلَمْ يَزِدْ بَعْضُهُمْ بِحِيلَةٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَنَّةَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدًا فِيهَا، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

أداء الفرائض

قال تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) [البقرة/٢-٥]

لَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ (الْكِتَابُ) مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ هُدًى وَنُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْمُتَّقُونَ، الَّذِينَ يَجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَيَتَّقُونَ الشَّرَّكَ وَأَسْبَابَ الْعِقَابِ .

وهؤلاء الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِحَزْمٍ وَإِيمَانٍ وَإِذْعَانٍ بِمَا لَا يَقَعُ تَحْتَ حَوَاسِهِمْ (الْغَيْبِ) فَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَبِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَجَنَّتِهِ وَلِقَائِهِ، وَبِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَهُمْ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤَدُّونَهَا حَقًّا أَذَانِهَا وَيُتِمُّونَ - بِخُشُوعٍ تَامٍّ، وَحُضُورٍ قَلْبٍ - رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَتِلَاوَتَهَا، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ .

وهؤلاء الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِمَا جِئَتْ بِهِ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمِمَّا أُنزِلَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَا يَجْحَدُونَ بِمَا جَاءُوا بِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ بِصِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ النُّبُوءَاتُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ .

فهؤلاء الْمُتَصِفُونَ بِالصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ: مِنْ إِيْمَانٍ بِاللَّهِ، وَإِيْمَانٍ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَتَأْدِيَةِ الزَّكَاةِ... هُمْ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَنُورٍ وَبَصِيرَةٍ، وَهُمْ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا مَا طَلَبُوهُ بَعْدَ السَّعْيِ الْحَثِيثِ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِ، وَنَجَوْا مِنْ شَرِّ مَا اجْتَنَبُوهُ .

وقال تعالى: وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) [المائدة/١٢]

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَخَذَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَعْمَلَنَّ بِأَحْكَامِ التَّوْرَةِ الَّتِي تَحْوِي شَرِيْعَتَهُمْ. وَأَمَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَنْ يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ، مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُ كَفِيلًا عَلَى جَمَاعَتِهِ، بِالْوَفَاءِ بِتَنْفِيدِ مَا أُمِرُوا بِهِ، فَاخْتَارَ مُوسَى النُّقَبَاءَ، وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ وَتَكَفَّلَ لَهُ النُّقَبَاءُ بِالْوَفَاءِ بِمَا التَّزَمُوا بِهِ . فَسَارَ بِهِمْ مُوسَى إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ السُّكْنَى فِيهَا، وَكَانَ فِيهَا الْكَنْعَانِيُّونَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا بَعَثَ مُوسَى النُّقَبَاءَ يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ، فَرَأَوْا أَجْسَامَ

الْكَنَعَانِيِّينَ قَوِيَّةً، فَهَابُوهُمْ، وَرَجَعُوا يُحَدِّثُونَ قَوْمَهُمْ بِمَا رَأَوْا، وَكَانَ مُوسَى قَدْ نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَكَثَرُوا الْمِيثَاقَ، وَلَمْ يَلْتَزِمَ بِهِ إِلَّا نَقِيبَانِ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّا نَحْفَظِي وَرِعَايَتِي، وَإِنِّي نَاصِرُكُمْ وَمُعِينُكُمْ مَا دُمْتُمْ مُحَافِظِينَ عَلَى الْمِيثَاقِ، وَإِنِّي مَشْرِفٌ عَلَيْكُمْ، وَمُبْصِرٌ لِأَفْعَالِكُمْ، سَمِيعٌ عَلِيمٌ بِضَمَائِرِكُمْ، وَقَادِرٌ عَلَى مُجَازَاتِكُمْ، فَإِذَا أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ، وَأَدَيْتُمُوهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَدَفَعْتُمُ زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي جَمِيعاً، وَصَدَقْتُمُوهُمْ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ الْوَحْيِ، وَنَصَرْتُمُوهُمْ وَأَزَرْتُمُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ (عَزَرْتُمُوهُمْ)، وَأَنْفَقْتُمُ الْأَمْوَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ (أَفْرَضْتُمُ اللَّهَ)... إِذَا فَعَلْتُمْ كُلَّ ذَلِكَ لَا كُفْرًا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَأَمْحُونَ ذُنُوبَكُمْ، وَأَسْتُرْهَا عَلَيْكُمْ، وَلَا أُوَاخِذُكُمْ عَلَيْهَا وَلَا دَخَلْنَاكُمْ فِي رَحْمَتِي، وَأَسْكُنُكُمْ جَنَّتِي الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. وَمَنْ خَالَفَ هَذَا الْمِيثَاقَ بَعْدَ عَقْدِهِ وَتَوَكِيدِهِ، فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ، وَعَدَلَ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ .

وقال تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي

جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) [التوبة/٧١، ٧٢]

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَيْنَهُمْ أُخُوَّةٌ، وَمَوَدَّةٌ، وَتَعَاوُنٌ، وَتَرَاحُمٌ، وَيَتَصَفَّوْنَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي يَأْمُرُهُمْ بِهَا دِينُهُمْ: فَيَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاضِدُونَ وَيَفْعَلُونَ الْخَيْرَ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤَدُّونَهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَى مُسْتَحَقِّهَا، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَيَتْرَكُونَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ. وَالْمُتَصَفُّونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الْكَرِيمَةِ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ عَزِيزُ الْجَانِبِ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي قِسْمَتِهِ الصِّفَاتِ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَجَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الْمُنْكَرَةِ .

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَنَّهُ سَيُدْخِلُهُمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، يُقِيمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، فِي مَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ حَسَنَةِ الْبِنَاءِ، وَطَيِّبَةِ الْقَرَارِ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ، وَوَعَدَهُمْ بِرِضْوَانٍ مِنْهُ أَكْبَرَ وَأَحْلَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا" (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَمَالِكٌ) .

الذين آمنوا بالرسول ﷺ من أهل الكتاب

قال تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَنَّا بَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) [المائدة/٨٢-٨٥]

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَدَاوَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَاتَّبَعُوهُ)، هُمْ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ. وَإِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ مَوَدَّةً لِلْمُسْلِمِينَ هُمُ النَّصَارَى، الَّذِينَ قَالُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ إِنَّهُمْ يَتَابِعُونَ الْمَسِيحَ عَلَى دِينِهِ، لَمَّا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرَّقَّةِ وَالرَّافَةِ، وَلَأنَّ بَيْنَهُمْ قِسِيَّيْنَ يَتَوَلَّوْنَ تَعْلِيمَهُمْ أَحْكَامَ الدِّينِ، وَيُبَصِّرُونَهُمْ بِمَا فِي دِينِهِمْ مِنْ سُمُوٍّ وَآدَابٍ وَفَضَائِلَ، وَلَأنَّ بَيْنَهُمْ رُهْبَانًا يَضْرِبُونَ لَهُمْ الْمَثَلَ فِي الزُّهْدِ وَالتَّقَشُّفِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا وَفِتْنَتِهَا، وَيُؤْمِنُونَ فِي نُفُوسِهِمْ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ، وَالْانْقِطَاعَ لِلْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْإِدْعَانِ لِلْحَقِّ، حِينَمَا يَتَبَيَّنُ لَهُمْ أَنَّهُ حَقٌّ. (كَانَ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ يَشْتَرِكُونَ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ الَّتِي اقْتَضَتْ عَدَاوَتَهُمُ الشَّدِيدَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ: كَالْكِبَرِ وَالْعُتُوِّ وَالْبَغْيِ وَالْأَثَرَةَ وَالْقَسْوَةَ، وَضَعْفَ الْعَاطِفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ (مِنْ حَنَانٍ وَرَحْمَةٍ) وَالْعَصِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ. وَكَانَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أَرْقَ مِنَ الْيَهُودِ قُلُوبًا، وَأَعْظَمَ سَخَاءً وَإِثَارًا، وَأَكْثَرَ خُرْبَةً فِي الْفِكْرِ وَاسْتِقْلَالًا فِي الرَّأْيِ).

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَتَلَّى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، تُفِيضُ عُيُونُهُمُ بِالْدَّمْعِ (أَيُّ يَبْكُونَ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمْعُ مِنْ عُيُونِهِمْ)، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ مَا بَيَّنَّهُ الْقُرْآنُ هُوَ الْحَقُّ، وَلَمْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ عُتُوٌّ وَلَا اسْتِكْبَارٌ وَلَا تَعَصُّبٌ كَمَا يَمْنَعُ غَيْرَهُمْ. وَحِينَ يَسْمَعُونَ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ، يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ بِأَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ إِيْمَانَهُمْ وَأَنْ يَكْتُبَهُمْ مَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ الدِّينِ جَعَلَهُمُ اللَّهُ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَمِمَّا يَتَنَاقَلُونَهُ عَنْ أَسْلَافِهِمْ، أَنَّ النَّبِيَّ الْأَخِيرَ الَّذِي يَكْمُلُ بِهِ الدِّينُ، وَيَنْتَمِ التَّشْرِيعُ، يَكُونُ مُتَّبِعُوهُ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونُونَ حُجَّةً عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُبْطِلِينَ. وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّصَارَى: وَمَا الَّذِي يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمَا الَّذِي يَصُدُّنَا عَنْ اتِّبَاعِ مَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ أَنَّهُ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ الْمَسِيحُ وَإِنَّا لَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ بِالْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ. فَجَازَاهُمُ اللَّهُ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَعَلَى تَصَدِيقِهِمُ بِالْحَقِّ، وَاعْتِرَافِهِمْ بِهِ بِإِدْخَالِهِمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَإِسْكَانِهِمْ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي فِي جَنَابَاتِهَا الْأَنْهَارُ، وَسَيَكُونُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا وَذَلِكَ هُوَ الْجَزَاءُ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِمَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

وقال تعالى: وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) [الأعراف/١٥٦، ١٥٧]

وَأُثِّبْتُ لَنَا، بِرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ { وَاكْتُبْ لَنَا { حَيَاةً طَيِّبَةً فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، مِنْ عَافِيَةٍ وَبَسْطَةٍ فِي الرِّزْقِ، وَتَوْفِيقٍ لَطَاعَةٍ، وَمَثُوبَةٍ حَسَنَةٍ فِي الْآخِرَةِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَنَيْلِ رِضْوَانِكَ، إِنَّا تُبْنَا إِلَيْكَ { هُذْنَا إِلَيْكَ { مِمَّا فَرَطَ مِنْ سُفْهَاتِنَا مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ، وَمِنْ تَقْصِيرِ الْعُقَلَاءِ مِنَّا فِي نَهْيِهِمْ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ . وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى دُعَاءِ مُوسَى قَائِلًا: لَقَدْ أَوْجَبْتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابِي خَاصًّا أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْعَصَاةِ، الَّذِينَ لَمْ يَتُوبُوا، أَمَّا رَحْمَتِي فَقَدْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَأُثِّبُ رَحْمَتِي بِمَشِيئَتِي لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِي، وَيُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَيُؤْتُونَ الصَّدَقَاتِ الَّتِي تَنْزَكِي بِهَا أَنْفُسُهُمْ، وَلِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَيُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِ آيَاتِي الدَّالَّةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَيُصَدِّقُونَ رُسُلِي، وَمَا جَاؤُوا بِهِمْ بِهِ وَيَتَابِعُ اللَّهُ تَعَالَى وَصْفَ الَّذِينَ يَشْمَلُهُمْ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، الَّذِي لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ، وَقَدْ جَاءَ وَصْفُهُ وَالْبَشَارَةُ بِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَبِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ فِعْلِ الْمُنْكَرِ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ التَّكْلِيفَ الشَّاقَّ، كَاشْتِرَاطِ قَتْلِ النَّفْسِ فِي صِحَّةِ التَّوْبَةِ، وَالْقِصَاصِ فِي الْقَتْلِ الْعَمْدِ أَوْ الْخَطَا، مِنْ غَيْرِ شَرْعٍ لِلدِّيَّةِ، وَقَطْعِ الْأَعْضَاءِ الْخَاطِئَةِ، وَقَطْعِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ مِنَ الثَّوْبِ، وَتَحْرِيمِ السَّبْتِ... فَقَدْ جَاءَ مُحَمَّدٌ بِمَا هُوَ يُسَّرُّ وَسَمَاحَةٌ .

[وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِي أَمِيرِينَ أَرْسَلَهُمَا فِي بَعْثَيْنِ إِلَى الْيَمَنِ: " بَشِّرَا وَلَا تُنْفَرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا "] .

وَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ أُمُورَهَا، وَسَهَّلَهَا لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرَهُوا عَلَيْهِ " فَالَّذِينَ آمَنُوا بِالرَّسُولِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، حِينَ بُعِثَ، مِنْ قَوْمِ مُوسَى وَعِيسَى، وَمِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، وَعَزَّرُوهُ بِأَنْ مَنَعُوهُ وَحَمَوَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ يُعَادِيهِ، مَعَ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، وَنَصَرُوهُ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الْأَعْظَمَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَ رِسَالَتِهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ.. فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، الْفَائِزُونَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ .

الصادقون مع الله

قال تعالى: قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) [المائدة/١١٩]

وَحِينَ تَبَرَأَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ عِبَادَةِ مَنْ عَبْدُوهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِصِدْقِهِ، قَالَ تَعَالَى: هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَنْفَعُ فِيهِ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ، وَالْمُوحِّدِينَ تَوْحِيدَهُمْ، وَسَتَكُونُ لِلصَّادِقِينَ جَنَّاتٌ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَابَتِهَا، جَزَاءً وَفَاقًا لَهُمْ، وَسَيَكُونُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَلَقَدْ فَازُوا بِرِضَا رَبِّهِمْ وَرِضْوَانِهِ، وَرَضُوا عَمَّا أَكْرَمَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ .

المجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

قال تعالى: لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) [التوبة/٨٨-٨٩]

إِذَا تَخَلَّفَ الْمُتَنَافِقُونَ عَنِ الْجِهَادِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالْمُؤْمِنِينَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِالْخَيْرَاتِ: فِي الدُّنْيَا بِتَحْقِيقِ النَّصْرِ، وَمَحْوِ الْكُفْرِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَالتَّمَتُّعِ بِالْمَغَانِمِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِرِضَا اللَّهِ وَجَنَّتِهِ .

وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَإِحْلَاصِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَابَتِهَا، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن اتبع طريقهم

قال تعالى: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) [التوبة/١٠٠]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، (وَهُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا قَبْلَ صَلَاحِ الْحُدُيَّةِ)، وَمِنَ الْأَنْصَارِ (وَهُمُ الَّذِينَ بَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ فِي بَيْعَتِي الْعَقَبَةِ وَالرِّضْوَانِ)، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ. وَيُخْبِرُ تَعَالَى بِرِضَاهُ عَنْهُمْ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا، مِنْ عِزٍّ وَنَصْرٍ وَمَعْنَمٍ وَهُدًى، وَبِمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَوَانِبِهَا، وَهُمْ مُخْلَدُونَ فِيهَا أَبَدًا. وَالْفَوْزُ الَّذِي فَازَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْكِرَامُ الْبَرَّةُ هُوَ أَعْظَمُ الْفَوْزِ .

أن يكونوا من أولي الألباب

قال تعالى: أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلََّا يُنْفِضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) [الرعد/١٩-٢٤]

لَا يَسْتَوِي الْمُهْتَدِي مِنَ النَّاسِ، الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ، الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، مَعَ الضَّالِّ، الَّذِي لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالْأَعْمَى لَا يَهْتَدِي إِلَى خَيْرٍ، وَلَا يَفْهَمُهُ، وَلَوْ فَهَمَهُ مَا انْقَادَ إِلَيْهِ، وَلَا صَدَّقَ بِهِ وَلَا انْتَفَعَ.؟ فَالَّذِينَ يَتَعَطَّوْنَ وَيَعْتَبِرُونَ هُمْ أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَالْبَصَائِرِ الْمُدْرِكَةِ (أُولُو الْأَلْبَابِ) .

وَالْمُهْتَدُونَ الَّذِينَ سَتَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ وَالنُّصْرَةُ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، هُمْ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ إِذَا عَاهَدُوا، وَلَا يُنْفِضُونَ عَهْدَهُمْ مَعَ عِبَادِهِ، وَلَا يَعْدُرُونَ بِذِمَّةٍ، وَلَا يَفْجُرُونَ وَلَا يَخُونُونَ .

وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُهْتَدُونَ يَصِلُونَ الْأَرْحَامَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِوَصْلِهَا، وَيُحْسِنُونَ إِلَى الْأَقْرَبَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَيَعَامِلُونَهُمْ بِالْمَوَدَّةِ وَالْحُسْنَى، وَيَبْذُلُونَ الْمَعْرُوفَ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فِيمَا يَأْتُونَ، وَيُرَاقِبُونَهُ فِي ذَلِكَ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَعَدَمَ الصَّفْحِ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ .

وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُهْتَدُونَ يَصْبِرُونَ عَنْ ارْتِكَابِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ، وَيَمْتَنِعُونَ عَنْ مُقَارَفَتِهَا طَاعَةً لِلَّهِ، وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ، وَطَمَعًا بِمَرْضَاتِهِ وَحَزِيلِ ثَوَابِهِ، وَيُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ حَقَّ آدَائِهَا، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَجِبَ عَلَيْهِمْ نَفَقَتُهُمْ، مِنْ أَقْرَبَاءَ وَمُحْتَاجِينَ وَسَائِلِينَ.. فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، لَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَالُ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَإِذَا آذَاهُمْ أَحَدٌ قَبِلُوهُ بِالْجَمِيلِ صَبْرًا، وَاحْتِمَالًا وَحِلْمًا وَعَفْوًا، فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُسْنُ الْعَاقِبَةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ .

وَتِلْكَ الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ هِيَ دُخُولُ جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَالْإِقَامَةُ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا. وَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحِبَّائِهِمْ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَبْنَاءِ الصَّالِحِينَ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، لِتَقَرُّبِهِمْ أَعْيُنُهُمْ؛ وَتَدْخُلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ مُسْلِمِينَ مُهَنِّتِينَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَبِرِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَأَمِنْ دَائِمٌ لَكُمْ، لَقَدْ صَبَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاحْتَمَلْتُمُ الْمَشَاقَّ وَالْآلَامَ، فَفَرَّغْتُمْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، فَنِعِمَّتَ عَاقِبَتُكُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ .

المتواضعون الخاشعون

قال تعالى: إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ

نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩)

[السجدة/١٥-١٩]

إِنَّمَا يُصَدِّقُ بآيَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا وَعُظُوا بِهَا اسْتَمَعُوا إِلَيْهَا خَاشِعِينَ، وَأَطَاعُوا مُمْتَثِلِينَ، وَخَرُّوا سُجَّدًا لِلَّهِ خُضُوعًا وَخَشْيَةً، وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ اتِّبَاعِهَا، وَالْإِنْقِيَادِ إِلَيْهَا .
وَهُمْ يَهْجُرُونَ مَضَاجِعَهُمْ لِيَقُومُوا فِي اللَّيْلِ إِلَى الصَّلَاةِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، وَلِيَدْعُوا رَبَّهُمْ تَضَرُّعًا إِلَيْهِ، وَخَوْفًا مِنْ سَخَطِهِ وَطَمَعًا فِي عَفْوِهِ عَنْهُمْ، وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمْ مِنْ مَالٍ .
وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ عَظَمَةَ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُؤْلَاءِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ وَأَخْفَاهُ فِي الْجَنَّاتِ مِنَ التَّعْلِيمِ الْمُقِيمِ، وَاللَّذَائِدِ الَّتِي لَمْ يَطَّلِعْ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِهَا، جَزَاءً وَفَاقًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، لَقَدْ أَخَفَوْا أَعْمَالَهُمْ فَأَخْفَى اللَّهُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ .

من اصطفاهم الله تعالى من هذه الأمة

قال تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَّا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)

[فاطر/٣٢-٣٥]

ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَائِمِينَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، هُمُ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ مِنْ عِبَادِهِ، مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، وَأَوْرَثَهُمُ الْكِتَابَ. وَقَالَ تَعَالَى فِي مَكَانٍ آخَرَ: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ لِلْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ هُمُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَجَعَلَهُمْ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً:

- مِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُفَرِّطٌ فِي فِعْلِ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ، مُرْتَكِبٌ بَعْضَ الْمُحَرَّمَاتِ .
- وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِالْوَجِبَاتِ، التَّارِكُ لِلْمُحَرَّمَاتِ، وَقَدْ يَقْصُرُ فِي فِعْلِ بَعْضِ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَيَفْعَلُ بَعْضَ الْمَكْرُوهَاتِ . - وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ - وَهُوَ الْفَاعِلُ لِلْوَجِبَاتِ، وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، التَّارِكُ لِلْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ . وَذَلِكَ الْمِيرَاثُ، وَذَلِكَ الْإِصْطِفَاءُ، فَضْلٌ عَظِيمٌ مِنَ اللَّهِ لَا يَقْدَرُ قَدْرُهُ. وَهَؤُلَاءِ الْكَرَامُ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ، الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْقُرْآنَ، وَالْكِتَابَ السَّابِقَ، سَتَكُونُ جَنَّاتُ الْإِقَامَةِ (جَنَّاتُ عَدْنٍ) هِيَ مَا وَاهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا حَلِيًّا مِنْ ذَهَبٍ، وَلُؤْلُؤٍ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا ثِيَابًا مِنْ حَرِيرٍ، وَهَذِهِ الْجَنَّاتُ هِيَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ . وَيَقُولُونَ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ، وَيَتَّخِلُونَ بِالذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْخَوْفَ (الْحَزْنَ) مِمَّا كُنَّا نَحْذَرُ وَنَتَخَوَّفُ. إِنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَفُورٌ لِذُنُوبِ الْمَذْنِبِينَ، شَكُورٌ

لأَفْعَالِ الْمُطِيعِينَ. وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَعْطَانَا هَذِهِ الْمَتَرْلَةَ وَهَذَا الْمَقَامَ الْكَرِيمَ مِنْ فَضْلِهِ وَمَنْنِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَمْ تَكُنْ أَعْمَالُنَا لِنَبْلُغَ ذَلِكَ، لَا يَمَسُّنَا فِي هَذِهِ الدَّارِ عَنَاءٌ وَلَا تَعَبٌ وَلَا إِعْيَاءٌ.

المخلصون

وقال تعالى: وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنِي الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَنْبَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرْزُقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤) [ص/٤٥-٥٤]

وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدٌ أَيْضاً صَبْرَ عِبَادِ اللَّهِ: إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ، وَقَوَّاهُمْ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُ، وَأَتَاهُمْ الْبَصِيرَةَ فِي الدِّينِ وَالْفِقْهَ فِي أَسْرَارِهِ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ، فَجَعَلَهُمْ مِمَّنْ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَ بِأَيْدِيهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ بِعُقُولِهِمْ .
(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي مَعْنَى أُولِي الْأَيْدِي: إِنَّهُمْ ذَوُو قُوَّةٍ، وَقَالَ فِي مَعْنَى (وَالْأَبْصَارِ)، إِنَّهُ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ) . وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْلَصَهُمْ وَمَيَّزَهُمْ خَاصَّةً، هِيَ ذِكْرُهُمُ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِيَعْمَلُوا لَهَا، فَهَذِهِ مِيزَتُهُمْ وَرَفَعَتُهُمْ .

وَهَذِهِ السَّيْرَةُ جَعَلَتْهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَحْتَبِينَ أَحْيَاراً، وَمُصْطَفَيْنَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ. وَادْكُرْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ وَتَأَمَّلْ صَبْرَهُمْ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ بِهِمْ .

وَهَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ سَرْدُهُ، مِنْ أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ، فِيهِ ذِكْرٌ لَهُمْ، وَشَرَفٌ، وَإِشَادَةٌ بِمَحَاسِنِهِمْ، وَفِيهِ تَذَكِيرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ. وَالْمُؤْمِنُونَ السَّعْدَاءُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْمُتَقَلَّبُ الْحَسَنُ، وَالْمَأْبُوبُ الْكَرِيمُ .

وَهَذَا الْمَأْبُوبُ الْحَسَنُ هُوَ جَنَّاتُ اسْتِقْرَارٍ وَإِقَامَةٍ مُفْتَحَةٌ أَبْوَابُهَا إِكْرَاماً لَهُمْ لِيَدْخُلُوهَا آمِنِينَ . وَيَجْلِسُونَ فِي الْجَنَّةِ مُتَّكِئِينَ عَلَى الْأَرَائِكِ فِي وَضْعِ الْمُطْمَئِنِّ الْمُرتَاحِ فِي جَلْسَتِهِ، وَيَطْلُبُونَ مَا يَشَاءُونَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَالشَّرَابِ بِلَا تَحْدِيدٍ، وَهَذَا هُوَ مُنْتَهَى النَّعِيمِ .

وَعِنْدَهُمْ نِسَاءٌ لَا يَمْدُونَ أَبْصَارَهُنَّ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ حَيَاءً وَخَفَرًا، وَهُنَّ مُتَسَاوِيَاتٌ فِي السَّنِّ مَعَهُمْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى الْوِفَاقِ بَيْنَهُمْ .

وَهَذَا النَّعِيمُ فِي الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فِيمَا تَقَدَّمَ، هُوَ مَا وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُ سَيَجْزِيهِمْ بِهِ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ .

من تابوا واتبعوا سبيل الله

قال تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) [غافر/٧-٩]

إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّهِمْ، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَوْلِهِ يُنْزِلُونَ اللَّهُ تَعَالَى، وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَالْآلَةِ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُسِيئِينَ الَّذِينَ تَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ فَعَلٍ الْخَيْرِ، وَتَرَكَ الْمُنْكَرَ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَ (يَقِي) هَؤُلَاءِ التَّائِبِينَ الْمُنِيبِينَ عَذَابَ النَّارِ .

وَتُتَابَعُ الْمَلَائِكَةُ الْأَطْهَارُ دُعَاءَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ، فَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَعَدَهُمْ تَعَالَى بِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَأَنْ يُدْخِلَ مَعَهُمُ الْجَنَّاتِ الصَّالِحِينَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ لَتَقَرَّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ، فَإِنَّ الْجَمَاعَ بِالْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ فِي مَوَاضِعِ السُّرُورِ يَكُونُ أَكْمَلُ لِلْبَهْجَةِ وَالْأُنْسِ، فَأَنْتَ يَا رَبَّ الْعَالِبِ الَّذِي لَا يُقَاوَمُ، الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَفَعْلِهِ وَتَدْبِيرِهِ . وَاصْرِفْ عَنْهُمْ عَاقِبَةَ مَا افْتَرَفُوهُ مِنْ فَعَلِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ (أَوْ اصْرِفْ عَنْهُمْ فَعَلِ السَّيِّئَاتِ)، وَمَنْ تَصْرِفْ عَنْهُ عَاقِبَةَ مَا ارْتَكَبَ مِنَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّكَ تَكُونُ قَدْ رَحِمْتَهُ، وَنَجَّيْتَهُ مِنْ عَذَابِكَ، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ فَوْزٌ .

طاعة الله والرسول ﷺ

قال تعالى: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) [الفتح/١٧] يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَعْدَارَ الْمُبِيحَةَ لِلْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ، فَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا إِثْمَ وَلَا مَلَامَةَ عَلَى الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَبَبِ مَا بِهِمْ مِنْ عِلَلٍ تَمْنَعُهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ، وَمَنْ الْقِتَالِ: كَالْعَمَى وَالْعَرَجِ وَالْمَرَضِ. ثُمَّ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ مَا أَعَدَّهُ لِلْمَجَاهِدِينَ مِنْ أَجْرٍ وَتَوَابٍ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُجِبِ الدَّعْوَةَ إِلَى مُجَاهَدَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ دِفَاعًا عَنْ دِينِهِ، وَإِعْلَاءً لِكَلِمَةِ رَبِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِهَا، وَمَنْ يَعُصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَرْفُضِ الْخُرُوجَ إِلَى الْجِهَادِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا .

الذين لا يوادون من حادَّ الله ورسوله

قال تعالى: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) (المجادلة)

لَا تَجِدُ قَوْمًا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبَيْنَ مُوَادَّةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا لَا يُوَالُونَ الْكَافِرِينَ، وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ هُمْ أَهْلُهُمْ، وَأَقْرَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَمْتَنِعُونَ عَنْ مُوَادَّةِ الْكَافِرِينَ، وَلَوْ كَانُوا أَقْرَبَاءَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ، هُمْ الَّذِينَ ثَبَّتَ اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى، وَفَوَّاهُمْ بِطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ { وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ }، وَسَيَّدَ خَلْفَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّاتِ، وَرَضُوا بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَبِمَا عَوَّضَهُمْ بِهِ لِسَخَاطِهِمُ الْأَقَارِبَ وَالْأَبْنَاءَ. وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ، وَجُنْدُهُ، وَحِزْبُهُ، وَأَهْلُ كَرَامَتِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

الإيمان بالله ورسوله والمجاهدون في سبيله

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) [الصف/١٠-١٣]

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَالْمُصَدِّقُونَ بِرُسُلِهِ وَكِتَابِهِ وَآيَاتِهِ، أَلَا تُرِيدُونَ أَنْ أَدُلَّكُمْ عَلَى صَفْقَةٍ رَابِحَةٍ، وَتِجَارَةٍ نَافِعَةٍ، تَفُوزُونَ فِيهَا بِالرَّيْحِ الْعَظِيمِ، وَتَنْقُذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

وَهَذِهِ الصَّفْقَةُ هِيَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَصَدَّقُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَتُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَفَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ، وَعَزَّرَ دِينَهُ، بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، كَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَكُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا: مِنَ النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالزَّوْجِ وَالْوَلَدِ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ سَرَّ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ وَمَحَاها، وَأَدْخَلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي حَبَبَاتِهَا، وَأَسْكَنَكُمْ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً تَقْرَبُهَا الْعُيُونُ، وَهَذَا هُوَ مُنْتَهَى مَا تَصْبَوْنَ إِلَيْهِ النَّفُوسُ، وَهُوَ الْفَوْزُ الَّذِي لَا فَوْزَ أَعْظَمَ مِنْهُ. وَلَكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ الْفَوْزِ فِي الْآخِرَةِ، الَّذِي وَعَدَكُمْ اللَّهُ بِهِ، نِعْمَةٌ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا، وَهِيَ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ، وَفَتْحٌ قَرِيبٌ، تَجْنُونَ مَعَانِمَهُ، وَبَشِّرِ يَا مُحَمَّدُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا الْجَزَاءِ .

أصحاب التوبة النصوح

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) [التحریم/٨]

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُتُوبُوا تَوْبَةً صَادِقَةً جَازِمَةً تَمْحُو مَا سَبَقَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ .

" وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ فَقَالَ: هُوَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ حِينَ يَفْرُطُ مِنْكَ، فَتَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِنَدَامَتِكَ مِنْهُ عِنْدَ الْحَاضِرِ، ثُمَّ لَا تَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا " (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) .

ثُمَّ يَبَيِّنُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ إِنْ تَابُوا تَوْبَةً نَصُوحًا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَغَفَرَ لَهُمْ، وَأَدْخَلَهُمْ بِرَحْمَتِهِ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَرْفَعُ اللَّهُ فِيهِ قَدْرَ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَقَدَّرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ. وَيَجْعَلُ نُورَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حِينَ يَمْشُونَ وَكُتِبَتْ لَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُبْقِيَ لَهُمْ نُورَهُمْ، فَلَا يَطْفِئُهُ حَتَّىٰ يَجُوزُوا الصَّرَاطَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ السَّالِفَةِ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا الْعَظِيمِ إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُعْجِزُكَ شَيْءٌ .

من اتصفوا بالصفات التالية

قال تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِللسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) [المعارج/١٩-٣٨]

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ سَرِيعَ الْإِنْفِعَالِ وَالتَّأَثُّرِ، فَهُوَ شَدِيدُ الْجَزَعِ، إِذَا مَسَّهُ مَكْرُوهٌ، كَثِيرُ الْمَنَعِ، إِذَا نَزَلَتْ بِهِ نِعْمَةٌ. ثُمَّ فَسَّرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَالتِّي بَعْدَهَا مَعْنَى قَوْلِهِ (هَلُوعًا)، فَقَالَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ وَالضَّرُّ اسْتَوَلَىٰ عَلَيْهِ الْحُزْنُ، وَانْخَلَعَ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ، وَيَبْسَ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ خَيْرٌ بَعْدَهَا أَبَدًا. وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِخِلَافِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا .

وَلَا يَسْتَشْنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ الدِّمِيمَةِ، الَّتِي تَتَمَثَّلُ بِالْهَلَعِ وَالْجَزَعِ وَالْمَنَعِ، إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَهُمْ الْمُصَلُّونَ .

الَّذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى آدَاءِ الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، لَا يَشْغَلُهُمْ عَنْهَا شَاغِلٌ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَضْلِ الْمَدَامَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ .

وَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيبًا مُعَيَّنًا يُنْفِقُونَهُ تَقَرُّبًا مِنَ اللَّهِ، وَطَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ . يُنْفِقُونَهُ عَلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ وَالْبَائِسِينَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَهُمُ الْعَوْنَ .

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ الْمَعَادِ وَالْحِسَابِ فَيَعْمَلُونَ لَهُ وَتَنْظَهُرُ آثَارُ ذَلِكَ فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ . وَالَّذِينَ هُمْ خَائِفُونَ وَجُلُونَ مِنْ تَرْكِهِمُ الْفُرُوضِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَمِنْ ارْتِكَابِ الْمَحْظُورَاتِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي حَرِصِهِمْ عَلَى آدَاءِ . وَلَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَأْمَنَ عَذَابَ اللَّهِ، وَإِنْ زَادَ فِي الطَّاعَاتِ، وَلَا يَأْمَنُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ . وَالَّذِينَ يَكْفُونَ أَنْفُسَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّسَاءِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى أَلَّا يَقَارِفُوا مُحَرَّمًا لَمْ يُبِحْهُ اللَّهُ لَهُمْ .

وَلَا يَقْرَبُونَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ مِنْ أَزْوَاجٍ، أَوْ مِنْ إِمَاءٍ يَمْلِكُونَهُنَّ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْتُمُونَ، وَلَا يَلَامُونَ إِذَا أَتَوْا نِسَاءَهُمْ وَإِمَاءَهُمْ . وَمَنْ سَعَى إِلَى مُوَاقَعَةٍ غَيْرِ مَنْ أَحَلَّهُنَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْإِمَاءِ، فَهُوَ مُعْتَدٍ عَلَى حُرْمَاتِ اللَّهِ، مُتَجَاوِزٌ حُدُودَهُ . وَالَّذِينَ إِذَا اتَّخَمُوا عَلَى أَمَانَةٍ رَدُّوْهَا إِلَى أَصْحَابِهَا، وَلَمْ يَخُونُوا، وَالَّذِينَ إِذَا عَاهَدُوا عَهْدًا رَاعَوْهُ وَوَفَوْا بِهِ، وَلَمْ يَعْدِرُوا، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوا .

وَالَّذِينَ يُؤْثِرُونَ الشَّهَادَةَ، إِذَا دُعُوا إِلَى آدَائِهَا عِنْدَ الْحُكَّامِ، وَلَا يَكْتُمُونَهَا وَلَا يُغَيِّرُونَهَا، وَالشَّهَادَةُ أَمَانَةٌ مِنَ الْأَمَانَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِآدَائِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ وَالصَّحِيحِ .

وَالَّذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى آدَاءِ صَلَوَاتِهِمْ فِي أَوْقَاتِهَا، يُؤْثِرُونَهَا حَقَّ آدَائِهَا، وَيُتِمُّونَهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَخُشُوعِهَا، وَيَحْتَدُّونَ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يَسْتَبْعِدُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُلْهِيَهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَفَهُمْ مَا يَقْرَأُونَ مِنَ الْقُرْآنِ وَإِدْرَاكِ مَا يَفْعَلُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَمِنْ رُكُوعِ وَسُجُودِ . وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِالصِّفَاتِ السَّالِفَةِ وَيَقُومُونَ بِالْعِبَادَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى يُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي جَنَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُؤْمِنُهُمْ مِنْ هَوْلِ الْفَزَعِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيُكْرِمُهُمْ بِفَيْضٍ مِنَ الْكَرَامَاتِ الَّتِي اخْتَصَّ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمَخْلَصِينَ .

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

قال تعالى: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) [آل عمران/ ١٠٤]

لِتَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جَمَاعَةً مُتَخَصِّصَةً مُتَمَيِّزَةً تُعْرِفُ أَسْرَارَ الْأَحْكَامِ، وَحِكْمَةَ التَّشْرِيعِ وَفِقْهَهُ، تَتَوَلَّى الْقِيَامَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتُحَارِبُ الْمُنْكَرَ، وَتَنْهَى عَنْهُ، وَمِنْ وَاجِبِ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُحَارِبَ الْمُنْكَرَ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وقال تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) [التوبة/٧١، ٧٢]

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَيْنَهُمْ أُخُوَّةٌ، وَمَوَدَّةٌ، وَتَعَاوُنٌ، وَتَرَاحُمٌ، وَيَتَصَفُّونَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي يَأْمُرُهُمْ بِهَا دِينُهُمْ: فَيَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاضِدُونَ وَيَفْعَلُونَ الْخَيْرَ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤَدُّونَهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَى مُسْتَحَقِّيهَا، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَيَتْرَكُونَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ. وَالْمُتَصَفُّونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الْكَرِيمَةِ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ عَزِيزُ الْجَانِبِ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي قِسْمَتِهِ الصِّفَاتِ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَجَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الْمُنْكَرَةِ .

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَنَّهُ سَيُدْخِلُهُمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، يُقِيمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، فِي مَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ حَسَنَةِ الْبِنَاءِ، وَطَيِّبَةِ الْفَرَارِ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ، وَوَعَدَهُمْ بِرِضْوَانٍ مِنْهُ أَكْبَرَ وَأَحْلَلَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ

قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) [يونس/٦٢-٦٤]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّقَوْا وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ وَخَدَّهُ، وَالتَّوَكَّلَ عَلَيْهِ، لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَفُوهُ وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا .

وَيَقُولُ تَعَالَى مُعْرِفًا (أَوْلِيَاءَ اللَّهِ) : بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ، وَكَانُوا يَتَّقُونَ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، وَيُرَاقِبُونَهُ فِي سِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، فَلَا يَقُومُونَ إِلَّا بِمَا يُرْضِي اللَّهَ رَبَّهُمْ .

وهؤلاء الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالنَّصْرِ وَالْعِزَّةِ، وَبِإِلْهَامِهِمُ الْحَقَّ وَالْخَيْرَ، وَبِالْإِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ مَا أَقَامُوا شَرَعَ اللَّهِ، وَنَصَرُوا دِينَهُ الْحَقَّ، وَأَعْلَوْا كَلِمَتَهُ (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ، أَوْ تُرَى لَهُ، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ

" (رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ). وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ لَا يُدَلُّ (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) ، وَلَا يُعَيَّرُ وَلَا يُخْلَفُ ، بَلْ مُقَرَّرٌ ثَابِتٌ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ . وَهَذِهِ الْبُشْرَى بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ هِيَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

من أقرض الله قرضاً حسناً

قال تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) [الحديد/١١-١٢]

مَنْ هَذَا الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَطَمَعًا فِي مَثُوبَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ، مُحْتَسِبًا أَجْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَيَعُدُّ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ قَرْضًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَيُضَاعِفُ لَهُ ذَلِكَ الْقَرْضَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَيُثَبِّتُهُ مَثُوبَةً كَرِيمَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَرَى الْمُتَصَدِّقِينَ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، وَتَكُونُ كُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ: أَبْشِرُوا بِجَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا جَزَاءَ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى إِيْمَانِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ الصَّالِحَةِ، وَهَذَا الَّذِي فُزْتُمْ بِهِ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

أن يحكموا الله والرسول في كل أمور حياتهم

قال تعالى: إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) [النور/٥١، ٥٢]

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ فَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَطَاعَةَ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ، هُمُ الْمُفْلِحُونَ، لِأَنَّهُمْ يَنَالُونَ مَا يَطْلُبُونَ، وَيَسَلِّمُونَ مِمَّا يَرْهَبُونَ. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَا بِهِ، وَيَنْتَهَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَمَنْ يَخْشَى اللَّهَ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَيَتَّقَهُ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ وَالْأَعْمَالِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَالْآمِنُونَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

إعطاء المحتاجين حقهم

قال تعالى: فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) [الروم/٣٨]

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُسْطُ الرِّزْقَ، وَيَقْدِرُهُ، فَأَعْطِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْتَ وَالْمُؤْمِنُونَ، مَا تَسْتَطِيعُونَ إِعْطَاءَهُ مِنَ الْمَالِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَا مَالَ لَهُمْ، وَلِلْمُسَافِرِينَ أَبْنَاءِ

السَّيْلِ الَّذِينَ انْقَطَعَتْ نَفَقَتُهُمْ، وَهُمْ بَعِيدُونَ عَنْ أَهْلِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ لِيَتِمَّ كُنُوتُهُمْ مِنَ الْعَوْدَةِ إِلَى بِلَدِهِمْ . ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْإِعْطَاءَ لِهَؤُلَاءِ الْمُحْتَاجِينَ فِيهِ خَيْرٌ لِلْمُعْطِينَ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي يَتَقَبَّلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَيَجْزِي بِهِ فَاعِلَهُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَقَدْ رُبِحَ هَؤُلَاءِ الْمُعْطُونَ فِي صَفَقَتِهِمْ لِأَنَّهُمْ أَعْطَوْا مَا يَفْنَى، وَحَصَلُوا عَلَى مَا يَبْقَى (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى: { ذَلِكَ خَيْرٌ لِمَنْ يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ } هُوَ: ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

الإيثار

قال تعالى: وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) [الحشر/٩]

أَنْتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْأَنْصَارِ مُبِينًا فَضْلَهُمْ وَشَرَفَهُمْ وَكَرَمَهُمْ، حِينَ جَعَلَ اللَّهُ الْفِيءَ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ دُونَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: وَالَّذِينَ سَكَنُوا دَارَ الْهِجْرَةِ قَبْلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَمَنُوا قَبْلَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، يُحِبُّونَ الْمُهَاجِرِينَ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَهُمُ الْخَيْرَ، كَمَا يَتَمَنَّوْهُ لَأَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ أَسْكَنُوا الْمُهَاجِرِينَ فِي دُورِهِمْ، وَأَشْرَكُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ نِسَائِهِ لِلْمُهَاجِرِينَ. وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَنَفْسُهُمْ طَيِّبَةٌ، وَأَعْيْنَهُمْ قَرِيرَةً بِمَا يَفْعَلُونَ، لَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَدًا لِلْمُهَاجِرِينَ. وَلَا ضَيْقًا بِهِمْ لِمَا فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْمَنْزِلَةِ وَالشَّرَفِ وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ وَالرُّتْبَةِ، وَلِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ مَعْنَمِ بَنِي النَّضِيرِ دُونَهُمْ .

وقال تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه لكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) [التغابن/١٦-١٧]

فَابْذُلُوا فِي تَقْوَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنَ الْجَهْدِ وَالطَّاقَةِ . " وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ " (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَاعْمَلُوا بِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَأَحْسِنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ يَتَّعِدْ عَنِ الْبُخْلِ وَالْحِرْصِ عَلَى الْمَالِ، يَكُنْ مِنَ الْفَائِزِينَ . وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ مَالٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعُدُّ ذَلِكَ الْإِنْفَاقَ مُقَدِّمًا إِلَيْهِ تَعَالَى، وَهُوَ يُخْلِفُهُ وَيَرُدُّهُ إِلَى الْمُنْفِقِينَ - أَضْعَافًا كَثِيرَةً - الْحَسَنَةُ بِعَشْرَةٍ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ - وَيَمْنَحُو عَنْكُمْ بِهَا سَيِّئَاتِكُمْ، وَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ، وَاللَّهُ شَكُورٌ يَجْزِي عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ، وَهُوَ كَثِيرُ الْحِلْمِ وَالْمَغْفِرَةِ، يَغْفِرُ وَيَسْتُرُ، وَلَا يُعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ عِبَادَهُ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْأَخْطَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ وَيَرْجِعُونَ مُسْتَغْفِرِينَ .

أَنْ يَتَوَلَّوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ

قال تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) [المائدة/٥٥-٥٦]

يَحْتُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَيُسَاعِدُونَ الْمُحْتَاجِينَ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَهُمْ دَائِمُونَ الرُّكُوعِ لِلَّهِ .

وَكُلُّ مَنْ رَضِيَ بِمَوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ هُوَ مُفْلِحٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ مَنْصُورٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي حِزْبِ اللَّهِ، وَحِزْبِ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَلَا يُغْلَبُ مَنْ يَتَوَلَّاهُمْ اللَّهُ .

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

قال تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢) [التوبة/٢٠-٢٢]

فَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، هُمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ دَرَجَةً وَمَقَامًا، وَأَكْثَرُ مَثْوًى مِنَ الَّذِينَ عَمَرُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَسَقَوْا الْحَاجَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُجَاهِدُونَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّاتِهِ .

وهَؤُلَاءِ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَعَلَى لِسَانِ مَلَائِكَتِهِ حِينَ مَوْتِهِمْ، بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانٍ، وَبِأَنَّهُ سَيَدْخِلُهُمْ جَنَّاتِهِ الْوَاسِعَةَ، وَسَيَبْقُونَ فِيهَا أَبَدًا فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَالرِّضْوَانُ مِنَ اللَّهِ هُوَ نَهَايَةُ الْإِحْسَانِ، وَأَعْلَى النَّعِيمِ، وَأَكْمَلُ الْجَزَاءِ .

وَسَيَكُونُ هَؤُلَاءِ الْكَرَامُ الْمُخْلَدِينَ فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا وَهَذَا جَزَاءُ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ لِمَنْ آمَنَ وَجَاهَدَ، وَقَامَ بِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ .



الفصل الثاني نعيم الجنة في القرآن والسنة

المبحث الأول حُفَّتِ الجنة بالمكاره

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ، إِلَّا دَخَلَهَا، فَحَفَّتْهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ، فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّتْهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا.^٢

ولعل هذا هو السبب الذي جعل جبريل -عليه السلام- عندما رأى ما أعده الله تعالى من النعيم المقيم لعباده في الجنة، ظن أن كل من يسمع بالجنة ونعيمها سيعمل من أجل أن يدخلها، لذا قال "فوعزتكَ لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها".

بعد أن قال جبريل -عليه السلام- ذلك، أمر الله تعالى بالجنة فحُفَّتْ بالمكاره، ثم قال لجبريل: ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فارجع إليها، فإذا هي قد حُفَّتْ بالمكاره. فعلم بذلك أنه لم يعد الطريق إليها سهلاً، بل هو طريق وعراً مخفوفاً بالمتاعب والآلام والدموع والعرق والدم والتضحيات، وبذل كل ما في الوسع، ليس طريقاً مليئاً بالمتع والشهوات والتزوات، فمن أراد الجنة ونعيمها فليوطن نفسه لتحمل هذه المكاره التي حُفَّتْ بها الجنة -وهي الأمور التي تكرهها النفس لمشتقتها- فلا يصل إلى الجنة أحدٌ إلا إذا تجرَّع من غصص هذه المكاره التي تحيط بها، ففي الحديث الشريف قد شبه حال التكاليف الشاقة على النفس -التي حُفَّتْ بها الجنة- والتي ينبغي على من يريد الجنة أن يؤديها ويقوم بها خير قيام كالصبر على الحن والبلايا والمصائب، والصبر على الطاعات التي تشق على النفس كالجهاد في سبيل الله وغير ذلك، شبه كل ذلك بحال أسوار كثيفة من

^١ - صحيح مسلم (٧٣٠٨)

^٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٠٦) (٧٣٩٤) صحيح

الأشواك التي يكمن فيها كل حيوان ضارٌّ من الوحوش والحيات والعقارب، وهذه الأسوار الكثيفة الكريهة محيطة ببستانٍ عظيمٍ تلتف به من كل مكان بحيث لا يستطيع أن يصل أحدٌ إلى هذا البستان ولا يحظى بالتنعم بما فيه إلا بعد أن يتخطى هذه الأسوار البغيضة، ويتجشم المشاق التي تلحقه حين سلوكه فيها، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى جهادٍ طويل شاق، وصبرٍ دائم، كذلك الجنة لا ينالها ويحظى بنعيمها الدائم إلا من تخطى شدائد دنياه، مجاهدًا نفسه، صابرًا على ما يصيبه، راضيًا بقضاء الله تعالى، قائمًا بتكاليف الإسلام خير قيام، مضحيًا بالنفس والمال في سبيل نيل مطلوبه، فالجنة هي الثمن الذي اشترى الله به نفوس المؤمنين وأموالهم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) {التوبة: ١١١} قال شمر بن عطية: ما من مسلمٍ إلا لله عزّ وجلّ في عنقه بيعة، وفّى بها أو مات عليها ثم تلا الآية السابقة^٣.

بل أكدَّ الله تعالى الوعد الذي ذكره في هذه الآية وأخبر بأنّه قد كتبه على نفسه الكريمة وأنزله على رسله في كتبه العظيمة: التوراة والإنجيل والقرآن، ثمّ بشّر من قام بمقتضى هذا العقد، ووفّى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم.

ورحم الله من قال:

يا سلعةَ الرحمنِ لست رخيصةً بل أنتِ غاليةٌ على الكسلانِ
يا سلعةَ الرحمنِ ليس ينالها في الألفِ إلا واحدٌ لا اثنانِ
يا سلعةَ الرحمنِ أين المشتري فلقد عُرضتِ بأيسر الأثمانِ
يا سلعةَ الرحمنِ هل من خاطبٍ فالمهرُ قبل الموتِ ذو إمكانِ
يا سلعةَ الرحمنِ لولا أنّها حُجِبَتْ بكلِّ مكارهِ الإنسانِ
ما كان قطُّ من متخلفٍ وتعلّتِ دارُ الجزاءِ الثاني
لكنّها حُجِبَتْ بكلِّ كريهةٍ ليُصدَّ عنها المبطلُ المتواني
وتنالها الهممُ التي تَسْمُو إلى ربِّ العلا بمشيئةِ الرحمنِ
فائعِبَ ليومٍ معادِكِ الأدنى تجدّ راحتهِ يومَ المعادِ الثاني
ولنذكر - الآن - طرفاً من بعض التكاليف التي قد حُفَّت بها الجنة مع مشقتها على النفس:

١- الجهاد في سبيل الله:

^٣ - تفسير ابن كثير (٣٩٩/٢)

وهو فرض كفاية على المسلمين ليكفوا شرَّ الأعداء عن حوزة الإسلام، ولنشر تعاليم الدين السمحة، وفضله عظيم، فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال « تَكْفُلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ { مَعَ مَا نَالَ } مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ »^٤.

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - « تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَى ضَامِنٍ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْثُهُ لَوْ نُ دِمَ وَرِيحُهُ مِسْكٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ »^٥. الكلم: الجرح

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحْدِثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ »^٦.

وهو مع فرضيته وفضيلته إلا أنه مكروه على النفس، وذلك لأن فيه مشقة وشدة، فإنه إما أن يقتل الإنسان أو يجرح، مع مشقة السفر ومجالد الأعداء، ومع أن النفس تكرهه إلا أنه خير لها، لذا قال تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) {البقرة: ٢١٦}.

كما أمر الله تعالى بالإنفاق على اليتامى والمساكين لحماية المجتمع من داخله، كذلك فرض الله الجهاد على المسلمين، ومُحاربة أعداء الدين، ليكفوا عن الجماعة المسلمة شرَّ أعدائها. والجهاد فرض كفاية إذا قام به بعض الأمة سقط عن الباقي، والجهاد واجب على كل مسلم غزا أو قعد، فالقاعد عليه أن يعين إذا استعان به الناس، وأن يغيث إذا استعانوا به، وأن ينفر إذا استنفر.

ويذكر الله تعالى: أن الجهاد فيه كُرْهُ وَمَشَقَّةٌ عَلَى الْأَنْفُسِ، مِنْ تَحْمِلِ مَشَقَّةِ السَّفَرِ، إِلَى مَخَاطِرِ الْحُرُوبِ وَمَا فِيهَا مِنْ جَرْحٍ وَقَتْلٍ وَأَسْرِ، وَتَرْكٍ لِلْعِيَالِ، وَتَرْكٍ لِلتِّجَارَةِ وَالصَّنْعَةِ وَالْعَمَلِ.. إلخ، ولكن قد يكون فيه الخير لأنه قد يعقبه النصر والظفر بالأعداء، والاستيلاء على أموالهم وبلادهم. وقد يحب المرء شيئاً وهو شرُّ له، ومنه القعود عن الجهاد، فقد يعقبه استيلاء الأعداء على البلاد والحكم، والله يعلم عواقب الأمور أكثر مما يعلمها العباد.

^٤ - صحيح البخارى (٣١٢٣) ومسلم (٤٩٦٩)

^٥ - صحيح مسلم (٤٩٦٧)

^٦ - صحيح مسلم (٥٠٤٠)

٢-الصبر على النوائب، والرضا بقضاء الله:

قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) {آل عمران: ١٤٢}

وَلَا تَحْسِبُوا أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَبِرَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَيُمَحِّصَكُمْ فِي الشَّدَائِدِ وَالْجِهَادِ لِيَرَى صِدْقَ إِيْمَانِكُمْ، وَيَرَى مَنْ يَسْتَجِيبُ لِلَّهِ، وَيُخْلِصُ فِي طَاعَتِهِ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَكَارِهِ الْخُرُوبِ .
وقال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) {البقرة: ٢١٤}

يُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ هَدَاهُمْ إِلَى السَّلَامِ، وَإِلَى الْخُرُوجِ مِنْ ظُلْمَةِ الْاِخْتِلَافِ، إِلَى نُورِ الْوَفَاقِ، بِاتِّبَاعِهِمْ هُدَى الْكِتَابِ زَمَنَ التَّنْزِيلِ، الَّذِينَ يَطُئُونَ مِنْهُمْ أَنَّ انْتِسَابَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فِيهِ الْكَفَايَةُ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ دُونَ أَنْ يَتَحَمَّلُوا الشَّدَائِدَ وَالْأَذَى فِي سَبِيلِ الْحَقِّ، وَهَدَايَةِ الْخَلْقِ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِسُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْهُدَى مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُمْ. فَيَقُولُ لَهُمْ: هَلْ تَحْسِبُونَ أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ تُبْتَلُوا وَتُخْتَبَرُوا كَمَا فُعِلَ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ ابْتَلُوا بِالْفَقْرِ (الْبَأْسَاءُ)، وَبِالْأَسْقَامِ وَالْأَمْرَاضِ (الضَّرَاءُ)، وَخَوْفُوا وَهَدِّدُوا مِنَ الْأَعْدَاءِ (زُلْزِلُوا)، وَامْتَحِنُوا امْتِحَانًا عَظِيمًا، وَاشْتَدَّتْ الْأُمُورُ بِهِمْ حَتَّى تَسْأَلَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ: مَتَى يَأْتِي نَصْرُ اللَّهِ . وَحِينَمَا تَثْبُتُ الْقُلُوبُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْمَحَنِ الْمَزْلُزَةِ، حِينَئِذٍ تَنُمُ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَيَجِيءُ نَصْرُهُ الَّذِي يَذْخَرُهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَسْتَيْقِنُونَ أَنَّ لَا نَصْرَ إِلَّا نَصْرُ اللَّهِ .

إنه مدخر لمن يستحقونه. ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية. الذين يثبتون على البأساء والضراء. الذين يصمدون للزلزلة. الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة. الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله، وعندما يشاء الله. وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها، فهم يتطلعون فحسب إلى { نصر الله }، لا إلى أي حل آخر، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله. ولا نصر إلا من عند الله .

بهذا يدخل المؤمنون الجنة، مستحقين لها، جديرين بها، بعد الجهاد والامتحان، والصبر والثبات، والتجرد لله وحده، والشعور به وحده، وإغفال كل ما سواه وكل من سواه .

إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة، ويرفعها على ذواتها، ويطهرها في بوتقة الألم، فيصفو عنصرها ويضيء، ويهب العقيدة عمقا وقوة وحيوية، فتتألأأ حتى في أعين أعدائها وخصومها. وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجا كما وقع، وكما يقع في كل قضية حق، يلقي أصحابها ما يلقون في أول الطريق، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم، وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين..
على أنه - حتى إذا لم يقع هذا - يقع ما هو أعظم منه في حقيقته. يقع أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشروورها وفتنتها، وأن تنطلق من إसार الحرص على الدعة

والراحة، والحرص على الحياة نفسها في النهاية.. وهذا الانطلاق كسب للبشرية كلها، وكسب للأرواح التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء. كسب يرجح جميع الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيتها المؤمنون، والمؤمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته .

وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة في نهاية المطاف.. وهذا هو الطريق..

هذا هو الطريق كما يصفه الله للجماعة المسلمة الأولى، وللجماعة المسلمة في كل جيل .

هذا هو الطريق: إيمان وجهاد.. ومحنة وابتلاء. وصبر وثبات.. وتوجه إلى الله وحده. ثم يجيء النصر. ثم يجيء النعيم..

وابتلاء الله تعالى للعباد وامتحانهم إنما يكون لتنتيحتهم وترقيتهم وليميز الخبيث من الطيب، قال تعالى: (أَلَمْ أَحَسِبْ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) {العنكبوت: ١-٣} .

إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف؛ وأمانة ذات أعباء؛ وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا. وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم. كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالة وظله وإيحاءه وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب .

هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية، في ميزان الله سبحانه : { ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين } ..

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء؛ ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر؛ فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم. وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحداً إلا بما استعلن من أمره، وبما حققه فعله. فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه!

ونعود إلى سنة الله في ابتلاء الذين يؤمنون وتعريضهم للفتنة حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين .

إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص. وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء. وإنها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة. فهي أمانة كريمة؛ وهي أمانة ثقيلة؛ وهي من أمر الله يضطلع بها الناس؛ ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء .

ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله؛ ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة؛ ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان. وهذه هي الصورة البارزة للفتنة، المعهودة في الدهن حين تذكر الفتنة. ولكنها ليست أعنف صور الفتنة. فهناك فتن كثيرة في صور شتى، ربما كانت أمر وأدهى .

هناك فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه، وهو لا يملك عنهم دفعاً. وقد يهتفون به ليسالم أو ليستسلم؛ وينادونه باسم الحب والقرابة، واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى أو الهلاك. وقد أشير في هذه السورة إلى لون من هذه الفتنة مع الوالدين وهو شاق عسير. وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، تهتف لهم الدنيا، وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم في طريقهم العوائق، وتصاغ لهم الأبحار، وتصفو لهم الحياة. وهو مهمل منكر لا يحس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئاً .

وهناك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقاً في تيار الضلالة؛ وهو وحده موحش غريب طريد وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام. فتنة أن يجد المؤمن أمماً ودولاً غارقة في الرذيلة، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان. ويجدها غنية قوية، وهي مشاقة لله!

وهناك الفتنة الكبرى. أكبر من هذا كله وأعنف. فتنة النفس والشهوة. وجاذبية الأرض، وثقله اللحم والدم، والرغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان. وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس، وفي ملابس الحياة، وفي منطق البيئة، وفي تصورات أهل الزمان!

فإذا طال الأمد، وأبطأ نصر الله، كانت الفتنة أشد وأقسى. وكان الابتلاء أشد وأعنف. ولم يثبت إلا من عصم الله. وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان، ويؤمنون على تلك الأمانة الكبرى، أمانة السماء في الأرض، وأمانة الله في ضمير الإنسان. وما بالله حاشا لله أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيههم بالفتنة. ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة. فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعانة العملية للمشاق؛ وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو في ثوابه، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء. والنفس تصهرها الشدائد فتنفى عنها الخبث، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع. وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل. وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً؛ وأفواها طبيعة، وأشدّها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين: النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين

يسلمون الراية في النهاية. مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار. وإنهم ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالي الثمن؛ وبما بذلوا لها من الصبر على الحن؛ وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات. والذي يبذل من دمه وأعصابه، ومن راحته واطمئنانه، ومن رغائبه ولذاته. ثم يصبر على الأذى والحرمان؛ يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل؛ فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات والآلام .

فأما انتصار الإيمان والحق في النهاية فأمر تكفل به وعد الله . وما يشك مؤمن في وعد الله. فإن أبطأ فلحكمة مقدره، فيها الخير للإيمان وأهله. وليس أحد بأغير على الحق وأهله من الله. وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة، ويقع عليهم البلاء، أن يكونوا هم المختارين من الله، ليكونوا أمناء على حق الله. وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة فهو يختارهم للابتلاء^٧

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ »^٨.
وعَنْ أَنَسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: عَظُمَ الْجَزَاءُ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ.^٩

(فمن رضي فله الرضا) أي رضا الله تعالى عنه جزاء لرضاه. أو فله جزاء رضاه. وكذلك قوله فله السخط. ثم الظاهر أنه تفصيل لمطلق المبتلين لالمن أحبهم فابتلاهم. إذ الظاهر أنه تعالى يوفقهم للرضا فلا يسخط منهم أحد

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ فِي حَسَدِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى، وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ^{١٠}

وَعَنْ سَعْدٍ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ - ﷺ -: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: « الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا أَمْثَلُ، يُتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ صَلَابَتَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَلَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ مَا لَهُ خَطِيئَةٌ »^{١١}.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهي عبادة شاقة على النفس، وغالبًا ما يحدث للقائم بها شدائد ومشاكل وصعوبات كثيرة، لذا بعدما أوصى لقمان ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوصاه بالصبر لما سيقابله بسبب ذلك من إيذاء ومشقة، كما حكاه القرآن الكريم: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) {لقمان: ١٧} .

^٧ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت. علي بن نايف الشحود (ص: ٨٩)

^٨ - صحيح البخارى (٥٦٤٥)

^٩ - سنن ابن ماجه (٤١٦٧) صحيح لغيره

^{١٠} - المستدرک للحاکم (٧٨٧٩) صحيح

^{١١} - سنن الدارمى (٢٨٣٩) صحيح

ثُمَّ قَالَ لِقَمَانُ ابْنِهِ، يَا بُنَيَّ أَذِّ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا، وَأَتَمِّمَهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَخُشُوعِهَا، لَأَنَّ الصَّلَاةَ تُذَكِّرُ الْعَبْدَ بِرَبِّهِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى فِعْلِ الْمَعْرُوفِ، وَالِانْتِهَاءِ عَنِ فِعْلِ الْمُنْكَرِ، وَإِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ ذَلِكَ تَصَفُّو نَفْسُهُ وَتَسْمُو، وَيَسْهَلُ عَلَيْهَا احْتِمَالُ الصَّعَابِ فِي اللَّهِ، ثُمَّ حَثَّ لِقَمَانُ ابْنَهُ عَلَى احْتِمَالِ أَدَى النَّاسِ إِذَا قَابَلُوهُ بِالسُّوءِ وَالْأَذَى عَلَى حَتِّهِ إِيَّاهُمْ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَالِانْتِهَاءِ عَنِ فِعْلِ الْمُنْكَرِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَوْصَاكَ بِهِ هُوَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي الْحِرْصُ عَلَيْهَا، وَالتَّمَسُّكُ بِهَا (مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ) .

٤- وغير ذلك من تكاليف الإسلام:

فالصلاة- مثلاً- أثقل شيء على المنافقين، وعلى النفوس الضعيفة قال تعالى: (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) {البقرة: ٤٥} .

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالِاسْتِعَانَةِ عَلَى أَدَاءِ التَّكْلِيفِ، وَمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، بِالصَّبْرِ عَلَى الْفَرَائِضِ، وَضَبْطِ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَبِالصَّلَاةِ، لَعَلَّهُمْ يَبْلُغُونَ مَا يُؤْمَلُونَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَيُنَبِّهُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنَّ الْقِيَامَ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ الْأَخْذَ بِهَا مِنْ صَبْرٍ وَصَلَاةٍ... أَمْرٌ شَاقٌّ ثَقِيلٌ عَلَى النَّفُوسِ، إِلَّا النَّفُوسَ الْمُؤْمِنَةَ الْخَاشِعَةَ الْمُسْتَكِينَةَ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ، الْمُتَذَلِّلَةَ مِنْ مَخَافَتِهِ .

والزكاة والصدقة ثقيلتان وشاقتان على البخلاء والحريصين على جمع المال، ولا تخفى مشقة الحج وما يتطلبه من جهدٍ وسفرٍ وصعوباتٍ وإنفاقٍ وصبرٍ وجلدٍ، والصيام وما يتطلبه من صبرٍ على الجوع والعطش والشهوة نهاراً، وغير ذلك من المشقات.

ولعلي أكون قد بينتُ جانباً من المكآره التي حُفَّتْ بِهَا الْجَنَّةُ، والتي على المسلم أن يتحمل ما يعرض له منها ويصبر على ذلك ليفوز بنعيم الجنة، وهي وإن كانت تكاليف شاقّة إلا أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ الْغَالِي إِلَّا بِالْعَمَلِ الشَّاقِّ، فَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^{١٢}. أَدْلَجَ: سَارَ لَيْلًا

ولعلَّ هذا هو السبب الذي جعل جبريل-عليه السلام- بعدما رأى حقيقة الجنة وقد حُفَّتْ بِالمكآره يخشى ألا يدخلها أحد، لذا قال لربِّه تعالى: "وَعَزَّتْكَ لَقَدْ خَفْتُ أَلَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ".

المبحث الثاني

الترغيب في الجنة ونعيمها

عَنِ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ..^{١٣}

^{١٢} - سنن الترمذی (٢٦٣٨) صحيح

^{١٣} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٩١) (٧٣٨٢) صحيح

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِي عَهْدِهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ.^{١٤}

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: هَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا مَعْنَاهَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُرِيدُ جَنَّةً دُونَ جَنَّةِ الْقَصْدِ مِنْهُ، الْجَنَّةُ الَّتِي هِيَ أَعْلَى وَأَرْفَعُ يُرِيدُ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْخِصَالِ، أَوْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، أَوْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ الَّتِي يَدْخُلُهَا مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ تِلْكَ الْخِصَالِ، لِأَنَّ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَانِ يَنَالُهَا الْمَرْءُ بِالطَّاعَاتِ، وَحَطُّهُ عَنْهَا يَكُونُ بِالْمَعَاصِي الَّتِي ارْتَكَبَهَا.

وَعَنْ عَطِيَّةٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رِبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ، يَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَتَى، فَقِيلَ لَهُ: لَتَنَمَّ عَيْنُكَ وَلَتَسْمَعَ أُذُنُكَ وَلَيُعْقِلَ قَلْبُكَ، قَالَ: فَنَامَتْ عَيْنِي وَسَمِعَتْ أُذُنِي وَعَقَلَ قَلْبِي، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: سَيِّدُ بَنِي دَارًا وَصَنَعَ مَأْدُبَةً فَأَرْسَلَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَنْلِ الْمَأْدُبَةَ، وَسَخَطَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ، فَالسَّيِّدُ اللَّهُ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَأْدُبَةُ الْجَنَّةُ.^{١٥}

قَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٢٥) سورة يونس
وَعَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ هِيَ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي هِيَ أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا".

وَعَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَاهَا وَأَوْسَطُهَا، وَمِنْهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ".^{١٦}

وَعَنْ عَلِيٍّ ؛ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} (٨٥) سورة مريم، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَذَرُونَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يُحْشَرُونَ ؟ أَمَا وَاللَّهِ مَا يُحْشَرُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ بَنُوقٍ لَمْ تَرَ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا، عَلَيْهَا رِحَالُ الذَّهَبِ، وَأَزِمَتُهَا الزَّبْرَجَدُ، فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، ثُمَّ يُنْطَلَقُ بِهِمْ حَتَّى يَقْرَعُوا بَابَ الْجَنَّةِ.^{١٧}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "سِرْتُ وَسَارَ مَعِيَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَتَيْنَا عَلَى وَادٍ، فَوَجَدْتُ رِيحًا طَيِّبَةً وَوَجَدْتُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَسَمِعْتُ صَوْتًا فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ الْبَارِدَةُ الطَّيِّبَةُ، وَرِيحُ الْمِسْكِ ؟ وَمَا هَذَا الصَّوْتُ ؟ قَالَ: هَذَا صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ: يَا رَبِّ أَهْنِي بِأَهْلِي وَمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثَرَ حَرِيرِي، وَسُنْدُسِي، وَإِسْتَبْرَقِي، وَعَبَقْرِي، وَلَوْلُؤِي، وَمَرْجَانِي، وَفِضَّتِي، وَذَهَبِي وَأَبَارِيقِي، وَفَوَاحِيهِ، وَعَسَلِي، وَمَائِي، فَأَتَيْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي قَالَ: لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ

^{١٤} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٩٢) (٧٣٨٣) صحيح

^{١٥} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٤ / ص ٤٥٥) (٤٤٦٣) حسن ، وريبعة مختلف في صحبته

^{١٦} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٦ / ص ٣٥٣) (٦٧٤٢ و ٦٧٤٣) حسن

^{١٧} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١١٩) (٣٥١٤٨) ضعيف

وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي وَعَمِلَ صَالِحًا، وَلَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أُنْدَادًا وَمَنْ حَشَيْنِي، وَمَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَزَيْتُهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ، أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لَا أُخْلِفُ الْمِعَادَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ^{١٨}.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا هَلْ مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا هِيَ، وَرَبُّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأَلُ، وَرِيحَانَةٌ تَهْتَرُ، وَقَصْرٌ مُشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيحَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بِهِيَّةٍ، قَالُوا: نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ وَحَضَّ عَلَيْهِ^{١٩}.

مشمر للجنة: ساع لها غاية السعي، طالب لها عن صدق ورغبة - مطرد: جاري يتبع بعضه بعضا
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: أَلَا مُشَمِّرٌ لَهَا، هِيَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ رِيحَانَةٌ تَهْتَرُ وَنُورٌ يَتَلَأَلُ، وَنَهْرٌ مُطَرِدٌ، وَزَوْجَةٌ لَا تَمُوتُ فِي خُلُودٍ، وَنَعِيمٌ فِي مَقَامٍ أَبَدٍ^{٢٠}
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا وَلَا مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا »^{٢١}.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا يُدْخِلُ اللَّهُ الْجَنَّةَ مَنْ يَرْجُوهَا، وَإِنَّمَا يُجَنِّبُ النَّارَ مَنْ يَخْشَاهَا، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ يَرْحَمُ^{٢٢}.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا حَرِيصٌ عَلَيْهَا^{٢٣}
وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا فِي الدُّنْيَا فَيَقَالُ: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ قَالَ: فَيَنْعَمُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ فَيَقَالُ: هَلْ رَأَيْتَ ضُرًّا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا"^{٢٤}
وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْعَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْعَةً، فَيَقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ..^{٢٥}

١٨ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٢٢) حسن

١٩ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٨٩) (٧٣٨١) حسن

٢٠ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٢٥) حسن

٢١ - سنن الترمذی (٢٨٠٥) والصحيحة (٩٠٣) و جرجان ٣٤٣ و ٣٧٧ و صحيح الجامع (٥٦٢٢) صحيح لغيره

٢٢ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٢٣٢) (٣٥٤٩٠) صحيح مرسل

٢٣ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٣١) حسن

٢٤ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٣٢) حسن

٢٥ - صحيح مسلم (٧٢٦٦)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: اصْبُعُوهُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَصْبَعُ فِيهَا صَبْعَةً، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ أَوْ شَيْئًا تَكْرَهُهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَكْرَهُهُ قَطُّ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَنَعَمِ النَّاسِ كَانَ فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُ: اصْبُعُوهُ فِيهَا صَبْعَةً، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ، وَلَا قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ. ٢٦

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ. ٢٧. الشراك: أحد السيور من الجلد والتي تمسك بالنعل على ظهر القدم

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَذِيلِ؛ أَنَّ مُوسَى، أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنْكَ؟ أَوْلِيَاؤُكَ فِي الْأَرْضِ خَائِفُونَ يُقْتَلُونَ، وَيُطْلَبُونَ وَيُقَطَّعُونَ، وَأَعْدَاؤُكَ يَأْكُلُونَ مَا شَاؤُوا، وَيَشْرِبُونَ مَا شَاؤُوا، وَنَحْوُ هَذَا، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بَعْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ مَا لَمْ يَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، إِلَى أَكْوَابِ مَوْضُوعَةٍ، وَنَمَارِقِ مَصْفُوفَةٍ وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٍ، وَإِلَى الْحُورِ الْعِينِ، وَإِلَى الثَّمَارِ، وَإِلَى الْخَدَمِ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُكُمْ مَكْنُونٌ، فَقَالَ: مَا ضَرَّ أَوْلِيَائِي مَا أَصَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ مَصِيرُهُمْ إِلَى هَذَا؟ ثُمَّ قَالَ: انْطَلِقُوا بَعْدِي، فَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا عُنُقُ فَصْعَقِ الْعَبْدِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: مَا نَفَعَ أَعْدَائِي مَا أُعْطِيَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ مَصِيرُهُمْ إِلَى هَذَا؟ قَالَ: لَا شَيْءٌ. ٢٨

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: "إِنَّ مُوسَى قَالَ: أَيُّ رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ الْمُؤْمِنَ تَقَرَّرَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فَيَقُولُ: يَا مُوسَى، هَذَا مَا أَعَدَدْتُ لَهُ. فَيَقُولُ مُوسَى: وَعِزَّتِكَ وَجَلَّالِكَ، لَوْ كَانَ أَقْطَعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ هَذَا مَصِيرُهُ لَمْ يَرِ بُؤْسًا قَطُّ". قَالَ: "ثُمَّ قَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ، عَبْدُكَ الْكَافِرُ تُوسَّعُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ: يَا مُوسَى، هَذَا مَا أَعَدَدْتُ لَهُ. فَقَالَ مُوسَى: أَيُّ وَعِزَّتِكَ وَجَلَّالِكَ، لَوْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكَانَ هَذَا مَصِيرُهُ، لَمْ يَرَ خَيْرًا قَطُّ". ٢٩

قط: بمعنى أبدا، وفيما مضى من الزمان

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ. ٣٠
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ

٢٦ - مسند أحمد (١٤٠١٠) صحيح

٢٧ - صحيح البخاري (٦٤٨٨)

٢٨ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١١٥) (٣٥١٤٢) حسن مقطوع

٢٩ - مسند أحمد (١٢٠٨٦) حسن

٣٠ - صحيح مسلم (٧٣٠٨)

لَأَهْلُهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لَأَهْلُهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ حُفَّتْ أَنْ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ. قَالَ أَذْهَبَ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لَأَهْلُهَا فِيهَا. فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».^{٣١}

وذلك من التمثيل الحسن، إذ جعل الجنة والنار محبوبتان بالمكاره والشهوات، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام بالمكاره -وهي العبادات الشاقة على النفس- وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات المحرمة

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَلَا إِنَّ الْخَيْرَ بِحَذَائِرِهِ فِي الْجَنَّةِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّرَّ بِحَذَائِرِهِ فِي النَّارِ، أَلَا وَإِنَّ الْجَنَّةَ حَزْنَةٌ بِرَبَوَّةٍ، أَلَا وَإِنَّ النَّارَ سَهْلَةٌ بِشَهْوَةٍ فَمَتَى مَا يُكْشَفُ بِرَجُلٍ حِجَابُ شَهْوَةٍ وَهُوَ أَشْفَى عَلَى النَّارِ وَكَانَ مِنْ أَهْلِهَا، وَمَتَى مَا يُكْشَفُ بِرَجُلٍ حِجَابُ صَبْرٍ وَكَرِهَ أَشْفَى عَلَى الْجَنَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِهَا، فَاعْمَلُوا بِالْحَقِّ تَنْزِلُوا بِالْحَقِّ مَنَازِلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ لَا يُقْضَى إِلَّا بِالْحَقِّ»^{٣٢}

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: كَانَتْ خُطْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِنَّ الدُّنْيَا عَرْضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ وَعْدٌ صَادِقٌ يَقْضَى فِيهَا مِلْكٌ قَادِرٌ، أَلَا وَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحَذَائِرِهِ فِي الْجَنَّةِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِحَذَائِرِهِ فِي النَّارِ، وَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَعْرُوضُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَأَنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ رَبِّكُمْ لَا بُدَّ مِنْهُ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) سورة الزلزلة».^{٣٣} -أشفى: قارب

وعَنْ بُكَيْرِ بْنِ فَيْرُوزَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^{٣٤}

الإدلاج: السير في أول الليل والمراد التشمير والجد في الطاعة

وعَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ فَقَدْ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ

٣٥

٣١ - سنن الترمذی (٢٧٥٨) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٣٢ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٤٢) حسن

٣٣ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٣ / ص ٢١٦) (٦٠١٨) حسن لغيره

٣٤ - سنن الترمذی (٢٦٣٨) حسن

٣٥ - المستدرک للحاکم (٧٨٥٢) حسن

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ لَقِيطٍ، أَنَّ لَقِيطًا خَرَجَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، يُقَالُ لَهُ: نَهَيْكَ بْنُ عَاصِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُتَنَفِقِ، قَالَ لَقِيطٌ: فَخَرَجْتُ أَنَا وَصَاحِبِي، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا نَسْلَاحَ رَجَبٍ، فَاتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَوَافَيْنَاهُ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْعِدَّةِ، فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنِّي قَدْ حَبَّاتُ لَكُمْ صَوْتِي مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، أَلَا لَأُصَوِّتَنَّكُمْ، أَلَا فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ؟ فَقَالُوا: اعْلَمْ لَنَا مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَلَا تُمْ لَعَلَّهُ أَنْ يُلْهِيَهُ حَدِيثُ نَفْسِهِ، أَوْ حَدِيثُ صَاحِبِهِ، أَوْ يُلْهِيَهُ الضَّلَالُ، أَلَا إِنِّي مَسْئُولٌ، هَلْ بَلَغْتُ؟ أَلَا اسْمَعُوا تَعِيشُوا، أَلَا اجْلِسُوا، أَلَا اجْلِسُوا، قَالَ: فَجَلَسَ النَّاسُ، وَقُمْتُ أَنَا وَصَاحِبِي، حَتَّى إِذَا فَرَعَ لَنَا فُؤَادُهُ وَبَصَرُهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عِنْدَكَ مِنْ عِلْمٍ الْغَيْبِ؟ فَضَحِكَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَهَزَّ رَأْسَهُ، وَعَلِمَ أَنِّي أَتَيْتُهُ لِسَقَطِهِ، فَقَالَ: ضَنَّ رَبُّكَ، عَزَّ وَجَلَّ، بِمَفَاتِيحِ خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ، قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: عِلْمُ الْمَنِيَّةِ، قَدْ عَلِمَ مَتَى مَنِيَّةُ أَحَدِكُمْ وَلَا تَعْلَمُونَهُ، وَعِلْمُ الْمَنِيِّ حِينَ يَكُونُ فِي الرَّحِمِ، قَدْ عَلِمَهُ وَلَا تَعْلَمُونَهُ، وَعِلْمُ مَا فِي غَدٍّ، وَمَا أَنْتَ طَاعِمٌ غَدًا وَلَا تَعْلَمُهُ، وَعِلْمُ يَوْمِ الْغَيْثِ يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ أَرْبَعِينَ أَرْبَعِينَ مُشْفِقِينَ، فَيُظِلُّ يَضْحَكُ، قَدْ عَلِمَ أَنْ غَيْرَكُمْ إِلَى قُرْبٍ، قَالَ لَقِيطٌ: قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا، وَعِلْمُ يَوْمِ السَّاعَةِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِمْنَا مِمَّا تُعَلِّمُ النَّاسَ وَمَا تَعْلَمُ، فَإِنَّا مِنْ قَبِيلٍ لَا يُصَدِّقُ تَصَدِيقَنَا أَحَدٌ، مِنْ مَذْحِجِ الْتِي تَرَبُّو عَلَيْنَا، وَخَتَعَمِ الْتِي تُوَالِينَا، وَعَشِيرَتَنَا الْتِي نَحْنُ مِنْهَا، قَالَ: تَلَبُّثُونَ مَا لَبِثْتُمْ، ثُمَّ يَتَوَفَّى نَبِيُّكُمْ ﷺ، ثُمَّ تَلَبُّثُونَ مَا لَبِثْتُمْ، ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ، لَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَدْعُ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَاتَ، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ، عَزَّ وَجَلَّ، فَأَصْبَحَ رَبُّكَ، عَزَّ وَجَلَّ، يُطِيفُ فِي الْأَرْضِ، وَخَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ، فَأَرْسَلَ رَبُّكَ، عَزَّ وَجَلَّ، السَّمَاءَ بِهِضَبٍ مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ، فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَدْعُ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ مَصْرَعٍ قَتِيلٍ، وَلَا مَدْفَنٍ مَيِّتٍ، إِلَّا شَقَّتِ الْقَبْرُ عَنْهُ، حَتَّى تَجْعَلَهُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ، فَيَسْتَوِي جَالِسًا، فَيَقُولُ رَبُّكَ: مَهْمٌ، لِمَا كَانَ فِيهِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَمْسِ الْيَوْمَ، وَلَعَمْرِهِ بِالْحَيَاةِ يَحْسِبُهُ حَدِيثًا بِأَهْلِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَجْمَعُنَا بَعْدَ مَا تُمَزَّقُنَا الرِّيحُ وَالْبَلَى وَالسَّبَاحُ؟ قَالَ: أَنْبُتَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آيَةِ اللَّهِ، الْأَرْضُ أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ مَدْرَةٌ بِالْيَةِ، فَقُلْتُ: لَا تَحْيَا أَبَدًا، ثُمَّ أَرْسَلَ رَبُّكَ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهَا السَّمَاءَ، فَلَمْ تَلَبُثْ عَلَيْكَ إِلَّا أَيَّامًا، حَتَّى أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ شَرْبَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَعَمْرُ إِلَهِكَ لَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ مِنَ الْمَاءِ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ نَبَاتِ الْأَرْضِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ الْأَصْوَاءِ، أَوْ مِنْ مَصَارِعِهِمْ، فَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ وَنَحْنُ مِلءُ الْأَرْضِ وَهُوَ شَخْصٌ وَاحِدٌ، نَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: أَنْبُتَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آيَةِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَةٌ مِنْهُ صَغِيرَةٌ، تَرَوْنَهُمَا وَيَرَيَانِكُمْ سَاعَةً وَاحِدَةً، لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا، وَلَعَمْرُ إِلَهِكَ لَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَرَاكُمْ وَتَرَوْنَهُ مِنْ أَنْ تَرَوْنَهُمَا وَيَرَيَانِكُمْ، لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا يَفْعَلُ بِنَا رَبُّنَا، عَزَّ وَجَلَّ، إِذَا لَقِينَاهُ؟ قَالَ: تُعَرِّضُونَ عَلَيْهِ بَادِيَةً لَهُ صَفْحَاتِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، فَيَأْخُذُ رَبُّكَ، عَزَّ وَجَلَّ، بِيَدِهِ غَرْفَةً مِنَ الْمَاءِ، فَيَنْصَحُ قَبِيلَكُمْ بِهَا، فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تُخْطِئُ وَجْهَ أَحَدِكُمْ مِنْهَا قَطْرَةً، فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَتَدْعُ وَجْهَهُ

مِثْلَ الرِّيطَةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَخْطُمُهُ بِمِثْلِ الْحَمِيمِ الْأَسْوَدِ، أَلَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، وَيَفْتَرِقُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ، فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ، فَيَطُّ أَحَدُكُمْ الْجَمْرَ، فَيَقُولُ: حَسَّ، يَقُولُ رَبُّكَ، عَزَّ وَجَلَّ: وَإِنَّهُ، أَلَا فَتَطْلُعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ ﷺ، عَلَى أَظْمَأٍ وَاللَّهُ نَاهِلَةٌ قَطُّ مَا رَأَيْتَهَا، فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا يَبْسُطُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَيْهَا قَدَحٌ، يُطَهِّرُهُ مِنَ الطَّوْفِ وَالْبَوْلِ وَالْأَذَى، وَتُحْبَسُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَلَا تَرَوْنَ مِنْهُمَا وَاحِدًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبِمَا نُبْصِرُ؟ قَالَ: بِمِثْلِ بَصْرِكَ سَاعَتَكَ هَذِهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فِي يَوْمٍ أَشْرَفَتْهُ الْأَرْضُ، وَأَجْهَتْ بِهِ الْجِبَالُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبِمَا نُجْزَى مِنْ سَيِّئَاتِنَا وَحَسَنَاتِنَا؟ قَالَ: الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَعْفُو، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا الْجَنَّةُ، أَمَّا النَّارُ؟ قَالَ: لَعَمْرُ إِلَهِكَ إِنَّ لِلنَّارِ لَسَبْعَةَ أَبْوَابٍ، مَا مِنْهُمْ بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّكَّابُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَى مَا نَطْلُعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ، مَا بِهَا مِنْ صُدَاعٍ وَلَا نَدَامَةٍ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَبِفَاكِهَةٍ، لَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَعْلَمُونَ، وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ، وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ لَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ، أَوْ مِنْهُمْ مُصْلِحَاتٌ؟ قَالَ: الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ، تَلْدُونَهُنَّ مِثْلَ لَدَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَلْدُذْنَ بِكُمْ، غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالِدَ، قَالَ لَقِيطٌ: فَقُلْتُ: أَقْضَى مَا نَحْنُ بِالْعَوْنِ وَمُتَّهَوْنَ إِلَيْهِ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ النَّبِيُّ ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَا أَبَايُكَ؟ قَالَ: فَبَسَطَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، وَقَالَ: عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَزِيَالِ الْمُشْرِكِ، وَأَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ إِلَهًا غَيْرَهُ، قُلْتُ: وَأَنْ لَنَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟ فَقَبَضَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، وَبَسَطَ أَصَابِعَهُ، وَظَنَّ أَنِّي مُشْتَرِطٌ شَيْئًا لَا يُعْطِينِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: نَحِلُّ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا، وَلَا يَجْنِي أَمْرٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ؟ فَبَسَطَ يَدَهُ، وَقَالَ: ذَلِكَ لَكَ، نَحِلُّ حَيْثُ شِئْتُ، وَلَا يَجْنِي عَلَيْكَ إِلَّا نَفْسُكَ، قَالَ: فَانْصَرَفْنَا عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: هَا إِنَّ ذَيْنِ، هَا إِنَّ ذَيْنِ، لَعَمْرُ إِلَهِكَ مَنْ أَتَى النَّاسَ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ لَهُ كَعْبُ ابْنِ الْخُدَارِيَّةِ، أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَنُو الْمُتَنَفِّقِ أَهْلُ ذَلِكَ، قَالَ: فَانْصَرَفْنَا، وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِأَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى مِنْ خَيْرٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ؟ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ عُرْضِ قُرَيْشٍ: وَاللَّهِ إِنَّ أَبَاكَ الْمُتَنَفِّقَ لَفِي النَّارِ، قَالَ: فَلَكَأَنَّهُ وَقَعَ حَرٌّ بَيْنَ جِلْدِي وَوَجْهِي وَلَحْمِي، مِمَّا قَالَ لِأَبِي عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ: وَأَبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ إِذَا الْأُخْرَى أَجْمَلُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَهْلُكَ؟ قَالَ: وَأَهْلِي لَعَمْرُ اللَّهِ، مَا أَتَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْرِ عَامِرِيٍّ، أَوْ قُرَشِيٍّ، مِنْ مُشْرِكٍ، فَقُلْ: أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ مُحَمَّدٌ، فَأُبَشِّرُكَ بِمَا يَسُوءُكَ: تُجَرُّ عَلَى وَجْهِكَ وَبَطْنُكَ فِي النَّارِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ، وَقَدْ كَانُوا عَلَى عَمَلٍ لَا يُحْسِنُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَكَانُوا

يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ ؟ قَالَ: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، بَعَثَ فِي آخِرِ كُلِّ سَبْعِ أُمَمٍ، يَعْنِي نَبِيًّا، فَمَنْ عَصَى نَبِيَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وَمَنْ أَطَاعَ نَبِيَّهُ كَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ.^{٣٦}

المبحث الثالث اسماء الجنة

لبيان شرف الجنة فإنه قد ذُكر لها عدة أسماء في القرآن الكريم باعتبار صفاتها وإن كان مسماتها واحداً باعتبار الذات، فالاسم العام المتناول لتلك الدار وما فيها من النعيم هو (الجنة)، قال تعالى: (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) {مریم: ٦٣} وقال تعالى: (وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) {الأعراف ٤٣} .
* ومن أسمائها (دار السلام) لقوله تعالى: (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) {الأنعام ١٢٧} .

* ومنها (دار المقامة) ففي الآية الكريمة (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) {فاطر ٣٥} .

* ومنها (جنة المأوى) لقوله تعالى: (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) {النجم ١٥} .

* ومنها (جنات عدن) قال تعالى: (جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ) {مریم ٦١} . وقال بعض العلماء: هذا الاسم لجميع الجنان إذ معنى عدن "إقامة"

* ومنها (دار الحيوان) إذ هي دار الحياة الدائمة التي لا موت فيها قال تعالى: (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) {العنكبوت ٦٤} .

* ومنها (الفردوس) قال تعالى: (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) {المؤمنون ١٠-١١} .

وفي صحيح البخارى قال النبي -ﷺ-: "ذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ"^{٣٧} .

^{٣٦} - المسند الجامع - (ج ١٥ / ص ١٥) (١١٢٩٧) ومسند أحمد (١٦٦٣٥) حسن

الحميم : الماء الحار - تنظم : تسم - الربطة : الملاعة تكون من قطعة واحدة - الزيال : الفراق - الأصواء : القبور وأصلها من الصوى الأعلام فشيبه القبور بها - تضارون : لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر - تضارون : لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر - تضارون : لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر - الجماعة من الناس من قوم شئ أو من نحو واحد وربما كانوا من أب واحد - المدرة : الطين اليابس - مهيم : ما شأنك وما حيرك ؟ - الناهلة : التي شربت حتى رويت - تمضب : تمطر

^{٣٧} - صحيح البخارى (٢٧٩٠)

* ومنها (المقام الأمين) قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) {الدخان ٥١}
 * ومنها (مقعد صدق) قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ) {القمر ٥٤-٥٥}

* ومنها (جنات النعيم) وهو اسم جامع لجميع الجنات وما تشتمل عليه من النعيم الظاهر والباطن، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) { لقمان ٨ } .
 أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْأَبْرَارُ الصَّالِحُونَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْزِيهِمْ بِإِدْخَالِهِمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي جَنَّاتٍ يَنْعَمُونَ فِيهَا.

المبحث الرابع

أول من يدخلون الجنة وصفائهم

إن أول البشر دخولا إلى الجنة على الإطلاق هو رسولنا محمد ﷺ، وأول الأمم دخولا إلى الجنة هم أمته، وأول من يدخل الجنة من هذه الأمة هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وقد وردت الأحاديث في ذلك:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ. ^{٣٨}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ بَكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ». ^{٣٩}

وعن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مولى ربيعة بن الحارث أنه سمع أبا هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ - يقول: « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالتاس لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد » ^{٤٠} .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ - « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هداانا الله له - قال يوم الجمعة - فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى ». ^{٤١}

^{٣٨} - صحيح مسلم (٥٠٥)

^{٣٩} - صحيح مسلم (٥٠٧)

^{٤٠} - صحيح البخاري (٨٧٦) ومسلم (٢٠١٥)

^{٤١} - صحيح مسلم (٢٠١٧)

فهذه الأمة الحمديّة أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظلّ العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى جواز الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي. ٤٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخَذَ جِبْرِيلُ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَرَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ أُمَّتِي ٤٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَنْ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ يَسُدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتَنْتَقِي بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: إِيْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا نَحْنُ سُكَّانُ سَمَاوَاتِكَ، وَخَيْرُكَ مِنْ خَلْقِكَ أَفْتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءَ، فَنَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتَنْتَقِي بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد]. ٤٤

وقد ذكر النبي ﷺ - صفات أول من يدخلون الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْشَطُونَ وَلَا يَتَعَوَّطُونَ، أَنْيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخٌ سَوْفَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» ٤٥.

قَوْلُهُ: (يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أَي قَدَرَهُمَا، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هَذَا التَّسْبِيحُ لَيْسَ عَنْ تَكْلِيفٍ وَإِلْزَامٍ، وَقَدْ فَسَّرَهُ جَابِرٌ فِي حَدِيثِهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِقَوْلِهِ: "يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ" وَوَجْهُهُ

٤٢ - سنن أبي داود (٤٦٥٤) حسن

٤٣ - المستدرک للحاکم (٤٤٤٤) صحيح

٤٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٣٨) (٧٤٢١) صحيح

٤٥ - صحيح البخاری (٣٢٤٥) ومسلم (٧٣٣٠)

التَّشْبِيهِ أَنْ تَنْفُسَ الْإِنْسَانَ لَا كُفْلَةَ عَلَيْهِ فِيهِ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، فَجَعَلَ تَنْفُسَهُمْ تَسْبِيحًا، وَسَبَّه أَنْ قُلُوبَهُمْ تَنَوَّرَتْ بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَامْتَلَأَتْ بِحُبِّهِ، وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ ^{٤٦}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يُبُولُونَ وَلَا يَتَعَوَّطُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ وَلَا يَمْتَحِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ الْأَنْجُوجُ عُودُ الطَّيِّبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، عَلَى خَلْقٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» ^{٤٧}.

الألوة: العود الذي يتبخر به - المجامر: جمع مجمر وهو الذي يوضع فيه النار للبخور - الأنجوج: لغة في العود الذي يتبخر به

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ لَا يَتَعَوَّطُونَ وَلَا يُبُولُونَ وَلَا يَمْتَحِطُونَ وَلَا يَزُقُونَ أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ أَخْلَافُهُمْ عَلَى خُلُقٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى طَوْلِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا» ^{٤٨}. الألوة:

ومعنى (رشحهم المسك) أي: عرقهم كالمسك في طيب رائحته، و(المجامر): جمع [مَجْمَر] و[مُجْمَر]، والأول: هو الذي يوضع فيه النار للبخور، والثاني: هو الذي يُتبخر به وأُعدَّ له الجمر.

ومعنى (الألوة): العود الهندي الذي يُتبخر به، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: الأنجوج هو العود الذي يُتبخر به، ولفظ (الأنجوج) هنا تفسير (الألوة)، و(العود) تفسير وقوله (ستون ذراعًا في السماء) أي: في العلو والارتفاع ^{٤٩}.

وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ رَائِحَةَ الْعُودِ إِنَّمَا تَفُوحُ بِوَضْعِهِ فِي النَّارِ وَالْجَنَّةِ لَا نَارَ فِيهَا وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ بَعْدَ تَخْرِيجِ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ: يُنْظَرُ هَلْ فِي الْجَنَّةِ نَارٌ؟ وَيُجَابُ بِاحْتِمَالٍ أَنْ يَشْتَعِلَ بغيرِ نَارٍ بَلْ بِقَوْلِهِ: كُنْ، وَإِنَّمَا سُمِّيتْ مِجْمَرَةً بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ فِي الْأَصْلِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَشْتَعِلَ بِنَارٍ لَا ضَرَرَ فِيهَا وَلَا إِحْرَاقَ، أَوْ يَفُوحَ بِغيرِ إِشْتِعَالٍ

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَدْ يُقَالُ أَيَّ حَاجَةٍ لَهُمْ إِلَى الْمُسْتِطِ وَهُمْ مُرْدٌ وَشُعُورُهُمْ لَا تَتَسَخَّحُ؟ وَأَيَّ حَاجَةٍ لَهُمْ إِلَى الْبُخُورِ وَرِيحِهِمْ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ؟

^{٤٦} - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ٣٠)

^{٤٧} - صحيح البخاري (٣٣٢٧) وصحيح مسلم (٧٣٢٨)

^{٤٨} - صحيح مسلم (٧٣٢٩)

^{٤٩} - فتح الباري للحافظ ابن حجر (٥٩٠/٩)

قَالَ: وَيُجَابُ بِأَنْ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَكِسْوَةٍ وَطِيبٍ وَلَيْسَ عَنْ أَلَمٍ جُوعٍ أَوْ ظَمَأٍ أَوْ عُرْيٍ أَوْ نَتْنٍ، وَإِنَّمَا هِيَ لَذَاتٌ مُتَتَالِيَةٌ وَنَعَمٌ مُتَوَالِيَةٌ، وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ يُنَعَّمُونَ بِنَوْعٍ مَا كَانُوا يَتَنَعَّمُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ تَنَعُّمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى هَيْئَةِ تَنَعُّمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَيْنَهُمَا مِنْ التَّفَاضُلِ فِي اللَّذَّةِ، وَذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَنَّ نَعِيمَهُمْ لَا انْقِطَاعَ لَهُ^{٥٠}.

وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بَعْدَ أُولَئِكَ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ.^{٥١}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: فَأَمِيرٌ مُسْلَطٌ، وَذُو ثُرُوءٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، وَفَقِيرٌ فَجُورٌ^{٥٢}.

المبحث الخامس

آخر من يدخل الجنة من الموحدين

عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، عَلَى الْمِنْبَرِ، يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَذْنَى مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ، وَقَدْ نَزَلُوا مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ، قَدْ رَضِيتُ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ هَذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيُّ رَبِّ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ هَذَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ مَعَهُ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيُّ رَبِّ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَتْ عَيْنُكَ، فَقَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ، فَأَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: إِيَّاهَا أَرَدْتُ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهُمْ، إِنِّي غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدَيَّ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي

^{٥٠} - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ٣٠)

^{٥١} - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ١٥١) (٤٣١٢) حسن

^{٥٢} - المستدرک للحاكم (١٤٢٩) حسن

كِتَابِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٧) سورة السجدة^{٥٣}

وعن الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ عَلَى الْمَنْبَرِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ مُوسَى، قَالَ: رَبِّ، أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَدْنَى مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: كَيْفَ ادْخُلُ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلَ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فَيُقَالُ: لَكَ هَذَا وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ رَضِيتُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ لَكَ هَذَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ مَعَهُ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ رَضِيتُ، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ^{٥٤}.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قَبْلَ الْجَنَّةِ وَمِثْلَ لَهُ شَجَرَةٌ ذَاتُ ظِلٍّ فَقَالَ أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا ». وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَمْ يُذَكِّرْ « فَيَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِيئِي مِنْكَ ». إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ وَزَادَ فِيهِ « وَيُذَكِّرُهُ اللَّهُ سَلِّ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ هُوَ لَكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ - قَالَ - ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَتَقُولَانِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ - قَالَ - فَيَقُولُ مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ »^{٥٥}.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قَبْلَ الْجَنَّةِ، وَمِثْلَ لَهُ شَجَرَةٌ ذَاتُ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا، قَالَ اللَّهُ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ أَنْ أُعْطِيكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيَقْدِمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، فَتَمَثَّلُ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى ذَاتُ ظِلٍّ وَثَمَرَةٍ وَمَاءٍ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ عَسَيْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَبْرُرُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَأَكُونُ تَحْتَ نِجَافِ الْجَنَّةِ، فَأَنْظُرُ إِلَى أَهْلِهَا، فَيَقْدِمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، فَيَرَى أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ ادْخُلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَدْخُلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ: هَذَا لِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيُذَكِّرُهُ اللَّهُ سَلِّ مِنْ كَذَا سَلِّ مِنْ كَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: هُوَ لَكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَبَدُّرُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ لَهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ، فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ^{٥٦} " ٥٦

^{٥٣} - صحيح مسلم (٤٨٥)

^{٥٤} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٤٦) (٧٤٢٦) صحيح

^{٥٥} - صحيح مسلم (٤٨٢)

^{٥٦} - مسند أبي عوانة (٣١٦) صحيح

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قَبْلَ الْجَنَّةِ، وَمِثْلَ لَهُ شَجَرَةٌ ذَاتُ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيُّ رَبٍّ قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا، فَقَالَ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَقَالَ: لَا، وَعَزَّتْكَ، فَقَدَّمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، وَمِثْلَ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى ذَاتُ ظِلٍّ وَثَمَرَةٍ، فَقَالَ: أَيُّ رَبٍّ قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ لَأَكُونَ فِي ظِلِّهَا وَأَكُلَ مِنْ ثَمَرِهَا، فَقَالَ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ أَنْ أُعْطِيكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَقَالَ: لَا، وَعَزَّتْكَ، فَقَدَّمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، فَمِثْلُ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى ذَاتُ ظِلٍّ وَثَمَرٍ وَمَاءٍ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا، وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا، وَعَزَّتْكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَقَدِّمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا.

قَالَ: فَيَبْرُزُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَأَكُونُ تَحْتَ نَجَافِ الْجَنَّةِ وَأَنْظُرُ إِلَى أَهْلِهَا، فَيَقَدِّمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، فَيَرَى أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَيَدْخُلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ: هَذَا لِي وَهَذَا لِي، فَيَقُولُ اللَّهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، وَيَذْكُرُهُ اللَّهُ: سَلْ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِي، قَالَ اللَّهُ: هُوَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَكَ لَنَا، وَاخْتَارَنَا لَكَ، فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ. ^{٥٧}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: "أَخْبَرُ رَجُلَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنَ النَّارِ يَقُولُ اللَّهُ لِأَحَدِهِمَا: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَعْدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ؟ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ رَجَوْتَنِي؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ أَشَدُّ حَسْرَةً. وَيَقُولُ لِلْآخَرِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَعْدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ؟ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ رَجَوْتَنِي؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَرْجُوكَ". قَالَ: "فَتَرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَقْرَنِي تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَكُلَ مِنْ ثَمَرِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، فَيَقْرَهُ تَحْتَهَا، ثُمَّ يَرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، وَأَغْدَقُ مَاءً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَقْرَنِي تَحْتَهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا [وَأَكُلَ مِنْ ثَمَرِهَا]، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟" فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا [فَيَقْرَهُ تَحْتَهَا]، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا [ثُمَّ يَرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، وَأَغْدَقُ مَاءً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذِهِ [لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ف] أَقْرَنِي تَحْتَهَا [فَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَكُلَ مِنْ ثَمَرِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ: ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا]، فَيُذْنِبُهُ تَحْتَهَا وَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا. فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَا يَتِمَالِكُ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - سَلْ وَتَمَنَّ، فَيَسْأَلُ وَيَتَمَنَّى مِقْدَارَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَيُلْقِنُهُ اللَّهُ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، فَيَسْأَلُ وَيَتَمَنَّى، فَإِذَا فَرَغَ قَالَ: [ابْنَ آدَمَ] لَكَ مَا سَأَلْتَ". قَالَ

أَبُو سَعِيدٍ: "وَمِثْلُهُ مَعَهُ". وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ مَعَهُ". فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: حَدَّثَ بِمَا سَمِعْتَ، وَأُحَدِّثُ بِمَا سَمِعْتُ.^{٥٨}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ رَجُلٍ خَرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ خَرَجَ زَحْفًا، فَقِيلَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَدْخُلُ، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ أَخَذَ النَّاسُ الْمَنَازِلَ، فَيَقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: تَمَنَّهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، تَنَافَسَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَضَافِقُوا فِيهَا، فَأَنَا أَسْأَلُكَ مِثْلَهَا، فَيَقُولُ: لَكَ مِثْلُهَا وَعَشْرَةٌ أَضْعَافِ ذَلِكَ، فَهُوَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا.^{٥٩}

وَعَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاحِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ الْقَضَاءِ"، قَالَ: "وَيَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّ مِنَ الْعَمَامِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْكُرْسِيِّ، ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ أَيُّهَا النَّاسُ: أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا أَنْ يُوَلِّيَ كُلَّ نَاسٍ مِنْكُمْ مَا كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ وَيَعْبُدُونَ فِي الدِّينِ، أَلَيْسَ ذَلِكَ عَدْلًا مِنْ رَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى"، قَالَ: "فَلْيَنْطَلِقْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا"، قَالَ: "فَيَنْطَلِقُونَ وَيُمَثِّلُ لَهُمْ أَشْيَاءَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَلِقُ إِلَى الشَّمْسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَلِقُ إِلَى الْقَمَرِ، وَإِلَى الْأَوْثَانِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَشْبَاهِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ"، قَالَ: "وَيُمَثِّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عِيسَى شَيْطَانُ عِيسَى، وَيُمَثِّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عَزِيرًا شَيْطَانُ عَزِيرٍ، وَيَبْقَى مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ"، قَالَ: "فَيُمَثِّلُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ: مَا لَكُمْ لَا تَنْطَلِقُونَ كَمَا انْطَلَقَ النَّاسُ؟"، قَالَ: "فَيَقُولُونَ إِنَّ لَنَا إِلَهًا مَا رَأَيْنَاهُ بَعْدُ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنْ بَيَّنَّا وَبَيَّنَّهِ عِلَامَةً إِذَا رَأَيْنَاهَا عَرَفْنَاهَا، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا هِيَ؟ فَيَقُولُونَ: يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ"، قَالَ: "فَعِنْدَ ذَلِكَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَيَخْرُ كُلُّ مَنْ كَانَ بَظْهَرِهِ طَبَقٌ، وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَصِيَاصِي الْبَقَرِ يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ، وَقَدْ كَانَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ، فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ أَصْعَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ يَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا أَصْعَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلًا يُعْطَى نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيَفِيءُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طَفَى قَامَ"، قَالَ: "وَالرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزَلَةٍ"، قَالَ: "وَيَقُولُ: مُرُّوا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدَرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي أُعْطِيَ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدْيِهِ وَرِجْلَيْهِ تَخِرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلُقُ رِجْلٌ، وَيُصِيبُ

^{٥٨} - مسند أحمد (١٢٠٢٧) حسن

^{٥٩} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٤٧) (٧٤٢٧) صحيح

جَوَانِبُهُ النَّارُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ، فَإِذَا خَلَصَ وَقَفَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا أَنْ نَجَانِي مِنْهَا بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُهَا، قَالَ: "فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى غَدِيرٍ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَعْتَسِلُ فَيَعُودُ إِلَيْهِ رِيحُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالْوَأْنِهِمْ، فَيَرَى مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ خِلَالِ الْبَابِ فَيَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَسْأَلُ الْجَنَّةَ، وَقَدْ نَجَّيْتُكَ مِنَ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابًا لَا أَسْمَعُ حَسِيسَتَهَا"، قَالَ: "فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ"، قَالَ: "فَيَرَى أَوْ يُرْفَعُ لَهُ مَنْزِلٌ أَمَامَ ذَلِكَ كَأَنَّمَا هُوَ فِيهِ إِلَيْهِ حُلْمٌ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْطِنِي ذَلِكَ الْمَنْزِلَ، فَيَقُولُ لَهُ: فَلَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَه تَسْأَلُ غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَهُ، وَأَيُّ مَنْزِلٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنْهُ، قَالَ: وَيَرَى أَوْ يُرْفَعُ لَهُ أَمَامَ ذَلِكَ مَنْزِلٌ آخَرُ كَأَنَّمَا هُوَ إِلَيْهِ حُلْمٌ، فَيَقُولُ: أَعْطِنِي ذَلِكَ الْمَنْزِلَ، فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: فَلَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَه تَسْأَلُ غَيْرَهُ، قَالَ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَهُ، وَأَيُّ مَنْزِلٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنْهُ، قَالَ: فَيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُ ثُمَّ يَسْكُتُ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا لَكَ لَا تَسْأَلُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ سَأَلْتُكَ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُكَ، وَأَفْسَمْتُ لَكَ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَلَمْ تَرْضَ أَنْ أُعْطِيَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا مُنْذُ خَلَقْتُهَا إِلَى يَوْمِ أَفْنَيْتَهَا وَعَشْرَةَ أَضْعَافِهِ؟ فَيَقُولُ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي، وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ، فَيَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْلِهِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ إِذَا بَلَغَ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ضَحِكَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَدْ سَمِعْتُكَ تُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ مَرَارًا كَلِمًا بَلَغَتْ هَذَا الْمَكَانَ ضَحِكْتَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ مَرَارًا كَلِمًا بَلَغَ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ضَحِكَ حَتَّى تَبْدُو أَضْرَاسُهُ، قَالَ: "فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَكِنِّي عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ، سَلْ، فَيَقُولُ: الْحَقْنِي بِالنَّاسِ، فَيَقُولُ: الْحَقِّ النَّاسَ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ يَرْمُلُ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّاسِ رُفِعَ لَهُ قَصْرٌ مِنْ دُرَّةٍ فَيَخْرُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ مَا لَكَ؟ فَيَقُولُ: رَأَيْتُ رَبِّي أَوْ تَرَأَى لِي رَبِّي فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّمَا هُوَ مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِكَ، قَالَ: ثُمَّ يَلْقَى رَجُلًا فَيَهَيِّئُ لِلْسُّجُودِ لَهُ فَيُقَالُ لَهُ: مَهْ، مَا لَكَ؟ فَيَقُولُ: رَأَيْتُ أَنَّكَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ مِنْ خِزَانِكَ، عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِكَ تَحْتَ يَدَيِ أَلْفِ قَهْرَمَانٍ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ أَمَامَهُ حَتَّى يَفْتَحَ لَهُ الْقَصْرَ، قَالَ: "وَهُوَ فِي دُرَّةٍ، مُجَوَّفَةٍ سَقَائِفُهَا، وَأَبْوَابُهَا، وَأَغْلَاقُهَا، وَمَقَاتِيحُهَا مِنْهَا تَسْقُبُهَا جَوْهَرَةٌ خَضِرَاءُ مُبْطَنَةٌ بِحُمْرَاءَ كُلِّ جَوْهَرَةٍ تُفْضِي إِلَى جَوْهَرَةٍ عَلَى غَيْرِ لَوْنٍ الْآخَرَى فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ سُورٌ وَأَزْوَاجٌ، وَوَصَائِفُ أَذْنَاهُنَّ حَوْرَاءُ عَيْنَاءُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُلِّهَا، كِبِدُهَا مِرْأَتُهُ وَكِبِدُهُ مِرْأَتُهَا، إِذَا أَعْرَضَ عَنْهَا إِعْرَاضَةً زِدَادَتْ فِي عَيْنِهِ سَبْعِينَ ضِعْفًا عَمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِذَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ إِعْرَاضَةً زِدَادَ فِي عَيْنِهَا سَبْعِينَ ضِعْفًا عَمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ لَهَا: وَاللَّهِ لَقَدْ زِدَدْتَ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفًا، وَتَقُولُ لَهُ: وَأَنْتَ وَاللَّهِ لَقَدْ زِدَدْتَ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَشْرِفُ، قَالَ: فَيُشْرِفُ، فَيُقَالُ لَهُ: مُلْكُكَ مَسِيرَةٌ مِائَةِ عَامٍ يَنْفُذُهُ بَصَرُهُ".

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يُحَدِّثُنَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ يَا كَعْبُ عَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا، فَكَيْفَ أَعْلَاهُمْ، فَقَالَ كَعْبُ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ دَارًا

فَجَعَلَ فِيهَا مَا شَاءَ مِنَ الْأَزْوَاجِ، وَالشَّمَرَاتِ، وَالْأَشْرَبَةِ، ثُمَّ أَطْبَقَهَا، ثُمَّ لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَا جِبْرِيلُ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ: "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [السجدة: ١٧]، قَالَ: "وَخَلَقَ دُونَ ذَلِكَ جَنَّتَيْنِ وَزَيْنَهُمَا بِمَا شَاءَ وَأَرَاهُمَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ نَزَلَ تِلْكَ الدَّارَ الَّتِي لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ لَيَخْرُجُ فَيَسِيرُ فِي مَلَكِهِ فَمَا تَبْقَى خِيَمَةٌ مِنْ خِيَمِ الْجَنَّةِ إِلَّا دَخَلَهَا مِنْ ضَوْءٍ وَجْهَهُ فَيَسْتَبْشِرُونَ بِرِيحِهِ، فَيَقُولُونَ: وَاهَا لِهَذَا الرِّيحِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ، قَدْ خَرَجَ يَسِيرُ فِي مَلَكِهِ"، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ قَدْ اسْتَرْسَلَتْ وَأَقْبَضَتْهَا، فَقَالَ كَعْبٌ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لِحَبْنَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَزُفْرَةٌ مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ إِلَّا يَخْرُ لِرُكْبَتَيْهِ، حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ لَيَقُولُ: رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي، حَتَّى لَوْ كَانَ لَكَ عَمَلٌ سَبْعِينَ نَبِيًّا إِلَى عَمَلِكَ لَطَنَنْتَ أَتَكَ لَا تَنْجُو" ٦٠

- الغمام: السحاب - الأوثان: جمع وثن وهو الصنم، وقيل: الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة، كصورة الآدمي تُعمل وتُنصب فتُعبد وقد يُطلق الوثن على غير الصورة، والصنم: الصورة بلا جثة - الدحض: الدحض والمزلة بمعنى واحد. وهو الموضع الذي نزل فيه الأقدام ولا تستقر - مزلة: تتزلق فيه الأقدام - استحيا: انقبض وانزوى - القهرمان: الخازن الأمين المحافظ على ما في عهده - مخوفة: مفرغة - الحلة: ثوبان من جنس واحد - الحلل: جمع الحلة وهي ثوبان من جنس واحد - الإعراض: الصد والانصراف - أشرف: أطل وأقبل واقترب وعلا ونظر وتطلع - عليون: اسم للسماء السابعة، وقيل: هو اسم لديوان الملائكة الحفظة، تُرفع إليه أعمال الصالحين من العباد، وقيل: أراد أعلى الأمكنة وأشرف المراتب من الله في الدار الآخرة.

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «هذا الحديث مما هيب القول فيه شيوخنا، فأجروه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معناه، على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب، وقد تأوله بعضهم على معنى قوله: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} (٤٢) سورة القلم، فروي عن ابن عباس أنه قال: عن شدة وكرب. قال أبو سليمان: فيحتمل أن يكون معنى قوله: «يوم يكشف ربنا عن ساقه». أي عن قدرته التي تنكشف عن الشدة والمعرفة ٦١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ مَرَّةً، وَيَكْبُو أُخْرَى، وَيَمْشِي مَرَّةً وَيَجْبُو أُخْرَى، وَتَصْنَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا جَاوَزَهَا التَّفَّتْ إِلَيْهَا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ لَقَدْ أَعْطَانِي شَيْئًا لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَلَكِنْ يُعْطِيهِ أَحَدًا مِنَ الْآخِرِينَ قَالَ: وَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ أَذْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَلَا أَشْرَبَ مِنْ

٦٠ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٨ / ص ٣٠٥) (٩٦٤٧ ٩٦٤٨) صحيح

٦١ - الأسماء والصفات للبيهقي - (ج ٢ / ص ٢٨٧)

مَائِهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أُعْطِيتُكَهَا أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْدُرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا فَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا وَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، فَيُتْرَفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَذْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَلَا أَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيُّ رَبِّ، وَلَكِنْ هَذِهِ فَأَذْنِي لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَلَأَسْتَظِلَّ بِهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيُتْرَفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَذْنِي مِنْ هَذِهِ فَلَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَلَا أَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ هَذِهِ فَلَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَسْأَلُهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْدُرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَيْرَضِيكَ أَنْ أُعْطِيكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَضْحَكُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّا ضَحِكْتُ ؟ قَالُوا: وَمِمَّ ضَحِكْتُ ؟ فَقَالَ: هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ ؟ قَالُوا: وَمِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: مَنْ ضَحِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ^{٦٢}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنْ آخَرَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ، فَهُوَ يَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ أُخْرَى حَتَّى إِذَا حَاوَزَهَا التَّفَتَ إِلَيْهَا، فَيَقُولُ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْهَا فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ: ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَذْنِي مِنْهَا لَعَلِّي أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أُعْطِيتُكَه سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ فَاعِلُهُ لَمَّا يَرَى مِمَّا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَذْنِي مِنْهَا فَلَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ: أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَذْنِي مِنْهَا فَلَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا فَيُدْنِيهِ، مِنْهَا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَسْأَلُهُ غَيْرَهَا لَمَّا يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَيُتْرَفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَذْنِي مِنْهَا فَلَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ: أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَذْنِي مِنْهَا، فَإِذَا دَنَا مِنْهَا سَمِعَ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: أَيْرَضِيكَ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْ أُعْطِيكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا

مَعَهَا، فَيَقُولُ: أَتُسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ، قَالَ: فَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِذَا ذَكَرَ قَوْلَهُ: أَتُسْتَهْزِئُ بِي؟ ضَحِكَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّا أَضْحَكُ؟ فَقِيلَ: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَحِكَ.^{٦٣}

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ آخِرَ رَجُلٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَتَقَلَّبُ عَلَى الصِّرَاطِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، كَالْعُلَامِ يَضْرِبُهُ أَبُوهُ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ يَعْجِزُ عَنْهُ عَمَلُهُ أَنْ يَسْعَى، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ بَلِّغْ بِيَ الْجَنَّةَ، وَنَجِّنِي مِنَ النَّارِ، فَيُوحِي اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: عَبْدِي إِنَّ أَنَا نَجَّيْتُكَ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلْتُكَ الْجَنَّةَ، أَتَعْتَرِفُ لِي بِذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ؟ فَيَقُولُ الْعَبْدُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، وَعَزَّتِكَ وَجَلَالُكَ لَنْ تُنَجِّنِي مِنَ النَّارِ لِأَعْتَرَفْتُ لَكَ بِذُنُوبِي وَخَطَايَايَ، فَيَجُوزُ الْجِسْرَ، وَيَقُولُ الْعَبْدُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: لَنْ أَعْتَرَفْتُ لَهُ بِذُنُوبِي وَخَطَايَايَ لِيرُدَّنِي إِلَى النَّارِ، فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ: عَبْدِي، اعْتَرِفْ لِي بِذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ، أَعْفِرُهَا لَكَ وَأَدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ: لَا، وَعَزَّتِكَ مَا أَذْنَبْتُ ذَنْبًا قَطُّ، وَلَا أَخْطَأْتُ خَطِيئَةً قَطُّ، فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ: عَبْدِي إِنَّ لِي عَلَيْكَ بَيْنَةً، فَيَلْتَفِتُ الْعَبْدُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى أَحَدًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَرِنِي بَيِّنَتَكَ، فَيَسْتَنْطِقُ اللَّهُ جِلْدَهُ بِالْمُحَقَّرَاتِ، فَإِذَا رَأَى ذَلِكَ الْعَبْدُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، عِنْدِي وَعَزَّتِكَ الْعِظَائِمُ الْمُضْمَرَاتُ، فَيُوحِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ عَبْدِي، أَنَا أَعْرَفُ بِهَا مِنْكَ، اعْتَرِفْ لِي بِهَا، أَعْفِرُهَا لَكَ، وَأَدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، فَيَعْتَرِفُ الْعَبْدُ بِذُنُوبِهِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، يَقُولُ: هَذَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، فَكَيْفَ بِالَّذِي فَوْقَهُ؟".^{٦٤}

"العظائم المضمورات": الخفية التي لم يطلع عليها أحد غير الله .

قال الحافظ المنذري: ولا منافاة بين هذه الأحاديث ؛لأنه قال في حديث أبي سعيد أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم، وقال في حديث أنس من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، وفي حديث أبي هريرة من يغدو عليه ويروح خمسة عشر ألف خادم .
فيجوز أن يكون له ثمانون ألف خادم يقوم على رأسه منهم عشرة آلاف ويغدو عليه منهم كل يوم خمسة عشر ألفا والله سبحانه أعلم.

المبحث السادس

بعض من نص على أنه من أهل الجنة

^{٦٣} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٥٥) (٧٤٣٠) صحيح

^{٦٤} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٧ / ص ١٧١) (٧٥٦٧) فيه مجاهيل

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير مع الملائكة بجناحين^{٦٥}

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت جعفر بن أبي طالب، ملكاً يطير في الجنة، ذا جناحين يطير بهما، حيث يشاء مقصوصةً قوادمه بالدماء^{٦٦}.

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره^{٦٧}

وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قال إني إمام جابر، فأمره ونهاه فقتله^{٦٨}

وعن عبد الله بن محمد بن عفيف، قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول: فقد رسول الله ﷺ يوم أحد حمزة حين فاء الناس من القتال، قال: فقال رجل: رأيته عند تلك الشجرة، وهو يقول: أنا أسد الله، وأسد رسوله، اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء لأبي سفيان وأصحابه، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء من انهزامهم، فسار رسول الله ﷺ نحوه، فلما رأى جبهته بكى، ولما رأى ما مثل به شهق، ثم قال: ألا كفن؟ فقام رجل من الأنصار فرمى بثوب، قال جابر: فقال رسول الله ﷺ: سيّد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة^{٦٩}

عبد الله بن سلام رضي الله عنه، فعن يزيد بن عَميرة، أن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة، قالوا: يا أبا عبد الرحمن أوصنا، قال: اجلسوني، ثم قال: إن العمل والإيمان مظاهرتان من التمسهما وجدتهما، والعلم والإيمان مكانتهما من التمسهما وجدتهما، فالتمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم، فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إنه عاشر عشرة في الجنة^{٧٠}.

وعن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: عبد الله بن سلام عاشر عشرة في الجنة^{٧١}.

وعن ابن سيرين، قال: قال قيس بن عباد: كنت في حلقة فيها سعد بن مالك، وابن عمر، فمر عبد الله بن سلام، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فتبعته، فقلت له: إنهم قالوا: كذا وكذا، قال: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّ عَمُودًا وُضِعَ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فَنُصِبَ

٦٥ - المستدرك للحاكم (٤٩٣٥) صحيح لغيره

٦٦ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٢ / ص ١٣٢) (١٤٤٩) صحيح لغيره

٦٧ - المستدرك للحاكم (٤٨٩٠) صحيح

٦٨ - المستدرك للحاكم (٤٨٨٤) صحيح لغيره

٦٩ - المستدرك للحاكم (٤٩٠٠) حسن

٧٠ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ١٢٢) (٧١٦٥) صحيح

٧١ - مسند الشاميين (١٦٣٧) صحيح

فِيهَا، وَفِي وَسْطِهَا عُرْوَةٌ، وَفِي أَسْفَلِهَا مَنْصَفٌ مِثْلُ مَنْصَفِ الْوَصِيفِ، فَقِيلَ لِي: ارْقُهُ، فَرَقَيْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَمُوتُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى" ٧٢

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَتَجَوَّزَ فِيهِمَا عَلَيْهِ أَثَرٌ مِنَ الْخُشُوعِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ هَذَا، فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَلِكَ، "إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ، فَذَكَرْتُ مِنْ سَعَتِهَا، وَحُسْنِهَا، وَخَصَرِهَا، فِي وَسْطِهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ، فِي رَأْسِهِ عُرْوَةٌ، فَقَالَ لِي: اصْعَدْ، فَقُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي مُنْصِيبٌ، فَقَالَ بَنِيَّابِي مِنْ حَلْفِي، فَصِرْتُ فِي أَعْلَاهَا، فَقَالَ: اسْتَمْسِكْ، فَاسْتَيْقِظْتُ، وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "الرَّوْضَةُ: الْإِسْلَامُ، وَالْعَمُودُ: عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَالْعُرْوَةُ: الْوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ". فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ" ٧٣

وَعَنْ خُرَّشَةَ بْنِ الْحُرِّ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى مَشِيخَةٍ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ شَيْخٌ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا لَهُ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَامَ خَلْفَ سَارِيَةِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: "زَعَمَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَنَّكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: الْجَنَّةُ لِلَّهِ، يُدْخِلُهَا مَنْ يَشَاءُ، وَإِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، رَأَيْتُ كَأَنَّ رَجُلًا أَتَانِي، فَقَالَ لِي: انْطَلِقْ، فَذَهَبَ بِي، فَأَخَذَنِي مَنَهْجًا عَظِيمًا، فَعَرَضْتُ لِي طَرِيقٌ عَنْ يَسَارِي، فَأَرَدْتُ أَسْأَلُكُمَا، فَقَالَ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا، ثُمَّ عَرَضْتُ لِي طَرِيقٌ أُخْرَى عَنْ يَمِينِي فَسَلَكْتُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى جَبَلٍ زَلَقٍ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَزَجَلَ بِي، فَإِذَا أَنَا عَلَى ذُرْوَتِهِ، فَلَمْ أَتَقَارَّ وَلَمْ أَتَمَلَّكْ، وَإِذَا أَنَا بِعَمُودٍ فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَزَجَلَ بِي حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "رَأَيْتُ خَيْرًا، أَمَّا الْمَنَهْجُ الْعَظِيمُ: فَالْمَحْشَرُ، وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي عَرَضْتَ لَكَ عَنْ يَسَارِكَ: فَطَرِيقُ أَهْلِ النَّارِ، وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي عَرَضْتَ لَكَ عَنْ يَمِينِكَ: فَطَرِيقُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الْجَبَلُ الزَّلَقُ: فَمَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ، وَأَمَّا الْعُرْوَةُ الَّتِي اسْتَمْسَكْتَ بِهَا: فَعُرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَأَنْتَ مُسْتَمْسِكٌ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَتَّى تَمُوتَ". وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ" ٧٤

وَعَنْ خُرَّشَةَ بْنِ الْحُرِّ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي حَلَقَةٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فِيهَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ حَدِيثًا حَسَنًا، فَلَمَّا قَامَ، قَالَ الْقَوْمُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ

٧٢ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٨ / ص ٤٤١) (١٥٤) صحيح

٧٣ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٨ / ص ٤٤٢) (١٥٥) صحيح

٧٤ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٨ / ص ٤٤٥) (١٥٩) صحيح لغيره

الْجَنَّةَ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا تُبْعَثُهُ، فَلَا أَعْلَمَنَّ مَكَانَ بَيْتِهِ، قَالَ: فَتَبِعْتُهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَاسْتَأْذَنْتُ، فَأَذِنَ لِي، فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي، قُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ يَقُولُونَ لَكَ لَمَّا قُتِمَتْ: مَنْ سِرُّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، فَأَعْجَبَنِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ، قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُحَدِّثُكَ مِمَّ قَالُوا ذَلِكَ: إِنِّي بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي آتٌ، فَقَالَ: قُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَإِذَا أَنَا بِجَوَادٍ عَلَى شِمَالِي، فَذَهَبْتُ لِأَخْذِ فِيهَا، فَقَالَ لِي: لَا تَأْخُذْ فِيهَا، فَإِنَّهَا طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، وَإِذَا جَوَادٌ عَلَى يَمِينِي، فَقَالَ لِي: خُذْ هَاهُنَا، فَأَتَيْنَا جَبَلًا، فَقَالَ: اصْعَدْ فَوْقَ هَذَا، فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ عَلَى اسْتِي، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَارًا، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي عَمُودًا رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، فِي أَعْلَاهُ حَلَقَةٌ، فَقَالَ لِي: اصْعَدْ إِلَى فَوْقِ هَذَا، قُلْتُ: كَيْفَ أَصْعَدُ فَوْقَ هَذَا وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَلَ بِي، فَإِذَا أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالْحَلَقَةِ، ثُمَّ صَرَفَ الْعَمُودَ، فَخَرَّ، وَبَقِيَتْ مُتَعَلِّقًا بِالْحَلَقَةِ حَتَّى الصُّبْحِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، قَالَ: "الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِكَ، فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، وَأَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ، فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَمَّا الْجَبَلُ: فَهُوَ مَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ، وَلَكِنْ تَنَالَهُ، وَأَمَّا الْعَمُودُ، فَهُوَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْعُرْوَةُ: فَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ تَزَالُ مُتَمَسِّكًا بِهَا حَتَّى تَمُوتَ" ٧٥

زيد بن حارثة رضي الله عنه، فعن ابن بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَةُ؟ قَالَتْ: لَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَشَّرَهُ بِهَا حِينَ أَصْبَحَ ٧٦
قادة غزوة مؤتة الثلاث، فعن عباد بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الَّذِي أَرْضَعَنِي، وَكَانَ أَحَدَ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْعَزَاةِ غَزْوَةُ مُؤْتَةَ، قَالَ: وَاللَّهِ، لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى جَعْفَرٍ حِينَ افْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شِقْرَاءُ، ثُمَّ عَقَرَهَا، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرٌ، أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ، وَيَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ قَالَ:

أَفْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ لَتَنْزِلَنَّهُ طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرِهَنَّهُ
مَالِي أَرَاكَ تُكْرِهِينَ الْجَنَّةَ إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ
لَطَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتَ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

يَا نَفْسُ إِنْ لَمْ تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَبَتْ
وَمَا تَمَنَّيْتُ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فَعَلُهُمَا هُدَيْتِ

٧٥ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٨ / ص ٤٤٦) (١٦٠) صحيح

٧٦ - الأحاد والمثاني (٢٥٦) صحيح

يَعْنِي: صَاحِبِيهِ زَيْدًا، وَجَعَفَرًا. ثُمَّ نَزَلَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ ابْنُ عُمَرَ لَهُ بَعْظُمٌ مِنْ لَحْمٍ، فَقَالَ: اشْدُدْ بِهِذَا صُلْبَكَ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ أَيَّامَكَ هَذِهِ مَا قَدْ لَقِيتَ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَنْتَهَشَ مِنْهُ نَهْشَةً، ثُمَّ سَمِعَ الْحُطْمَةَ فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ، فَقَالَ: وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ أَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ، فَتَقَدَّمَ، فَقَاتَلَ، حَتَّى قُتِلَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ أَحَدُ بَلْعَجَلَانَ، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، قَالُوا: أَنْتَ. قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمُ، ثُمَّ انْحَارَ، حَتَّى انْصَرَفَ بِالنَّاسِ، وَلَمَّا أُصِيبُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا". ثُمَّ صَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَجُوهُ الْأَنْصَارِ، وَظَنُّوا أَنَّهُ كَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ، قَالَ: "ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا"، ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ رَفَعُوا لِي فِي الْجَنَّةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَرَأَيْتُ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ اِزْوَارًا عَنْ سَرِيرِي صَاحِبِيهِ، فَقُلْتُ: بِمِ هَذَا؟ فَقِيلَ لِي: مَضِيًّا، وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، وَمَضَى".^{٧٧}

الرجل الأسود، فَعَنَ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ، مُنْتَنٍ الرِّيحَ، قَبِيحُ الْوَجْهِ، لَا مَالَ لِي، فَإِنْ أَنَا قَاتَلْتُ هَؤُلَاءِ حَتَّى أُقْتَلَ، فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: فِي الْجَنَّةِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ بَيَّضَ اللَّهُ وَجْهَكَ، وَطَيَّبَ رِيحَكَ، وَأَكْثَرَ مَالَكَ، وَقَالَ لِهَذَا أَوْ لِعَیْرِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُ زَوْجَتَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، نَارَ عَتَةِ جَبَّةٍ لَهُ مِنْ صُوفٍ، تَدْخُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَّتِهِ^{٧٨} عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ، فَعَنَ أَشْيَاخُ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ قَالُوا: كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنُونَ شَبَابٌ يَغْزُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذَا غَزَا فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَتَوَجَّهَ إِلَى أَحَدٍ قَالَ لَهُ بَنُوهُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً فَلَوْ قَعَدْتَ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْجِهَادَ فَأَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَنِي هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ فَأَطَأَ بِرُجْرَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْجِهَادَ». وَقَالَ لِبَنِيهِ: «وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوهُ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ؟». فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَتَلَ يَوْمَ أَحَدٍ شَهِيدًا.^{٧٩}

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ، قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟ وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرَجَاءَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : نَعَمْ، فَقَتِلُوا يَوْمَ أَحَدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ، وَمَوْلَى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -

^{٧٧} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٨ / ص ٤٧٤) (١٩٦) حسن

^{٧٨} - المستدرک للحاکم (٢٤٦٣) صحيح

^{٧٩} - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٩ / ص ٢٤) (١٨٢٧٧) حسن

- ﷺ -، فَقَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرَجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةٌ فِي الْجَنَّةِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجَعَلُوا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ.^{٨٠}

وعن جابر، قال: جَاءَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ الْيَوْمَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ: يَا عَمْرُو، لَا تَأَلَّ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَمْرُو، فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ: مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ، يَخُوضُ فِي الْجَنَّةِ بَعْرَجَتِهِ.^{٨١}

زيد بن عمرو بن نفيل: روى ابن عساكر عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ لَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ دَرَجَتَيْنِ)^{٨٢}، وزيد هذا كان يدعو إلى التوحيد في الجاهلية، وكان على الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام

الرميصاء أم أنس بن مالك، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ حَشْخَشَةً بَيْنَ يَدَيَّ فَإِذَا هِيَ الْغُمَيْصَاءُ بَنْتُ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ »^{٨٣}.
وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ حَشْخَشَةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بَنْتُ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ »^{٨٤}.

بلال المؤذن، فعَنْ بُرَيْدَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ حَشْخَشَةً أَمَامِي، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: بِلَالٌ، فَأَخْبَرَهُ، وَقَالَ: بِمِ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ، وَلَا تَوَضَّأْتُ إِلَّا رَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَكْعَتَيْنِ أُصَلِّيهِمَا قَالَ: بِهَا^{٨٥}

وعَنْ بُرَيْدَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ حَشْخَشَةً أَمَامِي حِينَ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: بِلَالٌ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: بِمِ تَسْبِقُنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ، وَلَا تَوَضَّأْتُ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَى أَثَرِ الْوُضُوءِ رَكْعَتَيْنِ.^{٨٦}

وعَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ إِلَّا سَمِعْتُ حَشْخَشَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: بِلَالٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِقَصْرِ مُشَيْدٍ بَدِيعٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، فَقُلْتُ: أَنَا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِبِلَالٍ: بِمِ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ، وَمَا تَوَضَّأْتُ

^{٨٠} - غاية المقصد في زوائد المسند (٣٧٩٧) صحيح

^{٨١} - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٤٩٣) (٧٠٢٤) صحيح

^{٨٢} - أخرجه: ابن عساكر (٥١٢/١٩) والصحيحة (١٤٠٦) وصحيح الجامع (٣٣٦٧) حسن

^{٨٣} - مسند أحمد (١٢٢٧٩) صحيح - الحشخشة: صوت احتكاك الشيء اليابس

^{٨٤} - صحيح مسلم (٦٤٧٤) - الحشخشة: حركة المشى وصوته

^{٨٥} - الأحاد والمثاني (٢٦٣) صحيح

^{٨٦} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١ / ص ٤٣٥) (١٠٠٥) صحيح

إِلَّا صَلَّيْتُ، وَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا غَيْرُكَ لَدَخَلْتُ الْقَصْرَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَكُنْ لِأَغَارَ عَلَيْكَ.^{٨٧}

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ خَشْفَةً أَمَامِي، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا بِلَالٌ».^{٨٨}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ - دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَسَمِعَ وَجْسًا، فَقَالَ: "يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟" قَالَ: هَذَا بِلَالُ الْمُؤَدَّنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - لِلنَّاسِ حِينَ جَاءَ: "قَدْ أَفْلَحَ بِلَالٌ، رَأَيْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا"^{٨٩}.

حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، كَذَا كُمْ الْبِرُّ، كَذَا كُمْ الْبِرُّ، كَذَا كُمْ الْبِرُّ، وَكَانَ بَرًّا بِأُمَّه^{٩٠}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا أمشي في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان، كذلكم البر كذلكم البر»^{٩١} البر: اسم جامع لكل معاني الخير والإحسان والصدق والطاعة وحسن الصلة والمعاملة

أبو الدَّحْدَاح: روى مسلم في صحيحه عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَلَى ابْنِ الدَّحْدَاحِ ثُمَّ أَتَى بَفَرَسٍ عُرِيٍّ فَعَقَلَهُ رَجُلٌ فَرَكِبَهُ فَجَعَلَ يَتَوَقَّصُ بِهِ وَنَحْنُ نَتَّبِعُهُ نَسْعَى خَلْفَهُ - قَالَ - فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ «كَمْ مِنْ عَذْقٍ مُعَلَّقٍ - أَوْ مُدْلَى - فِي الْجَنَّةِ لِابْنِ الدَّحْدَاحِ». أَوْ قَالَ شُعْبَةُ «لَأَبِي الدَّحْدَاحِ»^{٩٢}.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً وَأَنَا أَقِيمُ حَائِطِي بِهَا فَأَمُرُهُ أَنْ يُعْطِيَنِي إِيَّاهَا حَتَّى أَقِيمَ بِهَا حَائِطِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطَاهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَأَتَى أَبُو الدَّحْدَاحِ الرَّجُلَ، فَقَالَ: بَعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي، فَفَعَلَ، فَأَتَى أَبُو الدَّحْدَاحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي، فَاجْعَلْهَا لِي وَقَدْ أُعْطِيْتُكَهَا، فَقَالَ رَسُولُ

^{٨٧} - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٥٦١) (٧٠٨٦) صحيح

^{٨٨} - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٥٥٩) (٧٠٨٤) صحيح

^{٨٩} - مسند أحمد (٢٣٦٦) والصحيحة (١٤٠٥) والاحتفاف ٢٧٩/٩ وصحيح الجامع (٣٣٧٢) صحيح لغيره

^{٩٠} - مسند أبي يعلى الموصلي (٤٤٢٥) و والحميدي (٢٨٥) ومجمع ٣١٣/٩ وصحيح الجامع (٣٣٧١) صحيح

^{٩١} - خلق أفعال العباد للبخاري (٢٤٥) صحيح

^{٩٢} - صحيح مسلم (٢٢٨٣)

العذق : غصن النخلة فيه التمر كالعنقود من العنب - العرى : لا سرج عليه - عقل : أمسكه له وحبسه - يتوقص : يتوثب ويقارب الخطو

اللَّهُ ﷺ: كَمْ مِنْ عَذَقٍ رَدَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ مَرَّارًا، فَأَتَى أَبُو الدَّحْدَاحِ امْرَأَتَهُ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ فَقَدْ بَعَثَهُ بَنَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: رِبْحَ الْبَيْعِ أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا.^{٩٣}

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا" [الحديد آية ١١]، قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ، قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ، فَتَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي، وَفِي حَائِطِي سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْحَائِطِ فَتَنَادَى يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، وَهِيَ فِي الْحَائِطِ، فَقَالَتْ: كَيْفَ؟ فَقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي.^{٩٤}

ورقة بن نوفل، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: لَا تَسْبُوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ^{٩٥}

وورقة بن نوفل آمن بالرسول ﷺ عندما جاءته خديجة بالرسول ﷺ في أول أمره، وتمنى على الله أن يدرك ظهور أمر الرسول ﷺ لينصره.

المبحث السابع

أسياد أهل الجنة

سيداً كهول أهل الجنة، فعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ.^{٩٦}

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ لَا تُخْبِرُهُمَا يَا عَلِيُّ مَا دَامَا حَيَّيْنِ»^{٩٧}.

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَا خَلَا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ.^{٩٨}

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ يَا عَلِيُّ لَا تُخْبِرُهُمَا»^{٩٩}.

^{٩٣} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٦ / ص ١٦٥) (١٨٢١٤) صحيح

^{٩٤} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٦ / ص ١٦٥) (١٨٢١٥) ومجمع الزوائد (١٠٨٧٠ و ١٥٧٩٢) صحيح لغيره

^{٩٥} - المستدرک للحاكم (٤٢١١) ومجمع ٤١٦/٩ وفتح ٧٢٠/٨ والصحيحة (٤٠٥) وصحيح الجامع (٧٣٢٠) صحيح

^{٩٦} - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٣٣٠) (٦٩٠٤) صحيح لغيره

^{٩٧} - سنن ابن ماجه (١٠٠) صحيح لغيره

^{٩٨} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٥ / ص ٤٧٨) (١٧٧١٧) صحيح لغيره

^{٩٩} - سنن الترمذی (٤٠٢٧) و (٤٠٢٨) صحيح لغيره

وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ، يَا عَلِيُّ، لَا تُخْبِرُهُمَا" ١٠٠

وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ: هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَالْآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ" ١٠١

وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ مَعَهُ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَقَالَ: هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ، ١٠٢

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - لأبي بَكْرٍ وَعُمَرُ « هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ » ١٠٣.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ" ١٠٤

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَقَالَ: هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ

أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ، لَا تُخْبِرُهُمَا يَا عَلِيُّ. ١٠٥

وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ - فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ « يَا عَلِيُّ هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَشَبَابُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَالْمُرْسَلِينَ » ١٠٦.

قال أبو جعفر: وأسنان الكهول يدخل في أسنان الشباب، لأنه يقال: شاب كهل، فيجعل كهلا وهو شاب، ولا يقال شيخ كهل، إنما يكون شيخا بعدما يخرج من التكهل، والتكهّل هو آخر مدة الشباب، ومنه قالوا: قد اكتهل هذا الزرع، يعنون: إذا بلغ الحال الذي يحصد مثله عليها، والله نسأله التوفيق ١٠٧

وَقَالَ الْجَزَرِيُّ فِي النَّهْيَةِ: الْكَهْلُ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ زَادَ عَلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَقِيلَ مِنْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ إِلَى تَمَامِ الْخَمْسِينَ، وَقَدْ اكْتَهَلَ الرَّجُلُ وَكَاهَلَ إِذَا بَلَغَ الْكُهُولَةَ فَصَارَ كَهْلًا، وَقِيلَ أَرَادَ بِالْكَهْلِ هَهُنَا الْحَلِيمُ الْعَاقِلُ أَيْ أَنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ حُلَمَاءَ عُقَلَاءَ ١٠٨.

١٠٠ - مسند أبي يعلى الموصلي (٥٣٣) صحيح

١٠١ - مسند أبي يعلى الموصلي (٦٢٤) صحيح

١٠٢ - مسند البزار (٨٣١) صحيح لغيره

١٠٣ - سنن الترمذي (٤٠٢٦) ومسند البزار (٧٢٢٤) صحيح لغيره

١٠٤ - المعجم الصغير للطبراني (٩٧٦) صحيح لغيره

١٠٥ - مسند البزار (٤٩٠) صحيح

١٠٦ - مسند أحمد (٦١٢) صحيح لغيره

١٠٧ - مشكل الآثار للطحاوي (١٦٨٠)

١٠٨ - تحفة الأحوذى - (ج ٩ / ص ٧٥)

فَاعْتَبِرْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا حَالَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ كَهْلٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { وَآتُوا
الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ } . وَقِيلَ: سَيِّدًا مَنْ مَاتَ كَهْلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا كَهْلٌ، بَلْ مَنْ
يَدْخُلُهَا ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، وَإِذَا كَانَا سَيِّدَيِ الْكُھُولِ فَمِنْ أَوْلَىٰ أَنْ يَكُونَا سَيِّدَيِ شَبَابٍ أَهْلُهَا
انْتَهَى. قُلْتُ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ: هَذَانِ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَشَبَابُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَالْمُرْسَلِينَ " ١٠٩
سَيِّدَا شَبَابٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « الْحَسَنُ
وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » ١١٠ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ إِلَّا ابْنِي الْخَالَةِ ١١١

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا ابْنِي الْخَالَةِ
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا. ١١٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَائِهِمْ، إِلَّا مَا كَانَ لِمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ. ١١٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ، وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا ١١٤

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: أَتَانِي جَبْرِيلُ ﷺ ، فَقَالَ: إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ ١١٥

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ سَأَلْتَنِي أُمِّي مَتَى عَهْدُكَ - تَعْنِي - بِالنَّبِيِّ ﷺ - . فَقُلْتُ مَا لِي بِهِ عَهْدٌ مُنْذُ كَذَا
وَكَذَا. فَتَأَلَّتْ مِنِّي فَقُلْتُ لَهَا دَعِينِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَأَصَلَّى مَعَهُ الْمَغْرِبَ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي
وَلِكِ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ - فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ فَصَلَّى حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ ثُمَّ انْقَلَبَ فَتَبِعْتُهُ فَسَمِعَ
صَوْتِي فَقَالَ « مَنْ هَذَا حُذَيْفَةُ ». قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ « مَا حَاجَتُكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلَأُمِّكَ ». قَالَ « إِنَّ
هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ اسْتَأْذَنَ رَبُّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ
نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » ١١٦ .

١٠٩ - تحفة الأحوذى - (ج ٩ / ص ٧٦)

١١٠ - سنن الترمذى (٤١٣٦) صحيح

١١١ - المستدرک للحاکم (٤٧٧٨) صحيح وقال : هَذَا حَدِيثٌ قَدْ صَحَّ مِنْ أَوْجِهٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَنَا أُنْعَجِبُ أَنَّهَا لَمْ يُخْرِجَاهُ

١١٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٤١١) (٦٩٥٩) صحيح

١١٣ - غاية المقصد في زوائد المسند (٣٧٢٤) صحيح لغيره

١١٤ - المستدرک للحاکم (٤٧٧٩) صحيح

١١٥ - المستدرک للحاکم (٥٦٣٠) صحيح

١١٦ - سنن الترمذى (٤١٥٠) حسن

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَقَالَ: عَرَضَ لِي مَلَكٌ اسْتَأْذَنَ رَبِّهِ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَبَشَّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ١١٧

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ خَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ، فَقَالَ: مَلَكٌ عَرَضَ لِي اسْتَأْذَنَ رَبِّهِ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ١١٨

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ - فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ ثُمَّ تَبِعْتُهُ وَهُوَ يُرِيدُ يَدْخُلُ بَعْضَ حُجْرِهِ فَقَامَ وَأَنَا خَلْفُهُ كَأَنَّهُ يُكَلِّمُ أَحَدًا - قَالَ - ثُمَّ قَالَ « مَنْ هَذَا ». قُلْتُ حُذَيْفَةُ. قَالَ « أَتَدْرِي مَنْ كَانَ مَعِيَ ». قُلْتُ لَا. قَالَ « فَإِنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ يُبَشِّرُنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». قَالَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ فَاسْتَغْفِرْ لِي وَلَا تُؤْمِي. قَالَ « غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا حُذَيْفَةُ وَلَا مُمَّكَ ». ١١٩.

وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ١٢٠

وقد ورد من طرق كثيرة تبلغ مبلغ التواتر ١٢١

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَقَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تَقْبَلُونَ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ عِلْمِكُمْ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كَانَ مِنْهُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَوْمَئِذٍ طِفْلَانِ لَيْسَا بِشَائِبَيْنِ، وَإِنَّمَا هَذَا الْقَوْلُ إِخْبَارٌ أَنَّهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَيْسَا حِينَئِذٍ مِنَ الشَّبَابِ؟. فَكَذَا جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ: أَنََّّهُمَا قَدْ كَانَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْقَوْلَ فِيهِمَا لَيْسَا بِشَائِبَيْنِ، كَمَا ذَكَرْتُ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى أَنََّّهُمَا سَيِّكُونَانِ شَائِبَيْنِ سَيِّدَيِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَكَانَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلْمًا مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ أَنََّّهُمَا يَكُونَانِ شَائِبَيْنِ فِي الْمُسْتَأْنَفِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ مِنْهُ إِلَّا بِإِعْلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ وَيَكُونَانِ بِهِ كَمَا قَالَ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمَا قَالَ فِيهِمَا ذَلِكَ الْقَوْلَ، إِذْ كَانَا لَوْ لَا ذَلِكَ الْقَوْلَ قَدْ يَحُوزُ عِنْدَهُ أَنْ يَمُوتَا قَبْلَ أَنْ يَكُونَا شَائِبَيْنِ، أَوْ يَمُوتَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكَمَا كَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ لَهُمَا ذَلِكَ الْقَوْلَ، فَكَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ بُلُوغِهِمَا أَنْ يَكُونَا كَمَا قَالَ، عَقَلْنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَازَ لَهُ لِإِعْلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهُ أَنَّهُ كَائِنٌ فِيهِمَا. فَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِلَّا ابْنِي

١١٧ - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٤١٣) (٦٩٦٠) صحيح

١١٨ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٢ / ص ٩٦) (٣٢٨٤١) صحيح

١١٩ - مسند أحمد (٢٤٠٣٤) صحيح

١٢٠ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٢ / ص ٩٧) (٣٢٨٤٣) صحيح لغيره

١٢١ - انظر: مجمع الزوائد (١٥٠٨٢-١٥٠٩٣)

الْخَالَةَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَيَحْيَى " فَلَا سِتْنَاءَ إِلَّا هُمَا يَوْمَئِذٍ مِنْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِتَحْقِيقِهِ الشَّبَابَ لَهُمَا؛ لَأَنَّهُمَا خَرَجَا مِنَ الدُّنْيَا وَهُمَا كَذَلِكَ، وَاللَّهُ نَسَّأُهُ التَّوْفِيقَ. " ١٢٢

سيدات نساء أهل الجنة، السيدة الفاضلة هي التي يرضى عنها ربها، ويتقبلها بقبول حسن، وأفضل النساء هن اللواتي يحزن جنات النعيم، ونساء أهل الجنة يتفاضلن، وسيدات نساء أهل الجنة: خديجة، وفاطمة، ومريم، وآسية بنت مزاحم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خطَّ رسول الله ﷺ أربعَ خطوطٍ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ مَعَ مَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهَا فِي الْقُرْآنِ، قَالَتْ رَبُّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ يَتِيمًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١٢٣

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خطَّ رسول الله ﷺ في الأرضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، وَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَامْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ١٢٤

وعن ابن عباس، قال: خطَّ رسول الله ﷺ في الأرضِ خُطُوطًا أَرْبَعَةً، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ. ١٢٥

وعن ابن عباس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، ثُمَّ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ خَدِيجَةُ، ثُمَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ. ١٢٦

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قَالَ: نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَبَشَّرَنِي ؛ أَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أُمَّتِي، وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ١٢٧

وعن عبد الله بن جعفر قال سَمِعْتُ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ » ١٢٨.

وعن عبد الله بن جعفر قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا بِالْكُوفَةِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ». وَأَشَارَ وَكَيْعَ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. ١٢٩

١٢٢ - شرح مشكل الآثار (٢٢١ / ٥)

١٢٣ - المستدرک للحاکم (٣٨٣٦) صحيح

١٢٤ - المستدرک للحاکم (٤٨٥٢) صحيح

١٢٥ - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٤٧٠) (٧٠١٠) صحيح

١٢٦ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٦ / ص ٣١٤) (١٨٥٣٦) صحيح

١٢٧ - أخرجه النسائي في "الكبرى" (١١٩٤٩) صحيح

١٢٨ - صحيح البخاري (٣٤٣٢)

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ. ١٣٠

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ. ١٣١ «

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يَقُولُ: لَقَدْ سَارَتْ أُمَّنَا مَسِيرَهَا، وَأَنَّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّنَا ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلَانَا لِيَعْلَمَ إِنِّيَاها نُطِيعُ أَوْ إِنِّيَاهُ. ١٣٢

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ غَالِبٍ، أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَائِشَةَ عِنْدَ عَلِيٍّ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ: اسْكُتْ مَقْبُوحًا مَنبُوحًا، أَتُؤْذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ١٣٣

وَعَنْ عَرِيبِ بْنِ حُمَيْدٍ أَوْ حُمَيْدِ بْنِ عَرِيبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ عِنْدَ عَلِيٍّ فَتَنَاوَلَ عَائِشَةَ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ: مَنْ ذَا الَّذِي تَتَنَاوَلُ زَوْجَةَ نَبِيِّنَا ﷺ فِي الْجَنَّةِ؟ اسْكُتْ مَقْبُوحًا. ١٣٤

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - كُنَّ حَزْبَيْنِ فَحَزَبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ، وَالْحَزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَخَرَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حَزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ لَهَا كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا. فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا. فَقُلْنَ لَهَا فَكَلِّمِيهِ. قَالَتْ فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا. فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا. فَقُلْنَ لَهَا كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ. فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ. فَقَالَ لَهَا « لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي، وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ ». قَالَتْ فَقَالَتْ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَأَرْسَلْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - تَقُولُ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ. فَكَلَّمَتْهُ. فَقَالَ « يَا بَنِيَّةُ، أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ ». قَالَتْ بَلَى. فَارْجَعْتِ إِلَيْهِنَّ، فَأَخْبَرْتُهُنَّ. فَقُلْنَ

١٢٩ - صحيح مسلم (٦٤٢٤)

١٣٠ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٦ / ص ٣١٤) (١٨٥٣٧) صحيح

١٣١ - صحيح البخاري (٥٤١٨)

١٣٢ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٦ / ص ٣٤٦) (١٨٦٣١) صحيح

١٣٣ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٦ / ص ٣٤٦) (١٨٦٣٢) صحيح

١٣٤ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٦ / ص ٣٤٦) (١٨٦٣٣) صحيح

ارْجِعِي إِلَيْهِ. فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ، فَأَرْسَلَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ، وَقَالَتْ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ .

فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا، حَتَّى تَنَاولَتْ عَائِشَةَ. وَهِيَ قَاعِدَةٌ، فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ قَالَ فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تُرَدُّ عَلَى زَيْنَبَ، حَتَّى أَسْكَنَتْهَا. قَالَتْ فَتَنَظَرَ النَّبِيُّ - ﷺ - إِلَى عَائِشَةَ، وَقَالَ « إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ » ١٣٥ .

وَعَنْ عُرْوَةَ، قَالَ كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَذَا يَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ يَا أُمُّ سَلَمَةَ، وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَذَا يَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمَرَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - قَالَتْ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ « يَا أُمُّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِنِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ غَيْرَهَا » ١٣٦ .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: كَلَّمَنِي صَوَاحِبِي أَنْ أَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ فَيُهْدُوا لَهُ حَيْثُ كَانَ، فَإِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَذَا يَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نَحِبُّ الْخَيْرَ كَمَا نَحِبُّ عَائِشَةَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُرَاجِعْنِي، فَجَاءَنِي صَوَاحِبِي، فَأَخْبَرْنَهُنَّ أَنَّهُ لَمْ يُكَلِّمْنِي، فَقُلْنَ وَاللَّهِ لَا نَدْعُهُ، قَالَتْ: فَكَلَّمْتُهُ مِثْلَ الْمَقَالَةِ الْأُولَى مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَسْكُتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ: يَا أُمُّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِنِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيَّ وَأَنَا فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِي غَيْرَ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَسُوءَكَ فِي عَائِشَةَ. ١٣٧

وعن عائشة أنها قالت ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت لخديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها وقد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت في الجنة . ١٣٨

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ: إِنَّهُ لَيُهَوَّنُ عَلَيَّ الْمَوْتُ أَنِّي أُرِيكَ زَوْجَتِي فِي الْجَنَّةِ ١٣٩

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَ بِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حِرْقَةٍ حَرِيرٍ، فَقَالَ: هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ١٤٠

١٣٥ - صحيح البخارى (٢٥٨١)

١٣٦ - صحيح البخارى (٣٧٧٥)

١٣٧ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٣) (٧١٠٩) صحيح

١٣٨ - السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة - (ج ٥ / ص ٢٧٤) (٨٣٠٣) صحيح

١٣٩ - الأحاد والمثاني (٣٠٠٨) صحيح

١٤٠ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٦) (٧٠٩٤) صحيح

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ فَاطِمَةَ، قَالَتْ: فَتَكَلَّمْتُ أَنَا، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ^{١٤١}

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَزْوَاجُكَ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: أَمَّا إِنَّكَ مِنْهُنَّ، قَالَتْ: فَخَيَّلَ إِلَيَّ أَنَّ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرًّا غَيْرِي. ^{١٤٢}

وقال تعالى عن أسيا بنت مزاحم وعن مريم بنت عمران عليهما السلام: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ (١٢) } [التحریم/١١، ١٢]

وهذا مثل آخر ضربهُ اللهُ تعالى للمؤمنين على أنَّهم لا تُضُرُّهُمُ مُخَالَطَةُ الْكَافِرِينَ إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ، فَقَدْ كَانَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ مُؤْمِنَةً مُخْلِصَةً لِلَّهِ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ طَاعِيَةً جَبَّارًا، فَمَا ضَرَّ امْرَأَتُهُ كُفْرُ زَوْجِهَا حِينَ أَطَاعَتْ رَبَّهَا لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ عَادِلٌ، لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِذَنْبٍ غَيْرِهِ. وَقَدْ سَأَلَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ رَبَّهَا أَنْ يَجْعَلَهَا قَرِيبَةً مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَنْ يَبْنِيَ لَهَا عِنْدَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَأَنْ يُنْقِذَهَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَعْمَالِهِ الْخَبِيثَةِ، وَأَنْ يُنَجِّيَهَا مِنْ قَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا آخَرَ لِلَّذِينَ آمَنُوا حَالَ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ، وَمَا أُوتِيَتْ مِنْ كَرَامَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَاصْطَفَاهَا اللَّهُ رَبُّهَا، وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَلَكًا كَرِيمًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ تَمَثَّلَ لَهَا فِي صُورَةِ بَشَرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي حُلُوتِهَا، فَاسْتَعَاذَتْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، فَبَشَّرَهَا بِأَنَّهَا سَيَكُونُ لَهَا وَلَدٌ يُوَلَّدُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ، وَيَكُونُ نَبِيًّا كَرِيمًا. وَنَفَخَ فِيهَا الْمَلَكُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ فَحَمَلَتْ بَعِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَدَّقَتْ مَرْيَمُ بِشَرَائِعِ اللَّهِ، وَبِكُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَكَانَتْ فِي عِدَادِ الْقَانِنِينَ الْعَابِدِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى .

واذكر -أيها الرسول- حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك لطاعته وطهرتك من الأخلاق الرذيلة، واختارك على نساء العالمين في زمانك. يا مريم داومي على الطاعة لربك، وقومي في خشوع وتواضع، واسجدي واركعي مع الراكعين؛ شكرًا لله على ما أولاك من نعمه.. ^{١٤٣}

المبحث الثامن

في صفة دخول أهل الجنة الجنة

^{١٤١} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٦) (٧٠٩٥) صحيح

^{١٤٢} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٦) (٧٠٩٦) صحيح

^{١٤٣} - التفسير الميسر (١/ ٥٥)

عن علي، قال: يُسَاقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا، حَتَّى إِذَا اتُّوا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَجَدُوا عِنْدَهُ شَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ سَاقِهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ، فَعَمَدُوا إِلَى أَحَدِهِمَا كَأَنَّمَا أُمرُوا فَشَرِبُوا مِنْهَا، فَأَذْهَبَتْ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ قَدَرٍ وَأَذَى أَوْ بَأْسٍ، ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى الْأُخْرَى فَتَطَهَّرُوا مِنْهَا فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ بِنُضْرَةِ النَّعِيمِ، فَلَمْ يُغَيِّرُوا وَلَمْ تُغَيِّرْ أَبْشَارُهُمْ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَلَمْ تَشْعَثْ أَشْعَارُهُمْ كَأَنَّمَا دُهِنُوا بِالذَّهَانِ، ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى خَزَنَةِ الْجَنَّةِ فَقَالُوا: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (٧٣) سورة الزمر، قال: ثُمَّ تَلَقَّاهُمْ أَوْ تَلَقَّتْهُمْ الْوُلَدَانُ يُطَيِّفُونَ بِهِمْ، كَمَا يُطَيِّفُ وَلَدَانُ أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْحَمِيمِ يَفْدُمُ مِنْ غَيْبَتِهِ يَقُولُونَ لَهُ: أَبَشِّرْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ غُلَامٌ مِنَ أَهْلِ أُولَئِكَ الْوُلَدَانِ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَيَقُولُ: قَدْ جَاءَ فُلَانٌ بِاسْمِهِ الَّذِي كَانَ يُدْعَى بِهِ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ فَيَقُولُ: أَنَا رَأَيْتُهُ، وَهُوَ ذَا يَأْتِي فَيَسْتَخِفُّ إِحْدَاهُنَّ الْفَرَحَ حَتَّى تَقُومَ عَلَى بَابِهَا، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى مَنْزِلِهِ نَظَرَ إِلَى أَسَاسِ بُنْيَانِهِ، فَإِذَا جَنْدَلُ اللَّوْلُؤِ فَوْقَهُ أَخْضَرُ، وَأَصْفَرُ وَأَحْمَرُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى سَقْفِهِ فَإِذَا مِثْلُ الْبَرْقِ، فَلَوْلا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرَهُ لَأَلَمَ أَنْ يَذْهَبَ بَصَرُهُ، ثُمَّ رَأْسُهُ فَنَظَرَ إِلَى أَزْوَاجِهِ، وَأَكْوَابٍ مَوْضُوعَةٍ، مَصْفُوفَةٍ، وَزَرَائِيٍّ مَبْثُوثَةٍ، فَنَظَرَ إِلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ، ثُمَّ أَتَكَوَّا فَقَالُوا: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٤٣) سورة الأعراف، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ تَحْيَوْنَ فَلَا تَمُوتُونَ أَبَدًا، وَتُقِيمُونَ فَلَا تَطْعَنُونَ أَبَدًا، وَتَصِحُّونَ فَلَا تَمْرَضُونَ أَبَدًا^{١٤٤}

أبشار: جمع بشرة وهي جلد الإنسان - الأسكفة: عتبة تكون تحت الباب - المرج: الأرض الواسعة ذات الكلال والماء

وعَنْ خَالِدِ بْنِ عَمِيرٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُتَنَقِّلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فِيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللَّهُ لَثَمَلَانٌ، أَفْعَجِبْتُمْ، وَلَقَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَطَظِيطٍ مِنَ الزَّحَامِ ؛ وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً، فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَانْزَرْتُ بِنِصْفِهَا.

^{١٤٤} - صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٢٩٥) والمطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني (٤٧٢٥) هذا حديث صحيح وحكمه حكم المرفوع ، إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور .

وَأَتَزَرَ سَعْدٌ بِنَصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ، إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوءَةً إِلَّا تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتُخْبَرُونَ وَتُجَرَّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا " ١٤٥

أذن: أعلم - حذاء: مسرعة الانقطاع - الأصدقاء: جوانب الفم - الصبابة: البقية اليسيرة من الشراب تبقى أسفل الإناء - الصرم: الانقطاع والذهاب - قرحت: خرجت بها قروح - الكظيظ: الممتلئ المرحوم وعن خالد بن عُمير، قال: خَطَبَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتْ بِبَصْرُمُ، وَوَلَّتْ حَذَاءً، وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْهَا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ صَبَّهَا أَحَدُكُمْ، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا مَا بِحَضْرَتِكُمْ - يُرِيدُ مِنَ الْخَيْرِ - فَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَمَا يَلُغُ لَهَا قَعْرًا سَبْعِينَ عَامًا، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتُمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ وَلَقَدْ ذَكَرَ لِي أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الرَّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ مِنْهُ أَشْدَافُنَا، وَلَقَدْ انْتَقَطَتْ بُرْدَةٌ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنَصْفِهَا، وَأَتَزَرَ سَعْدٌ بِنَصْفِهَا مَا مِنَّا أَحَدٌ الْيَوْمَ حَيٌّ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ عَظِيمًا فِي نَفْسِي صَغِيرًا عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوءَةً إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى تَكُونَ عَاقِبَتُهَا مُلْكًا سَتُبْلَوْنَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا. ١٤٦

وعن حكيم بن معاوية، عن أبيه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا بَيْنَ كُلِّ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً، وَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ، وَبَحْرَ الْخَمْرِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ مِنْهُ بَعْدُ الْأَنْهَارُ ١٤٧

وعن حكيم بن معاوية عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ عَامًا وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإِنَّهُ لَكَظِيظٌ » ١٤٨ . الكظيظ: الممتلئ المرحوم

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى. ١٤٩

١٤٥ - صحيح مسلم (٧٦٢٥)

١٤٦ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٦٠) (٧١٢١) صحيح

١٤٧ - الأحاد والمثاني (١٤٧٥) صحيح

١٤٨ - مسند أحمد (٢٠٥٥٨) صحيح

١٤٩ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٠١) (٧٣٨٩) صحيح ورواه البخاري ومسلم مطولا

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ - شَكَ فِي أَحَدِهِمَا - مُتَمَسِكِينَ، أَخَذَ بَعْضُهُمْ بَبَعْضٍ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الْجَنَّةَ، وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » ١٥٠.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ - لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ - مُتَمَسِكُونَ، أَخَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَوُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » ١٥١.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً » ١٥٢.

الجرد: جمع أجرد وهو الذى نزع عنه الشعر -المرد: جمع أمرد والمرد نقاء الخدين من الشعر
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ » ١٥٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، طَوْلُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ. ١٥٤

الجرد: جمع أجرد وهو الذى نزع عنه الشعر -الجعد: جمع جعد وهو منقبض الشعر غير منبسطه -
المرد: جمع أمرد والمرد نقاء الخدين من الشعر

وَعَنِ الزُّبَيْدِيِّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ، أَنَّ الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيَّ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ - سَقَطًا وَلَا هَرَمًا، إِلَّا مَا النَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ - إِلَّا بُعِثَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَانَ عَلَى مَسْحَةِ آدَمَ وَصُورَةِ يُوسُفَ وَقَلْبِ أَيُّوبَ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَظَّمُوا وَفُخِّمُوا كَالْجِبَالِ. ١٥٥

وعن سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْكَلَاعِيِّ، قَالَ: قُلْنَا لِلْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيَّ: يَا أَبَا كَرِيمَةَ، إِنَّ النَّاسَ يَدْعُونَ أَنَّكَ لَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ، وَلَقَدْ أَخَذَ بِشَحْمَةِ أُذُنِي هَذِهِ وَإِنِّي لَأَمْشِي مَعَ عَمِّ لِي، ثُمَّ قَالَ لِعَمِّي: أَتَرَى أَنَّهُ يَذْكُرُهُ؟ قُلْنَا: يَا أَبَا كَرِيمَةَ. حَدَّثَنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يُحْشَرُ مَا بَيْنَ السَّقَطِ إِلَى الشَّيْخِ الْفَانِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي خَلْقِ آدَمَ، وَقَلْبِ

١٥٠ - صحيح البخارى (٦٥٤٣)

١٥١ - صحيح البخارى (٦٥٥٤) وحيح مسلم (٥٤٨)

١٥٢ - سنن الترمذى (٢٧٤٢) حسن

١٥٣ - سنن الترمذى (٢٧٣٥) حسن

١٥٤ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١١٤) (٣٥١٤٠) حسن

١٥٥ - مسند الشاميين (ج ٣ / ص ٨٢) (١٨٣٩) حسن

أَيُّوبَ، وَحُسَيْنَ يُونُسَ مُرَدًّا مُكَحَّلِينَ، قُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِالْكَافِرِ؟ قَالَ: يُعْظَمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَصِيرَ غِلْظُ جِلْدِهِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَقَرِيضَةُ النَّابِ مِنْ أَسْنَانِهِ مِثْلُ أُحُدٍ. ١٥٦ - السقط: الذي لم يكتمل خلقه

المبحث التاسع

فيما لادنك أهل الجنة فيها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، مَنْ يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ، فَيَقَالَ لَهُ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، وَيُلْقَنُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقَالَ لَهُ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ. ١٥٧

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، لَرَجُلٍ لَهُ دَارٌ مِنْ لَوْلَاةٍ وَاحِدَةٍ، مِنْهَا غُرْفُهَا وَأَبْوَابُهَا. ١٥٨

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: "إِنَّ أَسْفَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَجْمَعِينَ دَرَجَةً لَمَنْ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ عَشْرَةُ آلَافٍ، بِيَدَيْ كُلِّ وَاحِدٍ صَحِيفَتَانِ، وَاحِدَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ فِضَّةٍ، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى مِثْلُهُ، يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهَا مِثْلَ مَا يَأْكُلُ مِنْ أَوَّلِهَا، يَجِدُ لآخِرِهَا مِنَ الطَّيِّبِ وَاللَّذَّةِ مِثْلَ الَّذِي يَجِدُ لَأَوَّلِهَا، ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ رِيحَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، لَا يُبُولُونَ، وَلَا يَتَعَوَّطُونَ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ، إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ" ١٥٩.

- أذفر: جيد إلى الغاية رائحته شديدة - التغوط: التبرز - الامتخاط: الاستنشاق وإلقاء مخاط الأنف
وعن عبد الله بن عمر، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَسْفَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَرَجَةً؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "رَجُلٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَتَلَقَّاهُ غُلَمَانُهُ فَيَقُولُونَ مَرْحَبًا بِسَيِّدِنَا قَدْ آتَى لَكَ أَنْ تَزُورَنَا قَالَ: فَتَمُدُّ لَهُ الزَّرَائِبُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَيَرَى الْجَنَانَ فَيَقُولُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَيَقَالَ لَكَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى رُفِعَتْ لَهُ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ وَزَبَرَجْدَةٌ خَضْرَاءُ لَهَا سَبْعُونَ شَعْبًا فِي كُلِّ شَعْبٍ سَبْعُونَ غُرْفَةً فِي كُلِّ غُرْفَةٍ سَبْعُونَ أَبًا فَيَقُولُونَ أَقْرَأُ وَارْقَهُ، فَيَرْفَى حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى سَرِيرٍ مُلْكِهِ أَتَكَأُ عَلَيْهِ سَعْتُهُ مِيلٌ فِي مِيلٍ لَهُ فِيهِ فُصُولٌ فَيَسْعَى إِلَيْهِ بِسَبْعِينَ صُحْفَةً مِنْ ذَهَبٍ لَيْسَ فِيهَا صُحْفَةٌ مِنْ لَوْنٍ أُخْتَهَا يَجِدُ لَذَّةَ آخِرِهَا كَمَا يَجِدُ لَذَّةَ أَوَّلِهَا ثُمَّ يُسْعَى عَلَيْهِ بِاللَّوْنِ الْأَشْرَبَةِ فَيَشْرَبُ مِنْهَا مَا اشْتَهَى ثُمَّ يَقُولُ الْغُلَمَانُ: اثْرُكُوهُ وَأَزْوَاجُهُ فَيَنْطَلِقُ الْغُلَمَانُ ثُمَّ يَنْظُرُ فَإِذَا حَوْرَاءُ مِنَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ

١٥٦ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٥ / ص ٢١٤) (١٧٠٥٣ و ١٧٠٥٤) حسن

١٥٧ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١١٠) (٣٥١٣٣) صحيح

١٥٨ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١١٠) (٣٥١٣١) صحيح مرسل

١٥٩ - المعجم الأوسط للطبراني (٧٨٨٩) وجمع الزوائد (١٨٦٧٠) رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.

جَالِسَةً عَلَى سَرِيرٍ مُلْكِيهَا عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً لَيْسَ مِنْهَا حُلَّةٌ مِنْ لَوْنٍ صَاحِبَتِهَا فَيَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ وَالْعَظْمِ وَالْكَسْوَةِ فَوْقَ ذَلِكَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ مِنَ اللَّاتِي حُبِّنَ لَكَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَصْرِفُ بَصَرَهُ ثُمَّ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى الْعُرْفِ فَوْقَهُ فَإِذَا أُخْرَى أَحْمَلُ مِنْهَا فَتَقُولُ: أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ يَكُونَ لَنَا فِيكَ نَصِيبٌ فَيَرْتَقِي إِلَيْهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَنْهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ النَّعِيمُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ وَظَنُّوا أَنَّ لَا نَعِيمَ أَفْضَلَ مِنْهُ تَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلَّلُونِي فَيَتَجَاوَبُونَ بِتَهْلِيلِ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا دَاوُدُ قُمْ فَمَجِّدْنِي كَمَا كُنْتُ تُمَجِّدُنِي فِي الدُّنْيَا فَيَمَجِّدُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ١٦٠

وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لِمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جَنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخِدْمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ). ١٦١

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لِمَنْ يَرَى فِي مُلْكِهِ أَلْفِي سَنَةٍ، وَإِنْ أَفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةً لِمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ تَلَا: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، قَالَ: الْبَيَاضُ وَالصَّفَاءُ، إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، قَالَ: يَنْظُرُ كُلُّ يَوْمٍ فِي وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) ١٦٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، وَاثْنَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجًا، وَيُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ، كَمَا بَيْنَ الْجَايِئَةِ إِلَى صَنْعَاءَ. ١٦٣

نصب: أقام ورفع - الزبرجد: حجر كريم من الجواهر وهو الزمرد
وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً وَلَيْسَ فِيهِمْ لِمَنْ عَلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ وَيُرَوِّحُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ خَادِمٍ، لَيْسَ مِنْهُمْ خَادِمٌ إِلَّا مَعَهُ طُرْفَةٌ لَيْسَتْ مَعَ صَاحِبِهِ" ١٦٤

الدي: الخسيس الحقيقير - الغدو: السير أول النهار
وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً إِنَّ لَهُ لَسَبْعَ دَرَجَاتٍ وَهُوَ عَلَى السَّادِسَةِ وَفَوْقَهُ السَّابِعَةُ وَإِنَّ لَهُ لَثَلَاثَمِائَةَ خَادِمٍ وَيُعْدَى عَلَيْهِ وَيُرَاحُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَمِائَةَ صَحْفَةٍ - وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ مَنْ ذَهَبَ - فِي كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى وَإِنَّهُ لَيَلْدُ أَوَّلُهُ كَمَا يَلْدُ آخِرُهُ وَإِنَّهُ لَيَقُولُ يَا رَبِّ لَوْ أَذِنْتَ لِي لَأَطَعْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَسَقَيْتُهُمْ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدِي شَيْءٌ وَإِنَّ لَهُ مِنَ الْحُورِ

١٦٠ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٣٢٦) حسن

١٦١ - سنن الترمذی (٢٧٥٠) ضعيف

١٦٢ - المستدرک للحاکم (٣٨٨٠) ضعيف

١٦٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤١٤) (٧٤٠١) حسن

١٦٤ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٠٢) فيه جهالة

الْعَيْنِ لَاتْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً سِوَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ لَيَأْخُذُ مَقْعُهَا قَدْرَ مِيلٍ مِنَ الْأَرْضِ. ١٦٥

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: "إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا مَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ أَلْفُ خَادِمٍ كُلُّ خَادِمٍ عَلَى عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ"، قَالَ: وَتَلَا هَذِهِ آيَةَ: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانُ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا} (١٩) سورة الإنسان ١٦٦

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فِي هَذِهِ آيَةِ: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٧١) سورة الزخرف، قَالَ: "مَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَحَدٍ إِلَّا يَسْعَى عَلَيْهِ أَلْفُ خَادِمٍ، كُلُّ غُلَامٍ عَلَى عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ" ١٦٧

المبحث العاشر في درجات الجنة

قال تعالى: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى} (٧٥) سورة طه، وقال سبحانه: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١٠) سورة الحديد، وقال تعالى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦) [النساء/٩٥-٩٦] (٩٦)، وقال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} (٢٠) سورة التوبة، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرَفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١) سورة المجادلة.

ومن الذين وضحو هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: "وَالْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَةٌ تَفَاضُلًا عَظِيمًا، وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ فِي تِلْكَ الدَّرَجَاتِ بِحَسَبِ إِيْمَانِهِمْ

١٦٥ - مسند أحمد (١١٢٢٣) حسن

١٦٦ - البعث والنشور للبيهقي (٣٦٢) حسن

١٦٧ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٣٥٤) وَالزُّهْدُ لِهَنَادِ بْنِ السَّرِيِّ (١٧١) صحيح موقوف

وَتَقْوَاهُمْ. قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) } [الإسراء/١٨-٢١] .

فَبَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ يُمِدُّ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ مِنْ عَطَائِهِ، وَأَنَّ عَطَاءَهُ مَا كَانَ مَحْظُورًا مِنْ بَرٍّ وَلَا فَاجِرٍ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا } .

فَبَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَهْلَ الْآخِرَةِ يَتَفَضَّلُونَ فِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا يَتَفَضَّلُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ دَرَجَاتِهَا أَكْبَرُ مِنْ دَرَجَاتِ الدُّنْيَا، وَقَدْ بَيَّنَّ تَفَاضُلَ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَتَفَاضُلِ سَائِرِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ تَعَالَى: { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } (٢٥٣) سورة البقرة، وَقَالَ تَعَالَى: { وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } (٥٥) سورة الإسراء.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^{١٦٨}.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي قَيْسٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ »^{١٦٩}.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ

^{١٦٨} - صحيح مسلم (٦٩٤٥)

^{١٦٩} - صحيح البخارى (٧٣٥٢) ٩/١٣٣ ومسلم (٤٥٨٤)

وَقَاتِلُوا وَكُلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ { (١٠) سورة الحديد، وَقَالَ تَعَالَى: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦) } [النساء/٩٥، ٩٦]، وَقَالَ تَعَالَى: { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢) } [التوبة/١٩، ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: { آمَنَ هُوَ قَانَتْ آثَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ أَلْبَابٍ { (٩) سورة الزمر، وَقَالَ تَعَالَى: { .. يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ { (١١) سورة المجادلة ١٧٠ .

قال القرطبي: (واعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى من بعض وارفع..... فعن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ الْعَابِرُ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ « بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ » ١٧١ .

ولم يذكر عملاً، ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، ذلك ليعلم أنه عني الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج، وإلا فكيف تنال تلك الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالي الغرفات و أرفع الدرجات، وهذا محال، وقد قال الله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} (٧٥) سورة الفرقان، والصبر بذل النفس الثبات له وقوفاً بين يديه

١٧٠ - مجموع الفتاوى - (ج ١١ / ص ١٨٨) فما بعدها

١٧١ - صحيح البخاري (٣٢٥٦) - الغابر : الذاهب الماشي

بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين. و قال في آية أخرى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ} (٣٧) سورة سبأ، فذكر شأن الغرفة و أنها لا تنال بالأموال والأولاد، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، ثم بين لهم جزاء الضعف وأن محلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب مطمئناً به في كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، فإذا عمل عملاً صالحاً فلا يخلطه بضده وهو الفاسد. فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه. بمن آمن وبجميع أموره و أحكامه، والمخلط ليس بإيمانه وعمله هكذا. فلهذا كانت منزلته دون غيره ١٧٢.

قلت: إن درجات الجنة كثيرة، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا. فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ. قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ فَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». ١٧٣

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ، كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَهُوَ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَهُوَ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ الْعَرْشُ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ. ١٧٤

قال أبو حاتم: قوله ﷺ: فَهُوَ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ يُرِيدُ بِهِ أَنَّ الْفَرْدَوْسَ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، فِي الْعَرْشِ، وَقَوْلُهُ وَهُوَ أَعْلَى الْجَنَّةِ يُرِيدُ بِهِ: فِي الِارْتِفَاعِ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ - «فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ». ١٧٥

والحديث يدل على أنها غاية في العلو والارتفاع، ولا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من مائة، إذ المراد منه الإخبار بأن هذه الدرجات المائة هي للمجاهدين في سبيل الله، لا الإخبار بمحصر درجات الجنة، ويؤيد ذلك أن منزلة النبي ﷺ - فوق هذا كله، فهو في درجة ليس فوقها درجة، أمّا هذه

١٧٢ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ٢ / ص ١٠١)

١٧٣ - صحيح البخارى (٢٧٩٠)

١٧٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ٤٧١) (٤٦١١) صحيح

١٧٥ - سنن الترمذى (٢٧٢١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الدرجات المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد. ونظير ذلك قوله ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ." ١٧٦

فالمراد من هذا الحديث الإخبار عن دخول الجنة بإحصاء هذه الأسماء وحفظها، لا الإخبار بمحصر هذه الأسماء، ومما يؤيد أن الله تعالى أكثر من تسعة وتسعين اسمًا حديث ابن مسعود، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: أَجَلٌ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ. ١٧٧.

الناصية: مقدم الرأس، والمراد أنه مالكة يتصرف فيه حيث شاء - الماضي: النافذ - الاستثناء: الانفراد بالشيء

وهذا حديث يؤيد ذلك، فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ" ١٧٨.

وأهل الجنة تنفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في العمل والفضل حتى أن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم في السماء

فعن أبي سعيد الخدري، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِرَ، أَوْ الْغَائِرُ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رَجُلًا آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ.. ١٧٩

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ - أَنَّهُ قَالَ «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ فِيهَا» وفي رواية «لَيَتَرَاءَوْنَ فِيهَا كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الشَّرْقِيَّ وَالْكَوْكَبَ الْغَرْبِيَّ فِي الْأُفُقِ الطَّلَعِ فِي تَفَاضُلِ الدَّرَجَاتِ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أُولَئِكَ النَّبِيُّونَ قَالَ «بَلَى وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ أَقْوَامٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» ١٨٠

تراءى: نظر ورأى - الغرفة: العلوية والحجرة مطلقا، والجمع غرف وغرفات

١٧٦ - صحيح البخاري (٢٧٣٦)

١٧٧ - صحيح ابن حبان - (ج ٣ / ص ٢٥٣) (٩٧٢) صحيح لغيره

١٧٨ - البعث لابن أبي داود السجستاني (٦٢) والعظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥٦٣) صحيح

١٧٩ - صحيح مسلم (٧٣٢٢)

١٨٠ - مسند أحمد (٨٦٤٧) صحيح

وَعَنْ سَهْلٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْعُرْفَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ فِي السَّمَاءِ » وزاد عن أبي سعيد « كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الْعَارِبَ فِي الْأُفُقِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ » ١٨١.

وَعَنْ سَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَوْنَ الْكُوكَبَ الدُّرِّيَّ فِي السَّمَاءِ » ١٨٢.

وَعَنْ سَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ فَوْقَهُمْ، كَمَا تَرَوْنَ الْكُوكَبَ الدُّرِّيَّ الْعَارِبَ فِي الْأُفُقِ وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ » ١٨٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ فِي الْعُرْفَةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الشَّرْقِيِّ أَوْ الْكُوكَبَ الْغَرْبِيِّ الْعَارِبَ فِي الْأُفُقِ أَوْ الطَّالِعَ فِي تَفَاضُلِ الدَّرَجَاتِ ». فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أُولَئِكَ النَّبِيُّونَ. قَالَ « بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَقْوَامٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ » ١٨٤.

والكوكب الغربي أو الغارب على الشك الغابر بالعين المعجمة والباء الموحدة المراد به هنا هو الذاهب الذي تدلى للغروب

وفي الجنة جنات كثيرة، فعن قتادة حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بِنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قَتْلُ يَوْمٍ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ احْتَبَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. قَالَ « يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ ابْنُكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسُ الْأَعْلَى » ١٨٥.

العرب: الذي لا يعرف راميهِ

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: انْطَلَقَ حَارِثَةُ بْنُ عَمَتِي نَظَّارًا يَوْمَ بَدْرٍ مَا انْطَلَقَ لِقِتَالٍ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَتْ عَمَتِي أُمُّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنِي حَارِثَةُ إِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرُ، وَأَحْتَسِبُ، وَإِلَّا فَسَتَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنْ حَارِثَةُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى. ١٨٦.

والجنان نوعان: من ذهب، ومن فضة، وتكون لمن خاف مقام ربه، وعلى قدر هذا الخوف، قال تعالى: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا

١٨١ - صحيح البخارى (٦٥٥٥ و ٦٥٥٦)

١٨٢ - سنن الدارمى (٢٨٨٦) وصحيح مسلم (٧٣١٩)

١٨٣ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٥ / ص ٤١٦) (٥٦٤٤) صحيح لغيره

١٨٤ - سنن الترمذى (٢٧٥٤) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

١٨٥ - صحيح البخارى (٢٨٠٩)

١٨٦ - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ٥٢٠) (٤٦٦٤) صحيح

جَانَّ (٥٦) فَبَيَّ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبَيَّ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبَيَّ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبَيَّ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَمَّتَانِ (٦٤) فَبَيَّ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبَيَّ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) { [الرحمن/٤٦-٦٧]

وَمِنْ خَشْيِ رَبِّهِ، وَرَاقِبِهِ فِي أَعْمَالِهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ قَائِمٌ عَلَيْهِ، مُشْرِفٌ عَلَى أَعْمَالِهِ، عَارِفٌ بِمَا يُكِنُّهُ صَدْرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْزِيهِ بِجَنَّتَيْنِ فِي الْآخِرَةِ. فَبَيَّ أَنْعُمَ اللَّهِ السَّالِفَةِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؟ وَهَاتَانِ الْجَنَّتَانِ اللَّتَانِ يَجْزِي اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ هُمَا ذَوَاتَا أَنْوَاعٍ وَأَلْوَانٍ مِنَ الْأَشْجَارِ وَمِنْ الثَّمَارِ. فَبَيَّ أَنْعُمَ اللَّهِ السَّالِفِ ذَكَرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؟ وَفِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ ثُجُودٌ عَيْنَا مَاءٍ تَجْرِيَانِ فِيهِمَا .

وَفِيهِمَا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ صِنْفَانِ: صِنْفٌ رَطْبٌ وَصِنْفٌ يَابِسٌ. (أَوْ مَعْرُوفٌ وَغَرِيبٌ) وَيَصْطَفَّعُ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ السُّعْدَاءُ، الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَنَّتَيْنِ، عَلَى فُرْشٍ، بِطَائِنِهَا مِنْ غُلِيظِ الدِّيَاجِ (اسْتَبْرَقِ) (وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَى الظَّهَائِرَ لِأَنَّ الْبَطَائِنَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الدِّيَاجِ فَإِنَّ الظَّهَائِرَ سَتَكُونُ أَهَمَّ وَأَحْسَنَ)، وَتَكُونُ ثَمَارُ الْجَنَّتَيْنِ دَانِيَةً مِنْهُنَّ يَسْتَطِيعُونَ قِطَافَهَا وَهُمْ جُلُوسٌ حِينَمَا يُرِيدُونَ . وَفِي هَذِهِ الْجَنَّتِ نِسَاءٌ غَضِيضَاتُ الْبَصَرِ فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يَرَيْنَ فِيهَا شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُنَّ، وَهُنَّ أَبْكَارٌ لَمْ يَمَسْسْنَهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ أَحَدٌ لَا مِنَ الْإِنْسِ وَلَا مِنَ الْجِنِّ . وَهَؤُلَاءِ النَّسْوَةُ الْعَضِيضَاتُ الطَّرْفِ كَانَتْهُنَّ فِي حِمَالِهِنَّ، وَبَهَائِنَ، وَصَفَاءِ أَلْوَانِهِنَّ: الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ. لَيْسَ لِمَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْجَزَاءُ الْحَسَنُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ. }

وَمِنْ وَرَاءِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ، السَّالِفِ وَصَفُهُمَا، جَنَّتَانِ أُخْرَيَانِ أَقَلُّ مِنْهُمَا فَضْلًا وَصِفَةً، أَعَدَّهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ مَن لَّا يَرْتَفِعُونَ بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى مَرْتَبَةِ الْمُقَرَّبِينَ . وَتَنَبَّأَتْ فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ النَّبَاتَاتُ وَالرِّيَّاحِينُ الْخَضِرُ، الَّتِي يَضْرِبُ لَوْنُهَا إِلَى السَّوَادِ، مِنْ شِدَّةِ خُضَرَتِهَا. فِيهِمَا عَيْنَانِ تَفُورَانِ بِالْمَاءِ وَلَا تَنْقَطِعَانِ

قال ابن شوذب، وعطاء الخراساني: نزلت هذه الآية: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ } في أبي بكر الصديق .

والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره، يقول تعالى: ولمن خاف مقامه بين يدي الله، عز وجل، يوم القيامة، { وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } [النازعات: ٤٠]، ولم يطغ، ولا آثر الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، فعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله - ﷺ - قال « جَنَّتَانِ مِنْ »

فَضَّةً، أَنْيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أَنْيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكَبِيرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»^{١٨٧}

وعن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه، قال: حماد لا أعلمه إلا رفعه في قوله: (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) قال: جنتان من ذهب للمقربين أو قال: للسابقين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين.^{١٨٨}

وعن أبي الدرداء أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - وَهُوَ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ: وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ، فَقُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - الثَّانِيَةَ: وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ، فَقُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - الثَّالِثَةَ: وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ، فَقُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "نَعَمْ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ"^{١٨٩} وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ} فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قَالَ: فَكَرَّرْتُهَا عَلَيْهِ فَقُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُكَ يَا عُيُومِرُ.^{١٩٠}

وهذه الآية عامة في الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا؛ ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال: {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ { .

ثم نعت هاتين الجنيتين فقال: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} أي: أغصان نَضِرَة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة، {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} . هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة: إن الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضها.

وعن عكرمة (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) قال: ظل الأغصان على الحيطان، قال: وقال الشاعر:

ما هاجَ شَوْقُكَ مِنْ هَدِيلِ حَمَامَةٍ تَدْعُو عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ حَمَامَا

تَدْعُوا أَبَا فَرْخَيْنِ صَادَفَ ضَارِيَا ذَا مِخْلَبَيْنِ مِنَ الصُّقُورِ قَطَامَا^{١٩١}

وعن ابن عباس: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} : ذواتا ألوان. وقد روي عن سعيد بن جبير، والحسن، والسدي، وخُصِيف، والنضر بن عربي، وأبي سنان مثل ذلك. ومعنى هذا القول أن فيهما فنونا من الملاذ، واختاره ابن جرير.

وقال عطاء: كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة، وقال الربيع بن أنس: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} واسعتا الفناء.

^{١٨٧} - صحيح البخاري (٤٨٧٨) وصحيح مسلم (٤٦٦)

^{١٨٨} - تفسير الطبري - (ج ٢٣ / ص ٥٧) صحيح

^{١٨٩} - مسند أحمد (٨٩١٧) صحيح

^{١٩٠} - مسند الشاميين (٩٧٣) صحيح لغيره

^{١٩١} - تفسير الطبري - (ج ٢٣ / ص ٥٩) حسن مقطوع

وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا منافاة بينها، والله أعلم. وقال قتادة: { ذَوَاتَا أَفْنَانٍ } ينبئ بسعتها وفضلها ومزيتها على ما سواها.

وعَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ سِدْرَةَ الْمُتَنَهَى، فَقَالَ: يَسِيرُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا الرَّكَبُ مِئَةَ سَنَةٍ، وَيَسْتَظِلُّ بِالْفَنَنِ مِنْهَا مِائَةُ رَاكِبٍ، فِيهَا فِرَاشُ الذَّهَبِ كَانَ ثَمَرَهَا الْقَلَالُ^{١٩٢}

سِدْرَةُ الْمُتَنَهَى: شجرة في أَقْصَى الْجَنَّةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا يَتَعَدَّاهَا. - القلال: جمع القلة وهي الجرة الكبيرة^{١٩٣}

وفي قوله تعالى: "وَمِنْ ذُونِهِمَا جَنَّتَانِ" قال ابن عباس: ومن دونهما في الدَّرَجِ،

وقال ابن زيد: ومن دونهما في الفضل، وهذا هو الراجح عند المفسرين، فالجنتان الأوليان: فيهما عِينَانِ تَجْرِيَانِ، أما الثانيتان: ففيهما عِينَانِ نَضَاحَتَانِ، النضخ دون الجري، والنضاحة: هي الفوارة، أما الجارية: فهي السارحة وهي أفضل من الفوارة لأنها تتضمن الفوران والجريان، وقال ابن جريج: هي أربع: جنتان منها للسابقين المقربين (فيهما من كل فاكهة زوجان) و(عينان تجريان)، وجنتان لأصحاب اليمين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) و(فيهما عينان نضاحتان) وقال ابن زيد: إن الأوليين من ذهب للمقربين، والآخرين من وَرَقٍ لأصحاب اليمين.^{١٩٤}

قال القرطبي: فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأوليين؟ قل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصرت حال في الخوف من الله تعالى. ومذهب الضحاك أن الجنتين الأوليين من ذهب وفضة، والآخرين من ياقوت وزمرد وهما أفضل من الأوليين، وقوله: {وَمِنْ ذُونِهِمَا جَنَّتَانِ} أي من أمامهما ومن قبلهما. وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم في "نوادير الأصول" فقال: ومعنى {وَمِنْ ذُونِهِمَا جَنَّتَانِ} أي دون هذا إلى العرش، أي أقرب وأدنى إلى العرش، وأخذ يفضلهما على الأوليين... وقال مقاتل: الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى.^{١٩٥}

المبحث الحادي عشر

ابوابُ الجنة

١٩٢ - الأحاد والمثاني (٣١٤١) والزهد لهناد بن السري (١١٣) صحيح

١٩٣ - انظر تفسير ابن كثير - (ج ٧ / ص ٥٠١) فما بعدها

١٩٤ - تفسير القرطبي (١٧/١٤٠)، الورق: الفضة.

١٩٥ - تفسير القرطبي (ج ١٧ / ص ١٨٤)

قال تعالى: (جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ) {ص: ٥٠}

وهذا المآب الحسن هو جَنَّاتٍ اسْتَقَرَّارٌ وَإِقَامَةٌ مُمْتَحَةٌ أَبْوَابُهَا إِكْرَامًا لَهُمْ لِيَدْخُلُوهَا آمِنِينَ .

وعن الحسن، وذكر أبواب الجنة، فقال: أبواب يُرى ظاهرها من باطنها، فتكلم وتكلم، فتهمهم انفتحي
انغلقي، فتفعل. ١٩٦

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ أُنْتِيَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَهَسَّ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يُجْمَعُ النَّاسُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيُلْغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ. وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلِمَتِ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا - ﷺ - فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ

الْعَرْشِ، فَاقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى مَنْ مَحَامِدُهُ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَارْفَعْ رَأْسِي، فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»^{١٩٧}.

نفس: قبض على اللحم وانتزعه بمقدم الأسنان

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى.^{١٩٨}

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ سَبْعِ سِنِينَ.^{١٩٩}

وللجنة ثمانية أبواب، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ »^{٢٠٠}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ « نَعَمْ. وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ »^{٢٠١}. الضرورة: الضرر أى لا يزاحم بعضهم بعضا

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّ أَحَدٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ.^{٢٠٢}

^{١٩٧} - صحيح البخارى (٤٧١٢) وصحيح مسلم (٥٠١)

^{١٩٨} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٠١) (٧٣٨٩) صحيح

^{١٩٩} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٠٠) (٧٣٨٨) صحيح

^{٢٠٠} - صحيح البخارى (٣٢٥٧)

^{٢٠١} - صحيح البخارى (١٨٩٧) ومسلم (٢٤١٨)

^{٢٠٢} - صحيح ابن حبان - (ج ٨ / ص ٢٠٦) (٣٤١٨) صحيح

وَقَوْلُهُ: (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قِيلَ: هُوَ عَلَى الْعُمُومِ فِي جَمِيعِ وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَقِيلَ: هُوَ مَخْصُوصٌ بِالْجِهَادِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَظْهَرُ. هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْقَاضِي .

قَوْلُهُ ﷺ: (نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ) قِيلَ: مَعْنَاهُ: لَكَ هُنَا خَيْرٌ وَتَوَابٌ وَغِبْطَةٌ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ هَذَا الْبَابُ فِيمَا نَعْتَقْدُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَبْوَابِ لِكَثْرَةِ تَوَابِهِ وَنَعِيمِهِ، فَتَعَالَ فَادْخُلْ مِنْهُ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ كُلَّ مُنَادٍ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ الْبَابَ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ. قَوْلُهُ ﷺ: (فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ) وَذَكَرَ مِثْلَهُ فِي الصَّدَقَةِ وَالْجِهَادِ وَالصِّيَامِ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ: مَنْ كَانَ الْعَالِبَ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ وَطَاعَتِهِ ذَلِكَ .

قَوْلُهُ ﷺ فِي صَاحِبِ الصَّوْمِ: (دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ) قَالَ الْعُلَمَاءُ: سُمِّيَ بَابُ الرِّيَّانِ تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّ الْعَطْشَانَ بِالصَّوْمِ فِي الْهَوَاجِرِ سَيُرَوَّى وَعَاقِبَتُهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّيِّ ٢٠٣ .

قال الحافظ ابن حجر: " وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَتَقَدَّمَ فِي أَوَائِلِ الْجِهَادِ، وَبَقِيَ مِنَ الْأَرْكَانِ الْحَجُّ فَلَهُ بَابٌ بِلَا شَكٍّ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الْأُخْرَى فَمِنْهَا بَابُ الْكَاطِمِينَ الْعُيُظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ رُوْحِ بْنِ عُبَادَةَ عَنْ أَشْعَثَ عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلًا " إِنْ لِلَّهِ بَابًا فِي الْجَنَّةِ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْ مَظْلَمَةٍ " (حسن مرسل)

وَمِنْهَا الْبَابُ الْأَيْمَنُ وَهُوَ بَابُ الْمُتَوَكِّلِينَ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ وَلَا عَذَابَ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَلَعَلَّهُ بَابُ الذِّكْرِ فَإِنَّ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مَا يُومِئُ إِلَيْهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَابُ الْعِلْمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِالْأَبْوَابِ الَّتِي يُدْعَى مِنْهَا أَبْوَابٌ مِنْ دَاخِلِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الْأَصْلِيَّةِ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ ثَمَانِيَّةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ٢٠٤ .

قال القرطبي: " قلت: فذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله أبواب الجنة في نواذر الأصول فذكر باب محمد ﷺ، وهو باب الرحمة، وهو باب التوبة، فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلق، فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر. فباب منها للصلاة، وباب للصوم، وباب للزكاة و الصدقة، وباب للحج، وباب للجهاد، وباب للصلاة، وباب للعمرة، فزاد باب الحج، وباب العمرة، وباب الصلاة، فعلى هذا أبواب الجنة أحد عشر باباً .

ثم قال: قلت: قد ذكرنا أنها أكثر من ثمانية و بالله توفيقنا، و أما كون الواو في و فتحت أبوابها واو الثمانية، و أن أبواب الجنة كذلك ثمانية أبواب، فقد جاء ما يدل على أنها ليست كذلك في قوله تعالى هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، فخلو المتكبر وهو ثامن اسم من الواو يدلُّ على بطلان ذلك القول وتضعيفه .

٢٠٣ - شرح النووي على مسلم - (ج ٣ / ص ٤٧٥)

٢٠٤ - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ٤٦٤) والتذكرة للقرطبي: ص ٤٨٧

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَدَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللَّهُ لَتَمْلَأَنَّ، أَفْعَجِبْتُمْ، وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلِيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَطِيطٍ مِنَ الزَّحَامِ^{٢٠٥}

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ - لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ - مُتَمَسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أُولَهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ »^{٢٠٦}.

فهذه الأحاديث مع صحتها تدلُّ على أنها أكثر من الثمانية إذ هي غير ما تقدم^{٢٠٧}

المبحث الثاني عشر خزنة الجنة

خزنة: جمع خازن، كحفظه: جمع حافظ

قال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) {الزمر ٧٣}

وَيُوجِّهُ الْمُتَّقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ جَمَاعَاتٍ لِثَرِ جَمَاعَاتٍ: الْمُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الْأَبْرَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.. فَإِذَا وَصَلُوا الْجَنَّةَ تَفَتَّحَ لَهُمْ أَبْوَابُهَا لاسْتِقْبَالِهِمْ، وَيَسْتَقْبِلُهُمْ حُرَّاسُهَا (خَزَنَتُهَا) بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَأَقْوَالُكُمْ، وَطَابَ سَعْيُكُمْ وَجَزَاؤُكُمْ، فَادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَتَمَكَّنْتُمْ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا .

وهذه الآية الكريمة تثبت وجود خزنة للجنة، وهم من الملائكة، وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله - ﷺ - « آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ بِكَ أَمَرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ »^{٢٠٨}.

وهذا الحديث كما يثبت وجود خزنة للجنة، يثبت كذلك فضل النبي - ﷺ - وكرامته.

^{٢٠٥} - صحيح مسلم (٧٦٢٥)

^{٢٠٦} - صحيح البخارى (٦٥٥٤) ومسلم (٥٤٨)

^{٢٠٧} - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ٢ / ص ٩١) فما بعد

^{٢٠٨} - صحيح مسلم (٥٠٧)

وعن الحسن، قال: قال صَعْصَعَةُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَمُّ الْأَحْنَفِ: أَتَيْتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا مَالُكَ ؟ قَالَ: مَالِي عَمَلِي، فَقُلْتُ: حَدَّثْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتَدَرَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا زَوْجَانِ ؟ قَالَ: فَرَسَانِ مِنْ خَيْلِهِ بَعِيرَانِ مِنْ إِبِلِهِ، عَبْدَانِ مِنْ رَقِيقِهِ.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: الْعَرَبُ فِي لُغَتِهَا تُسَمِّي الْفَرْدَيْنِ الْمُتَلَازِمَيْنِ زَوْجَيْنِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} [الذاريات: ٢٠٩].

وعن الحسن، قال: حَدَّثَنِي صَعْصَعَةُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَقَدْ أُوْرَدَ رَوَاحِلَ لَهُ، فَسَقَاهَا، ثُمَّ أَصْدَرَهَا وَقَدْ عَلَّقَ قَرَبَةً فِي عُنُقِ رَاحِلَةٍ لَهُ مِنْهَا، لِيَشْرَبَ مِنْهَا، وَيَسْقِي أَصْحَابَهُ، وَذَلِكَ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْعَرَبِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ: مَا مَالُكَ ؟ قَالَ: مَالِي عَمَلِي، قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ ابْتَدَرَتْهُ حَجَبَةُ الْجَنَّةِ، قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا هَذَانِ الزَّوْجَانِ ؟ فَقَالَ: إِنْ كَانَ رَجُلًا فَرَجُلَانِ، وَإِنْ كَانَتْ خَيْلًا فَفَرَسَانِ، وَإِنْ كَانَتْ إِبِلًا فَبَعِيرَانِ، حَتَّى عَدَّ أَصْنَافَ الْمَالِ كُلَّهُ. قُلْتُ: إِيَّاهُ يَا أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ. ٢١٠

وعن عليّ قال: " ذَكَرَ النَّارَ فَعَظَّمَ أَمْرَهَا ذِكْرًا لَا أَحْفَظُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَجَدُوا عِنْدَهُ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ سَاقِهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَعَمَدُوا إِلَى إِحْدَاهُمَا، كَأَنَّمَا أُمِرُوا بِهِ فَشَرِبُوا مِنْهَا، فَأَذْهَبَ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ قَذَى أَوْ أَدَى أَوْ بَأْسٍ، ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى الْأُخْرَى فَتَطَهَّرُوا مِنْهَا فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ وَلَمْ تُغَيِّرْ أَشْعَارَهُمْ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَلَا تَشَعَّتْ رُءُوسُهُمْ أَبَدًا كَأَنَّمَا دُهِنُوا بِالذَّهَانِ، ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالُوا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ، ثُمَّ تَلَقَّاهُمُ الْوِلْدَانُ يَطِيفُونَ كَمَا يَطِيفُ وَلَدَانِ أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْحَمِيمِ يَقْدُمُ عَلَيْهِمْ مِنْ غِيَّتِهِ يَقُولُونَ لَهُ: أَبَشِرْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْكَرَامَةِ كَذَا قَالَ: ثُمَّ يَنْطَلِقُ غُلَامٌ مِنْ أُولَئِكَ الْوِلْدَانِ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَيَقُولُ: قَدْ جَاءَ فُلَانٌ بِاسْمِهِ الَّذِي كَانَ يُدْعَى بِهِ فِي الدُّنْيَا قَالَتْ: أَنْتَ رَأَيْتُهُ قَالَ: أَنَا رَأَيْتُهُ وَهُوَ بَأْثَرِي فَيَسْتَخِفُّ إِحْدَاهُنَّ الْفَرْحُ حَتَّى تَقُومَ عَلَى أُسْكُفَةٍ بِأَيْهَا، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى مَنْزِلِهِ نَظَرَ إِلَى أَسَاسِ بُنْيَانِهِ، فَإِذَا جَنَدَلُ اللَّوْلُؤِ فَوْقَهُ، صَرَخَ أَخْضَرُ وَأَحْمَرُ وَأَصْفَرُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَى سَقْفِهِ، فَإِذَا مِثْلُ الْبَرْقِ، وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَرَهُ لَأَلَمَ أَنْ يَذْهَبَ بَصَرُهُ، ثُمَّ طَاطَأَ رَأْسَهُ، فَإِذَا أَزْوَاجُهُ وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْضُوفَةٌ، وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ، ثُمَّ أَتَوْا فَقَالُوا: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ)) قَالَ: فَتَنَادِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: (أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

٢٠٩ - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ٥٠٢) (٤٦٤٤) صحيح

٢١٠ - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ٥٠٢) (٤٦٤٥) صحيح

تَعْمَلُونَ) ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: تَحْيَوْنَ فَلَا تَمُوتُونَ أَبَدًا وَتُقِيمُونَ فَلَا تَطْعَمُونَ أَبَدًا وَتَصْحَوْنَ - أَرَأَهُ قَالَ - فَلَا تَمْرَضُونَ أَبَدًا ٢١١

المبحث الرابع عشر في بناء الجنة ونوابها وحصبتها وغير ذلك

عن أبي المَدَلَّةِ مَوْلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا رَأَيْنَاكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ. قَالَ « لَوْ تَكُونُونَ - أَوْ قَالَ لَوْ أَنتُمْ تَكُونُونَ - عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ بِأَكْفِهِمْ وَلَزَارْتُكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفَرَ لَهُمْ ». قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بَنَاؤُهَا قَالَ « لَبْنَةُ ذَهَبٍ وَلَبْنَةُ فِضَّةٍ وَمَلَأْتُهَا الْمِسْكَ الْأَذْفَرُ وَحَصَبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ لَا يَبْئَسُ وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْعَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَوَاتِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَعَزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ٢١٢ .

وملاطها المسك: أي طينها المسك. قال ابن القيم: والغالب أن تراب الجنة من الزعفران فإذا عُجِنَ بالماء الطيب صار مسكا ٢١٣

وعن أبي المَدَلَّةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا، وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ، فَقَالَ: لَوْ تَكُونُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ عِنْدِي لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ بِأَكْفِهِمْ، وَلَوْ أَنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفَرَ لَهُمْ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بَنَاؤُهَا؟ قَالَ: لَبْنَةُ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبْنَةُ مِنْ فِضَّةٍ وَمَلَأْتُهَا الْمِسْكَ الْأَذْفَرُ، وَحَصَبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ أَوِ الْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ، فَلَا يَبْئَسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْعَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعَزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. ٢١٤

٢١١ - مُسْنَدُ ابْنِ الْجَعْدِ (٢١٤٧) حسن موقوف

٢١٢ - مسند أحمد (٨٢٦٤) صحيح لغيره

٢١٣ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم: ص ١٢٨

٢١٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٩٦) (٧٣٨٧) صحيح لغيره

الملاط: الطين الذي يطلى به الحائط - اللبنة: واحدة اللبن وهي التي يُبنى بها الجدار - الرض: الدق الجريش والكسر، والرضاض صغار الحصى المنكسر

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة»^{٢١٥}
وعن ابن عمر، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة: كيف هي؟ قال: مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَحْيَى لَا يَمُوتُ، وَيَنْعَمُ لَا يَبْئَسُ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يُبْلَى شَبَابُهُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بَنَؤُهَا؟ قَالَ: لِبْنَةٌ مِنْ فَضَّةٍ، وَلِبْنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، مَلَأْتُهَا مِسْكَ، وَحَصَبَاؤُهَا الثُّلُوثُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الرَّعْفَرَانُ.^{٢١٦}
وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَاطَ حَائِطُ الْجَنَّةِ لِبْنَةً مِنْ ذَهَبٍ، وَلِبْنَةً مِنْ فَضَّةٍ، ثُمَّ شَقَّقَ فِيهَا الْأَنْهَارَ، وَغَرَسَ فِيهَا الْأَشْجَارَ، فَلَمَّا نَظَرَ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حُسْنِهَا، وَزَهْرِهَا، قَالَتْ: طُوبَاكَ فِي مَنَازِلِ الْمُلُوكِ" ^{٢١٧}
وعن أبي سعيد قال: حَائِطُ الْجَنَّةِ لِبْنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلِبْنَةٌ مِنْ فَضَّةٍ، وَغَرَسَ غَرْسَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلِّمِي فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: طُوبَاكَ مَنَزِلَ الْمُلُوكِ" ^{٢١٨}
وعن ابن عباس، يرفعه، قال: خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةً عَدَنَ بِيَدِهِ، وَدَلَّى فِيهَا ثَمَارَهَا، وَشَقَّقَ فِيهَا أَنْهَارَهَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، قَالَ: وَعِزَّتِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكَ بَخِيلٌ.^{٢١٩}
وعن سهل بن سعد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَرَاغًا مِنْ مِسْكَ مِثْلَ مَرَاغِ دَوَابِّكُمْ فِي الدُّنْيَا" ^{٢٢٠}.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: "لِلْيَهُودِ: إِنِّي سَأَلْتُهُمْ عَنْ ثُرْبَةِ الْجَنَّةِ، وَهِيَ دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ". فَسَأَلْتُهُمْ فَقَالُوا: خُبْرَةٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: "الْخُبْزُ مِنَ الدَّرْمَكِ" ^{٢٢١}.

الخبزة: الخبز - الدرمة: الدقيق الخالص المنقى الأبيض - الدرمة: الدقيق الخالص المنقى الأبيض أى أن تربة الجنة في بياضه

وعن أسامة بن زيد، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا هَلْ مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا هِيَ، وَرَبُّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأَلُ، وَرِيحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مُشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطْرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ

^{٢١٥} - البعث والنشور للبيهقي (٢٤٦) صحيح

^{٢١٦} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٩٥) (٣٥٠٨٧) صحيح لغيره

^{٢١٧} - البعث والنشور للبيهقي (٢٥١) ضعيف والصواب وقفه

^{٢١٨} - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٢٤٢) صحيح موقوف

^{٢١٩} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٠ / ص ٢٩٣) (١٢٥٥٥) حسن

^{٢٢٠} - المعجم الأوسط للطبراني (١٨٢٨) حسن

^{٢٢١} - مسند أحمد (١٥٢٦٤) حسن

حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بِهِيَّةٍ، قَالُوا: نَحْنُ الْمُشْمَرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُولُوا: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الْجَهَادَ وَحَضَّ عَلَيْهِ. ٢٢٢

مشمر للجنة: ساع لها غاية السعي، طالب لها عن صدق ورغبة - مطرد: جارٍ يتبع بعضه بعضا - نضيحة: مكتملة النمو - الحبرة: النعيم العظيم

قال أبو محمد رحمه الله: هذا أوجز ما يكون من الكلام وأحسنه، وتقديره: إن ربحانتها نضرة أبدا غضة، ونورها مشرق لا يتغير، وأنهارها جارية، ولأهلها أزواج لا يموتون، ولا يهرمون، ولا ينفد نعيمهم، وهم فيها خالدون ٢٢٣

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَابْنِ صَائِدٍ: مَا تُرَبِّةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: دَرْمَكَةٌ بَيَضَاءُ مِسْكٍ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: صَدَقْتَ. ٢٢٤.

الدرمكة: الدقيق الخالص المنقى الأبيض أى أن تربة الجنة فى بياضه

المبحث الخامس عشر خياج الجنة وأسرانها وأرائكها

قال تعالى: (حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) {الرحمن: ٧٢} وفي الجنة نساء حسان الوجوه، حُورٌ الْعُيُونِ، قَدْ قَصَرَ عَنْ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَقَدْ لَازَمْنَ بَيُوتَهُنَّ، فَلَسْنَ بِطَوَافَاتٍ فِي الطَّرِيقَاتِ .

وهذه الخيام غير الغرف، فعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ، مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ » ٢٢٥.

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ٢٢٦.

٢٢٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٨٩) (٧٣٨١) حسن لغیره

٢٢٣ - الأمثال للرامهرمزي (١٠٩)

٢٢٤ - صحيح مسلم (٧٥٣٥)

٢٢٥ - صحيح البخارى (٤٨٧٩)

٢٢٦ - صحيح مسلم (٧٣٣٧)

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ الْخِيَمَةَ دُرَّةٌ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، لَا يَرَاهُمْ غَيْرُهُمْ. ^{٢٢٧}

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خِيَمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لَا يَرَاهُمْ الْآخَرُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ^{٢٢٨} وقال تعالى: (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) {الغاشية: ١٣-١٦}،

والنمارق: هي الوسائد، والزرابي: هي البُسُط. وتأمل كيف وصف الله تعالى الفرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مَبْثُوثَةٌ، والنمارق بأنها مصفوفة. فرفع الفرش دالٌّ على سمكها ولينها، بثُّ الزرابي: دالٌّ على كثرتها وانتشارها في كل موضع، وصف المساند: دالٌّ على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً وأنها ليست مخبأة تُصَفُّ في وقت دون وقت ^{٢٢٩}

وقال تعالى: (مُتَكِّينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) {الرحمن: ٧٦}، قال الحسن وغيره: الرفارف: البسط، وقال ابن كيسان: المرافق، وقال الزجاج: قالوا: الرفرف هنا رياض الجنة، وقالوا: الوسائد، وقالوا: المحابس، قال في الصحاح: الرفرف ثيابٌ خضراءٌ يتخذ منها المحابس، الواحدة: رفرقة. ومعنى العبقرى: الزرابي، والطنافس المشوية الثمينة، قال أبو عبيدة: كل وشي من البسط عبقرى، قال الجوهري: العبقرى موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا: عبقرى، وهو واحد وجمع ^{٢٣٠}

وفي الجنة غرف وقصور عظيمة، يدلُّ على ذلك قول الله تعالى: {لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} (٢٠) سورة الزمر، أمَّا الْمُتَّقُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُجْزِيهِمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ، وَبِأَنَّ يَجْعَلَ لَهُمْ فِيهَا دُورًا شَاهِقَةً (غُرَفٌ) مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مُحْكَمَةُ الْبُنْيَانِ، وَتَجْرِي الْأَنْهَارُ خِلَالَ أَشْجَارِهَا، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ حَقٌّ لِلْمُتَّقِينَ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا.

فأخبر تعالى أنها غُرَفٌ فوق غرف، وأنها مبنية، حتى لا تتوهم النفوس أن في ذلك تمثيل أو خيال، بل هو على الحقيقة .

وقال تعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ} (٣٧) سورة سبأ.

^{٢٢٧} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٠٥) (٣٥١١٧) صحيح

^{٢٢٨} - مسند أبي يعلى الموصلي (٧٣٣١) صحيح

^{٢٢٩} - حادي الأرواح لابن القيم ص: ١٩٨

^{٢٣٠} - تفسير فتح القدير للشوكاني (١٤٣/٥)

قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي تُفَاخِرُونَ النَّاسَ بِهَا، وَأَوْلَادَكُمْ الَّذِينَ تَسْتَكْبِرُونَ بِهِمْ عَلَى النَّاسِ، لَا تُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَلَيْسَتْ دَلِيلًا عَلَى عِنَايَتِهِ بِكُمْ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا جَزَاءَ عَمَلِهِ فَيَجْزِيهِ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَيَجْعَلُ مَسْكَنَهُ فِي عُرْفَاتِهَا الْعَالِيَةِ، وَهُوَ آمِنٌ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَشَرٍّ وَهَوْلٍ .

وقال تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} (٧٥) سورة الفرقان وهؤلاء المؤمنون المتصِفون بالصفات السابقة، يُجْزَوْنَ، يوم القيامة، بالدرجات العالية، والمنازل الرفيعة، في الجنة، لصبرهم على القيام بما أمر الله، وتلقاهم الملائكة في الجنة بالتحية والسلام، فلهم السلام، وعليهم السلام .

وأخبر عن امرأة فرعون { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (١١) سورة التحريم. وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمؤمنين على أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، فقد كانت امرأة فرعون مؤمنة مخلصه الله، وكان فرعون طاغية جباراً، فما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلم الناس أن الله حكيم عادل، لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره. وقد سألت امرأة فرعون ربها أن يجعلها قريبة من رحمته، وأن يبنى لها عنده بيتاً في الجنة، وأن ينقذها من فرعون وأعماله الخبيثة، وأن ينجيها من قومه الظالمين .

وعن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ، قال: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْعُرْفَةَ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ. ٢٣١

وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ، قال: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْعَابِرَ مِنَ الْأَفْقِ، مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ. قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ. قال: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رَجُلٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ. ٢٣٢

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. قال: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ أَوْ تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْعَارِبَ فِي الْأَفْقِ وَالطَّالِعَ فِي تَفَاضُلِ الدَّرَجَاتِ. قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُولَئِكَ النَّبِيُّونَ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَقْوَامٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ. ٢٣٣

ويستفاد من هذا الحديث أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة، بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى من بعض وأرفع.

٢٣١ - صحيح البخاري (٦٥٥٥) ومسلم (٧٣١٩)

٢٣٢ - صحيح مسلم (٧٣٢٢)

٢٣٣ - مسند أحمد (٨٦٩٥) صحيح

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَاعْتَمَرْنَا مَعَهُ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ طَافَ وَطُفْنَا مَعَهُ، وَأَتَى الصُّفَا وَالْمَرَوَةَ وَأَتَيْنَاهَا مَعَهُ، وَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَرْمِيَهُ أَحَدٌ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ لِي أَكَانَ دَخَلَ الْكَعْبَةَ قَالَ لَا ، قَالَ فَحَدَّثْنَا مَا قَالَ لِخَدِيجَةَ. قَالَ « بَشَرُوا خَدِيجَةَ بِنَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ »^{٢٣٤}. القصب: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلَامَ وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا سَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ.^{٢٣٥}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أَبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِنَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا سَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ.^{٢٣٦}

قيل: لأنها حازت قصب السبق في التصديق بالرسالة فكان جزاؤها قصرًا من قصب ..

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا فَقَالُوا لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ. فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِلَّا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ ». قَالَ وَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ^{٢٣٧}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِقَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ فَقَالُوا: لَفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ، فَطَنَنْتُ أَنَّهُ لِي، قُلْتُ: مَنْ هُوَ ؟ قِيلَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا أَبَا حَفْصٍ لَوْلَا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ لَدَخَلْتُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَغَارُ عَلَيْكَ.^{٢٣٨}

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ جَنَّتَيْنِ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا مِنْ فِضَّةٍ وَجَنَّتَيْنِ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا مِنْ ذَهَبٍ وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ ».

وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُونَ مِيلًا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ».^{٢٣٩}

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لِرَجُلٍ لَهُ دَارٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ، مِنْهَا غُرْفُهَا وَأَبْوَابُهَا. وَإِنْ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لِرَجُلٍ عَلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ

^{٢٣٤} - صحيح البخارى (١٧٩١) ومسلم (٦٤٢٧)

^{٢٣٥} - صحيح مسلم (٦٤٢٦) وصحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٤٦٩) (٧٠٠٩)

^{٢٣٦} - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٤٦٦) (٧٠٠٥) صحيح

^{٢٣٧} - صحيح البخارى (٧٠٢٤)

^{٢٣٨} - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٢٥٠) (٥٤) صحيح

^{٢٣٩} - سنن الترمذى (٢٧١٩ و ٢٦٢٠) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ. مَسَامِعُهُ جَمْرٌ، وَأَضْرَاسُهُ جَمْرٌ، وَأَشْفَارُهُ لَهَبُ النَّارِ، وَتَخْرُجُ أَحْشَاؤُهُ مِنْ جَنْبَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، وَسَائِرُهُمْ كَالْحَبِّ الْقَلِيلِ فِي الْمَاءِ الْكَثِيرِ يَقُورُ.^{٢٤٠}

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، لَرَجُلٌ عَلَيْهِ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَأَنَّهُ مَرْجُلٌ، مَسَامِعُهُ جَمْرٌ، وَأَضْرَاسُهُ جَمْرٌ، وَأَشْفَارُهُ لَهَبُ النَّارِ، وَتَخْرُجُ أَحْشَاءُ جَنْبَيْهِ مِنْ قَدَمَيْهِ، وَسَائِرُهُمْ كَالْحَبِّ الْقَلِيلِ فِي الْمَاءِ الْكَثِيرِ، فَهُوَ يَقُورُ.^{٢٤١}

المرجل: إناء يغلى فيه الماء، سواء كان من نحاس وغيره، وله صوت عند غليان الماء فيه وعن عبد الله، قال: لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، تدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا مراحات، ولا ذفرات، ولا سخرات، ولا طماحات حور عين كأنهن بيض مكنون^{٢٤٢}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الْخَيْمَةُ لَوْلُؤَةٌ مُجَوَّفَةٌ، فَرَسَخٌ فِي فَرَسَخٍ، لَهَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ مَصْرَاعٍ مِنْ ذَهَبٍ.^{٢٤٣}
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ { حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ }، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ، فَرَسَخٌ فِي فَرَسَخٍ، فِيهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مَصْرَاعٍ.^{٢٤٤} • المصراع: جانب الباب

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.^{٢٤٥}
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قال: - قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا. فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ.^{٢٤٦}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، فَقَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ.^{٢٤٧}

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.^{٢٤٨}

^{٢٤٠} - الزهد لأسد بن موسى (٨) صحيح مرسل

^{٢٤١} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٥٧) (٣٥٢٧٠) صحيح مرسل

^{٢٤٢} - صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٣٠٦) ضعيف

^{٢٤٣} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٣٣) (٣٥١٩٣) صحيح ومثله لا يقال بالرأي

^{٢٤٤} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٣٥) (٣٥١٩٧) صحيح لغيره

^{٢٤٥} - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٢٦٢) (٥٠٩) صحيح

^{٢٤٦} - غاية المقصد في زوائد المسند (٤٠١٨) صحيح لغيره

^{٢٤٧} - المستدرک للحاكم (٢٧٠) صحيح

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَيُرَى مِنْ بَاطِنِهَا فِي ظَاهِرِهَا، قِيلَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَفْشَى السَّلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَادَمَ الصِّيَامَ وَبَاتَ بِاللَّيْلِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ ٢٤٩

وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَأَادَمَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. ٢٥٠

وعن علي، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا"، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لِمَنْ قَالَ طَيِّبَ الْكَلَامِ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ" ٢٥١

وعن جابر بن عبد الله، قَالَ: قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِغُرَفِ الْجَنَّةِ؟"، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّنَا أَنْتَ وَأَمْنَا، قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا مِنْ أَصْنَافِ الْجَوْهَرِ كُلِّهِ يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَاللَّذَاتِ وَالسَّرَفِ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِمَنْ هَذِهِ الْغُرَفُ؟ قَالَ: "لِمَنْ أَفْشَى السَّلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَادَمَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ"، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يُطَبِّقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "أُمَّتِي تُطَبِّقُ ذَلِكَ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ أَفْشَى السَّلَامَ، وَمَنْ أَطْعَمَ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى يُشْبِعَهُمْ، فَقَدْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ، وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَدْ آدَمَ الصِّيَامَ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، وَصَلَّى الْعِدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، فَقَدْ صَلَّى اللَّيْلَ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، وَالْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسُ" ٢٥٢

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَا: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: "وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ" [الصف آية ١٢] قَالَ: "قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ لَوْلُؤَةٍ، فِيهَا سَبْعُونَ دَارًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتًا مِنْ زُمُرَدَةٍ خَضْرَاءَ، وَكُلُّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيرًا، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ فِرَاشًا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، عَلَى كُلِّ فِرَاشٍ امْرَأَةٌ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ مَائِدَةً عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ وَصِيفًا وَوَصِيفَةً، وَيُعْطَى الْمُؤْمِنُ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ". ٢٥٣

٢٤٨ - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٢٦٢) (٥٠٩) صحيح

٢٤٩ - مسند الشاميين (١٢٤٧) صحيح لغيره

٢٥٠ - مسند البزار (٧٠٢) صحيح لغيره

٢٥١ - شعب الإيمان للبيهقي (٣٢١٠) صحيح لغيره

٢٥٢ - البعث والنشور للبيهقي (٢٤٣) حسن لغيره

٢٥٣ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٣ / ص ٤٩) (١٤٧٦٨) ضعيف

واعلم أن أهل الجنة يعرفون غرفهم ومساكنهم حين دخولهم الجنة وإن لم يروها قبل ذلك، قال تعالى: (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) [محمد/٤-٧]).

والذين قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ من المؤمنين فلن يُبْطِلَ اللَّهُ ثواب أعمالهم، سيوفقهم أيام حياتهم في الدنيا إلى طاعته ومرضاته، ويُصْلِحَ حالهم وأمورهم وثوابهم في الدنيا والآخرة، ويدخلهم الجنة، عَرَّفَهُمْ بِهَا ونَعَتْهَا لهم، ووفقهم للقيام بما أمرهم به -ومن حملته الشهادة في سبيله-، ثم عَرَّفَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ منازلهم بها. وعن مجاهد، في قوله (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) قال: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم لا يخطئون، كأهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا. ٢٥٤ وقال ابن زيد، في قوله (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) قال: بلغنا عن غير واحد قال: يدخل أهل الجنة الجنة، ولهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون إليها في عمر الدنيا؛ قال: فتلك قول الله جل ثناؤه (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ). ٢٥٥

وقال القرطبي: "قال أكثر أهل التفسير: إذا دخل أهل الجنة الجنة يقال لهم تفرقوا إلى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم" ٢٥٦.

وعَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِبُوا وَنُقُوا أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحْدَهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» ٢٥٧.

قال القرطبي: وقع في حديث عبد الله بن سلام أن الملائكة تدلُّهم على طريق الجنة يمينًا وشمالًا، وهو محمول على من لم يُحْبَسْ بِالقَنْطَرَةِ أَوْ عَلَى الْجَمِيعِ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ ذَلِكَ لَهُمْ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ دَخَلَ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ بِمَنْزِلِهِ فِيهَا كَمَعْرِفَتِهِ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا. قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ بَعْدَ الدُّخُولِ مُبَالَغَةً فِي التَّبْشِيرِ وَالتَّكْرِيمِ، وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ الْمَذْكُورُ أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ. ٢٥٨

٢٥٤ - تفسير الطبري - (ج ٢٢ / ص ١٦٠) حسن

٢٥٥ - تفسير الطبري - (ج ٢٢ / ص ١٦٠) صحيح

٢٥٦ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ١ / ص ٤٤١)

٢٥٧ - صحيح البخاري (٦٥٣٥)

٢٥٨ - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٣٨٢)

المبحث السادس عشر نور الجنة

قال القرطبي: "قوله تعالى: (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أَيُّ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا أَيُّ فِي قَدَرِ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ إِذْ لَا بُكْرَةَ ثُمَّ وَلَا عَشِيًّا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها «١» شَهْرٌ" أَيُّ قَدَرِ شَهْرٍ، قَالَ مَعْنَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَغَيْرُهُمَا. وَقِيلَ: عَرَّفَهُمْ اعْتِدَالَ أَحْوَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَكَانَ أَهْنًا النَّعْمَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ التَّمَكُّنُ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ وَقَتَادَةُ كَانَتْ الْعَرَبُ فِي زَمَانِهَا مِنْ وَجَدَ غَدَاءً وَعَشَاءً مَعًا فَذَلِكَ هُوَ النَّاعِمُ فَزَلَتْ. وَقِيلَ: أَيُّ رِزْقُهُمْ فِيهَا غَيْرُ مُنْقَطِعٍ كَمَا قَالَ: (لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ) «٢» كَمَا تَقُولُ: أَنَا أَصْبَحُ وَأُمْسِي فِي ذِكْرِكَ. أَيُّ ذِكْرِي لَكَ دَائِمٌ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْبُكْرَةُ قَبْلَ تَشَاغُلِهِمْ بِلَذَائِهِمْ وَالْعَشِيُّ بَعْدَ فَرَاحِهِمْ مِنْ لَذَائِهِمْ لِأَنَّهُ يَتَخَلَّلُهَا فتراتٌ انْتِقَالٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ. وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: طَعَامُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَانٍ وَتِلْكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا" ثُمَّ قَالَ: وَعَوَّضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّبَامِ السَّحُورَ بَدَلًا مِنَ الْغَدَاءِ لِيَقْوُوا بِهِ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَنَّ صِفَةَ الْغَدَاءِ وَهَيْئَتَهُ [غير «٣»] صِفَةُ الْعَشَاءِ وَهَيْئَتِهِ، وَهَذَا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْمُلُوكُ. وَكَذَلِكَ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ رِزْقُ الْغَدَاءِ غَيْرُ رِزْقِ الْعَشَاءِ تَتَلَوَّنُ عَلَيْهِمُ النَّعْمُ لِيَزْدَادُوا تَنَعُّمًا وَغَبْطَةً. وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي (نَوَادِرِ الْأُصُولِ) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هَانٍ^{٢٥٩} عَنِ الْحَسَنِ وَأَبِي قِلَابَةَ قَالَا قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ لَيْلٍ؟ قَالَ (وَمَا هِيَ جَنَّتُكَ عَلَى هَذَا) قَالَ سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ: "وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا" فَقُلْتُ: اللَّيْلُ بَيْنَ الْبُكْرَةِ وَالْعَشِيِّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ هُنَاكَ لَيْلٌ إِنَّمَا هُوَ ضَوْءٌ وَنُورٌ يَرُدُّ الْغُدُوَّ عَلَى الرَّوَّاحِ وَالرَّوَّاحَ عَلَى الْغُدُوِّ وَتَأْتِيهِمْ طُرْفُ الْهَدَايَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ الَّتِي كَانُوا يُصَلُّونَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) وَهَذَا فِي غَايَةِ الْبَيَانِ لِمَعْنَى آيَةِ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي كِتَابِ (التَّذَكُّرَةِ). وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ وَإِنَّمَا هُمْ فِي نُورٍ أَبَدًا إِنَّمَا يَعْرِفُونَ مِقْدَارَ اللَّيْلِ مِنَ النَّهَارِ بِإِرْخَاءِ الْحُجُبِ وَإِعْلَاقِ الْأَبْوَابِ وَيَعْرِفُونَ مِقْدَارَ النَّهَارِ بِرَفْعِ الْحُجُبِ وَفَتْحِ الْأَبْوَابِ. ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ الْجَوَازِيُّ وَالْمَهْدَوِيُّ وَغَيْرُهُمَا..^{٢٦٠}

وقال الطبري^{٢٦١}: "وقوله (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) يقول: ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا، وإنما يعني أن الذي بين

^{٢٥٩} -أبان ضعيف جدا

^{٢٦٠} - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - (ج ١ / ص ٣٥٢٠) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ٢ / ص ١٤٧)

^{٢٦١} - وتفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ٢٢٠) وانظر تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ٢٤٨)

غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء احدنا في الدنيا وعشائه، وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار، وذلك كقوله (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) و(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) يعني به: من أيام الدنيا.

كما حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: سألت زهير بن محمد، عن قول الله: (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال: ليس في الجنة ليل، هم في نور أبد، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب. حدثنا علي، قال: ثنا الوليد، عن خلود، عن الحسن، وذكر أبواب الجنة، فقال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها، فتكلم وتكلم، فتهمهم انفتحي انغلقي، فتفعل.

حدثني ابن حرب، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا عامر بن يساف، عن يحيى، قال: كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء، فذاك الناعم في أنفسهم، فأنزل الله (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) : قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلى عشائكم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا، قدر ذلك الغداء والعشاء.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ليس بكرة ولا عشي، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: { وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } فِيهَا سَاعَتَانِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَهُمْ لَيْسَ ثُمَّ لَيْلٌ، إِنَّمَا هُوَ ضَوْءٌ وَنُورٌ. ^{٢٦٢}
وعن الحسن: { وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } قال: البكور يرد على العشي، والعشي يرد على البكور، ليس فيها ليل. ^{٢٦٣}

وقال ابن كثير ^{٢٦٤}: " وقوله: { وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } أي: في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلاً أو نهاراً ولكنهم في أوقات تتعاقب، يعرفون مضيها بأضواء وأنوار،

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُرُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَحِطُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَعَوَّطُونَ فِيهَا آيَاتُهُمْ، وَأَمَشَاتُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ

^{٢٦٢} - تفسير الطبري (١٧٩٤٤) صحيح مرسل

^{٢٦٣} - تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ٢٤٨) صحيح مقطوع

^{٢٦٤} - تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ٢٤٧)

الْأَلْوَةُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مَخُ سَوْقَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. ٢٦٥

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. ٢٦٦

ويقول ابن تيمية في هذا الموضوع: "وَالْجَنَّةُ لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ لَكِنْ تُعْرَفُ الْبُكْرَةُ وَالْعَشِيَّةُ بِنُورٍ يَظْهَرُ مِنْ قَبْلِ الْعَرْشِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ" ٢٦٧

المبحث السابع عشر

ريح الجنة

للجنة رائحة عبقة زكية تملأ جنباتها، وهذه الرائحة يجدها المؤمنون من مسافات شاسعة، وجاءت السنة بإثبات ذلك، وأن بعض الذنوب تحرم صاحبها رائحة الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ مِثْلُ أَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا. ٢٦٨.

البخت: واحدتها البختية وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين

وَعَنْ ثَلَاثِينَ مِنْ أَهْلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَنْ آبَائِهِمْ دَنِيَّةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا وَاتَّقَصَهُ وَكَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَأَنَا حَاجِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِإِصْبَعِهِ إِلَى صَدْرِهِ: «أَلَا وَمَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا». ٢٦٩

٢٦٥ - مسلم (٧٣٣٠) وصحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٦٣) (٧٤٣٦)

٢٦٦ - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ٥١٥) (٤٦٥٨) صحيح

٢٦٧ - مجموع الفتاوى - (ج ٤ / ص ٣١٢)

٢٦٨ - صحيح مسلم (٥٧٠٤) وصحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٠٠) (٧٤٦١)

ذكر العلماء في معنى (كاسيات عاريات) أوجه: منها أن تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ومنها: أن يلبس ثيابا رفاقا تصف ما تحتها. و(مميلات مائلات) أي: مميلات للرجال بزيتنهن، مائلات إليهم وقيل: مائلات متبخترات في مشيتهن مميلات أكتافهن، و(البخت) هي نوع من الإبل. والحديث من نبوءات النبي ﷺ

٢٦٩ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٩ / ص ٢٠٥) (١٩٢٠١) صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَتَّبِعَنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ، أَلَا وَمَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَقَدْ خَفَرَ ذِمَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَرِيحُ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا^{٢٧٠}

الغداة: الصبح - الذمة والذمام: العهد، والأمان، والضمان، والحُرمة، والحق - ذمة الله: عهده وأمانه في الدنيا والآخرة - الخريف: الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء ويطلق على العام كله

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا.^{٢٧١}

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ.^{٢٧٢}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا »^{٢٧٣}.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَبِي الْحَجَّاجِ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يَجِدُونَ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ: الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْبَخِيلُ الْمَنَانُ " ^{٢٧٤}

العقوق: الاستخفاف بالوالدين وعصيانهما وترك الإحسان إليهما - المنان: الفخور على من أعطى حتى يُفسدَ عطاءه

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَكُونَ الْعَدَدُ بِخُصُوصِهِ مَقْصُودًا بَلِ الْمَقْصُودُ الْمُبَالَغَةُ فِي التَّكْثِيرِ، وَلِهَذَا خَصَّ الْأَرْبَعِينَ وَالسَّبْعِينَ؛ لِأَنَّ الْأَرْبَعِينَ يَشْتَمِلُ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعَدَدِ لِأَنَّ فِيهِ الْآحَادَ وَآحَادَهُ عَشْرَةَ وَالْمِائَةَ عَشْرَاتٍ وَالْأَلْفَ مِائَاتٍ وَالسَّبْعَ عَدَدَ فَوْقَ الْعَدَدِ الْكَامِلِ وَهُوَ سِتَّةٌ إِذْ أَجْزَأُوهُ بِقَدْرِهِ وَهِيَ النِّصْفُ وَالثُّلُثُ وَالسُّدُسُ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَأَمَّا الْخَمْسِمِائَةُ فَهِيَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

قُلْتُ: وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي فِي الْجَمْعِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْأَرْبَعِينَ أَقَلُّ زَمَنٍ يُدْرِكُ بِهِ رِيحَ الْجَنَّةِ مَنْ فِي الْمَوْقِفِ، وَالسَّبْعِينَ فَوْقَ ذَلِكَ أَوْ ذُكِرَتْ لِلْمُبَالَغَةِ، وَالْخَمْسِمِائَةُ ثُمَّ الْأَلْفُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَعْمَالِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنَ الْمَسَافَةِ الْبُعْدَى أَفْضَلُ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ مِنَ الْمَسَافَةِ الْقُرْبَى وَيَبِينُ ذَلِكَ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ شَيْخُنَا فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ فَقَالَ: الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ أَنَّ ذَلِكَ

^{٢٧٠} - مسند أبي يعلى الموصلي (٦٤٥٢) حسن

^{٢٧١} - صحيح ابن حبان - (ج ١١ / ص ٢٤٠) (٤٨٨٢) صحيح

^{٢٧٢} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٩١) (٧٣٨٢) صحيح

^{٢٧٣} - صحيح البخاري (٦٩١٤)

^{٢٧٤} - تهذيب الآثار للطبري (١٥٦٦) صحيح مرسل

يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ بِتَفَاوُتِ مَنَازِلِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ. ثُمَّ رَأَيْتُ نَحْوَهُ فِي كَلَامِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ فَقَالَ: رِيحُ الْجَنَّةِ لَا يُدْرِكُ بِطَبِيعَةٍ وَلَا عَادَةٍ وَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِمَا يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْ إِدْرَاكِهِ فَتَارَةً يُدْرِكُهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ وَتَارَةً مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةٍ.^{٢٧٥}

المبحث الثامن عشر أهل الجنة يرثون أهل النار

جعل الله لكل واحد من بني آدم منزلين: منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، ثم إن من كتب له الشقاوة من أهل الكفر والشرك يرثون منازل أهل الجنة التي كانت لهم في النار، والذين كتب لهم السعادة من أهل الجنة يرثون منازل أهل النار التي كانت لهم في الجنة، قال تعالى في حق المؤمنين المفلحين بعد أن ذكر أعمالهم التي تدخلهم الجنة: (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) [المؤمنون/١٠-١١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنَزَلَانِ مَنَزَلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنَزَلٌ فِي النَّارِ فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَزْلَهُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) ».^{٢٧٦}
وعن أبي هريرة، في قوله، (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) قال: يرثون مساكنهم، ومساكن إخوانهم التي أعدت لهم لو أطاعوا الله.^{٢٧٧}

وعن ابن جريج، قال: الوارثون الجنة أورثتموها، والجنة التي نورث من عبادنا هن سواء، قال ابن جريج: قال مجاهد: يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره، ومنزل الذين من أهل النار، هم يرثون أهل النار، فلهم منزلان في الجنة وأهلان، وذلك أنه منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فينني منزله الذي في الجنة، ويهدم منزله في النار. وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة. ويبني منزله الذي في النار.^{٢٧٨}

وقد قيل: إن معنى "خسارهم أنفسهم"، أن كل عبد له منزل في الجنة ومنزل في النار. فإذا كان يوم القيامة، جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة، وجعل لأهل النار منازل أهل الجنة في النار، فذلك خسران الخاسرين منهم، لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار، بما فرط منهم في الدنيا من معصيتهم الله، وظلمهم أنفسهم، وذلك معنى قول الله تعالى ذكره: الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ

^{٢٧٥} - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٩ / ص ٣٦٩)

^{٢٧٦} - سنن ابن ماجه (٤٤٨٥) صحيح

^{٢٧٧} - تفسير الطبري - (ج ١٩ / ص ١٢) صحيح

^{٢٧٨} - تفسير الطبري - (ج ١٩ / ص ١٣) صحيح

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، [سورة المؤمنون: ١١] ٢٧٩. فالْمُؤْمِنُونَ يَرْتُونَ مَنَازِلَ الْكَافِرِ، لِأَنَّهُمْ خَلَقُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَمَّا قَامَ هَؤُلَاءِ بِمَا وَجِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَتَرَكَ أَوْلَئِكَ مَا أَمَرُوا بِهِ مِمَّا خَلَقُوا لَهُ، أَحْرَزَ هَؤُلَاءِ نَصِيبَ أَوْلَئِكَ لَوْ كَانُوا أَطَاعُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ أُبْلَغَ مِنْ هَذَا أَيْضًا، وَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» ٢٨٠.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فَكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ» ٢٨١.

وهذا الحديث كقوله تعالى {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} (٦٣) سورة مريم، وقوله تعالى: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٧٢) سورة الزخرف، فهم يرتون نصيب الكفار في الجنان ٢٨٢.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدِيثُ تَفْسِيرًا لِحَدِيثِ الْفِدَاءِ، وَالْكَافِرُ إِذَا أُورِثَ عَلَى الْمُؤْمِنِ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْمُؤْمِنُ إِذَا أُورِثَ عَلَى الْكَافِرِ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ يَصِيرُ فِي التَّقْدِيرِ كَأَنَّهُ فُدِيَ الْمُؤْمِنُ بِالْكَافِرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ عَلَّلَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدِيثَ الْفِدَاءِ بِرِوَايَةِ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَنْ أَبِيهِ وَبِرِوَايَةِ أَبِي حُصَيْنٍ عَنْهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، وَبِرِوَايَةِ حُمَيْدٍ عَنْهُ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ الْخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الشَّفَاعَةِ، وَأَنَّ قَوْمًا يُعَذَّبُونَ ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ أَكْثَرَ وَأَبْيَنَ. وَحَدِيثُ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ صَحَّ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِنِ الْحَجَّاجِ وَغَيْرِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَوْجِهِ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا وَغَيْرَهَا وَوَجْهَهُ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَذَلِكَ لَا يُنَافِي حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ، فَإِنَّ حَدِيثَ الْفِدَاءِ وَإِنْ وَرَدَ مَوْرَدَ الْعُمُومِ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ قَدْ صَارَتْ ذُنُوبُهُ مُكَفَّرَةً بِمَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَايَا فِي حَيَاتِهِ فَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ، إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ جَعَلَ اللَّهُ عَذَابَهَا بِأَيْدِيهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ إِلَيْ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ فَكَانَ فِدَاؤُهُ مِنَ النَّارِ، وَحَدِيثُ الشَّفَاعَةِ يَكُونُ فِيمَنْ لَمْ تَصِرْ ذُنُوبُهُ مُكَفَّرَةً فِي حَيَاتِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَوْلُ لَهُمْ فِي حَدِيثِ الْفِدَاءِ بَعْدَ الشَّفَاعَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا حَدِيثُ: أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ مِثْلِ الْجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى" " فِيمَا أَحْسِبُ أَنَا قَالَهُ بَعْضُ رَوَاتِهِ، فَهَذَا حَدِيثٌ شَكٌّ فِيهِ رَاوِيهِ، وَشَدَادُ أَبُو طَلْحَةَ مِمَّنْ تَكَلَّمَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمٌ بِنِ الْحَجَّاجِ اسْتَشْهَدَ

٢٧٩ - تفسير الطبري - (ج ١١ / ص ٢٩٤)

٢٨٠ - صحيح مسلم (٧١٩٠)

٢٨١ - صحيح مسلم (٧١٨٧)

٢٨٢ - تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ٤٦٤) فما بعد

به في كتابه فليس هو ممن يُقبل منه ما يُخالف فيه كيف، والذين خالفوه في لفظ الحديث عدد وهو واحد، وكل واحد ممن خالفه أحفظ منه فلا معنى للاشتغال بتأويل ما رواه مع خلاف ظاهر ما رواه الأصول الصحيحة الممهدة في: والله أعلم^{٢٨٣}

المبحث التاسع عشر في انهار الجنة

عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله -ﷺ- « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجرأه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج »^{٢٨٤}
وعن ابن عمر قال قال رسول الله -ﷺ-: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجرأه على الياقوت والدر، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأشدُّ بياضاً من الثلج.^{٢٨٥}
وعن ابن عمر قال قال لنا رسول الله -ﷺ- « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل »^{٢٨٦}.

الياقوت: حجر كريم من أجود الأنواع وأكثرها صلابة بعد الماس، خاصة ذو اللون الأحمر وعن ابن عباس، في قوله عز وجل: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} (١) سورة الكوثر، قال هو: « نهر في الجنة عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، شاطئاه اللؤلؤ، والزبرجد والياقوت خص الله عز وجل به نبيه ﷺ دون الأنبياء عليهم السلام »^{٢٨٧}
وعن أنس بن مالك قال: "لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخذود في الأرض، لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض، أحد حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت وطينه المسك الأذفر"، قلت: ما الأذفر؟ قال: "الذي لا خلط له" ^{٢٨٨} - أذفر: جيد إلى الغاية رائحته شديدة
وعن الزهري، أن ابن عباس قال: "إن في الجنة نهرًا يقال له البیدخ عليه قباب الياقوت تحته جوار نابات، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البیدخ فيجئون فيتصفحون تلك الجوارى، فإذا أعجبت رجلاً منهم جارية مس معصمها فتبعته ونبت مكانها أخرى^{٢٨٩}

^{٢٨٣} - شعب الإيمان للبيهقي (٤٠٢)

^{٢٨٤} - سنن الترمذي (٣٦٨٦) وقال هذا حديث حسن صحيح.

^{٢٨٥} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١١ / ص ٤٤٠) (٣٢٣١٩) صحيح

^{٢٨٦} - مسند أحمد (٥٤٧٩) صحيح

^{٢٨٧} - صفة الجنة لابن أبي الدنيا (١٤١) فيه ضعف

^{٢٨٨} - صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٦٦) صحيح

^{٢٨٩} - صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٦٧) رجاله ثقات لكن الزهري لم يسمع من ابن عباس

البیدج والبیذخ: نهر فی الجنة - القبة: الخیمة الصغیرة أو البناء المستدیر المقوس المخوف
وعن أنس بن مالک، قال: قال رسول الله ﷺ: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ مِنَ اللَّوْلُؤِ، فَضَرَبْتُ
بِيَدِي مَجْرَى الْمَاءِ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذَا ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ أَعْطَاكَهُ اللَّهُ، أَوْ أَعْطَاكَ
رَبُّكَ.

وعن أنس بن مالک، أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ يَجْرِي، بَيَاضُهُ بَيَاضُ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ
الْعَسَلِ، وَحَافَتَاهُ خِيَامُ اللَّوْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي، فَإِذَا الثَّرَى مِسْكٌ أَذْفَرُ، فَقُلْتُ لِجَبْرِيلَ: مَا هَذَا ؟ فَقَالَ: هَذَا
الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ.

ذَكَرَ الْبَيَانُ بَأَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: حَافَتَاهُ مِنَ اللَّوْلُؤِ، أَرَادَ بِهِ: قِبَابَ اللَّوْلُؤِ الْمُخَوَّفِ.
وعن أنس، أن رسول الله ﷺ حَدَّثَ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ
الْمُخَوَّفِ، فَقَالَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا ؟ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى
أَرْضِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ الْمِسْكَ. ٢٩٠

الحافة: ناحية الموضع وجانبه - أذفر: جيد إلى الغاية رائحته شديدة
وعن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ - قَالَ: « بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ
الْمُخَوَّفِ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ. فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِينُهُ - مِسْكٌ
أَذْفَرُ » ٢٩١ .

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: أَنَهَارُ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ تِلَالٍ - أَوْ مِنْ تَحْتِ جِبَالٍ -
مِسْكَ. ٢٩٢

وعن زميل بن سمالك، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ، يَقُولُ: قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَا أَرْضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ: " مَرْمَرَةٌ بَيَضَاءُ
مِنْ فِصَّةٍ، كَأَنَّهَا مَرَّةٌ ". قُلْتُ: فَمَا نُورُهَا ؟ قَالَ: " أَمَا رَأَيْتَ السَّاعَةَ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ؟
كَذَلِكَ نُورُهَا إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ، وَلَا زَمْهَرِيرٌ ". قُلْتُ: فَمَا أَنَهَارُهَا ؟ أَفِي خِلَّةٍ ؟ قَالَ: " لَا، وَلَكِنَّهَا
تَجْرِي عَلَى أَرْضِ الْجَنَّةِ مُنْسَكِبَةً، لَا تَفِيضُ هَاهُنَا، وَلَا هَاهُنَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا كُونِي " ٢٩٣

المَرْمَر: وهو نوعٌ من الرُّحَامِ صُلْبٌ - الزَّمْهَرِير: شِدَّةُ الْبَرْدِ وهو الذي أَعَدَّهُ اللَّهُ عَذَابًا لِلْكَفَّارِ فِي الدَّارِ
الْآخِرَةِ

٢٩٠ - صحيح ابن حبان - (ج ١٤ / ص ٣٩٠) (٦٤٧٢ - ٦٤٧٤) صحيح

٢٩١ - صحيح البخاري (٦٥٨١)

٢٩٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٢٣) (٧٤٠٨) صحيح لغيره

٢٩٣ - العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥٨٥) حسن

فيه زميل بن سمالك الحنفي روى عن أبيه روى عنه عبد ربه بن بارق بن سمالك الحنفي وزميل خاله سمعت أبي يقول ذلك الجرح والتعديل
[ج ٣ - ص ٦٢٠] (٢٨٠٧)

وعن زميل بن سمالك، أَنَّ سِمَاكَ سَمِعَ أَبَاهُ يُحَدِّثُ أَنَّهُ لَقِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا كُفَّ بَصَرُهُ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا أَرْضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ: " مَرْمَرَةٌ كَأَنَّهَا مِرْآةٌ " قُلْتُ: مَا نُورُهَا ؟ قَالَ: " أَمَّا رَأَيْتَ السَّاعَةَ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَذَلِكَ نُورُهَا إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ وَلَا زَمْهَرِيرٌ "، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا أَنْهَارُهَا ؟ أَفِي أُخْدُودٍ ؟ قَالَ: " لَا وَلَكِنَّهَا تَجْرِي عَلَى أَرْضِ الْجَنَّةِ مُسْتَكِنَةً لَا تُفِيضُ هَاهُنَا وَلَا هَاهُنَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا كُونِي فَكَانَتْ "، قُلْتُ: فَمَا حُلُلُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ: " شَجَرَةٌ فِيهَا ثَمَرٌ كَأَنَّهُ الرُّمَّانُ، فَإِذَا أَرَادَ وَلِيُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا كِسْوَةً انْحَدَرَتْ إِلَيْهِ مِنْ غُصْنِهَا فَانْفَلَقَتْ لَهُ عَنْ سَبْعِينَ حُلَّةً أَلْوَانًا بَعْدَ أَلْوَانٍ ثُمَّ تَنْطَبِقُ فَتَرْجِعُ كَمَا كَانَتْ " ٢٩٤

وعن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " فِي الْجَنَّةِ بَحْرٌ لِلْمَاءِ، وَبَحْرٌ لِلْبَنِّ، وَبَحْرٌ لِلْعَسَلِ، وَبَحْرٌ لِلْخَمْرِ، ثُمَّ تُشْتَقُّ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدَ " قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ: فَحَدَّثْتُ بِهِذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ بِهِزِ بْنِ حَكِيمٍ فَقَالَ: لَمْ أَسْمَعْهُمَا ٢٩٥

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: " لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ أُخْدُودٌ فِي الْأَرْضِ، لَا وَاللَّهِ إِنَّهَا لَسَائِحَةٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، أَحَدُ حَافَتَيْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْأُخْرَى الْيَاقُوتُ وَطِينُهُ الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ "، قُلْتُ: مَا الْأَذْفَرُ ؟ قَالَ: " الَّذِي لَا خِلَاطَ لَهُ " ٢٩٦ - أذفر: جيد إلى الغاية رائحته شديدة

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مَا الْكَوْثَرُ قَالَ « ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْحُزْرِ ». قَالَ عُمَرُ بْنُ هَاشِمٍ لِنَاعِمَةَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَكَلْتُهَا أَنْعَمَ مِنْهَا » ٢٩٧ - الجزر: جمع جزور وهو البعير

المبحث العشرون في شجر الجنة وثمارها

قال الله تعالى - في وصف الجنتين الأوليين، في سورة الرحمن: (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) {آية ٤٨} أي: أغصان، وفي وصف الجنتين الثانيةين قال: (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَتَخْلُ وَرُمَانٌ) {آية ٦٨} وقال تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظِلِّ مَّمْدُودٍ) {الواقعة ٢٧-٣٠} والسدر: شجر النبق، ووصفه بأنه مخضود: أي لا شوك فيه، وقيل: قطع شوكه وجعل مكانه ثمرًا عظيمًا، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ

٢٩٤ - صفة الجنة لا بن أبي الدنيا (١٤٠) حسن وحسنه المنذري في الترغيب

٢٩٥ - البعث والنشور للبيهقي (٢٢٩) فيه ضعف

٢٩٦ - صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٣٣٧) وصف الجنة (٦٦) صحيح موقوف

٢٩٧ - سنن الترمذی (٢٧٣٨) حسن

ﷺ، يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يَنْفَعُنَا بِالْأَعْرَابِ وَمَسَائِلِهِمْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ شَجَرَةً مُؤَذِيَةً وَمَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً تُؤْذِي صَاحِبَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: السِّدْرُ، فَإِنَّ لَهَا شَوْكًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ يَخْضِدُ اللَّهُ شَوْكَهُ فَيَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمَرَةً، فَإِنَّهَا تُنْبِتُ ثَمَرًا تُفْتَقُ الثَّمَرَةُ مَعَهَا عَنِ النَّيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْثًا مَا مِنْهَا لَوْثٌ يُشَبِّهُ الْآخَرَ ٢٩٨١١

. وقال أمية بن أبي الصلت - يصف الجنة -:

إن الحقائق في الجنان ظليلة. فيها الكواكب سدرها مخضود ٢٩٩

والطلح: هو شجر الموز، قاله أكثر المفسرين، وهو قول ابن عباس وعلى وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري - رضى الله عنهم -.

وأما الظل الممدود: فيفسره حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - يُلْغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ - قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ {وَزِلُّ مَمْدُودٍ} (٣٠) سورة الواقعة» ٣٠٠.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، لَا يَقْطَعُهَا. ٣٠١

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا».

وزاد أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ - قَالَ «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ الْجَوَادَ الْمُضْمَرَّ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا» ٣٠٢.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا طُوبَى؟ قَالَ: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا. ٣٠٣

المضمر: المعد للسباق بالعلف والتمرين

وعن عامر بن زيد البكالي، أَنَّهُ سَمِعَ عُثْبَةَ بْنَ عَبْدِ السُّلَمِيِّ، يَقُولُ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا فَاكِهَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى، فَقَالَ: أَيُّ شَجَرٍ نُسِبَ، قَالَ: لَيْسَ نُسِبُهُ شَجَرًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ، وَلَكِنْ أَتَيْتَ الشَّامَ؟ قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَإِنَّهَا شَجَرَةٌ بِالشَّامِ تُدْعَى الْجُمَيْرَةُ

٢٩٨ - المستدرک للحاکم (٣٧٧٨) حسن

٢٩٩ - تفسير القرطبي (١٥٨/١٧)

٣٠٠ - صحيح البخاری (٤٨٨١)

٣٠١ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٢٨) (٧٤١٢) صحيح

٣٠٢ - صحيح مسلم (٧٣١٦ و ٧٣١٧)

٣٠٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٢٩) (٧٤١٣) حسن

تَشْتَدُّ عَلَى سَاقٍ، ثُمَّ يُنْشَرُ أَعْلَاهَا، قَالَ: مَا عَظُمَ أَصْلُهَا ؟ قَالَ: لَوْ ارْتَحَلْتَ جَذْعَةً مِنْ إِبِلٍ أَهْلِكَ مَا أَحْطَطَ بِأَصْلِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تُرْفَوَاتُهَا هَرَمًا. ٣٠٤

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ وَذَكَرَ لَهُ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى قَالَ « يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِائَةَ سَنَةٍ أَوْ يَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا مِائَةَ رَاكِبٍ شَكَّ يَحْيَى فِيهَا فَرَّاشُ الذَّهَبِ كَأَنَّ تَمَرَهَا الْقِلَالُ » ٣٠٥. الفنن: الغصن - القلال: جمع قلة أى كقلال هجر فى الكبير

وَعَنْ زِيَادِ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، وَاقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ: { وَظِلٌّ مَمْدُودٌ }، فَبَلَغَ ذَلِكَ كَعْبًا، فَقَالَ: صَدَقَ، وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى، وَالْفُرْقَانَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا رَكِبَ حَقَّةً، أَوْ جَذْعَةً، ثُمَّ أَدَارَ بِأَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، مَا بَلَغَهَا حَتَّى يَسْقُطَ هَرَمًا، إِنَّ اللَّهَ غَرَسَهَا بِيَدِهِ، وَتَفَخَّ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، وَإِنَّ أَفْنَانَهَا مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ نَهْرٌ إِلَّا يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ. ٣٠٦

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " الظِّلُّ الْمَمْدُودُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَى سَاقٍ قَدَرُ مَا يَسِيرُ الرَّكَّابُ الْمُجِدُّ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ فِي كُلِّ نَوَاحِيهَا " . قَالَ: " فَيَخْرُجُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ، أَهْلُ الْعُرْفِ وَغَيْرُهُمْ فَيَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّهَا، فَيَسْتَهَيُّ بَعْضُهُمْ وَيَذْكُرُ لَهُوَ الدُّنْيَا، فَيُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَحْرُكُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بِكُلِّ لَهْوٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا " ٣٠٧

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « قَالَ اللَّهُ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١٧) سورة السجدة ٣٠٨ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١٧) سورة السجدة. ٣٠٩

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ زَيْدِ الْبَكَالِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِيِّ، يَقُولُ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا حَوْضُكَ الَّذِي تُحَدِّثُ عَنْهُ ؟ فَقَالَ: هُوَ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى بُصْرَى، ثُمَّ يَمِدُّنِي اللَّهُ فِيهِ بِكَرَاعٍ لَا يَدْرِي بَشَرٌ مِمَّنْ خُلِقَ أَيُّ طَرَفِيهِ، قَالَ: فَكَبَّرَ عُمَرُ، فَقَالَ ﷺ: أَمَّا الْحَوْضُ فَيَزِدُّهُمْ عَلَيْهِ فَقَرَاءُ

٣٠٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٣٠) (٧٤١٤) حسن

٣٠٥ - سنن الترمذى (٢٧٣٧) صحيح لغيره

٣٠٦ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٠٥) (٣٥١١٦) حسن

٣٠٧ - صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٤٣) حسن

٣٠٨ - صحيح البخارى (٣٢٤٤) ومسلم (٧٣١٠)

٣٠٩ - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٩١) (٣٦٩) صحيح

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُورِدَنِي اللَّهُ الْكُرَاعَ فَأَشْرَبَ مِنْهُ. ٣١٠

وَعَنْ عَثْبَةَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: مَا حَوْضُكَ الَّذِي تُحَدِّثُ عَنْهُ؟ قَالَ: "كَمَا بَيْنَ الْبَيْضَاءِ إِلَى بُصْرَى، يُمِدُّنِي اللَّهُ فِيهِ بِكُرَاعٍ، لَا يَدْرِي إِنْسَانٌ [مِمَّنْ] خُلِقَ أَيْنَ طَرَفَاهُ؟". فَكَبَّرَ عُمَرُ، فَقَالَ: "أَمَّا الْحَوْضُ فَيَرِدُ عَلَيْهِ قُرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُورِدَنِي الْكُرَاعَ فَأَشْرَبَ مِنْهُ". وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مَنْ أُمِّي سَبْعِينَ أَلْفًا بَغِيرِ حِسَابٍ، ثُمَّ يَشْفَعُ كُلُّ أَلْفٍ لِسَبْعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ يَحْثِي رَبِّي - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِكَفِّهِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ". فَكَبَّرَ عُمَرُ، وَقَالَ: "إِنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا يُشَفِّعُهُمُ اللَّهُ فِي آبَائِهِمْ، وَأَبْنَائِهِمْ، وَعَشَائِرِهِمْ، وَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَنِي اللَّهُ فِي إِحْدَى الْحَثَيَاتِ الْآوَاخِرِ". فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيهَا فَاكْهَةٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ. وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى، طَابِقُ الْفِرْدَوْسِ"، فَقَالَ: أَيُّ شَجَرٍ أَرْضُنَا تُشَبِّهُ؟ قَالَ: "لَيْسَ تُشَبِّهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ، وَلَكِنْ أَتَيْتَ الشَّامَ؟". قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنَّهَا تُشَبِّهُ شَجَرَةَ الشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةُ، تُنْبِتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَنْتَشِرُ أَعْلَاهَا". قَالَ: فَمَا عَظْمُ أَصْلِهَا؟ قَالَ: "لَوْ ارْتَحَلْتُ جَذْعَةً مِنْ إِبِلٍ أَهْلِكَ لَمَا قَطَعْتُهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوتُهَا هَرَمًا". قَالَ: فِيهَا عَنَبٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: مَا عَظْمُ الْعُنُقُودِ فِيهَا؟ قَالَ: "مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغَرَابِ الْأَبْقَعِ، لَا يَنْثَنِي وَلَا يَفْتَرُ". قَالَ: فَمَا عَظْمُ الْحَبَّةِ مِنْهُ؟ قَالَ: "هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ عَظِيمًا؟". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَسَلِّحْ إِهَابَهَا فَأَعْطَاهُ أُمُّكَ، فَقَالَ: ادْبَعْغِي هَذَا، ثُمَّ أَفْرِي لَنَا مِنْهُ ذُنُوبًا نَرُوي [بِهِ] مَا شِئْنَا؟". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ تُشَبِّعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي؟". فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: "وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ" ٣١١.

الحوض: نهر الكوثر - الحشو والحشي: الاعتراف بملء الكفين، وإلقاء ما فيهما

- التَرْقُوتَةُ: عظيمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان - الهرم: كبر السن وضعفه -

الأَبْقَع: الذي فيه سواد وبياض - الإهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ

وعن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: كنا مع عبد الله بالشام أو بعمان، فتذاكروا الجنة، فقال: «إِنَّ الْعُنُقُودَ

من عناقيدها من هاهنا إلى صنعاء» ٣١٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ فَذَهَبْتُ أَتَنَاوُلُ مِنْهَا قِطْفًا

أُرِيكُمْوهُ فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِثْلُ الْحَبَّةِ مِنَ الْعَنَبِ؟ قَالَ: "كَأَعْظَمِ دَلْوٍ

فَرَّتْ أُمُّكَ قَطُّ" ٣١٣. الدلو: إناء يُسْتَقَى به من البئر ونحوه - قط: بمعنى أبدا، وفيما مضى من الزمان

٣١٠ - صحيح ابن حبان - (ج ١٤ / ص ٣٦١) (٦٤٥٠) حسن

٣١١ - المعجم الأوسط للطبراني (٤٠٩) حسن

٣١٢ - صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٤٤) حسن

٣١٣ - مسند أبي يعلى الموصلي (١١٤٧) حسن

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "نَزَلْنَا لِلصَّفَاحِ، فَإِذَا رَجُلٌ نَائِمٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ قَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَبْلُغَهُ قَالَ: فَقُلْتُ لِلْغُلَامِ: انْطَلِقْ بِهَذَا النَّطْعِ فَأَظْلَهُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَأَظْلَهُ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ إِذَا هُوَ سَلْمَانٌ، فَأَتَيْتُهُ أُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا جَرِيرُ تَوَاضَعَ لِلَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا رَفَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَا جَرِيرُ هَلْ تَدْرِي مَا الظُّلُمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: ظَلَمَ النَّاسَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَخَذَ عُودًا لَا أَكَادُ أَرَاهُ بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ، فَقَالَ: يَا جَرِيرُ لَوْ طَلَبْتَ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ هَذَا لَمْ تَجِدْهُ، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَأَيْنَ النَّخْلُ وَالشَّجَرُ؟ قَالَ: "أَصُولُهَا اللَّوْلُؤُ، وَالذَّهَبُ، وَأَعْلَاهَا الشَّمْرُ" ٣١٤

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، فِي قَوْلِهِ: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُظُوفُهَا تَذِيلًا} (١٤) سورة الإنسان، قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ قِيَامًا، وَفُعُودًا، وَمُضْطَجِعِينَ، عَلَى أَيِّ حَالٍ شَاءُوا" ٣١٥
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} (٦٨) سورة الرحمن، قَالَ: "نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرْدٌ أَخْضَرٌ وَكَرَانِيفُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرٌ، وَسَعْفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا مَقَطَعَاتُهُمْ وَحُلَلُهُمْ وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ أَوْ الدَّلَاءِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَالْأَيْنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَلَيْسَ لَهَا عَجَمٌ" ٣١٦

الكر بفتح الكاف والراء بعدهما باء موحدة هو أصول السعف الغلاظ العراض
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا طَوْبَى؟ قَالَ: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا. ٣١٧

المبحث الواحد والعشرون في أكل أهل الجنة

ذكره الله - عز وجل - في قوله: {وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ} (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) [الواقعة/ ٢٠، ٢١]

أي: وَيَطُوفُ الْوِلْدَانُ الْمُخْلَدُونَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ مِنَ السَّابِقِينَ بِأَلْوَانٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ، فَيَخْتَارُونَ مِنْهَا مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفُوسُهُمْ. وَيَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ بِأَصْنَافٍ مِنْ لُحُومِ الطَّيْرِ، فَيَأْخُذُونَ مِنْهَا مَا يَشْتَهُونَ .

٣١٤ - البعث والنشور للبيهقي (٢٧٦) حسن

٣١٥ - البعث والنشور للبيهقي (٢٧٣) حسن

٣١٦ - المستدرک للحاکم (٣٧٧٦) والبعث والنشور للبيهقي (٢٧١) حسن

٣١٧ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٢٩) (٧٤١٣) حسن

أما عن الفاكهة في الجنة: فقد وصفها الله تعالى بقوله: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٥) سورة البقرة.

يُشِيرُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، أَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الدَّنَسِ وَالْأَذَى وَالْإِثْمِ وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، كَالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ.. وَتَأْتِيهِمُ الثَّمَارُ فِي الْجَنَّةِ فَيَطْنُونُ أَنَّهَا مِنَ الثَّمَارِ الَّتِي عَرَفُوهَا فِي الدُّنْيَا (أَوْ أَنَّهَا مِنَ الثَّمَارِ الَّتِي أَتَتْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ، وَتَخْتَلِفُ عَنْهَا طَعْمًا مَعَ أَنَّهَا تُشَبِّهُهَا فِي شَكْلِهَا وَمَنْظَرِهَا). وَكُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا ثَمَرَةً قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا بِهِ فِي الدُّنْيَا جَزَاءَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَالَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا صَادِقًا، وَعَمِلُوا عَمَلًا صَالِحًا يَبْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحُولُونَ عَنْهَا .

وقال القرطبي: " وَمَعْنَى (مِنْ قَبْلُ) يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا - أَنَّهُمْ قَالُوا هَذَا الَّذِي وَعَدْنَا بِهِ فِي الدُّنْيَا. والثاني - هذا الذي رزقنا الدُّنْيَا، لَأَنَّ لَوْنَهَا يُشَبِّهُ لَوْنَ ثَمَارِ الدُّنْيَا، فَإِذَا أَكَلُوا وَجَدُوا طَعْمَهُ غَيْرَ ذَلِكَ وَقِيلَ: " مِنْ قَبْلُ " يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّهُمْ يُرْزَقُونَ ثُمَّ يُرْزَقُونَ، فَإِذَا أُتُوا بِطَعَامٍ وَثَمَارٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَكَلُوا مِنْهَا، ثُمَّ أُتُوا مِنْهَا فِي آخِرِ النَّهَارِ قَالُوا: هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ، يَعْنِي أُطْعِمْنَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، لَأَنَّ لَوْنَهُ يُشَبِّهُ ذَلِكَ، فَإِذَا أَكَلُوا مِنْهَا وَجَدُوا لَهَا طَعْمًا غَيْرَ طَعْمِ الْأَوَّلِ. (وَأُتُوا) فَعَلُوا مِنْ أُتِيتُ. وَقَرَأَهُ الْجَمَاعَةُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالتَّاءِ. وَقَرَأَ هَارُونُ الْأَعْمُورُ " وَأُتُوا " بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالتَّاءِ. فَالضَّمِيرُ فِي الْقِرَاءَةِ الْأُولَى لِلْأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفِي الثَّانِيَةِ لِلْخُدَّامِ. (بِهِ مُتَشَابِهًا) حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي " بِهِ "، أَيْ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْمَنْظَرِ وَيَخْتَلِفُ فِي الطَّعْمِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يُشَبِّهُ ثَمَرَ الدُّنْيَا وَيُبَيِّنُهُ فِي جُلِّ الصِّفَاتِ. ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ، وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ سِوَى الْأَسْمَاءِ، فَكَأَنَّهُمْ تَعَجَّبُوا لِمَا رَأَوْهُ مِنْ حُسْنِ الثَّمَرَةِ وَعِظَمِ خَلْقِهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: خِيَارًا لَا رَدَّلَ فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: " كِتَابًا مُتَشَابِهًا " [الزمر: ٢٣] وَلَيْسَ كَثَمَارِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تَتَشَابَهُ، لِأَنَّ فِيهَا خِيَارًا وَغَيْرَ خِيَارٍ. (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ) ابْتِدَاءً وَخَبَرًا. وَأَزْوَاجٌ: جَمْعُ زَوْجٍ. وَالْمَرْأَةُ: زَوْجُ الرَّجُلِ. وَالرَّجُلُ زَوْجُ الْمَرْأَةِ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَلَا تَكَادُ الْعَرَبُ تَقُولُ زَوْجَةً. وَحَكَى الْفَرَّاءُ أَنَّهُ يُقَالُ: زَوْجَةً، وَأَنْشَدَ الْفَرَزْدَقُ:

وإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي ... كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا

وَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ. ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ، وَاخْتَارَهُ الْكِسَائِيُّ. (مُطَهَّرَةٌ) نَعَتْ لِلْأَزْوَاجِ. وَمُطَهَّرَةٌ فِي اللُّغَةِ أَجْمَعُ مِنْ طَاهِرَةٍ وَأَبْلَغُ، وَمَعْنَى هَذِهِ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَيْضِ وَالْبِصَاقِ وَسَائِرِ أَقْذَارِ الْإِنْسَانِ. ذَكَرَ عَبْدُ الرَّازِقِ قَالَ أَخْبَرَنِي الثَّوْرِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: " مُطَهَّرَةٌ " قَالَ: لَا

يُئَلَّنَ وَلَا يَتَغَوَّظَنَّ وَلَا يَلِدَنَّ وَلَا يَحِضَنَّ وَلَا يُمْنِنَنَّ وَلَا يَنْصُقَنَّ. وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى هَذَا كُلِّهِ فِي وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا مِنْ كِتَابِ التَّذَكُّرَةِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. (وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ... "لَهُمْ" مُبْتَدَأٌ. "خَالِدُونَ" خَبَرُهُ، وَالظَّرْفُ مُلغًى. وَيَجُوزُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ نَصْبُ خَالِدِينَ عَلَى الْحَالِ. وَالْخُلُودُ: الْبَقَاءُ وَمِنْهُ جَنَّةُ الْخُلْدِ. وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ مَجَازًا فِيمَا يَطُولُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ: خَلَدَ اللَّهُ مُلْكُهُ أَيَّ طَوْلَهُ. قَالَ زُهَيْرٌ:

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيًا ... وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا

وَأَمَّا الَّذِي فِي الْآيَةِ فَهُوَ أَبَدِي حَقِيقَةٌ..^{٣١٨}

ووصف فاكهة الجنة-أيضاً- بأنها كثيرة ودائمة لا تنقطع، ولا تُمنع ممن أرادها،

فقال تعالى: {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)} [الواقعة: ٣٢-٣٤].

وَيَتِمَتُّونَ فِي الْجَنَّةِ بِأَلْوَانٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ. لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَهُمْ يَجِدُونَهَا فِي كُلِّ حِينٍ .

قال ابن كثير: "وقوله: {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ. لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} أي: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} [البقرة: ٢٥] أي: يشبه الشكل الشكل، ولكن الطعم غير الطعم. فعن أنس بن مالك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قال: ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ"^{٣١٩}

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ: "رَكِبْتُ الْبُرَاقَ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ ؛ قال: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا، قال: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى".^{٣٢٠}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَحَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ - ﷺ - «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاولْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعَكَعْتَ. قَالَ - ﷺ - «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاولْتُ عَنْقُودًا، وَلَوْ أَصْبَتْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَ

^{٣١٨} - تفسير القرطبي (١/ ٢٤٠)

^{٣١٩} - صحيح مسلم (٤٢٩)

^{٣٢٠} - تفسير الطبري - (ج ٢٢ / ص ٥١٦) صحيح

الدُّنْيَا، وَأَرَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرِ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْطَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ «. قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « بَكْفَرِهِنَّ ». قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ « يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ » ٣٢١ .

وعن ابن عباس أنه قال: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ ذَلِكَ، فَادْكُرُوا اللَّهَ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعَّكْتَ، قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ - أَوْ أَرَيْتُ الْجَنَّةَ -، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمُ مِنْهُ مَا بَقِيَ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرِ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِكْفَرِهِنَّ قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ. ٣٢٢ - تكعكت: تأخرت

وعن جابر بن عبد الله قال: بَيْنَا نَحْنُ صُفُوفٌ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ إِذْ رَأَيْنَاهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاةِ لِيَأْخُذَهُ ثُمَّ يَتَنَاوَلُهُ لِيَأْخُذَهُ، ثُمَّ حِيلَ بَيْنَهُ، ثُمَّ تَأَخَّرَ وَتَأَخَّرْنَا ثُمَّ تَأَخَّرَ الثَّانِيَةَ وَتَأَخَّرْنَا، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ الْيَوْمَ تَصْنَعُ فِي صَلَاتِكَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ قَالَ: "إِنِّي عَرَضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ بِمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ وَالنَّضْرَةِ فَتَنَاوَلْتُ قِطْفًا مِنْهَا لِأَتِيكُمْ بِهِ، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَنْقُصُوهُ فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ عَرَضْتُ عَلَى النَّارِ فَلَمَّا وَجَدْتُ حَرًّا شُعَاعِهَا تَأَخَّرْتُ، وَأَكْثَرُ مَنْ رَأَيْتُ فِيهَا النِّسَاءَ اللَّاتِي إِنْ ائْتَمَنَ أَفْشَيْنَ، [وإن يسألن بخِلنَ]، وإن سألن أخفينَ - قال زكريا: ألحفنَ - وإن أعطينَ لَمْ يَشْكُرْنَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا لِحْيَ بْنَ عَمْرٍو يَجْرُ قَصَبَهُ، وَأَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ مَعْبُدٌ بْنُ أَكْنَمَ"، قَالَ مَعْبُدٌ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ يُخْشَى عَلَى مَنْ شَبَّهَ فَإِنَّهُ وَالِدٌ؟ قَالَ: "لَا أَنْتَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْعَرَبَ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ" ٣٢٣ .

ووصف ما يُقطف منها - وهي الثمار - بأنها دانية قريبة ممن يتناولها، فقال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ

٣٢١ - صحيح البخاري (١٠٥٢) ومسلم (٢١٤٧)

٣٢٢ - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٧٢) (٢٨٣٢) صحيح

٣٢٣ - مسند أحمد (١٥١٨٠) حسن

(٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)
[الحاقة/١٩-٢٥]

وَيُعْطَى النَّاسُ صُحُفَ أَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ تَنَاوَلَ صَحِيفَةً عَمِلَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ فَرِحًا مَسْرُورًا لِكُلِّ مَنْ يَلْقَاهُ: هَذِهِ هِيَ صَحِيفَةُ أَعْمَالِي، خُذُوهَا فَاقْرَؤُوهَا، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا فِيهَا خَيْرٌ وَحَسَنَاتٌ، لِأَنَّهُ مِمَّنْ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ. إِنِّي كُنْتُ فِي الدُّنْيَا أَعْتَقِدُ يَقِينًا بِأَنِّي سَأَحَاسِبُ أَمَامَ اللَّهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَعَمِلْتُ خَيْرًا قَدَرًا مَا اسْتَطَعْتُ، وَكُنْتُ أَوْمِلُ أَنَّ يُحَاسِبَنِي اللَّهُ عَلَى أَعْمَالِي حِسَابًا يَسِيرًا، وَقَدْ صَدَقَ مَا اعْتَقَدْتُ وَمَا تَوَقَّعْتُ، فَكَانَ حِسَابِي يَسِيرًا. فَهُوَ يَعِيشُ عَيْشَةً رَاضِيَةً خَالِيَةً مِنَ الْمُحُومِ وَالْأَكْذَارِ. فِي جَنَّةٍ رَفِيعَةِ الْمَكَانِ وَالدرَجَاتِ، فِيهَا الْخَضِرَةُ وَالْمِيَاهُ وَالظَّلَالُ الْوَارِقَةُ. فِيهَا أَشْجَارُ ثَمَارِهَا دَانِيَةٌ مِمَّنْ يُرِيدُونَ قُطْفَهَا، فَيَأْخُذُونَهَا بِدُونِ عَنَاءٍ. وَيُقَالُ لَهُمْ: كُلُوا يَا أَيُّهَا الْأَبْرَارُ مِنْ ثَمَارِ هَذِهِ الْجَنَّةِ هَنِيئًا، وَاشْرَبُوا مِنْ خَمْرِهَا وَمِيَاهِهَا مَرِيئًا، لَا تَعْصُونَ بِهِ، وَلَا تَتَأَذُّونَ، وَذَلِكَ جَزَاءُ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ، وَتَوَابٌ عَلَى مَا عَمِلْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَكَرِيمِ الطَّاعَاتِ الْخَالِصَةِ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

وقال تعالى: {وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا} (١٤) سورة الإنسان. وَتَذْنُو أَشْجَارُ الْجَنَّةِ بِظِلَالِهَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ السُّعْدَاءِ، وَتُسَخَّرُ قُطُوفُهَا لِأَمْرِهِمْ لِيَنَالُوا مِنْهَا مَا شَاءُوا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله عز وجل: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} (٦٨) سورة الرحمن، قال: "نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرْدٌ أَخْضَرٌ وَكَرَانِيْفُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرٌ، وَسَعْفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ وَخُلْلُهُمْ وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ أَوْ الدَّلَاءِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَاللَّيْنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَلَيْسَ لَهَا عَجْمٌ" ٣٢٤

وعن ثوبان قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَزَعَ ثَمْرَةً مِنَ الْجَنَّةِ عَادَتْ مَكَائِهَا أُخْرَى". رواه الطبراني ٣٢٥

وعن عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلَمِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْمَعُكَ تَذَكُّرُ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٍ لَا أَعْلَمُ أَكْثَرَ شَوْكًا مِنْهَا - يَعْنِي الطَّلَحَ -. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِنْهَا خَصْوَةٌ التَّيْسِ الْمُبُودِ - يَعْنِي الْخَصِيَّ - مِنْهَا سَبْعُونَ لَوْثًا مِنَ الطَّعَامِ، لَا يُشْبِهُ لَوْثًا آخَرَ" ٣٢٦

وعن ثوبان، قال: قال النبي ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَزَعَ مِنَ الْجَنَّةِ عَادَتْ مَكَائِهَا أُخْرَى. ٣٢٧

٣٢٤ - المستدرك للحاكم (٣٧٧٦) صحيح

٣٢٥ - المجموع (١٨٧٣١) والصحيحة (١٥٩٨) وصحيح الجامع (١٦١٧) صحيح

٣٢٦ - البعث لابن أبي داود السجستاني (٧٠) صحيح

٣٢٧ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٢ / ص ١٢٤) (١٤٣١) صحيح لغيره

وعن مسروق، قال: نخل الجنة نضيدٌ من أصلها إلى فرعها، وثمرها أمثال القلال، كلما نُزعت ثمرة عادت مكانها أخرى، وماؤها يجري في غير أخدود^{٣٢٨}.

وأهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون، فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَحِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشِحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^{٣٢٩}.

الجشاء: تنفس المعدة من الامتلاء

وعن جابر، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَحِطُونَ، وَلَا يَبْزُقُونَ يُلْهَمُونَ الْحَمْدَ وَالتَّسْبِيحَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ طَعَامُهُمْ لَهُ جُشَاءٌ وَرِيحُهُمْ الْمِسْكُ»^{٣٣٠}.

وعن أنس، عن النبي -ﷺ- قال: «أَوَّلُ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ»^{٣٣١}.
وعن عبد الله بن سلام، قال: لما أردت أن أسلم، أتيت رسول الله -ﷺ-، فقلت: إني سألتك فقال: سل عما بدا لك، قال: قلت: ما أول ما يأكل أهل الجنة. فذكر الحديث^{٣٣٢}.

زيادة كبِد الحوت: القطعة المنفردة المتعلقة بكبد الحوت، وهي أطيها وألذها

وعن زيد - يعني أخاه - أنه سمع أبا سلام قال حدثني أبو أسماء الرحبي أن ثوبان مولى رسول الله -ﷺ- حدثني قال كنت قائماً عند رسول الله -ﷺ- فجاء خبر من أخبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني فقلت ألا تقول يا رسول الله. فقال اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهله. فقال رسول الله -ﷺ-: «إِنْ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي». فقال اليهودي جئت أسألك. فقال له رسول الله -ﷺ-: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ». قال أسمع بأذنّي فنكت رسول الله -ﷺ- بعود معه. فقال «سل». فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فقال رسول الله -ﷺ-: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ». قال فمن أول الناس إجازة قال «فقراء المهاجرين». قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال «زيادة كبِد الثون» قال فما غذاؤهم على إثرها قال «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها».

^{٣٢٨} - تفسير الطبري - (ج ١ / ص ٣٨٤) (٥٠٩) صحيح

^{٣٢٩} - صحيح مسلم (٧٣٣٣)

^{٣٣٠} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٦٢) (٧٤٣٥) صحيح

^{٣٣١} - مسند الطيالسي (٢١٦٤) صحيح

^{٣٣٢} - مسند أحمد (١٢٣٨٥) صحيح

قَالَ فَمَا شَرُّهُمْ عَلَيْهِ قَالَ « مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ « يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ ». قَالَ أَسْمَعُ بِأُذُنِي. ٣٣٣

النون: الحوت - الجشاء: تنفس المعدة من الامتلاء، أو هو صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع وعن جابر، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْزُقُونَ يُلْهَمُونَ الْحَمْدَ وَالتَّسْبِيحَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ طَعَامُهُمْ لَهُ جُشَاءٌ وَرِيحُهُمْ الْمِسْكُ. ٣٣٤

وعن زيد بن أرقم، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، وَالْجَمَاعِ، وَالشَّهْوَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَاجَةُ أَحَدِكُمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ، فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمُرَ. ٣٣٥

وعن زيد بن أرقم قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ - إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ: ثَعْلَبَةُ بْنُ الْحَارِثِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: " وَعَلَيْكُمْ ". فَقَالَ الْيَهُودُ: نَزَعُمْ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ طَعَامًا، وَشَرَابًا، وَأَزْوَاجًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " نَعَمْ تُؤْمِنُ بِشَجَرَةِ الْمِسْكِ ؟ ". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: " وَتَجِدُهَا فِي كِتَابِكُمْ ؟ ". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: " فَإِنَّ الْبُولَ وَالْجَنَابَةَ عَرَقٌ يَسِيلُ مِنْ تَحْتِ ذَوَائِبِهِمْ إِلَى أَقْدَامِهِمْ مِسْكًا " ٣٣٦.

وعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجَمٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ، لَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْزُقُونَ، أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَعْنِي الْعُودَ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا. ٣٣٧

وعن أنس بن مالك قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ أَسْفَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَجْمَعِينَ دَرَجَةٌ لِمَنْ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ عَشْرَةُ الْأَفْ، بِيَدَيْ كُلِّ وَاحِدٍ صَحِيفَتَانِ، وَاحِدَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ فِضَّةٍ، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ لَوْ نَ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى مِثْلُهُ، يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهَا مِثْلَ مَا يَأْكُلُ مِنْ أَوَّلِهَا، يَجِدُ لآخِرِهَا مِنَ الطَّيِّبِ وَاللَّذَّةِ مِثْلَ الَّذِي يَجِدُ لَأَوَّلِهَا، ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ رِيحَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ " ٣٣٨

أذفر: جيد إلى الغاية رائحته شديدة - التغوط: التبرز - الامتخاط: الاستنثار وإلقاء مخاط الأنف

٣٣٣ - صحيح مسلم (٧٤٢)

٣٣٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٦٢) (٧٤٣٥) صحيح

٣٣٥ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٠٨) (٣٥١٢٧) صحيح

٣٣٦ - المعجم الأوسط للطبراني (٧٩٥٧) حسن

٣٣٧ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٠٩) (٣٥١٢٩) صحيح

٣٣٨ - المعجم الأوسط للطبراني (٧٨٨٩) حسن

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، إِنَّ لَهُ لَسَبْعَ دَرَجَاتٍ، وَهُوَ عَلَى السَّادِسَةِ، وَفَوْقَهُ السَّابِعَةُ، وَإِنَّ لَهُ لثَلَاثَ مِائَةِ خَادِمٍ، وَيُعْدَى عَلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ وَيُرَاحُ بِثَلَاثِ مِائَةِ صَحْفَةٍ. وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: مَنْ ذَهَبَ فِي كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى، وَإِنَّهُ لَيَلْدُ أَوَّلُهُ كَمَا يَلْدُ آخِرُهُ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَوْ أَذْنَتُ لِي لَأَطَعْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَسَقَيْتُهُمْ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدِي شَيْءٌ، وَإِنَّ لَهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ لاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً سِوَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ لَيَأْخُذُ مَقْعَدُهَا قَدْرَ مِيلٍ مِنَ الْأَرْضِ. ٣٣٩

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "إِنَّ طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ، تَرَعَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ ! فَقَالَ: "أَكَلْتُهَا أَنْعَمَ مِنْهَا - قَالَهَا ثَلَاثًا - وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا [يَا أَبَا بَكْرٍ]" ٣٤٠

البخت بضم الموحدة وإسكان الخاء المعجمة هي الإبل الخراسانية
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْتَهِيهِ فَيَجِيءُ مَشُورًا بَيْنَ يَدَيْكَ. ٣٤١

وقال عمرو بن قيس: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَشْتَهِي الثَّمَرَةَ، فَتَجِيءُ حَتَّى تَسِيلَ فِيهِ، وَإِنَّهَا فِي أَصْلِهَا فِي الشَّجَرَةِ. ٣٤٢

وعن بكر بن عبد الله المزني، قال: بلغني أن الرجل من أهل الجنة ليشتهي اللحم، فيجيء الطائر فيقع قدماه، فيقول: يا ولي الله، شربت من السلسيل، ورعيت من الزنجيل، ورتعت بين العرش والكرسي فكلني ٣٤٣

وَعَنْ مِمْوْنَةَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْتَهِي الطَّيْرَ فِي الْجَنَّةِ فَيَجِيءُ مِثْلَ الْبُخْتِيِّ حَتَّى يَقَعَ عَلَى خَوَانِهِ لَمْ يُصِبْهُ دُخَانٌ وَلَمْ تَمْسَهُ نَارٌ فَيَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى يَشْبَعَ ثُمَّ يَطِيرُ" ٣٤٤

الخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل
وَعَنْ كَعْبٍ قَالَ: إِنَّ طَائِرَ الْجَنَّةِ أَمْثَالُ الْبُخْتِ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرَاتِ الْجَنَّةِ وَيَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَصْطَفِنَ لَهُ فَإِذَا اشْتَهَى مِنْهَا شَيْئًا أَتَى حَتَّى يَقَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَأْكُلُ مِنْ خَارِجِهِ وَدَاخِلِهِ ثُمَّ يَطِيرُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ ٣٤٥ .

٣٣٩ - غاية المقصد في زوائد المسند (٥١٢٢) حسن

٣٤٠ - مسند أحمد (١٣٦٥٧) صحيح

٣٤١ - مسند البزار (٢٠٣٢) ضعيف

٣٤٢ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٠٠) (٣٥١٠٢) صحيح مقطوع

٣٤٣ - صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٢٩١) حسن

٣٤٤ - صفة الجنة (١١٩) فيه جهالة

٣٤٥ - ابن أبي حاتم تفسير ابن كثير - (ج ٧ / ص ٥٢٤) صحيح مقطوع

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يَنْفَعُنَا بِالْأَعْرَابِ وَمَسَائِلِهِمْ أَقْبَلُ أَعْرَابِيَّ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ شَجَرَةً مُؤَذِيَةً وَمَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً تُؤْذِي صَاحِبَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: السِّدْرُ، فَإِنَّ لَهَا شَوْكًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ يَخْضُدُ اللَّهُ شَوْكَهُ فَيَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ نَمْرَةً، فَإِنَّهَا تُنْبِتُ نَمْرًا تُفْتَقُ الثَّمَرَةُ مَعَهَا عَنِ النَّيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْنًا مَا مِنْهَا لَوْنٌ يُشَبُّهُ الْآخَرُ ۝ ٣٤٦

واعلم أن صفة طعام أهل الجنة الدوام وعدم النقصان، قال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} (٣٥) سورة الرعد

صِفَةُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا الْمُتَّقِينَ، وَنَعَتَهَا، أَنَّهَا تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي أَرْجَائِهَا وَجَوَانِبِهَا، وَحَيْثُ شَاءَ أَهْلُهَا يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا، فِيهَا الْفَوَاكِهُ وَالْمِطَاعُ وَالْمَشَارِبُ، لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَلَا فَنَاءَ (أَكُلُهَا دَائِمٌ)، وَظِلُّهَا دَائِمٌ لَا يَنْكَمِشُ وَلَا يَزُولُ. وَهَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي تَقَدَّمَتْ صِفَتُهَا، هِيَ جَزَاءُ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ (عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا)، أَمَّا الْكَافِرُونَ فَعُقْبَاهُمْ وَمَصِيرُهُمُ النَّارُ. وَلَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابُ النَّارِ. وقال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ} (١٠٨) سورة هود

أَمَّا السُّعَدَاءُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الرُّسُلَ، وَآمَنُوا بِاللَّهِ، وَعَمِلُوا صَالِحًا، فَيَصِيرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَمْكُونُ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، مَا دَامَتِ هُنَاكَ سَمَاوَاتٌ وَأَرْضٌ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ .

وقال تعالى: {إِنْ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} (٥٤) سورة ص وهذا النعيم، وتلك الكرامة، عطاء من الله تعالى، لَا يَنْفَدُ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

وقال تعالى: {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) [الواقعة/٣٢، ٣٣]} وَيَتَمَتَّعُونَ فِي الْجَنَّةِ بِالْوَلَوَانِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ، لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَهُمْ يَجِدُونَهَا فِي كُلِّ حِينٍ وقال النووي رحمه الله: "مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، يَتَنَعَّمُونَ بِذَلِكَ وَبِغَيْرِهِ، مِنْ مَلَاذٍ وَأَنْوَاعٍ نَعِيمِهَا تَنْعَمُ دَائِمًا لَا آخِرَ لَهُ، وَلَا انْقِطَاعَ أَبَدًا، وَإِنْ تَنَعَّمُ بِذَلِكَ عَلَى هَيْئَةٍ تَنْعَمُ أَهْلُ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاضُلِ فِي اللَّذَّةِ وَالنَّفَاسَةِ، الَّتِي لَا يُشَارِكُ نَعِيمُ الدُّنْيَا إِلَّا فِي التَّسْمِيَةِ، وَأَصْلُ الْهَيْئَةِ، وَإِلَّا فِي أَنَّهُمْ لَا يَبُولُونَ وَلَا يَنْعَوُطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ وَلَا يَبْصُقُونَ، وَقَدْ دَلَّتْ دَلَالَةُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، أَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ دَائِمٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ أَبَدًا ۝ ٣٤٧

٣٤٦ - المستدرک للحاکم (٣٧٧٨) حسن

٣٤٧ - شرح النووي علی مسلم - (ج ٩ / ص ٢١٩)

المبحث الثاني والمشرون شراب أهل الجنة

قال تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) {الإنسان: ٥-٦}.

إِنَّ الْكَرَامَ الْبَرَّةَ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ، يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ كَانَ مَا يُمَزَّجُ بِهَا مَاءَ الْكَافُورِ .
وَهَذَا الْمِزَاجُ مِنْ عَيْنٍ يَشْرَبُ بِهِ عِبَادُ اللَّهِ الْمُتَّقُونَ، وَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا كَيْفَ شَاءُوا، وَيُفَجِّرُونَهَا حَيْثُ أَرَادُوا مِنْ دُونِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ .

وقال مقاتل: ليس هو كافور الدنيا، وإنما سَمَّى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي له القلوب.
وقوله (يفجرونها تفجيراً) أي: يشقونها شقاً كما يفجر الرجل النهر هاهنا وهاهنا إلى حيث يريد، وقال مجاهد: يقودونها حيث شاءوا، وتتبعهم حيثما مالوا مالت معهم^{٣٤٨}.

وقال تعالى: (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا* عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) {الإنسان: ١٧-١٨}

وَيُسَمَّى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ فِي الْجَنَّةِ كَأْسًا مِنْ خَمْرٍ الْجَنَّةُ مُزِجَتْ بِالزَنْجَبِيلِ (فَهُمْ يُمَزَّجُ الشَّرَابُ لَهُمْ مَرَّةً بِالْكَافُورِ وَمَرَّةً بِالزَنْجَبِيلِ فَالْكَافُورُ بَارِدٌ وَالزَنْجَبِيلُ حَارٌّ) . وَيُسْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ عَيْنٍ غَايَةِ فِي السَّلَاسَةِ وَالْأَسْتِسَاغَةِ . أي أن أهل الجنة يُسْقَوْنَ كَأْسًا مِنْ خَمْرٍ الْجَنَّةُ مَزُوجَةٌ بِالزَنْجَبِيلِ وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَسْتَلْذِ مِنْ الشَّرَابِ مَا يُمَزَّجُ بِالزَنْجَبِيلِ لَطِيبَ رَائِحَتِهِ .

وكلمة (سلسبيل) مأخوذة من السلاسة، والسلسبيل: هو الشراب اللذيذ^{٣٤٩}.

ونجد مما سبق أن الله تعالى أخبر أن شراب أهل الجنة يمزج بشيئين: الكافور

والزنجبيل، فيمزج بالكافور لأنه يمتاز بالبرد وطيب الرائحة، ثم بالزنجبيل لأنه يمتاز بالحرارة وطيب

وقال تعالى: (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) {الإنسان: ٢١}

، وَيُسْقِيهِمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا يُطَهِّرُ بَاطِنَ شَارِبِهِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالْغِلِّ، وَرَدِيءِ الْأَخْلَاقِ، فوصف الشراب بأنه طهور وليس بنجس كخمر الدنيا. ب الرائحة، مما يحدث بذلك أكمل اللذة وأطيبها^{٣٥٠}.

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ فِيهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي

^{٣٤٨} - تفسير القرطبي (٩٦/١٩)

^{٣٤٩} - نفس المصدر (١٠٧/١٩)

^{٣٥٠} - حادي الأرواح لابن القيم (١٧٥)

الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجَمَاعِ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَاجَتُهُمْ عَرَقٌ يَفِضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلُ الْمِسْكِ، فَإِذَا الْبَطْنُ قَدْ ضَمَرَ.^{٣٥١}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُؤْتَى بِالْكَأْسِ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ زَوْجَتِهِ، فَيَشْرَبُهَا، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى زَوْجَتِهِ فَيَقُولُ: قَدْ اَزْدَدْتُ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفًا حُسْنًا.^{٣٥٢}

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَشْتَهِي الشَّرَابَ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ فَيَجِيءُ الْإِبْرِيْقُ فَيَقَعُ فِي يَدِهِ فَيَشْرَبُ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَكَانِهِ" ^{٣٥٣}

المبحث الثالث والعشرون

انهار الجنة

في الجنة أنهار كثيرة ذات أنواع متعددة، وقد جاء في القرآن في عدة مواضع قول الله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٥) سورة البقرة

وقال تعالى: {أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (٢٦٦) سورة البقرة

وقال تعالى: {قُلْ أُوْثِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (١٥) سورة آل عمران

وقال تعالى: {أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مِّغْفَرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} (١٣٦) سورة آل عمران

وقال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَاذْهَبُوا وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ حَسْبُ الْعَامِلِينَ} (١٩٥)

سورة آل عمران

^{٣٥١} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٤٤) (٧٤٢٤) صحيح

^{٣٥٢} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٠٨) (٣٥١٢٦) صحيح

^{٣٥٣} - صفة الجنة (١٢٨) حسن

وفي موضع آخر: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١٠٠) سورة التوبة

وفي موضع آخر: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٤٣) سورة الأعراف

وهذا يدل على أمور:

أحدها: وجود الأنهار حقيقة.

ثانيها: أنها أنهار جارية لا واقفة.

ثالثها: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم.

وقال تعالى: (وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ) {الواقعة: ٣١} قال مسروق: أنهار تجري في غير أخدود.

وقال تعالى: {مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ} (١٥) سورة محمد .

يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقِينَ بِإِدْخَالِهِمْ إِلَيْهَا، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهَا جَنَّةٌ تَجْرِي فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مِيَاهٍ غَيْرِ مَتَغَيَّرَةِ الطَّعْمِ وَاللَّوْنِ وَالرَّائِحَةِ، لَطُولِ مُكْنِهَا وَرُكُودِهَا، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَلَمْ يَفْسُدْ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذَةِ الطَّعْمِ وَالْمَذَاقِ لِشَارِبِيهَا، لَا تَغْتَالِ الْعُقُولُ، وَلَا يُنْكِرُهَا الشَّارِبُونَ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ قَدْ صُفِّي مِنَ الشَّمْعِ وَالْفَضَالَتِ. وَلِلْمُتَّقِينَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ جَمِيعِ الْفَوَاكِهِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَنْوَاعِ وَالطُّعُومِ وَالْمَذَاقِ وَالرَّائِحَةِ. وَلَهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ مَعْفَرَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ يَقْبَلُ مَا قَدَّمُوهُ مِنْ عَمَلٍ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ هَفَوَاتِهِمُ الَّتِي اقْتَرَفُوهَا فِي الدُّنْيَا .

فَهَلْ يَتَسَاوَى هَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ النَّاعِمُونَ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّاتِهِ، مَعَ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ لِيَبْقُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ، وَأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ؟ إِنَّهُمْ لَا يَتَسَاوَوْنَ أَبَدًا. وَإِذَا طَلَبَ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءُ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، الْمَاءَ لِيُطْفِئُوا ظَمَأَهُمْ فَإِنَّهُمْ يُسْقَوْنَ مَاءً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ إِذَا شَرِبُوهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ .

وقد ذكر الله تعالى هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها آفاته التي تعرض له في الدنيا. فآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذا من آيات الله أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بجرياتها.

ومجريها في غير أحدود، وينفى عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة، كما ينفي عن خمر الجنة جميع الآفات التي في خمر الدنيا من الصداق والغول واللغو والانزاف وعدم اللذة، وهى رجس من عمل الشيطان: توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصعد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا والفجور، وتذهب الغيرة، وهى أم الخبائث ومنها يولد كل خبيث وقبيح، فتره الله - عز وجل - خمر الجنة عن كل هذا.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم، وهذا لذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم.^{٣٥٤}

وهذه الأنهار تنفجر من أعلى الجنة إلى أدناها، فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ - : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ »^{٣٥٥}.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ - : « سَيِّحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنَّيْلُ كُلُّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ »^{٣٥٦}.

أي أن هذه الأنهار أصلها من الجنة، كما أن أصل معظم الماء - المطر - من السماء، مع أنه يجرى في الأنهار.

وعن أنس بن مالك قال سئل رسول الله ﷺ - : « مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ « ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ يَعْْنِي فِي الْجَنَّةِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُرُزِ ». قَالَ عُمَرُ إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « أَكَلْتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا ». ^{٣٥٧} - الجزر: جمع جزور وهو البعير

المبحث الرابع والعشرون

عيون الجنة

أخبر الله تعالى بوجود العيون في الجنة فقال: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} (٤٥) سورة الحجر ذكر الله تعالى حال أهل الجنة، فقال: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّقُوا رَبَّهُمْ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَتَنْبُعُ فِي أَرْضِهَا عُيُونُ الْمَاءِ .

^{٣٥٤} - حادي الأرواح للإمام ابن القيم (١٧٠-١٧١) بتصرف.

^{٣٥٥} - صحيح البخارى (٢٧٩٠)

^{٣٥٦} - صحيح مسلم (٧٣٤٠)

^{٣٥٧} - سنن الترمذى (٢٧٣٨) صحيح لغيره

وقال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) [الذاريات/١٥-١٩])

وقال تعالى: (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) {الإنسان: ١٨}

يشربون من عين في الجنة تسمى سلسبيلا؛ لسلامة شراها وسهولة مساغها وطيبه.

وقال: (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) {الإنسان: ٦}

ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضية، وأكواب الشراب من الزجاج، زجاج من فضة، قدّرها السقاة على مقدار ما يشتهي الشاربون لا تزيد ولا تنقص، ويُسْقَى هؤلاء الأبرار في الجنة كأساً مملوءة خمراً مزجت بالزنجبيل، يشربون من عين في الجنة تسمى سلسبيلا؛ لسلامة شراها وسهولة مساغها وطيبه.

وقال الطبري: "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّ قَوْلَهُ: { تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا } صِفَةٌ لِلْعَيْنِ، وَصِفَتْ بِالسَّلَاسَةِ فِي الْحَقِّ، وَفِي حَالِ الْجَرِيِّ، وَأَنْقِيَادَهَا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَصْرَفُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِقَوْلِهِ { تُسَمَّى } تُوصَفُ. وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ لِاجْتِمَاعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: { سَلْسَبِيلًا } صِفَةٌ لَّا اسْمَ. ٣٥٨

المبحث الخامس والعشرون آنية الجنة

ذكر الله تعالى الآنية التي يأكلون فيها ويشربون في قوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَّا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٧١) سورة الزخرف وبعد أن يستقروا في الجنة يطاف عليهم بأوان من ذهب عليها أنواع الطعام، ويطاف عليهم بأكواب للشراب من ذهب، وفي كل من الأواني والأكواب ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذذ به الأعين، فيأكلون ويشربون وينعمون ويتلذذون، ويقال لهم إكمالاً لسرورهم: إِنَّهُمْ بِاقُونَ فِي هَذَا النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ أَبَدًا .

وقوله تعالى: (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآْنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) [الإنسان/١٥، ١٦])

ويطوف عليهم خدام الجنة بأواني الطعام، وهي من فضة خالصة، وبأكواب الشراب، وهي أيضاً من فضة، وقد جعلت هذه الأكواب جامعة بياض الفضة، وصفاء الزجاج وشفافيته .

وَهَذِهِ الْقَوَارِيرُ يَحْمِلُهَا إِلَيْهِمُ السُّعَاةُ وَقَدْ قَدَّرُوا مَا صَبَّوْهُ فِيهَا عَلَى قَدَرِ كِفَايَةِ الشَّارِبِينَ وَرَبِّهِمْ، لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ .

والأكواب: هي الأباريق التي ليس لها خراطيم، وقيل: التي ليس لها آذان.

وإبريق: أفعيل من البريق، وهو الصفاء، وأباريق الجنة من فضة صافية صفاء القوارير، يرى ما في باطنها من ظاهرها، والقوارير: الزجاج، شبه صفاءها بصفاء الزجاج - وهي ليست من الزجاج بل من فضة، لذا قال تعالى (قوارير من فضة) حتى لا يتوهم أحد أنها من الزجاج.. وكل آنية الجنة من الذهب والفضة، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أنهم كانوا عند حذيفة، فاستسقى، فسقاه مجوسي، فلما وضع القدح في يده رمأه به، وقال: لو لا أنني نهيتك غير مرة ولا مرتين (كأنه يقول لم أفعل هذا) ولكني سمعت النبي ﷺ يقول: لا تلبسوا الحرير، ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة.^{٣٥٩}

وعن ابن أبي ليلى قال خرجنا مع حذيفة وذكر النبي ﷺ - قال: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تلبسوا الحرير والديباج، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»^{٣٦٠}.

المبحث السادس والعشرون لباس أهل الجنة وجليتهم

قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) [الدخان/٥١-٥٨])

بعد أن ذكر الله تعالى الأشقياء وحالهم يوم القيامة، وما يلاقونه من أهوال وعذاب، أتبع ذلك ببيان حال المؤمنين الصالحين في ذلك اليوم الشديد الهول، فقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا سَيَكُونُونَ فِي مَكَانٍ يُقِيمُونَ فِيهِ، وَيَأْمَنُونَ فِيهِ الْمَوْتَ وَالْهَمَّ وَالْحُزْنَ وَالْعَذَابَ .

وسَيَكُونُونَ فِي حَدَائِقَ وَأَرْفَةِ الظَّلَالِ، كَثِيرَةِ الْفَوَاكِهِ، كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ، وَالْأَنْهَارُ تَسْرَحُ فِي أَرْجَائِهَا، وَسَيَكُونُ لَهُمْ حَقُّ التَّمَتُّعِ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ بِدُونِ حِسَابٍ وَلَا تَحْدِيدٍ

^{٣٥٩} - صحيح البخاري (٥٤٢٦) ومسلم (٥٥٢١)

^{٣٦٠} - صحيح البخاري (٥٦٣٣)

وَيَلْبَسُونَ، وَهُمْ فِي هَذَا النَّعِيمِ، ثِيَابًا مِنَ الْحَرِيرِ الرَّفِيعِ (سُنْدُسٍ)، وَثِيَابًا مِنْ قِمَاشٍ مُزَيْنٍ بِأَشْيَاءَ ذَاتِ بَرِيقٍ وَلَمَعَانٍ (إِسْتَبْرَقٍ)، وَيَجْلِسُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى سُرُرٍ وَهُمْ مُتَقَابِلُونَ شَأْنَ الْمُتَحَابِّينَ الَّذِينَ يُقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْحَدِيثِ، وَذَلِكَ زِيَادَةٌ فِي الْإِنْسَانِ .

وَفَوْقَ هَذَا الْعَطَاءِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَحَهُمْ زَوْجَاتٍ حَسَنَاتٍ وَأَسْعَاتِ الْعُيُونِ (عَيْنٍ) . وَيَطْلُبُونَ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ وَهُمْ آمِنُونَ مِنْ أَنْ تَنْقَطِعَ عَنْهُمْ، وَمِنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِنْهَا أَدَى . وَلَا يَخْشَوْنَ فِي الْجَنَّةِ مَوْتًا أَبَدًا، بَعْدَ أَنْ ذَاقُوا، طَعْمَ الْمَوْتَةِ الْأُولَى حِينَ انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَدْ وَقَاهُمُ اللَّهُ وَنَجَّاهُمْ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ الْأَلِيمِ .

وقال تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} (٣١) سورة الكهف.

فَهَؤُلَاءِ السُّعْدَاءُ الْأَبْرَارُ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لِيُقِيمُوا فِيهَا أَبَدًا، وَتَجْرِي الْأَنْهَارُ وَالْمِيَاهُ فِي جَنَابَتِهَا، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا حُلِيًّا، هِيَ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤُ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا ثِيَابًا مِنَ الْحَرِيرِ خُضْرَاءَ اللَّوْنِ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)، مِنْهَا ثِيَابٌ رَقِيقَةٌ كَالْقَمِصَانِ، وَمَا مِثْلُهَا، (مِنْ سُنْدُسٍ)، وَمِنْهَا ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ، كَالدِّيَبَاجِ لَهُ بَرِيقٌ (مِنْ إِسْتَبْرَقٍ)، وَيَجْلِسُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ وَالْأُسُرَةِ مُسْتَنِدِينَ (مُتَّكِئِينَ)، لِيَرْتَاحُوا فِي جَلْسَتِهِمْ. وَحَسُنَتْ الْجَنَّةُ ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَحَسُنَتْ مَنَزَلًا وَمَقِيلًا .

وقال تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} (٣٣) سورة فاطر

وهؤلاء الكرام الذين اصطفاهم الله من عباده، الذين أُوْرثوا القرآن، والكُتُبَ السَّابِقَةَ، سَتَكُونُ جَنَّاتُ الْإِقَامَةِ (جَنَّاتُ عَدْنٍ) هِيَ مَاوَاهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا حُلِيًّا مِنْ ذَهَبٍ، وَلُؤْلُؤُ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا ثِيَابًا مِنْ حَرِيرٍ، وَهَذِهِ الْجَنَّاتُ هِيَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ .

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} (٢٣) سورة الحج

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ، وَمَا يُلاقُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالتَّكَالِ وَالْحَرِيقِ وَالْأَغْغَالِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ ثِيَابٍ مِنْ نَارٍ، ذَكَرَ حَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي أَرْجَائِهَا، وَيُلْبِسُهُمْ رَبُّهُمْ فِيهَا حُلِيًّا: مِنْهَا أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِنْهَا لُؤْلُؤُ .

والسندس: ما رق من الديباج (الحري)، والإستبرق أغلظ منه. وأحسن الألوان الأخضر وألين اللباس الحرير، لذا جمع الله لهم بين أحسن المناظر وألين الملابس.

فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ - سَرَقَةً مِنْ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَدَاوُلُونَهَا بَيْنَهُمْ، وَيَعْجُبُونَ مِنْ حُسْنِهَا وَلِينِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا » . قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا » ٣٦١ .

وَعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُلَّةَ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمِسُونَهَا، فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذَا ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ أَلْيَنُ مِنْ هَذَا" ٣٦٢

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أُكَيْدَرَ دُومَةً أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - جُبَّةً قَالَ سَعِيدٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ: سُندُسٌ قَالَ: وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ قَالَ فَلَبِسَهَا فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْهَا » ٣٦٣ .

الجنة: ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدم يلبس فوق الثياب - السندس: ما رق من الديباج ورفع وإنما اختار المناديل لأنها أقل الأشياء قيمة عند الإنسان، فإذا كانت بهذا الحسن في الجنة فما بالك بما هو أعظم منها. وإنما حظي سعد بن معاذ - رضي الله عنه - بهذا التكريم لمكانته في الإسلام فهو في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين، واهتز لموته عرش الرحمن، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته، ووافق حكمه الذي حكم به - في بني قريظة - حكم الله من فوق سبع سماوات، ونعاه جبريل - عليه السلام - إلى النبي ﷺ - يوم موته، فاستحق أن تكون مناديله في الجنة أحسن من حلل الملوك.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: « مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَيْئَسُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ » . ٣٦٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: « مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَيْئَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ » ٣٦٥ .

وعن أبي المَدَلَّةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبْنَا الدُّنْيَا، وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ، فَقَالَ: لَوْ تَكُونُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ عِنْدِي لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ بِأَكْفُكُمْ، وَلَوْ أَنْتُمْ فِي يُبُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيِّ يَعْفَرُ لَهُمْ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بَنَّاؤُهَا ؟ قَالَ: لَبَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبَنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا

٣٦١ - صحيح البخاري (٦٦٤٠)

٣٦٢ - مسند أبي يعلى الموصلي (١٧٣١) صحيح

٣٦٣ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٣ / ص ٢٧٤) (٦٣٢٣) صحيح

٣٦٤ - صحيح مسلم (٧٣٣٥)

٣٦٥ - سنن الدارمي (٢٨٧٥) صحيح

اللُّؤْلُؤُ أَوْ الْيَاقُوتُ، وَثَرَابُهَا الزَّرْعَفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ، فَلَا يَمُوتُ، وَلَا يَخْلُدُ، وَلَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يَفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْعَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. ٣٦٦

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمَرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى لَوْنٍ أَحْسَنَ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً، يُرَى مِخْ سَوْقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ لُحُومِهِمَا، وَحُلَلُهُمَا كَمَا يُرَى الشَّرَابُ الْأَحْمَرُ فِي الزُّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ. ٣٦٧

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَيْصِفُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَعَوَّطُونَ فِيهَا آيَاتُهُمْ، وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مِخْ سَوْقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بَكْرَةً وَعَشِيًّا. ٣٦٨

الألوة: العود الذي يتبخر به

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَهُ فِيمَا تَفَاحَرُوا وَإِمَّا تَذَاكَرُوا فَقَالَ الرَّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ مِنَ النِّسَاءِ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَوْ لَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ - ﷺ - « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ مِنْ أُمَّتِي تَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالزُّمَرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى أَضْوَاءِ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يُرَى مِخْ سَوْقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ الْحُلْلِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا فِيهَا مِنْ أَعْزَبَ » ٣٦٩ .

الزمرة: الجماعة من الناس

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَسُوا أَبَدًا ». فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (٤٣) سورة الأعراف ٣٧٠

٣٦٦ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٩٦) (٧٣٨٧) صحيح لغيره

٣٦٧ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٩ / ص ٢) (١٠١٦٨) حسن

٣٦٨ - سنن الترمذي (٢٧٣٣) وصحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٦٣) (٧٤٣٦) صحيح

٣٦٩ - مسند أحمد (١٠٨٧٣) صحيح

٣٧٠ - صحيح مسلم (٧٣٣٦)

وَعَنْ أَبِي سَلَامٍ الْأَسْوَدَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى طُوبَى فُتْفَتِحَ لَهُ أَكْمَامُهَا فَيَأْخُذُ مِنْ أَيِّ ذَلِكَ شَاءَ إِنْ شَاءَ أَبْيَضَ وَإِنْ شَاءَ أَحْمَرَ وَإِنْ شَاءَ أَصْفَرَ وَإِنْ شَاءَ أَسْوَدَ مِثْلَ شَقَائِقِ الثُّعْمَانِ وَأَرْقَ وَأَحْسَنَ" ٣٧١

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} (٥٨) سورة الرحمن، قَالَ: يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي حَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمَرْآةِ، وَإِنْ أَدْنَى لَوْلُؤَةٌ عَلَيْهَا لَتَضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَإِنَّهَا يَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ" ٣٧٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ لَيَتَكَبَّرُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ، ثُمَّ تَأْتِيهِ الْمَرْأَةُ، فَتَقْرُبُ مِنْهُ، فَيَنْظُرُ فِي حَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمَرْآةِ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَيُرْدُ السَّلَامَ، وَيَسْأَلُهَا مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ الْمَزِيدِ، وَإِنَّهُ يَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا، فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَإِنْ عَلَيْهَا التَّيْجَانُ، وَإِنْ أَدْنَى لَوْلُؤَةٌ عَلَيْهَا لَتَضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. ٣٧٣

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: غَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً أَطْلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. ٣٧٤

وعن شريح بن عبيد الحضري قال: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِكَعْبٍ: خَوْفُنَا يَا، فَقَالَ: "وَاللَّهِ إِنْ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ قِيَامًا مِنْذُ خَلَقَهُمُ اللَّهُ، مَا تَنَوُّوا أَصْلَابَهُمْ، وَآخَرِينَ رُكُوعًا، مَا رَفَعُوا أَصْلَابَهُمْ، وَآخَرِينَ سُجُودًا، مَا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ النَّفْخَةُ الْآخِرَةُ، فَيَقُولُونَ جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، مَا عَبْدْنَاكَ كَكُنْهُ مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُعْبَدَ"، ثُمَّ قَالَ: "وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِرَجُلٍ يَوْمَئِذٍ كَعَمَلٍ سَبْعِينَ نَبِيًّا، لَأَسْتَقَلَّ عَمَلُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا يُرَى يَوْمَئِذٍ، وَاللَّهِ لَوْ دُلِّيَ مِنْ غَسَلِينَ دَلْوٌ وَاحِدٌ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ، لَفَلَّتْ مِنْهُ جَمَاحُ قَوْمٍ فِي مَغْرِبِهَا، وَاللَّهِ لَتَزْفَرْنَ جَهَنَّمُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا غَيْرُهُ إِلَّا خَرَّ جَاذِيًا - أَوْ جَائِيًا - عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، وَحَتَّى نَبِيَّنَا وَإِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، يَقُولُ: رَبِّ أَنَا خَلِيلُكَ إِبْرَاهِيمَ"، قَالَ: فَأَبْكَى الْقَوْمَ حَتَّى نَشَجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ، قَالَ: يَا كَعْبُ، بَشِّرْنَا، فَقَالَ: "أَبْشِرُوا، فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَأَرْبَعِ عَشْرَةَ شَرِيعَةً، لَا يَأْتِي أَحَدٌ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَعَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَاللَّهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ كُلَّ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَأَبْطَأْتُمْ فِي الْعَمَلِ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ مِنْ

٣٧١ - صفة الجنة (١٤٢) ضعيف

٣٧٢ - المستدرک للحاکم (٣٧٧٤) حسن

٣٧٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٠٩) (٧٣٩٧) حسن

٣٧٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤١١) (٧٣٩٨) صحيح

هَذِهِ السَّمَاءُ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ مُغْدِرَةٍ، لَأَضَاءَتْ لَهَا الْأَرْضُ أَفْضَلَ مِمَّا يُضِيءُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ
الْبَدْرِ، وَلَوْ جَدَّ رِيحٌ نَشَرَهَا جَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ تَوْبًا مِنْ تِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ نُشِرَ الْيَوْمَ فِي
الدُّنْيَا، لَصَعِقَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَمَا حَمَلَتْهُ أَبْصَارُهُمْ " ٣٧٥

الدلو: إناء يُستقى به من البئر ونحوه - خر: سقط وهوى بسرعة - الجثو: الجلوس على الركبتين -
صعق: غشي عليه

المبحث السابع والعشرون

أطفال المؤمنين في الجنة

أطفال المؤمنين الذين لم يبلغوا الحلم هم في الجنة إن شاء الله تعالى بفضل الله ورحمته، قال
تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ
أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِيْنٌ} (٢١) سورة الطور .

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ عَمَّا يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يُلْحِقُ بِهِمْ مَنْ آمَنَ
مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ، فِي الْمَنْزِلَةِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عُيُونُهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ عَمَلُ هَؤُلَاءِ لَا يُبْلِغُهُمْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَيَتَفَضَّلُ
اللَّهُ تَعَالَى بِرَفْعِ نَاقِصِي الْعَمَلِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْكَامِلِي الْعَمَلِ، تَكْرُمًا مِنْهُ، وَتَفَضُّلاً عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَرَامِ
الْبَرَّةِ، وَلَا يَنْقُصُ اللَّهُ تَعَالَى دَرَجَاتِ الْآبَاءِ بِسَبَبِ ذُنُوبِ أَبْنَائِهِمْ بَلْ يَرْفَعُ مَنْزِلَةَ الْأَبْنَاءِ . ثُمَّ يُخْبِرُ تَعَالَى
بَأَنَّ الْعَدْلَ يَقْضِي بِالْأَبْلِ يُؤَاخِذُ بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ، وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ ذَنْبُ غَيْرِهِ مِنَ
النَّاسِ .

وَعَنْ أَبِي سَهْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ
الْيَمِينِ} . قَالَ: أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ. ٣٧٦

وعن علي رضي الله عنه في قوله عز وجل: كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين قال هم
أطفال المسلمين ٣٧٧، يعني أن أطفال المؤمنين في الجنة، لأنهم لم يكتسبوا فيرتقنوا بكسبهم.

وقد جاءت نصوص صريحة في إدخال ذرية المؤمنين الجنة، فمن ذلك حديث عليّ قال: سَأَلْتُ خَدِيجَةَ
النَّبِيِّ - ﷺ - عَنْ وَلَدَيْنِ مَاتَا لَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : هُمَا فِي النَّارِ قَالَ: فَلَمَّا رَأَى
الْكِرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهَا قَالَ: لَوْ رَأَيْتِ مَكَانَهُمَا لَأَبْغَضْتَهُمَا قَالَتْ [.....] يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَلَدِي مِنْكَ
قَالَ: فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَوْلَادَهُمْ

٣٧٥ - الزهد والرفائق لابن المبارك (٢٢٥) فيه انقطاع

٣٧٦ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٣٢٥) (٣٥٧٨١) صحيح

٣٧٧ - المستدرک للحاکم (٣٨٧٤) صحيح

فِي النَّارِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الطور: ٢١] ٣٧٨.

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: حَدَّثَنِي حَبِيبَةُ، أَنَّهَا كَانَتْ قَاعِدَةً فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، لَمْ يَلْغُوا الْحَنْثَ، إِلَّا جِيءَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُوقَفُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: وَلَا أَذْرِي فِي الثَّلَاثَةِ، أَوْ فِي الثَّانِيَةِ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِلْمَرْأَةِ: سَمِعْتَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ٣٧٩.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ أَوْلَادٍ لَمْ يَلْغُوا الْحَنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ وَإِبَائَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الْجَنَّةَ. وَقَالَ يُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. قَالَ فَيَقُولُونَ حَتَّى يَجِيءَ آبَاؤُنَا - قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ » ٣٨٠.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَلْغُوا الْحَنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ وَأَبَوَيْهِمُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ - قَالَ - وَيَكُونُونَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَيَقُولُونَ حَتَّى يَجِيءَ آبَاؤُنَا فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ » ٣٨١.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ وَالِدَيْهِمَا الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ"، قَالُوا: وَاثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَاثْنَيْنِ"، قَالُوا: وَوَاحِدٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَوَاحِدٍ"، ثُمَّ حَدَّثَ أَنْ: "السَّقَطُ لِيَجْرُ أُمُّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ" ٣٨٢.

وَعَنْ أَبِي حَسَّانٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِحَدِيثِ تُطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا قَالَ قَالَ نَعَمْ « صَعَارُهُمْ دَعَامِصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ - فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ - كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهَى - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ ». ٣٨٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا يَعْلَمُ - مُوسَى بْنُ وَرْدَانَ يَشْكُ - قَالَ: "ذَرَارِي الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ - ﷺ - " رَوَاهُ أَحْمَدُ ٣٨٤.

٣٧٨ - غاية المقصد في زوائد المسند (٣١٧٣) حسن

٣٧٩ - الآحاد والمثاني (٣٣٠٤) صحيح

٣٨٠ - مسند أحمد (١٠٩٠٣) صحيح

٣٨١ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٤ / ص ٦٨) (٧٣٩٥) صحيح

٣٨٢ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٥ / ص ٦٧) (١٦٧٢٠) صحيح لغيره

٣٨٣ - صحيح مسلم (٦٨٧٠) - الدعومص : جمع الدعومص وهو دويبة تكون في الماء أى أنهم صغار الجنة لا يفارقونها - الصنفه :

طرف الثوب

٣٨٤ - مسند أحمد (٨٥٤٧) حسن

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أطفال المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يدفعوهم إلى آبائهم يوم القيامة»^{٣٨٥}

المبحث الثامن والمشرون أكثر أهل الجنة

أكثر من يدخل الجنة الضعفاء الذين لا يأبه الناس لهم، ولكنهم عند الله عظماء، لإحسانهم لهم، وتذللهم له، وقيامهم بحق العبودية لله، روى البخاري ومسلم عن معبد بن خالد قال سمعت حارثة بن وهب الخزاعي قال سمعت النبي ﷺ - يقول «ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر»^{٣٨٦}.

قال النووي في شرحه للحديث: "ومعناه: يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا، يقال: تضعفه واستضعفه، وأما رواية الكسر فمعناها: متواضع متدلل خامل واضح من نفسه، قال القاضي: وقد يكون الضعف هنا: رقة القلوب ولينها وإحسانها للإيمان، والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء، كما أن معظم أهل النار القسم الآخر، وليس المراد الاستيعاب في الطرفين"^{٣٨٧}.

وفي صحيح البخاري عن أسامة عن النبي ﷺ - قال «قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء»^{٣٨٨}.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ - قال «أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وأطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»^{٣٨٩}.

وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: دخلت الجنة فإذا أكثر أهلها الفقراء، وأطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء، ورأيت فيها ثلاثة يعدبون: امرأة من حمير طوالة ربطت هرة لها لم تطعمها، ولم تسقيها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، فهي تنهش قبلها ودبرها ورأيت فيها أخت بني دعدع

^{٣٨٥} - أمالي ابن بشران (٩٢٥) وأخبار أصبهان (١٤٩٠) حسن وانظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ٢ / ص ١٥٦)

^{٣٨٦} - صحيح البخاري (٤٩١٨) وصحيح مسلم (٧٣٦٦)

الجواظ: الجموع المتنوع الذي يجمع المال من أي جهة ويمنع صرفه في سبيل الله - العتل: الشديد الجاف الغليظ من الناس

^{٣٨٧} - شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ٢٣٤)

^{٣٨٨} - صحيح البخاري (٥١٩٦) - الجد: الحظ والسعادة والغنى

^{٣٨٩} - صحيح البخاري (٣٢٤١) وصحيح مسلم (٧١١٤) عن ابن عباس

الَّذِي كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِذَا فُطِنَ لَهُ، قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَالَّذِي سَرَقَ بَدَنْتِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ٣٩٠.

وتخاصم الرجال والنساء زمن الصحابة في أكثر أهل الجنة، هل هم الرجال أم النساء ؟
ففي صحيح مسلم عن مُحَمَّدٍ قَالَ إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكُرُوا الرَّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمْ النِّسَاءُ فَقَالَ
أَبُو هُرَيْرَةَ أَوْلَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ - ﷺ - « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي
تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخُّ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ
اللَّحْمِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَغْرَبُ » ٣٩١.

وعن مُحَمَّدٍ قَالَ: اخْتَصَمَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ أَيُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ فَأَتَوْا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: قَالَ أَبُو
الْقَاسِمِ ﷺ : أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَضْوَاءِ
كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ دُرِّيٍّ أَوْ دُرِّيٍّ - شَكَّ سَفِيَانُ - لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخُّ
سَوْقَيْهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَغْرَبُ. ٣٩٢.

والحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وقد احتج بعضهم على أن الرجال
أكثر بحديث (رأيتكن أكثر أهل النار)، والجواب أنه لا يلزم من كونهن أكثر أهل النار أن يكن أقل
ساكني الجنة كما يقول ابن حجر العسقلاني، فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار
وأكثر أهل الجنة، وبذلك يكن أكثر من الرجال وجودا في الخلق. ويمكن أن يقال: إن حديث أبي هريرة
رضي الله عنه يدل على أن نوع النساء في الجنة أكثر سواء كن من نساء الدنيا أو من الحور
العين، والسؤال هو أيهما أكثر في الجنة: رجال الدنيا أم نساؤها ؟ وقد وفق القرطبي بين النصين بأن
النساء يكن أكثر أهل النار قبل الشفاعة وخروج عصاة الموحدين من النار، فإذا خرجوا منها بشفاعة
الشافعين ورحمة أرحم الراحمين كن أكثر أهل الجنة.

وهناك ما يدل على قلة النساء في الجنة وهو ما رواه أحمد عن عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ
عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ، فَقَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الشَّعْبِ، إِذْ
قَالَ: انْظُرُوا، هَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا ؟ فَقُلْنَا: نَرَى غَرَبَانًا فِيهَا غَرَابٌ أَغْصَمُ، أَحْمَرُ الْمُنْقَارِ وَالرَّجُلَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُنَّ مِثْلُ هَذَا الْغُرَابِ فِي الْغُرَبَانِ " ٣٩٣

٣٩٠ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٣٤) (٧٤٨٩) صحيح

٣٩١ - صحيح مسلم (٧٣٢٥)

٣٩٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٣٧) (٧٤٢٠) صحيح

٣٩٣ - مسند أحمد (١٨٢٤٣) صحيح

المبحث التاسع والعشرون

مقدار ما يدخل الجنة من هذه الأمة

يدخل من هذه الأمة الجنة جموع كثيرة الله أعلم بعددهم، ففي صحيح البخاري عَنْ حُصَيْنٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ قُلْتُ يَا جَبْرِيلُ هَؤُلَاءِ أُمَّتِي قَالَ لَا وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ. فَظَنَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ. قَالَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدْ أَمَّهُمْ، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ. قُلْتُ وَلِمَ قَالَ كَانُوا لَا يَكْتُبُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ». فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ. قَالَ « اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْهُمْ ». ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ. قَالَ « سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ » ٣٩٤ .

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ - يَوْمًا فَقَالَ « عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ لِي انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ». فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَذَكَّرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالُوا أَمَا نَحْنُ فَوَلَدْنَا فِي الشَّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ - فَقَالَ « هُمْ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتُبُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ». فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَعَمْ ». فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا فَقَالَ « سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ » ٣٩٥ .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ رَهْطٌ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ رَجُلٌ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رَفَعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: هَذِهِ أُمَّتِي؟ فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَظَنَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى هَذَا الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَدَخَلَ، فَحَاضَ الْقَوْمَ فِي ذَلِكَ، وَقَالُوا: مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ؟ فَقَالَ: بَعْضُهُمْ لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ قَطُّ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَخُوضُونَ فِيهِ؟ فَأَخْبَرُوهُ

٣٩٤ - صحيح البخاري (٦٥٤١)

٣٩٥ - صحيح البخاري (٥٧٥٢)

بِمَقَالَتِهِمْ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتُوبُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ، فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ. ٣٩٦.

وَقَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيُّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرِّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ قِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. قِيلَ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ. فَإِذَا سَوَادٌ يَمَلَأُ الْأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ - فَخَرَجَ فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُوبُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «نَعَمْ». فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ «سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ» ٣٩٧.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: هَذِهِ أُمَّتِي؟ فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قَالَ: ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَظَرُفْتُ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ، قَالَ: فَقِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ سِوَاهَا سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ.

ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُوبُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. ٣٩٨.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَحَدَّثْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى أَكْثَرْنَا الْحَدِيثَ ثُمَّ تَرَاجَعْنَا إِلَى الْبُيُوتِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اللَّيْلَةَ بِاتِّبَاعِهَا مِنْ أُمَّمِهِمْ، فَجَعَلَ يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ مِنْ قَوْمِهِ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ التَّفَرُّ مِنْ قَوْمِهِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَحَدٌ، حَتَّى أَتَى عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فِي كَبْكَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبُونِي، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَذَا أَخُوكَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قُلْتُ: رَبِّ، فَأَيْنَ أُمَّتِي؟ قَالَ: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ، فَإِذَا الظَّرَابُ ظُرَابُ مَكَّةَ قَدْ سُدَّ بُوْجُوهُ الرِّجَالِ، فَقُلْتُ: رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: أُمَّتُكَ، فَقِيلَ: هَلْ رَضِيتَ؟ فَقُلْتُ: رَضِيتُ، ثُمَّ قِيلَ: انْظُرْ عَنْ يَسَارِكَ، فَإِذَا الْأُفُقُ قَدْ سُدَّ بُوْجُوهُ الرِّجَالِ، ثُمَّ قِيلَ لِي: إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلاَ حِسَابٍ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَأَنْشَأَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ أَخُو بَنِي أَسَدٍ بَن

٣٩٦ - صحيح مسلم (٥٤٩) وصحيح ابن حبان - (ج ١٤ / ص ٣٣٩) (٦٤٣٠)

٣٩٧ - صحيح البخاري (٥٧٠٥)

٣٩٨ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ٧ / ص ٤٢٥) (٢٤٠٨٨) صحيح

خَزِيمَةَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْهُمْ ثُمَّ أَنْشَأَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادْعُ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ قَالَ: لَقَدْ سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ، ثُمَّ قَالَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ: فِدَاءُ لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي، إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا فَكُونُوا، ٣٩٩

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: تَحَدَّثْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى أَكْرَيْنَا الْحَدِيثَ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى مَنَازِلِنَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَوْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عُرِضَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُمْ وَأَتْبَاعُهَا مِنْ أُمَمِهَا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَمُرُّ، وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ يَمُرُّ، وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا الْوَاحِدُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ، حَتَّى مَرَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فِي كَبْكَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبُونِي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: أَخَوُكَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قُلْتُ: يَا رَبِّ، فَأَيْنَ أُمَّتِي؟ قَالَ: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ، فَتَنَظَّرْتُ، فَإِذَا الظَّرَابُ ظِرَابُ مَكَّةَ، قَدْ اسْوَدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، أَرْضَيْتَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، قَدْ رَضِيتُ، قَالَ: انْظُرْ عَنْ يَسَارِكَ، فَتَنَظَّرْتُ، فَإِذَا الْأُفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، أَرْضَيْتَ؟ فَقُلْتُ: رَبِّ رَضِيتُ، قِيلَ: فَإِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا بِلَا حِسَابٍ، قَالَ: فَأَنْشَأَ عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ أَحَدَ بَنِي أَسَدٍ بَنِي خَزِيمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْهُمْ، قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ آخَرَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ، قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ. ٤٠٠

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أُرِيتُ الْأُمَمَ بِالْمَوْسِمِ فَرَأَيْتُ أُمَّتِي قَدْ مَلَأُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ فَأَعْجَبَنِي كَثَرَتُهُمْ وَهَيَأَتُهُمْ فَقِيلَ لِي: أَرْضَيْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ لَا يَكْتُونُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْهُمْ، فَقَامَ آخَرَ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ. ٤٠١

وَلَا شَكَّ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ، وَمِنْ كُلِّ الْأُمَمِ مُجْتَمِعَةً، فَعَنَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيَّ حَدَّثَهُ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْكَدِيدِ، جَعَلُوا يَسْتَأْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِيهِمْ، فَيَأْذَنُ لَهُمْ، فَقَالَ: مَا بَالُ شِقِّ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَلِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْعَضُ إِلَيْكُمْ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ؟ فَلَمْ يَرِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا بَاكٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الَّذِي يَسْتَأْذِنُكَ بَعْدَ هَذَا لَسَفِيهِ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَنْتَى خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ شَهِدَ شَهَادَةً أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، ثُمَّ يَسُدُّ إِلَّا سُلُوكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَقَدْ وَعَدَنِي

٣٩٩ - الأحاد والمثاني (٢٥٠) صحيح

٤٠٠ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٤١) (٧٣٤٦) صحيح

٤٠١ - مسند الطيالسي (٣٥٠) صحيح

رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَدْخُلُوا حَتَّى تَتَّبَعُوا أَنْتُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَذُرَارِيِّكُمْ مَسَاكِينَ فِي الْجَنَّةِ ٤٠٢.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَذَابَ، وَثَلَاثُ حَثِيَّاتٍ مِنْ حَثِيَّاتِ رَبِّي. ٤٠٣

حَثِيَّاتٍ: الحثيات جمع حثية، وهي الغرفة بالكف، يقال: حثا يحثو ويحثي.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ أَنْتُمْ وَرُبُّعِ الْجَنَّةِ، لَكُمْ رُبْعُهَا، وَلِسَائِرِ النَّاسِ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهَا، قَالَ: فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَثُلُثُهَا، قَالُوا: فَذَلِكَ كَثِيرٌ، قَالَ: فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَالشَّطْرُ، قَالُوا: فَذَلِكَ أَكْثَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِئَةً صَفٍّ، أَنْتُمْ ثَمَانُونَ صَفًّا. ٤٠٤

وَعَنْ كَعْبٍ، قَالَ: أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةً صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. ٤٠٥
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ. فَيَقُولُ لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ. قَالَ وَمَا بَعَثَ النَّارَ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ قَالَ « أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ، وَمَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ ». ثُمَّ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ « أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ « أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ « مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضٍ، أَوْ كَشَعْرَةِ بَيْضَاءٍ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ ». ٤٠٦

وَعَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةً صَفٍّ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا. ٤٠٧

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةً صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا أُمَّتِي. ٤٠٨

٤٠٢ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٤ / ص ٤٣٦) (٤٤٢٩) صحيح

٤٠٣ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١١ / ص ٤٧١) (٣٢٣٧٢) صحيح لغيره

٤٠٤ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١١ / ص ٤٧١) (٣٢٣٧٣) صحيح

٤٠٥ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١١ / ص ٤٧٢) (٣٢٣٧٤) صحيح

٤٠٦ - صحيح البخاري (٣٣٤٨)

٤٠٧ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٩٨) (٧٤٥٩) صحيح

٤٠٨ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٩ / ص ١٥٦) (١٠٥٣٤) صحيح لغيره

وَعَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ قَالَ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»^{٤٠٩}.
وَعَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسُ: بَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ نَذْكُرُ الْأَنْبِيَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ يَأْتِي اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا مَعَهُ مُصَدِّقٌ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»^{٤١٠}.

والسرُّ في كثرة من آمن من هذه الأمة أن معجزة الرسول ﷺ الكبرى كانت وحيا متلوًّا يخاطب العقول والقلوب، وهي معجزة باقية محفوظة إلى قيام الساعة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ - «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^{٤١١}.

المبحث الثالثون في فرش الجنة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فِي قَوْلِهِ {وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} (٣٤) سورة الواقعة، قَالَ: «ارْتِفَاعُهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَسِيرَةُ مَا بَيْنَهُمَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ»^{٤١٢}.
وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَارْتِفَاعُهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ: ارْتِفَاعُ الْفُرُشِ الْمَرْفُوعَةِ فِي الدَّرَجَاتِ وَالْدَّرَجَاتُ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: {وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} [الواقعة] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ ارْتِفَاعَهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِمَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ^{٤١٣}.
وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الْفُرُشِ الْمَرْفُوعَةِ، فَقَالَ: "لَوْ طُرِحَ فِرَاشٌ مِنْ أَعْلَاهَا لَهَوَى إِلَى قَرَارِهَا مِائَةً خَرِيفٍ"^{٤١٤}.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله عز وجل: {مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ { (٥٤) سورة الرحمن، قال: أخبرتم بالبطائن فكيف بالظواهر؟^{٤١٥}

^{٤٠٩} - صحيح مسلم (٥٠٦)

^{٤١٠} - مسند أبي عوانة (٢٤٣) صحيح

^{٤١١} - صحيح البخاري (٤٩٨١) وصحيح مسلم (٤٠٢)

^{٤١٢} - سنن الترمذي (٣٦٠٥) حسن

^{٤١٣} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤١٨) (٧٤٠٥) حسن

^{٤١٤} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٧ / ص ٢٧٨) (٧٨٧٤) وسنده واه وصوب المنذري وقفه

^{٤١٥} - المستدرک للحاكم (٣٧٧٣) صحيح

المبحث الواحد و الثلاثون غلمان اهل الجنة وخدمتهم

قال تعالى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) {الطور: ٢٤} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ بَكُورُوسِ الْخَمْرِ هَذِهِ غِلْمَانٌ مُعَدُّونَ لِحَدَمَتِهِمْ، يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِمْ، وَيَنْتَهُونَ بِنَهْيِهِمْ، وَهُمْ فِي حُسْنِهِمْ وَبَهَائِهِمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ نَاصِعُ الْبَيَاضِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ أَصْدَافِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِلثَّوْرِ وَلَفْحِ الشَّمْسِ وَالرَّيَّاحِ .

وقال تعالى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا) {الإنسان: ١٩} وَيَطُوفُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ غِلْمَانٌ (وَلَدَانٌ) يَخْدُمُونَهُمْ، وَهُمْ شَبَابٌ، وَجُوهُهُمْ نَضْرَةٌ، كَأَنَّهُمْ لِحُسْنِ أَلْوَانِهِمْ، وَنَضْرَةِ وَجُوهِهِمْ، وَكَثْرَةِ انْتِشَارِهِمْ فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ، اللَّؤْلُؤُ الْمَنثورُ، وَهُمْ لَا يَهْرَمُونَ وَلَا يَشْيَبُونَ، وَلَا تَبَدَّلُ أَحْوَالُهُمْ .

ومعنى (مخلدون): لا يهرمون ولا يتغيرون ولا يموتون. وقيل: مقرطون بالخلدة. وجمع قوم بين المعنيين فقالوا: لا يتغيرون ولا يهرمون وفي آذانهم القراطة. وقد شبههم الله تعالى باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلق. وفي كونه منثوراً فائدتان:

الأولى: تدل على أنهم ميثوثون في خدمتهم وحوائجهم، وغير معطلين .
الثانية: أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً - لاسيما على بساطٍ من ذهب أو حرير - كان أحسن لمنظره من كونه مجموعاً في مكانٍ واحد . وللعلماء في هؤلاء الغلمان قولان: الأول: أنهم أولاد المسلمين الذين يموتون بلا حسنة ولا سيئة ، فيكونون من خدم أهل الجنة. ومنهم من قصر ذلك على أولاد المشركين. الثاني: أنهم مخلوقون في الجنة خدماً لأهلها، أنشأهم الله - عز وجل - كالحور العين، وهذا القول هو الأشبه - والله أعلم - لأن من تمام نعمة الله تعالى وكرامته لأهل الجنة أن يجعل أولادهم مخدومين معهم، لا غلماناً لهم يخدمونهم.

قلت: وضح في بعض الأخبار أن أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة، فلا مانع من الجمع بين القولين، والله أعلم. ^{٤١٦}

وعن عبد الله بن عمرو قال: " مَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَحَدٍ إِلَّا يَسْعَى عَلَيْهِ أَلْفُ خَادِمٍ، كُلُّ غُلَامٍ عَلَى عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ " ^{٤١٧}

^{٤١٦} - انظر تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ٥٧) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ٢ / ص ١٦١)

^{٤١٧} - الزهد والرفائق لابن المبارك (١٥٦٠) و صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٣٥٤) صحيح

المبحث الثاني و الثلاثون في وصف نساء اهل الجنة

قد وصف الله تعالى نساء أهل الجنة - الحور العين - وحسنهن وجمالهن الظاهر والباطن في كتابه العزيز بأوصاف عدة هي:

أولاً: قال تعالى: (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) {الدخان: ٥٤}، والحور: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسنة الجميلة البيضاء شديدة سواد العين. وقال زيد بن أسلم: "الحوراء: التي يحار فيها الطرف". وقال مجاهد: يحار الطرف في حسنهن وبياضهن وصفاء لوتهن". ومعنى عين: أي حسان الأعين، قال القرطبي: العين جمع عيناء، وهي الواسعة العظيمة العينين^{٤١٨}.

وقوله (زوجناهم) يفهم منها معنيان: الأول: جعلناهم أزواجاً اثنين اثنين.

الثاني: قرناهم بهم، وليس من عقد التزويج، لأن العرب تقول: تزوجتها، ولا تقول: تزوجت بها، وقيل: بل هي لغة تميم فهم يقولون: تزوجت بامرأة.

والظاهر - والله أعلم - أن الآية تحمل المعنيين معاً، فلفظ التزويج يدل على النكاح، و(الباء) تدلُّ على الاقتران والضم، وهذا أبلغ من حذفها.

ثانياً: قال تعالى: (لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ) {البقرة: ٢٥} فقد وصفهن الله تعالى بأنهن مطهرات، أي: من الحيض والنفاس والبول والغائط والمخاط والبصاق وكل قدر وأذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنهن من الأخلاق السيئة والصفات الذميمة، وطهرت ألسنتهن من الفحش والبذاءة، وطهر طرفهن من أن تطمع به إلى غير زوجها، وهذا المعنى يظهر جلياً في الآتي:

ثالثاً: قال تعالى: (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) {الرحمن: ٥٦} وقال تعالى: (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) {الصفافات: ٤٨}، فوصفهن بأنهن يقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يبيغين غيرهن.

رابعاً: قال تعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً* حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً* وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً) {النبا: ٣١-٣٣} ويخبر الله تعالى عن السعداء، وما أعد لهم من الكرامة، والتَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فيقول تعالى: إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ جَنَّاتٍ وَتَنْزِيلَاتٍ نَضْرَةً، وَفَوْزاً بِالنَّعِيمِ وَالنَّوَابِ، وَبِالنَّجَاةِ مِنَ الْعِقَابِ.

ولهم بساتين مسورة (حدائق) فيها أشجار النخيل والأعناب، وكل الثمرات. ولهم فيها حور حسان صباح الوجوه، قد تكعبت أندأؤهن ولم تترهل، وهذا دليل على صغر سنهن، وهن أبكار متمنلات في الأعمار.

^{٤١٨} - تفسير القرطبي: (١٢٠/١٦)

وقال تعالى: (عُرْبًا أَتْرَابًا) {الواقعة: ٣٧}، فوصفهن -تبارك و تعالى- بأنهن أتراب: أي على سنٍ واحدة ، بنات ثلاث وثلاثين سنة، وقال مجاهد: أتراب: أمثال، وقال أبو عبيدة: أقران. أما قوله (كواعب): جمع كاعب وهي الناهد، والمراد أن نديهن نواهد مستديرة كالرمان ليست متدلّية لأسفل. وأما قوله (عربًا) جمع: عروب، وهنَّ المتحبات إلى أزواجهن، وقال المبرد: العاشقة لزوجها، وقال أبو عبيدة: الحسنة التبعّل.

خامسًا: وصفهن الله تعالى بالبكارة كما في قوله: (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ {الرحمن: ٥٦} أي: لم يطأهن ولم يجامعهن إنس ولا جان قبل أزواجهن.

سادسًا: وصفهن بالصفاء، فقال تعالى: (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) {الرحمن: ٥٨} قال المفسرون: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان. وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدُّ كَوْكَبِ إِضَاءَةٍ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخٌّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لَا يَسْقُمُونَ وَلَا يَمْتَحِطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ، أَنِيتُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَأَمْسَاتُهُمُ الذَّهَبُ، وَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الْأُلُوءَةُ - قَالَ أَبُو الْيَمَانِ يَعْنِي الْعُودَ - وَرَشَّحُهُمُ الْمِسْكُ» ٤١٩ .

وعن مُحَمَّدٍ قَالَ إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكُرُوا الرَّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمِ النِّسَاءُ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَوْلَمَ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ - ﷺ - «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخٌّ سَوْفَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزَبُ» ٤٢٠ .

سابعًا: قال تعالى: (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) {الرحمن: ٧٢} أي: محبوسات في الخيام، وقال أبو عبيدة: حدرن في الخيام. وقال عمر - رضى الله عنه: الخيمة درة مجوفة ٤٢١

وفي الآية معنى آخر: أنهن محبوسات على أزواجهن، قال قتادة: مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ.

ثامنًا: وصفهن بأنهن خيرات الصفات والأخلاق والشيء، وحسان الوجوه، فقال تعالى: (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) {الرحمن: ٧٠}، قال سعيد بن عامر: لو أن خيرة من (خيرات حسان) اطلعت من السماء لأضاءت لها، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر. ٤٢٢

٤١٩ - صحيح البخارى (٣٢٤٦) ومسلم (٧٣٢٥)

٤٢٠ - صحيح مسلم (٧٣٢٥)

٤٢١ - تفسير القرطبي: (١٤٤/١٧)

٤٢٢ - نفس المصدر (١٤٢/١٧) والحديث في الزهد والرقائق لابن المبارك (١٨٧٢) صحيح

تاسعاً: قال تعالى: { إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * غُرْباً أَثَرَاباً * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ } (الواقعة: ٣٥-٣٨) وفي تفسيرها قولان:

الأول: أنها في الحور العين حيث أنشأهن الله وخلقهن خلقاً جديداً من غير توالد.

والثاني: أنها في النساء الآدميات، حيث يخلقهن الله تعالى غير خلقهن الأول، ويصبحن أبكاراً، وهذا تفسير ابن عباس - رضي الله عنه - ويؤيده ما روي عن عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - أَتَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اذْغُ اللَّهُ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ -: "إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ". فَذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - فَصَلَّى ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ كَلِمَتِكَ مَشَقَّةً وَشِدَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَدْخَلَهُنَّ الْجَنَّةَ حَوَّلَهُنَّ أَبْكَاراً" ٤٢٣. وعن سلمة بن يزيد، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في هذه الآية { إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً } قال: "مِنْ الثَّيْبِ وَالْأَبْكَارِ" ٤٢٤. يعني من أهل الدنيا والله أعلم.

قال القرطبي: واختلف أيهما أكثر حسناً وأبهر جمالاً: الحور أو الآدميات؟ فقيل: الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسنة ولقوله - عليه الصلاة والسلام - في دعائه على الميت في الجنائز: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالتَّلَجِّ وَالْبَرْدِ وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» ٤٢٥.

وقيل: الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف... ثم ذكر قول حبان بن أبي جبلة: إن نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا ٤٢٦. وعن عمرو بن ميمون، قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَتَلْبَسَ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ، فَيَرَى بَيَاضُ سَاقِهَا وَحُسْنُهُ، وَمُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: { كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ } أَلَا تَرَى أَنَّ الْيَاقُوتَ حَجَرٌ فَإِذَا أَدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكَاً، رَأَيْتَ السِّلْكَ مِنْ وَرَاءَ الْحَجَرِ. ٤٢٧. وعن عمرو بن ميمون، قال: "إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَتَلْبَسَ سَبْعِينَ حُلَّةً، فَيَرَى مُخَّ سَاقِهَا كَمَا يَرَى الشَّرَابَ الْأَحْمَرَ فِي الرَّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ" ٤٢٨.

وعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، إِنَّ لَهُ لَسَبْعَ دَرَجَاتٍ، وَهُوَ عَلَى السَّادِسَةِ، وَفَوْقَهُ السَّابِعَةُ، وَإِنَّ لَهُ لثَلَاثَ مِائَةِ خَادِمٍ، وَيُعْدَى عَلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ وَثَلَاثَ مِائَةِ صَحْفَةٍ. وَلَا

٤٢٣ - صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٤١٦) والمعجم الأوسط للطبراني (٥٧٠٣) حسن لغيره

٤٢٤ - تفسير الطبري - (ج ٢٩ / ص ٣١٩) (٢٥٨٤٧) ضعيف

٤٢٥ - صحيح مسلم (٢٢٧٦) - البرد: الماء الجامد يتزل من السماء قطعاً صغاراً - الدنس: الوسخ

٤٢٦ - تفسير القرطبي: (١٤٣/١٧) والحديث ضعيف

٤٢٧ - تفسير الطبري - (ج ٢٩ / ص ٢٤٩) (٢٥٦٤٦) صحيح

٤٢٨ - تفسير الطبري - (ج ٢٩ / ص ٢٤٩) (٢٥٦٤٧) صحيح مرسل

أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: مَنْ ذَهَبَ فِي كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى، وَإِنَّهُ لَيَلِدُ أَوَّلَهُ كَمَا يَلِدُ آخِرُهُ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَوْ أَذْنَتَ لِي لَأَطَعْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَسَقَيْتُهُمْ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدِي شَيْءٌ، وَإِنَّ لَهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ لَأَنْثَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً سِوَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ لَيَأْخُذُ مَقْعُدُهَا قَدْرَ مِيلٍ مِنَ الْأَرْضِ.^{٤٢٩}

وعن عبد الله بن أبي أوفى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَزُوجُ خَمْسَمِائَةَ حَوْرَاءَ، وَأَرْبَعَ آلَافٍ بَكْرٍ، وَثَمَانِيَةَ آلَافٍ يُعَانِقُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مِقْدَارَ عُمُرِهِ فِي الدُّنْيَا"^{٤٣٠} الثَّيْبُ: مَنْ لَيْسَ بِبَكْرٍ، وَيَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، رَجُلٌ ثَيِّبٌ وَامْرَأَةٌ ثَيِّبٌ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْبَالِغَةِ وَإِنْ كَانَتْ بَكْرًا، بِحَازَا وَاتَّسَاعَا.

وعن عبد الرحمن بن سابط، قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَزُوجُ خَمْسَمِائَةَ حَوْرَاءَ، وَأَرْبَعَمِائَةَ بَكْرٍ، وَثَمَانِيَةَ آلَافٍ مِمَّنْهُمْ وَاحِدَةٌ إِلَّا يُعَانِقُهَا عُمَرُ الدُّنْيَا كُلِّهَا، لَا يَأْجُمُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، وَإِنَّهُ لَتَوْضَعُ مَائِدَتَهُ، فَمَا تَنْقُضِي مِنْهَا عُمَرُ الدُّنْيَا كُلَّهُ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِيهِ الْمَلِكُ بِتَحِيَّةٍ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَبِينُ أَصْبَعَهُ مِائَةً، أَوْ سَبْعُونَ حُلَّةً، فَيَقُولُ: مَا أَتَانِي مِنْ رَبِّي شَيْءٌ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُ: أَيْعَجِبُكَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَيَقُولُ الْمَلِكُ شَجَرَةً: يَا شَجَرَةُ كُونِي لِفُلَانٍ مِنْ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ"^{٤٣١}

الثَّيْبُ: مَنْ لَيْسَ بِبَكْرٍ، وَيَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، رَجُلٌ ثَيِّبٌ وَامْرَأَةٌ ثَيِّبٌ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْبَالِغَةِ وَإِنْ كَانَتْ بَكْرًا، بِحَازَا وَاتَّسَاعَا. - الأدنى: الأقرب

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ غَرْبٌ سَهْمٌ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ. فَقَالَ لَهَا «هَبِلْتُ، أَحَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ إِنَّهَا جَنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى». وَقَالَ: «غَدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ، لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنْصَيْفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^{٤٣٢}.

والنصيف: هو الخمار (غطاء الرأس).

وعن يحيى بن أبي كثير "أَنَّ الْخُورَ الْعَيْنَ، يَتَلَقَّيْنَ أَزْوَاجَهُنَّ عِنْدَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُلْنَ طَالَمَا انْتَضَرْنَاكُمْ فَتَحْنُ الرَّاغِبَاتُ فَلَا نَسْخَطُ وَالْمُقِيمَاتُ فَلَا نَطْعُنُ، وَالْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ، بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَتْ. وَتَقُولُ: أَنْتَ حَبِيٌّ وَأَنَا حُبُّكَ لَيْسَ دُونَكَ قَصْدٌ وَلَا وَرَاءَكَ مَعْدَى" ^{٤٣٣} - سخط: غضب

^{٤٢٩} - مسند أحمد (١١٢٢٣) وغاية المقصد في زوائد المسند (٥١٢٢) حسن

^{٤٣٠} - البعث والنشور للبيهقي (٣٦٤) فيه مبهم

^{٤٣١} - العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥٧٥) فيه ضعف

^{٤٣٢} - صحيح البخاري (٦٥٦٧ و ٦٥٦٨)

وقال مالك بن دينار: نمت ذات ليلة - ولم يقرأ حزبه - فإذا أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة، فقالت: أتحسن أن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إليّ الرقعة فإذا مكتوبٌ فيها هذه الأبيات:

لَهَاكَ النُّومُ عَنْ طَلَبِ الْأَمَانِي.... وَعَنْ تِلْكَ الْأَوَانِسِ فِي الْجَنَانِ

تَعِيشُ مَخْلَدًا لَا مَوْتَ فِيهَا.... وَتَلْهُوُ فِي الْخِيَامِ مَعَ الْحِسَانِ

تَنَبَّهَ مَنْ مَنَامَكَ إِنَّ خَيْرًا.... مِنَ النَّوْمِ التَّهَجُّدِ بِالْقُرْآنِ^{٤٣٤}

وعن أنس بن مالك: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: غَدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا وَلَقَابٌ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ، أَوْ مَوْضِعٌ قَدِمَ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً أَطْلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَّتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.^{٤٣٥} -النصيف: الخمار - والقاب: هو القدر، وقال أبو معمر قاب القوس من مقبضه إلى رأسه

وعن مُحَمَّدٍ قَالَ: إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكَرُوا الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمِ النِّسَاءُ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَوْلَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ - ﷺ - « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخٌّ سَوْفَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزُّبُ ».^{٤٣٦}

وعن أَيُّوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدًا، يَقُولُ: اخْتَصَمَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ أَيُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ فَأَتَوْا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ - ﷺ: أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ دُرِّيٍّ أَوْ دُرِّيٍّ - شَكَّ سَفِيَانٌ - لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخٌّ سَوْفَهُنَّ مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزُّبُ.^{٤٣٧}

الزمرة: الجماعة من الناس - الدرري: الكوكب المتألئ الضوء - مخ الشيء: خالسه

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَيَرَى بَيَاضَ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً، حَتَّى يُرَى مُخُّهَا، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} (٥٨) سورة الرحمن، فَأَمَّا الْيَاقُوتُ، فَإِنَّهُ حَجَرٌ، لَوْ أُدْخِلْتَ فِيهِ سِلْكَاً، ثُمَّ اسْتَصَفَيْتَهُ لَأَرَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ.^{٤٣٨}

^{٤٣٣} - الزهد والرفائق لابن المبارك (٢٠٥٠) صحيح مقطوع

^{٤٣٤} - التذكرة للقرطبي: ص ٥١١

^{٤٣٥} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤١١) (٧٣٩٨) صحيح

^{٤٣٦} - صحيح مسلم (٧٣٢٥)

^{٤٣٧} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٣٧) (٧٤٢٠) صحيح

^{٤٣٨} - سنن الترمذی (٢٧٢٦) صحيح لغيره

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِيرَى بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ سَبْعِينَ حُلَّةً حَرِيرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن]، فَأَمَّا الْيَاقُوتُ، فَإِنَّهُ حَجَرٌ لَوْ أَدْخَلْتَهُ سِلْكَاً ثُمَّ أَطْلَعْتَ لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ. ٤٣٩

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ حَذِيمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَشْرَفَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَمَلَأَتِ الْأَرْضَ رِيحَ مِسْكِ، وَلَأَذْهَبَتْ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لَأُخْتَارَكَ عَلَيْهِنَّ، وَدَفَعَ فِي صَدْرِهَا، يَعْنِي امْرَأَتَهُ. ٤٤٠

وَعَنْ رِبْعِ بْنِ كَلْثُومٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَشْرَفَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، لَمَلَأَتِ الْأَرْضَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلَنْصِيفُ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، هَلْ تَذَرُونَ مَا النَّصِيفُ؟ هُوَ الْحِمَارُ. ٤٤١

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: "حَدَّثَنِي جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ: يَدْخُلُ الرَّجُلُ عَلَى الْحَوْرَاءِ فَتَسْتَقْبِلُهُ بِالْمُعَانَقَةِ وَالْمُصَافَحَةِ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "فَبَآئِي بَنَاتِ تُعَاطِيهِ!، لَوْ أَنَّ بَعْضَ بَنَاتِهَا بَدَأَ لَعَلَبَ ضَوْءَهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَوْ أَنَّ طَاقَةَ مِنْ شَعْرِهَا بَدَتْ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنْ طِيبٍ رِيحِهَا، فَبَيْنَا هُوَ مُتَكِيٌّ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَةٍ إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ نُورٌ مِنْ فَوْقِهِ، فَيُظَنُّ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَلْقِهِ، فَإِذَا حَوْرَاءُ تُنَادِيهِ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَمَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتِ يَا هَذِهِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} (٣٥) سُرَةُ ق، فَيَتَحَوَّلُ عِنْدَهَا، فَإِذَا عِنْدَهَا مِنَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ مَا لَيْسَ مَعَ الْأُولَى، فَبَيْنَا هُوَ مُتَكِيٌّ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَتِهِ إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ نُورٌ مِنْ فَوْقِهِ، فَإِذَا حَوْرَاءُ أُخْرَى تُنَادِيهِ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَمَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟ فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - -: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٧) سُرَةُ السَّجْدَةِ، فَلَا يَزَالُ يَتَحَوَّلُ مِنْ زَوْجَةٍ إِلَى زَوْجَةٍ " ٤٤٢.

البنان: أطراف الأصابع - بدا: وضح وظهر - الأريكة: كل ما اتكى عليه من سرير أو فراش أو منصة
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، قَالَ: يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي حَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمَرْأَةِ، وَإِنْ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتَضِيءُ مَا بَيْنَ

٤٣٩ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٠٨) (٧٣٩٦) صحيح

٤٤٠ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٥ / ص ٣٠٧) (٥٣٧٩) حسن

٤٤١ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٢٢) (٣٥١٥٦) صحيح مرسل

٤٤٢ - المعجم الأوسط للطبراني (٩١٢٤) ضعيف

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَإِنَّهَا يَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ نُوْبًا يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ" ٤٤٣

وعن أنس بن مالك، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ بَصَقَتْ فِي سَبْعَةِ أَبْحُرٍ لَعَذِبَتْ الْبَحَارُ مِنْ عَذُوبَةٍ رِيقِهَا، وَيُخْلَقُ الْحَوْرَاءُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ» ٤٤٤

وعن أبي عيشة قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ يَدًا مِنَ الْحَوْرَاءِ تُدَلِّي بِبَيَاضِهَا وَخَوَاتِمِهَا دَلَّيْتُ، لَأَضَاعَتْ لَهَا الْأَرْضُ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ لِلْأَهْلِ الدُّنْيَا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا قُلْتُ يَدَهَا، فَكَيْفَ بِالْوَجْهِ بَيَاضِهِ، وَحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ، وَتَاجِهِ بِبَاقِيَتِهِ وَلُؤْلُؤِهِ وَزَبَرْجَدِهِ؟ وَلَوْ أَنَّ دَلُّوا مِنْ غَسَلَيْنِ دَلَّيْتُ لَمَاتَ مِنْ رِيحِهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» ٤٤٥

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : حُورٌ عَيْنٌ قَالَ: «حُورٌ: بَيَضٌ، عَيْنٌ: ضِحَامٌ، شَفَرُ الْحَوْرَاءِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ التَّسْنُرِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ قَالَ: «صَفَاؤُهُنَّ كَصَفَاءِ الدُّرِّ الَّذِي فِي الْأَصْدَافِ الَّذِي لَا تَمَسُّهُ الْأَيْدِي». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ قَالَ: «خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حَسَنَاتُ الْوُجُوهِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: كَأَنَّهُنَّ بَيَضٌ مَكْنُونٌ قَالَ: «رَقَّتُهُنَّ كَرَقَةِ الْجِلْدِ الَّذِي فِي دَاخِلِ الْبَيْضَةِ مِمَّا يَلِي الْقِشْرَ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ: عُرْبًا أَثْرَابًا، قَالَ: «هُنَّ اللَّاتِي قُبُضْنَ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَجَائِزَ، رُمِصًا، شُمُطًا، خَلَقَهُنَّ اللَّهُ بَعْدَ الْكِبَرِ فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى». قَالَ: «عُرْبًا: مُعَشَّقَاتٌ، مُحَبَّبَاتٌ، أَثْرَابًا: عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ أَمْ الْحَوْرُ الْعَيْنُ؟ قَالَ: «نِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ كَفَضْلِ الظُّهَارَةِ عَلَى الْبِطَانَةِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَبِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «بِصَلَاتِهِنَّ، وَصِيَامِهِنَّ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَلْبَسَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَجُوهُهُنَّ النُّورَ، وَأَجْسَادَهُنَّ الْحَرِيرَ، بَيَضُ الْأَلْوَانِ، خَضِرُ الثِّيَابِ، صُفْرُ الْحُلِيِّ، مَحَامِرُهُنَّ الدُّرُّ، وَأَمَشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ، يَقْلُنَّ: أَلَا نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأُسُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَطْعُنُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الرَّاغِبَاتُ فَلَا نَسْخَطُ أَبَدًا، طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَانَ لَنَا». قُلْتُ: الْمَرْأَةُ مِمَّا تَنْزَوِجُ الزَّوْجَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ تَمُوتُ فَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلُونَ مَعَهَا، مَنْ يَكُونُ زَوْجَهَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يَا أُمِّ سَلَمَةَ، [إِنَّهَا] تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا». قَالَ: «فَتَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، إِنْ هَذَا كَانَ

٤٤٣ - المستدرک للحاکم (٣٧٧٤) حسن

٤٤٤ - صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٤١٠) ضعيف

٤٤٥ - الزهد والرفائق لابن المبارك (١٨٦٧) حسن مقطوع

أَحْسَنَهُمْ مَعِيَ خُلُقًا فِي دَارِ الدُّنْيَا فَزَوَّجْنِيهِ، يَا أُمَّ سَلَمَةَ ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " . رَوَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ^{٤٤٦}

ورحم الله من قال:

يا خاطبَ الحُورِ في حُدْرِهَا وطالبًا ذاك على قـُدْرِهَا
أنهضُ بجد لا تُكُنْ وانـيًّا وجاهد النفسَ على صبرِهَا
وقـُـم إذا الليلُ بـدَا وجـُـهـُـه وصم نهارًا فهو من مهرِهَا

المبحث الثالث و الثلاثون نساء الدنيا

زوجة المؤمن في الدنيا تكون زوجته في الجنة أيضا إذا كانت مؤمنة، قال تعالى { جَنَّاتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣)
سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) [الرعد/٢٣-٢٤] }

وَتِلْكَ الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ هِيَ دُخُولُ جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَالْإِقَامَةُ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا. وَيَجْمَعُ اللَّهُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحِبَّابِهِمْ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَنْبَاءِ الصَّالِحِينَ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ؛ وَتَدْخُلُ
عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ مُسْلِمِينَ مُهْتَبِينَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَبِرِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .
وَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَأَمِنْ دَائِمٌ لَكُمْ، لَقَدْ صَبَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاحْتَمَلْتُمْ الْمَشَاقَّ
وَالْأَلَامَ، فَفَزَّيْتُمْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، فَنِعِمَّتْ عَاقِبَتُكُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

وقال تعالى: { رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ (٩) } [غافر/٨، ٩]

وَتَتَابَعِ الْمَلَائِكَةُ الْأَطْهَارُ دُعَاءَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ النَّاتِبِينَ، فَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّاتِ الَّتِي
وَعَدَهُمْ تَعَالَى بِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَأَنْ يُدْخِلَ مَعَهُمُ الْجَنَّاتِ الصَّالِحِينَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّاتِهِمْ لِتَقَرَّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ، فَإِنَّ الْجَمَاعَ بِالْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ فِي مَوَاضِعِ السُّرُورِ يَكُونُ أَكْمَلُ لِلْبَهْجَةِ
وَالْأُنْسِ، فَأَنْتَ يَا رَبَّ الْعَالَمِ الَّذِي لَا يُقَاوَمُ، الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَفَعْلِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

^{٤٤٦} - المعجم الأوسط للطبراني (٣٢٥٩) وجمع الزوائد (١٨٧٥٥) ضعيف

وَاصْرِفْ عَنْهُمْ عَاقِبَةَ مَا اِفْتَرَفُوهُ مِنْ فِعْلِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ (أَوْ اصْرِفْ عَنْهُمْ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ)، وَمَنْ تَصْرِفْ عَنْهُ عَاقِبَةَ مَا ارْتَكَبَ مِنَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّكَ تَكُونُ قَدْ رَحِمْتَهُ، وَنَجَّيْتَهُ مِنْ عَذَابِكَ، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ فَوْزٌ .

وَيَكُونُ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَرَحِينَ سُعْدَاءَ يَتَمَتَّعُونَ بِلَذَائِهَا، وَيَكُونُونَ فِي شُغْلٍ بِذَلِكَ النَّعِيمِ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الشَّوَاغِلِ . وَيَكُونُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ وَارِفَةٍ لَا يُصِيبُهُمْ فِيهَا لَفْحُ الشَّمْسِ، وَهُمْ جَالِسُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ، وَمُتَكِنُونَ عَلَيْهَا فِي وَضْعِ الْمُنْعَمِ الْمُرْتَاحِ فِي جَلْسَتِهِ قَالَ تَعَالَى: { إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ (٥٦) } [يس/٥٥، ٥٦] ،

وقال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) } [الزخرف/٦٩-٧١]

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ صِفَةَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْأَمْنَ مِنَ اللَّهِ، وَالرِّضَا، فَلَا يَخَافُونَ الْعَذَابَ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَفَتْ نُفُوسُهُمْ، وَانْقَادَتْ لِشَرْعِ اللَّهِ بِوَاطْنِهِمْ وَظَوَاهِرِهِمْ .

وَقَالَ لَهُمْ: ادْخُلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَنُظَرَاؤُكُمْ الْجَنَّةَ تَنَعَّمُونَ فِيهَا وَتَسْعَدُونَ (تُحْبَرُونَ) بِمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ وَلَا مَقْطُوعٍ .

وَالْمَرْأَةُ تَكُونُ لِأَخْرِ أَزْوَاجِهَا فِي الدُّنْيَا، فَعَنْ عَطِيَّةَ بِنِ قَيْسِ الْكَلَاعِيِّ قَالَ: خَطَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: " أَيُّمَا امْرَأَةٍ تُوَفِّي عَنْهَا زَوْجُهَا فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ فَهِيَ لِأَخْرِ أَزْوَاجِهَا " . وَمَا كُنْتُ لِأَخْتَارَ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ . فَكُتِبَ إِلَيْهَا مُعَاوِيَةُ: فَعَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهَا مُحْسَمَةٌ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَالْأَوْسَطِ ٤٤٧

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الْجَنَّةِ فَلَا تَزَوَّجِي بَعْدِي فَإِنَّ الْمَرْأَةَ فِي الْجَنَّةِ لِأَخْرِ أَزْوَاجِهَا فِي الدُّنْيَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنْ يَنْكِحْنَ بَعْدَهُ لِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْجَنَّةِ . ٤٤٨

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ أَوْ غَيْرَهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَرْأَةُ يَمُوتُ زَوْجُهَا فَتَتَزَوَّجُ بَعْدَهُ زَوْجًا آخَرَ ثُمَّ يَمُوتُ، لِمَنْ هِيَ ؟ قَالَ: لِأَحْسَنِهَا خُلُقًا كَانَ مَعَهَا " ٤٤٩

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمَرْأَةُ يَكُونُ لَهَا الزَّوْجَانِ فِي الدُّنْيَا، يَعْنِي يَكُونُ زَوْجًا بَعْدَ زَوْجٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَلَا يَهْمَا تَكُونُ ؟ قَالَ: لِأَحْسَنِهَا خُلُقًا . ٤٥٠

٤٤٧ - المعجم الأوسط للطبراني (٣٢٤٨) حسن لغيره

٤٤٨ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٧ / ص ٦٩) (١٣٨٠٣) صحيح موقوف ومثله لا يقال بالرأي

٤٤٩ - الكلاباذي (٢٩٧) حسن

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَرْأَةُ مِمَّا يَكُونُ لَهَا فِي الدُّنْيَا زَوْجَانِ، ثُمَّ تَمُوتُ، فَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ هِيَ وَزَوْجَاهَا، لَا يَبْهَمَا تَكُونُ، لِلأَوَّلِ، أَوْ لِلْآخِرِ ؟ قَالَ: تُخَيَّرُ أَحْسَنُهُمَا خُلُقًا كَانَ مَعَهَا فِي الدُّنْيَا، فَيَكُونُ زَوْجَهَا فِي الْجَنَّةِ، يَا أُمُّ حَبِيبَةَ، ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا، وَخَيْرِ الْآخِرَةِ. ٤٥١

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ رَحِمَهُ اللَّهُ (الكلاباذي): يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَرَفَ مِنَ السَّائِلَةِ أَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّهَا تَكُونُ فِي الْآخِرَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا كَانَتْ هِيَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، وَأَنَّهَا هِيَ السَّائِلَةُ، وَالْحَدِيثُ الْآخِرُ، أَرَاهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكِلْتَاهُمَا كَانَتَا تَحْتَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا، فَعَسَى خَطَرَ بَيَالِ السَّائِلَةِ أَنْ زَوْجَهَا لَوْ لَمْ يَمُتْ لَكَانَتْ تَحْتَهُ أُخْرَى دَهْرًا، وَإِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ فَصَارَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَسَاهَا أَشْفَقَتْ أَنْ تَكُونَ لِرِزْوَجَهَا الأَوَّلِ، أَعْنِي لَوْلَا الْمَوْتُ لَكَانَا عَلَى نِكَاحِهِمَا، فَاسْتَخْبَرَتِ النَّبِيَّ ﷺ لِيُقَرَّرَ عِنْدَهَا أَنَّهَا تَكُونُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا صَارَتْ لَهُ فِي الدُّنْيَا، فَأَخْبَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِشَارَةً أَذْرَكَتِ الْمُرَادَ فِيهِ بِقَوْلِهِ: "لِأَحْسَنِهِمَا خُلُقًا" وَأَحْسَنُ زَوْجَهَا خُلُقًا مَعَهَا النَّبِيُّ ﷺ ؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ أَحْسَنُ خُلُقًا مِنْهُ ﷺ ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ. فَقَوْلُهُ ﷺ لِلْسَّائِلَةِ: "لِأَحْسَنِهِمَا خُلُقًا" أَيُّ أَنْتَ لِي فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَنْتَ لِي فِي الدُّنْيَا، وَلِلْآخِرَى: "هِيَ لِأَخِرِ زَوْجَهَا" كَذَلِكَ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمَا: أَنْتَ لِي إِذِ النَّبِيُّ ﷺ آخِرُ أَزْوَاجِ نِسَائِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِإِحْدَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ زَوْجًا سِوَاهُ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى، فَإِذَا كَانَ لِأَخِرِ أَزْوَاجِهَا، وَآخِرُ أَزْوَاجِهَا النَّبِيُّ ﷺ كَانَتْ لَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ﷺ "الْمَرْأَةُ لِأَخِرِ أَزْوَاجِهَا" فِيمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الطَّلَاقُ لَا الْمَوْتُ ؛ لِأَنَّ الطَّلَاقَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ بَأْسٍ فَهُوَ سُوءُ الْخُلُقِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنْ أَبْغَضَ الْحَلَالُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ" ٤٥٢

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَتَاقِ، وَلَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا أَبْغَضَ مِنَ الطَّلَاقِ" ٤٥٣

فَإِذَا كَانَ الطَّلَاقُ مِمَّا يُبْغِضُهُ اللَّهُ تَعَالَى فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكَادُ يَفْعَلُهُ إِلَّا عَنْ بَأْسٍ، فَإِذَا كَانَ لِلْمَرْأَةِ زَوْجٌ وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا الطَّلَاقُ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ كَانَ ذَلِكَ لِسُوءِ خُلُقٍ يَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَقَلَّةِ مُدَارَاةٍ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَسَنَ الْخُلُقِ كَانَتْ فِيهِ مَرَارَةٌ مَعَ أَمْرَانِهِ فَيَسْتَمْتِعُ بِهَا وَيَتَحَمَّلُ سُوءَ خُلُقِهَا، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا

٤٥٠ - مسند البزار (٦٦٣١) حسن

٤٥١ - أخرجه عُبَيْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١٢١٢) حسن

٤٥٢ - بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الْأَخْيَارِ لِلْكَلابَاذِيِّ (٢٩٨)

٤٥٣ - بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الْأَخْيَارِ لِلْكَلابَاذِيِّ (٢٩٩) فِيهِ انْقِطَاعُ

الطَّلَاقُ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْمَرْأَةَ كَالضِّلْعِ إِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسَرَتْهَا، وَإِنْ تَرَكْتُهَا اسْتَمْتَعَتْ بِهَا عَلَى عَوَجٍ" ٤٥٤
فَأَخْبَرَ أَنَّ الرَّجُلَ إِنْمَا يَسْتَمْتَعُ بِالْمَرْأَةِ يَتَحَمَّلُ مَا يَكُونُ مِنْهَا مِنَ الْاِعْوَجَاجِ، يَكُونُ ذَلِكَ بِالْمُدَارَاةِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، فَإِذَا حَسَنَ خُلُقُ الرَّجُلِ لَا يَكَادُ يُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ إِلَّا الْمَوْتُ، أَنْ يَمُوتَ عَنْهَا فَيَكُونُ آخِرُ أَزْوَاجِهَا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا مَعَهَا فَيَتَّفِقُ الْخَبِرَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ"

المبحث الرابع و الثلاثون العشرة المبشرون بالجنة

نص الرسول ﷺ نصا صريحا على أن عشرة من أصحابه من أهل الجنة، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَابْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ. ٤٥٥

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ حَدَّثَهُ فِي نَفَرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ «عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ». قَالَ فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التَّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ الْعَاشِرِ فَقَالَ الْقَوْمُ نَشْدُكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْأَعْوَرِ مِنَ الْعَاشِرِ قَالَ نَشْدُثُمُونِي بِاللَّهِ أَبُو الْأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ أَبُو عَيْسَى أَبُو الْأَعْوَرِ هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ. وَسَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَقُولُ هُوَ أَصَحُّ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ. ٤٥٦

وعن رباح بن الحارث أن سعيد بن زيد قال: "أشهدُ على رسولِ الله ﷺ بِمَا سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لَأُرَوِّيَ عَلَيْهِ كَذِبًا يَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ أَنَّهُ قَالَ: "أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ " وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمِيتُهُ فَرَجَ أَهْلِ الْمَسْجِدِ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ التَّاسِعِ ؟ قَالَ: " نَاشِدُثُمُونِي بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَاشِرُ ٤٥٧

٤٥٤ - بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الْأَخْيَارِ لِلْكَلاَبَاذِيِّ (٣٠٠) صحيح

٤٥٥ - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٤٦٣) (٧٠٠٢) صحيح

٤٥٦ - سنن الترمذی (٤١١٤) صحيح

٤٥٧ - السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة - (ج ٥ / ص ٢٣٢) (٨١٣٧) صحيح

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَشْرَةٌ مِنْ فُرَيْشٍ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ^{٤٥٨}

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، وَلَا أَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا. قَالَ فَجَاءَ الْمَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالُوا خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ أَرِيْسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بَيْتِ أَرِيْسٍ، وَتَوَسَّطَ قَفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبَيْتِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ. فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ. فَقُلْتُ عَلَى رِسْلِكَ .

ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ». فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يُسَبِّحُكَ بِالْجَنَّةِ. فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَعَهُ فِي الْقَفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ، كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ - ﷺ -، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يُرِيدُ أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ. فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ. فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. فَقُلْتُ عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ». فَجِئْتُ فَقُلْتُ ادْخُلْ وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِالْجَنَّةِ. فَدَخَلَ، فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي الْقَفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ. فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. فَقُلْتُ عَلَى رِسْلِكَ. فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ » فَجِئْتُ فَقُلْتُ لَهُ ادْخُلْ وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ. فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقَفَّ قَدْ مَلَأَ، فَجَلَسَ وَجَاهَهُ مِنْ الشَّقِّ الْآخِرِ. قَالَ شَرِيكَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فَأَوَلَّتْهَا قُبُورُهُمْ^{٤٥٩}.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْقَائِمُ بَعْدِي فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي يَقُومُ بَعْدَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَالثَّالِثُ وَالرَّابِعُ فِي الْجَنَّةِ)^{٤٦٠} - وَمُرَادُهُ بِالْقَائِمِ بَعْدَهُ: الَّذِي يَلِي الْحُكْمَ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهُوَ لَاءُ الْأَرْبَعَةِ، هُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

^{٤٥٨} - المعجم الصغير للطبراني (٦٢) صحيح

^{٤٥٩} - صحيح البخاري (٣٦٧٤)

^{٤٦٠} - أخرجه ابن عساکر (١٠٨/٣٩) وصحيح الجامع (٤٤٣٥) صحيح لغيره

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ عَتِيقٌ مِنَ النَّارِ فَمِنْ يَوْمَئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقًا ٤٦١ .
وَعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ اسْمُ أَبِي بَكْرٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْتَ عَتِيقٌ مِنَ النَّارِ فَسُمِّيَ عَتِيقًا. ٤٦٢

المبحث الخامس و الثلاثون في غناء الحور العين

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقًا مَا فِيهَا بَيْعٌ، وَلَا شِرَاءٌ، إِلَّا الصُّورُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةَ دَخَلَ فِيهَا، وَإِنَّ فِيهَا لَمُجْتَمَعًا لِلْحُورِ الْعِينِ، يَرَفَعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَرَ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا، يَقُلْنَ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَّاتُ فَلَا نَسْخَطُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبُؤُسُ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا، وَكُنَّا لَهُ. ٤٦٣

الحور العين: نساء أهل الجنة - نبيد: هلك أو نموت - سخط: غضب - طوبى: اسم الجنة، وقيل هي شجرة فيها

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا جَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ ثَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ تُغْنِيَانِهِ بِأَحْسَنِ صَوْتٍ سَمِعْتَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ، وَلَيْسَ بِمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ، وَلَكِنْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَتَقْدِيسِهِ. ٤٦٤

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغْنَيْنَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ إِنَّ مِمَّا يُغْنَيْنَ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَاتُ أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ يَنْظُرُونَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ، وَإِنَّ مِمَّا يُغْنَيْنَ بِهِ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يُمِتُّنَّ، نَحْنُ الْآمَنَاتُ فَلَا يَخْفَنَّهُ، نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا يَطْعَنَنَّ ٤٦٥

الظعن: الارتحال والسفر

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ: "إِنَّ الْحُورَ فِي الْجَنَّةِ يُغْنَيْنَ يَقُلْنَ: نَحْنُ الْحُورُ الْحَسَنَاتُ، هُدَيْنَا لِأَزْوَاجِ كِرَامٍ" ٤٦٦ .

٤٦١ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١ / ص ٥) (٩) صحيح لغيره

٤٦٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١٥ / ص ٢٧٩) (٦٨٦٤) صحيح

٤٦٣ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٠٠) (٣٥١٠٤) حسن لغيره

٤٦٤ - مسند الشاميين (١٦١٨) وصفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٤٦٥) حسن لغيره

٤٦٥ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١١ / ص ٣٦٤) (٨٤٩) وصحيح الجامع (١٥٦١) صحيح

٤٦٦ - المعجم الأوسط للطبراني (٦٦٨٥) حسن

عن ابن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُزَوَّجُ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ بَكْرٍ، وَنَمَانِيَةُ آلَافٍ، وَمِائَةُ جَوَارٍ، فَيَجْتَمِعْنَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَيَقْلَنَ بِأَصْوَاتِ حِسَانٍ لَمْ يَسْمَعْ الْخَلَائِقُ مِثْلَهُنَّ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبُؤُسُ، وَنَحْنُ الرَّاغِبَاتُ فَلَا، وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَطْعُنُ لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ» ٤٦٧

وعن عبد الرحمن بن سابط، قال: بلغني أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُزَوِّجُ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَمْسَمِائَةَ حَوْرَاءَ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ وَسِتَّةَ آلَافٍ بَنَاتٍ، مَا مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ إِلَّا يُعَانِقُهَا عُمَرُ الدُّنْيَا، مَا تَأْجُمُهُ، وَلَا يَأْجُمُهَا، وَإِنَّهُ لَتَوْضَعُ مَائِدَةً، فَمَا يَنْقُضِي شَبْعُهُ مَقْدَارَ الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ لَيُوضَعُ الْكَأْسُ فِي يَدِهِ، فَمَا يَنْقُضِي رِيَّهُ مَقْدَارَ الدُّنْيَا مُذْ خُلِقَتْ إِلَى أَنْ تَبِيدَ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَاهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ بِمِائَةِ حُلَّةٍ هَدِيَّةٍ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أَنَا بِشَيْءٍ أَوْتِيْتُهُ بِأَشَدِّ عَجْبًا مَنِّي بِهَذِهِ الْهَدِيَّةِ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: أَوَأَعْجَبَكَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَقُولُ شَجَرَةً: أَيْتَهَا الشَّجَرَةُ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَنْ تَقْطُرِي لِعَبْدِهِ فُلَانٍ مِنْ ضَرْبِ هَذِهِ الْحُلَّةِ بِمَا ادَّعَى ٤٦٨

وعن أبي هريرة، قال: قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا طُولَ الْجَنَّةِ، الْعَذَارَى قِيَامٌ مُتَقَابِلَاتٍ، وَيُعَيِّنَ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ، حَتَّى مَا يَرَوْنَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَذَّةً مِثْلَهَا: قُلْنَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَا ذَلِكَ الْغَنَاءُ؟ قَالَ: "إِنْ شَاءَ اللَّهُ التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّقْدِيسُ وَتَنَاءٌ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ" ٤٦٩ - الحَافَةِ: نَاحِيَةِ الْمَوْضِعِ وَجَانِبِهِ

المبحث السادس و الثلاثون في سوق الجنة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَرْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ارْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ارْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا. فَيَقُولُونَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ارْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا» ٤٧٠ .

المُرَاد بالسُّوقِ مَجْمَعٌ لَهُمْ يَجْتَمِعُونَ كَمَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا فِي السُّوقِ، وَمَعْنَى (يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ) أَي: فِي مَقْدَارِ كُلِّ جُمُعَةٍ أَيْ أُسْبُوعٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَةُ أُسْبُوعٍ لِفَقْدِ الشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، قَالَ الْقَاضِي: وَخَصَّ رِيحَ الْجَنَّةِ بِالشَّمَالِ لِأَنَّهَا رِيحُ الْمَطَرِ عِنْدَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَهْبُ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ، وَبِهَا يَأْتِي سَحَابُ الْمَطَرِ، وَكَانُوا يَرْجُونَ السَّحَابَةَ الشَّامِيَّةَ، وَجَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ تَسْمِيَةُ هَذِهِ

٤٦٧ - صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٤٠٢) فيه ضعف

٤٦٨ - صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٤١١) ضعيف

٤٦٩ - البعث والنشور للبيهقي (٣٧٤) حسن

٤٧٠ - صحيح مسلم (٧٣٢٤)

الرَّيحِ الْمُثِيرَةِ أَيْ الْمُحَرِّكَ، لِأَنَّهَا تُثِيرُ فِي وُجُوهِهِمْ مَا تُثِيرُهُ مِنْ مِسْكِ أَرْضِ الْجَنَّةِ وَغَيْرِهِ مِنْ نَعِيمِهَا
٤٧١

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقًا يَأْتُونُهُ كُلُّ جُمُعَةٍ فِيهِ كُتُبَانُ الْمِسْكِ، فَتَهْبِجُ رِيحُ
شَمَالٍ فَتَحْتِي أَوْ فَتَسْفِي فِي وُجُوهِهِمُ الْمِسْكَ، فَيَأْتُونَ أَهْلِيهِمْ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: قَدْ زَادَكُمْ اللَّهُ بَعْدَنَا أَوْ
ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ قَدْ زَادَكُمْ اللَّهُ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا. ٤٧٢

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ
الْجَنَّةِ، قَالَ سَعِيدٌ: أَوْ فِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا
بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُؤَدُّنَ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيَزُورُونَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا، وَيُزِيرُ لَهُمْ
عَرْشُهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَيُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لَوْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ
يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فَضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ - وَمَا فِيهِمْ ذَنْبٌ - عَلَى
كُتُبَانِ الْمِسْكِ، وَالْكَافُورُ مَا يَرُونَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ أَفْضَلُ مِنْهُمْ مَجْلِسًا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ تَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، قُلْنَا: لَا
قَالَ: كَذَلِكَ لَا تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاصِرَهُ اللَّهُ
مُحَاصِرَةً، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ: يَا فُلَانُ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ يُذَكِّرُهُ بَعْضُ غَدَرَاتِهِ
فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَبَسْعَةَ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتِكَ هَذِهِ، قَالَ: فَبَيْنَا هُمْ
كَذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طَيْبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ، ثُمَّ يَقُولُ جَلَّ
وَعَلَا: قُومُوا إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَخَذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ، قَالَ: فَتَأْتِي سُوقًا قَدْ حُفَّتْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ
مَا لَمْ تَنْتَظِرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ الْأَذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ، قَالَ: فَيَحْمِلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا لَيْسَ
بِئَاغٍ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَى، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلَ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ: فَيَقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو
الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ، فَيَلْقَى مَنْ هُوَ ذُوهُ، وَمَا فِيهِمْ ذَنْبٌ فَيُرْوِعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ، فَمَا يَنْقُضِي آخِرُ
حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَمَثَّلَ عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ مِنْهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا، قَالَ: ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى
مَنَازِلِنَا، فَتَلْقَانَا أَرْوَاحُنَا، فَيَقْلُنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِحَبْنَا لَقَدْ جِئْتَ، وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطَّيْبِ أَفْضَلَ مِمَّا
فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: إِنَّا جَالِسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وَيَحْقُنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا. ٤٧٣

الكتبان: جمع كتيب وهو الرمل المستطيل

وَعَنِ الْوُزَاعِيِّ، قَالَ: أُبَيِّنْتُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
فِي سُوقِ الْجَنَّةِ. قَالَ: فَقَالَ سَعِيدٌ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَوْ فِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ

٤٧١ - شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ٢١٥)

٤٧٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٤٥) (٧٤٢٥) صحيح

٤٧٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٦٦) (٧٤٣٨) حسن

الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا وَنَزَلُوهَا بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشُهُ وَيَبْدُو لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَيَضَعُ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ وَمَنَابِرَ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرَ مِنْ فَضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ، مَا يَرُونَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ أَفْضَلُ مِنْهُمْ مَجْلِسًا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ قَالَ: نَعَمْ، هَلْ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَكَذَلِكَ لَا تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ إِلَّا حَاضِرُهُ يَقُولُ: يَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ هَلْ عَمِلْتَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بِمَغْفِرَتِي لَكَ بَلَغْتَ مَنَزَلَتِكَ هَذِهِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ مِسْكَاً لَمْ يَجِدُوا رِيحَ شَيْءٍ قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهُ؟ قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُومُوا إِلَيَّ مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ سُوقًا وَقَدْ حُفَّتْ بِهِمْ مَلَائِكَةٌ بِمَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ وَلَمْ تَسْمَعْهُ الْأَذَانُ، فَتَحْمِلُ وَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ يَبِيعُ وَلَا يَبْتَاعُ، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلَ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ فِيمَا يَنْقُضِي آخِرَ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتِمَثَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُحَرِّفَ فِيهِ، قَالَ: ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا فَيَلْقَانَا أَحِبَّاءُنَا فَيَقُولُونَ: لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطَّيِّبِ أَفْضَلَ مَا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ فَنَقُولُ: إِنَّا جَالِسْنَا الْجَبَّارَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْيَوْمَ وَنَحْقُ أَنْ نَنْقَلِبَ بِمَا انْقَلَبْنَا

به " ٤٧٤

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: لَقِينِي أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: " جَمَعَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ " قَالَ: قُلْتُ: أَوَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ خَيْثَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثنا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَارَسِيُّ الْوَرَّاقُ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الصَّحَّاحِ أَبُو سُلَيْمٍ الْبَغْلَبَكِيُّ، ثنا سُؤَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثنا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: لَقِينِي أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: أَوَّ فِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا فَنَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيَزُورُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشُهُ، وَيَبْدُو لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ٤٧٥

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ. فَقَالَ سَعِيدٌ: أَوَّ فِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا " فَيَزُورُونَ اللَّهَ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ

٤٧٤ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٤٥) حسن لغیره

٤٧٥ - فَوَائِدُ تَمَامٍ (١٣٩٣) حسن

الْجَنَّةِ، فَوَضَعَ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرَ مِنْ زَبَرَجَدٍ، وَمَنَابِرَ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرَ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ، وَمَا فِيهِمْ ذَنبٌ، عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ، وَمَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "نَعَمْ، هَلْ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟" قُلْنَا: لَا. قَالَ: "فَكَذَلِكَ لَا تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضِرُهُ اللَّهُ مُحَاضِرُهُ، حَتَّى يَقُولَ: يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ أَتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَذْكُرُهُ بَعْضَ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَفَلَمْ تَعْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَمُغِّفِرَنِي بَلَعْتَ مَنَزِلَتَكَ هَذِهِ". قَالَ: "فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طَيْبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ، ثُمَّ يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قُومُوا إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ". قَالَ: "فَيَأْتُونَ سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ الْأَذَانُ، وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ". قَالَ: "فَيَحْمِلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَاهُ، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَى، فِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا". قَالَ: "فَيَقْبِلُ ذُو الْبِزَةِ الْمُتَرَفِّعَةَ، فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَمَا فِيهِمْ ذَنبٌ، فَيُرْوَعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللَّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ، فَمَا يَنْقُضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتِمَّتْ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا". قَالَ: "ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا فَيَلْقَانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقْلُنَ: مَرَحَبًا وَأَهْلًا بِحَبْنَا، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بَكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطَّيِّبِ أَفْضَلُ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا". ٤٧٦

الرياض: جمع الروضة وهي البستان - الزبرجد: الزمرد وهو حجر كريم - الياقوت: حجر كريم من أحوذ الأنواع وأكثرها صلابة بعد الماس، خاصة ذو اللون الأحمر - الكَثِيب: الرَّمْلُ المستطيل المَحْدُود بِ - الكافور: نبات طيب الرائحة مرّ الطعم - تمارون: تشكون - غشيتهم: غطتهم وأصابتهم - حف به: استدار حوله وأحْدق به - ذو البزة: صاحب المنظر والهيئة الحسنة - الدني: الخسيس الحقير -

الروع: الفزع - يتمثل: يصور عليه ويلبس - انقلب: عاد ورجع - الانقلاب: الرجوع أو الإياب وعن عليٍّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقًا، مَا فِيهَا شِرَاءٌ، وَلَا بَيْعٌ إِلَّا الصُّورُ، مَنْ أَحَبَّ صُورَةً دَخَلَ فِيهَا أَوْ اشْتَهَى صُورَةً دَخَلَ فِيهَا، وَلِلْحُورِ مَجْمَعٌ يَجْتَمِعْنَ فِيهِ يَرْفَعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَسْمَعْ مِثْلَهُ أَحَدٌ، يَقْلُنَ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْؤُسُ، وَنَحْنُ الرَّاغِبَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا، وَكُنَّا لَهُ. ٤٧٧

وعن عليٍّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقًا مَا فِيهَا بَيْعٌ، وَلَا شِرَاءٌ، إِلَّا الصُّورُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَلَ فِيهَا، وَإِنْ فِيهَا لِمَجْتَمَعٍ لِلْحُورِ الْعَيْنِ، يَرْفَعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَرَ

٤٧٦ - السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ (٤٧٥) صحيح لغيره

٤٧٧ - مسند البزار (٧٠٣) حسن لغيره

الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا، يَقْلَنُ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ، وَنَحْنُ الرَّاغِبَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبُؤُسُ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا، وَكُنَّا لَهُ. ٤٧٨

نبيد: هلك أو نموت - طوي: اسم الجنة، وقيل هي شجرة فيها
وعن أنس بن مالك قال: " يَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: انْطَلِقُوا إِلَى السُّوقِ فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى، أَوْ قَالَ: الْجِبَالِ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى أَزْوَاجِهِمْ، قَالُوا: إِنَّا لَنَجِدُ لَكُنَّ رِيحًا مَا كَانَتْ لَكُنَّ إِذْ خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ قَالَ: فَيَقْلَنُ: لَقَدْ رَجَعْتُمْ بِرِيحٍ مَا كَانَتْ لَكُمُ إِذْ خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدَنَا " ٤٧٩
وعن أنس بن مالك، قال: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقَ كُتُبَانَ مَسْكٍ يَخْرُجُونَ إِلَيْهَا وَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهَا، فَيَبْعُثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا فَيَدْخِلُهَا بُيُوتَهُمْ فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ: قَدْ أَزْدَدْتُمْ حُسْنًا بَعْدَنَا فَيَقُولُونَ لِأَهْلِيهِمْ قَدْ أَزْدَدْتُمْ أَيْضًا حُسْنًا بَعْدَنَا " ٤٨٠

المبحث السابع و الثلاثون في نزاورهم ومراكبهم

إن أهل الجنة يتزاورون فيما بينهم، ويتذاكرون ما كان بينهم في الدنيا ويتحدثون، ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوال كانت لهم في الدنيا، حتى تصل بهم الحادثة والذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ثم يقول لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار للنظر إلى منزلته وما صار إليه؟ فيطلع فإذا بقرينه في وسط الجحيم قال تعالى: { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَتُنْكَلُ لِمَنْ الْمُسَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ (٥٦) وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) [الصفات/ ٥٠، ٦١]

ويأخذ أهل الجنة، وهم في جلستهم تلك، في تجاذب أطراف الحديث، ويتناوون في أحاديثهم ما كانوا عليه في الحياة الدنيا.

قال قائل من أهل الجنة الذين يتحدثون: إِنَّهُ كَانَ لِي صَاحِبٌ (قَرِينٌ) مُشْرِكٌ فِي الدُّنْيَا يُلُومُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِيمَانِهِمْ بِالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ، وَيَسْخَرُ مِنْهُمْ .

٤٧٨ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٠٠) (٣٥١٠٤) حسن لغيره

٤٧٩ - الزهد والرفائق لابن المبارك (١٨٥٢) صحيح موقوف

٤٨٠ - صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٢٤٧) صحيح

وَيَقُولُ لَصَدِيقِهِ الْمُؤْمِنِ: هَلْ أَنْتَ مُصَدِّقٌ بَالِغُ الثُّبُوتِ وَالنُّشُورِ وَالْجَزَاءِ؟
وَيَقُولُ مُتَعَجِّبًا: هَلْ إِذَا أَصْبَحْنَا ثُرَابًا وَعِظَامًا نَخْرَةً، سَنَبْعَثُ لِنَحْأَسِبَ عَلَى أَعْمَالِنَا وَنُجْزَى بِهَا؟ إِنَّ
ذَلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَبَدًا .

وَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ الْجَالِسِينَ مَعَهُ فِي رِحَابِ الْجَنَّةِ: هَلْ تَوَدُّونَ أَنْ تَطْلُعُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي
الْجَحِيمِ، لَتَرَوْا عَاقِبَةَ أَمْرِ هَذَا الْقَرِينِ الْكَافِرِ؟

فَاطْلَعُوا إِلَى أَهْلِ النَّارِ، فَرَأَى قَرِينَهُ وَسَطَ الْجَحِيمِ، يَتَلَطَّى بِلَهْيَيْهَا .
فَقَالَ الْمُؤْمِنُ لِقَرِينِهِ الْمُشْرِكِ مُوَبِّخًا وَمُقَرَّعًا: لَقَدْ كَدْتُ أَنْ تَهْلِكَنِي لَوْ أَنَّكَ أَطَعْتَكِ فِي كُفْرِكَ
وَعَصْيَانِكَ .

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيَّ، لَكُنْتُ مِثْلَكَ مُحْضَرًا فِي الْعَذَابِ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ، وَلَكِنْ رَحْمَتُهُ تَعَالَى أَنْقَذَنِي
مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، إِذْ هَدَانِي اللَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ .

ثُمَّ التَفَتَ الْمُؤْمِنُ إِلَى جُلَسَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُمْ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الْكَافِرِ، لِيَزِيدَ فِي أَلَمِهِ وَحَسْرَتِهِ
وَعَذَابِهِ: هَلْ نَحْنُ مُخْلَدُونَ فِي الْجَنَّةِ، مُنْعَمُونَ فِيهَا، لَا نَمُوتُ، وَلَا تَزُولُ نِعْمَتُهَا عَنَّا؟
وَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ؟ فَقِيلَ لَهُ: لَا .

فَقَالَ الْمُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ: إِنَّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، مَعَ مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ
وَالْمِلْدَآتِ، هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَالنَّجَاةُ مِمَّا كُنَّا نَحْذَرُهُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: " كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟ "
قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: " أَنْظِرْ مَا تَقُولُ ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ "
فَقَالَ: قَدْ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِدَلِكِ لَيْلِي، وَأَطْمَأَنَنْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي
بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغُونَ فِيهَا، فَقَالَ: " يَا
حَارِثُ عَرَفْتَ فَالزَّمْ "، ثَلَاثًا. ٤٨١

وَعَنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا
عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، فَمَا ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ: أَلَمْ أَظْلِفْ نَفْسِي، عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَطْمَأَنَنْتُ هَوَاجِرِي، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى عَرْشِ
رَبِّي، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغُونَ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: عَرَفْتَ أَوْ آمَنْتَ فَالزَّمْ. ٤٨٢

وَعَنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي عَرَفَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا
حَقًّا، قَالَ: " إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ ذَلِكَ، قَالَ: أَصْبَحْتُ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي

٤٨١ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٣ / ص ٤٣٠) (٣٢٨٩) صحيح لغيره

٤٨٢ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١١ / ص ٤٢) (٣١٠٦٢) صحيح لغيره

وَأَظْمَأَتِ نَهَارِي وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ بُرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: عَبْدُ نَوْرِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالزَّمْ. ٤٨٣

وعن شفي بن مائع أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ عَلَى الْمَطَايَا وَالنُّجُبِ، وَإِنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِخَيْلٍ مُسَوَّمَةٍ مُلَحَمَةٍ، لَا تَرُوثُ وَلَا تَبُولُ، فَيَرْكَبُونَهَا حَتَّى يَنْتَهَوْا حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، فَيَأْتِيهِمْ مِثْلُ السَّحَابَةِ، فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، فَيَقُولُونَ: أَمْطِرِي عَلَيْنَا، فَمَا تَرَالِ تُمْطِرُ عَلَيْنَهُمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَى فَوْقِ أَمَانِيهِمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا غَيْرَ مُؤَذِيَةٍ فَتَنْسِفُ كُتُبَانَا مِنْ مِسْكِ عَلَى أَيْمَانِهِمْ، وَعَلَى شِمَائِلِهِمْ، فَيَأْخُذُ ذَلِكَ الْمِسْكِ فِي نَوَاصِي خِيُولِهِمْ، وَفِي مَعَارِفِهَا، وَفِي رُءُوسِهَا، وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ جُمَّةٌ عَلَى مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، فَيَتَعَلَّقُ ذَلِكَ الْمِسْكِ فِي تِلْكَ الْجِمَامِ، وَفِي الْخَيْلِ، وَفِي مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الثِّيَابِ، ثُمَّ يَقْبَلُونَ حَتَّى يَنْتَهَوْا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا الْمَرْأَةُ تُنَادِي بَعْضَ أَوْلَئِكَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَمَا لَكَ فِينَا حَاجَةٌ؟ فَيَقُولُ: مَا أَنْتِ؟ وَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا زَوْجَتُكَ، فَيَقُولُ: مَا كُنْتُ عَلِمْتُ مَكَانَكَ، فَتَقُولُ الْمَرْأَةُ: أَوْ مَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٧) سورة السجدة، فَيَقُولُ: بَلَى وَرَبِّي، فَلَعَلَّهُ يَشْغَلُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مَقْدَارَ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، لَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَعُودُ، مَا يَشْغَلُهُ عَنْهَا إِلَّا مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النُّعْمَةِ وَالْكَرَامَةِ" ٤٨٤

المطايا: جمع مطية وهي الدابة التي يركب مطاها أي ظهرها، أو هي التي تمط في سيرها أي تمُدُّ - الجملة: ما ترامى من شعر الرأس على المنكبين

وعن أنس بن مالك قال قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ اشْتَأَقُوا إِلَى الْإِخْوَانِ، فَيَسِيرُ سَرِيرُ هَذَا إِلَى سَرِيرِ هَذَا، وَسَرِيرُ هَذَا إِلَى سَرِيرِ هَذَا حَتَّى يَلْتَقِيَا، هَذَا، وَيَتَكَيُّ هَذَا، فَيُحَدِّثَانِ بِمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَقُولَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَدْرِي يَوْمَ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا يَوْمَ كُنَّا فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا فَدَعَوْنَا اللَّهَ فَعَفَرَ لَنَا" ٤٨٥

اتكأ: اضطجع متمكنا والاضطجاع الميل على أحد جنبيه
وعن أبي هريرة، قال: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَزَاوَرُونَ عَلَى الْعِيسِ الْجُونِ عَلَيْهَا رِحَالُ الْمِيسِ، تُثِيرُ مَنَاسِمُهَا غُبَارَ الْمِسْكِ، حِطَامُ أَوْ زِمَامُ أَحَدِهِمَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا" ٤٨٦
العيس إبل بيض في بياضها ظلمة خفية
والمناسم بالنون والسين المهملة جمع منسم وهو باطن خف البعير

٤٨٣ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١١ / ص ٤٣) (٣١٠٦٤) صحيح لغيره

٤٨٤ - الزهد والرفائق لابن المبارك (١٨٥٠) وصفة الجنة (٢٣٥) حسن مرسل

٤٨٥ - الضعفاء الكبير للعقيلي (٦٥٧) ضعيف

٤٨٦ - صفة الجنة (٢٣٦) ضعيف

وعن أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: مَنْ الَّذِي لَمْ يَشَأِ اللَّهُ أَنْ يُصْعَقُوا ؟ قَالَ: هُمْ الشُّهَدَاءُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ مُتَقَلِّدِينَ أَسْيَافَهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ تَتَلَقَّاهُمْ مَلَائِكَةٌ مِنَ الْمَحْشَرِ بِنَجَائِبٍ مِنْ يَاقُوتٍ، الدُّرُّ الْأَبْيَضُ بِرِحَالِ الذَّهَبِ، أَعْنَتَهَا السُّنْدُسُ، وَزِمَامُهَا أَلْيَنُ مِنَ الْحَرِيرِ، مَدُّ خُطَاهَا مَدُّ أَبْصَارِ الرِّجَالِ يَسِيرُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى خَيُْولٍ، يَقُولُونَ عِنْدَ طُولِ النُّزْهَةِ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَنْظُرُ إِلَيْهِ كَيْفَ يَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ، يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ " ٤٨٧

الأزمة: جمع الزمام وهو الحبل الذي تقاد به الدابة - الإستربق: نوع من الحرير السميكة
وعن علي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ أَعْلَاهَا حُلٌّ، وَمِنْ أَسْفَلِهَا خَيْلٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسْرَجَةٌ مُلْحَمَةٌ مِنْ يَاقُوتٍ وَدُرٍّ، لَا تَرُوثُ وَلَا تَبُولُ، لَهَا أَجْنَحَةٌ خَطُوهَا مَدُّ بَصَرِهَا فَيَرْكَبُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَتَطِيرُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا، فَيَقُولُ الَّذِي أَسْفَلَ مِنْهُمْ دَرَجَةً: يَا رَبِّ مَا بَلَغَ عِبَادَكَ هَذِهِ الْكِرَامَةَ ؟ فَيَقَالُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ اللَّيْلَ وَأَنْتُمْ تَنَامُونَ، وَكَانُوا يَصُومُونَ وَكُنْتُمْ تَأْكُلُونَ، وَكَانُوا يُنْفِقُونَ وَكُنْتُمْ تَبْخُلُونَ، وَكَانُوا يُقَاتِلُونَ وَكُنْتُمْ تَجْبُنُونَ " ٤٨٨

الحلل: جمع الحلة وهي ثوبان من جنس واحد - أسرج الدابة: شد عليها السرج
وعن سَابِطٍ: قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ فَإِنِّي أُحِبُّ الْخَيْلَ ؟ قَالَ: " إِنَّ أَدْخَلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَمَا تَشَاءُ أَنْ تَرْكَبَ فَرَسًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ لَهَا جَنَاحَانِ تَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ " فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفِي الْجَنَّةِ إِبِلٌ ؟ قَالَ: " يَا أَعْرَابِيُّ، إِنَّ أَدْخَلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ " ٤٨٩

وعن عبد المؤمن بن عبيد الله، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، هَلْ فِيهَا خَيْلٌ ؟ قَالَ لَهُمْ: فِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ " ٤٩٠

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: فِي الْجَنَّةِ عِتَاقُ الْخَيْلِ وَكَرَائِمُ النَّجَائِبِ يَرْكَبُهَا أَهْلُهَا " ٤٩١
وعن أَبِي أَيُّوبَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ عَلَى نَجَائِبٍ بَيضٍ كَأَنَّهُمْ وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ مِنَ الْبَهَائِمِ إِلَّا وَالطَّيْرُ " ٤٩٢

الياقوت: حجر كريم من أجود الأنواع وأكثرها صلابة بعد الماس، خاصة ذو اللون الأحمر - الإبل: الجمال والنوق ليس له مفرد من لفظه

٤٨٧ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٣٧) ضعیف

٤٨٨ - صِفَةُ الْجَنَّةِ (٢٣٨) فِيهِ ضَعْفٌ

٤٨٩ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٣٩) حَسَنٌ مَرْسَلٌ

٤٩٠ - صِفَةُ الْجَنَّةِ (٢٤٠) صَحِيحٌ مَقْطُوعٌ

٤٩١ - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٤١) صَحِيحٌ مُوقُوفٌ

٤٩٢ - صِفَةُ الْجَنَّةِ (٢٤٣) ضَعِيفٌ

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَاعِدَةَ قَالَ: كُنْتُ أَحَبُّ الْخَيْلِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ؟ فَقَالَ: "إِنْ أَدْخَلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَ لَكَ فِيهَا فَرَسٌ مِنْ يَاقُوتٍ، لَهُ جَنَاحَانِ يَطِيرُ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ" ٤٩٣.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَيْلٍ، قَالَ: إِنْ أَدْخَلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ، مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ، إِلَّا فَعَلْتُ، قَالَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: فَلَمْ يَقُلْ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِصَاحِبِهِ، قَالَ: إِنْ يُدْخِلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. ٤٩٤.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ - أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّي أَحَبُّ الْخَيْلِ أَفِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «إِنْ أَدْخَلْتَ الْجَنَّةَ أُتِيتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ لَهُ جَنَاحَانِ فَحُمِلَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طَارَ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ» ٤٩٥.

المبحث الثامن و الثلاثون

في زيارة أهل الجنة ربهم نبارك ونعالي

عن علي، قال: "إِذَا سَكَنَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، أَتَاهُمْ مَلَكٌ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَزُورُوا فَيَجْتَمِعُونَ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، ثُمَّ تُوَضَّعُ مَائِدَةُ الْخُلْدِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا مَائِدَةُ الْخُلْدِ؟ قَالَ: زَاوِيَةٌ مِنْ زَوَايَاهَا أَوْسَعُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَيَطْعَمُونَ، ثُمَّ يُسْقَوْنَ، ثُمَّ يُكْسَوْنَ، فَيَقُولُونَ: لَمْ يَبْقَ إِلَّا النَّظَرُ فِي وَجْهِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ، لَهُمْ فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا فَيَقَالُ لَهُمْ: لَسْتُمْ فِي دَارٍ عَمَلٍ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي دَارٍ جَزَاءٍ" ٤٩٦ - يتجلى: يظهر

وعن صيفي اليماني، قال: سألت عبد العزيز بن مروان، عَنْ وَفْدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ: إِنَّهُمْ يَفِدُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمِيسٍ فَيُوضَعُ لَهُمْ أَسِرَّةٌ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ أَعْرَفُ بِسَرِيرِهِ مِنْكَ بِسَرِيرِكَ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، قَالَ: وَأَقْسَمَ صَيْفِي عَلَى ذَلِكَ فَإِذَا قَعَدُوا عَلَيْهِ وَأَخَذَ الْقَوْمُ مَجَالِسَهُمْ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عِبَادِي عِبَادِي وَخَلْقِي وَجِيرَانِي وَوَفْدِي أَطْعَمُوهُمْ قَالَ: فَيُؤْتُونَ بِطَيْرٍ بَيْضٍ أَمْثَالِ الْبُخْتِ فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا مَا شَاءُوا ثُمَّ يَقُولُ: عِبَادِي وَخَلْقِي وَجِيرَانِي وَوَفْدِي قَدْ طَعِمُوا اسْقُوهُمْ فَيُؤْتُونَ بِأَنِيَةٍ مِنْ

٤٩٣ - البعث والنشور للبيهقي (٣٨٥) صحيح لغيره

٤٩٤ - سنن الترمذي (٢٧٣٩) حسن

٤٩٥ - سنن الترمذي (٢٧٤١) حسن لغيره

٤٩٦ - صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٤٢٢) ضعيف

أَلْوَانُ شَتَّى مُخْتَمَةً فَيَسْقُونَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقُولُ: عِبَادِي وَخَلْقِي وَجِيرَانِي وَوَفْدِي قَدْ طَعَمُوا وَشَرِبُوا فَكُفُّوهُمْ فَيَجِيءُ ثَمَرَاتُ شَجَرٍ مُدَلَّى فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا مَا شَاءُوا، ثُمَّ يَقُولُ: عِبَادِي وَخَلْقِي وَجِيرَانِي وَوَفْدِي قَدْ طَعَمُوا وَشَرِبُوا وَفَكُّوهُمُ اكْسُوهُمْ فَتَجِيءُ ثَمَرَاتُ شَجَرٍ أَصْفَرُ وَأَخْضَرُ وَأَحْمَرُ وَكُلُّ لَوْنٍ لَمْ تُنَبِّتْ إِلَّا الْحُلَّ وَأَقْسَمَ صَيْفِي مَا أَنْبَتَ غَيْرَهَا فَتَنْشُرُ عَلَيْهِمْ حُلًّا وَقُمُصًا، ثُمَّ يَقُولُ: عِبَادِي وَخَلْقِي وَجِيرَانِي وَوَفْدِي قَدْ طَعَمُوا وَشَرِبُوا وَفَكُّوهُمُ وَكُسُوا طَيِّبًا وَلَأَتَجَلِّينَ لَهُمْ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيَّ فَإِذَا تَجَلَّى لَهُمْ عَزٌّ وَجَلٌّ فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ نَظَرَتْ وُجُوهُهُمْ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ فَيَقُولُ لَهُمْ: أَرْوَاهُمْ: خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِنَا عَلَى صُورَةٍ وَرَجَعْتُمْ عَلَى غَيْرِهَا فَيَقُولُونَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَلَّى لَنَا فَتَنْظَرْنَا إِلَيْهِ فَتَنْظَرَتْ وُجُوهُنَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مَوْقُوفًا ٤٩٧

وعن وهب بن منبه، يقول: أَنَّهُ سَمِعَ يَقُولُ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا طُوبَى، يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، زَهْرُهَا رِيَاطٌ، وَوَرَقُهَا بُرُودٌ، وَكُتُبُهَا غَنَرٌ، وَبَطْحَاؤُهَا يَاقُوتٌ، وَثَرَابُهَا كَافُورٌ، وَوَحْلُهَا مِسْكٌ، يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارُ الْخَمْرِ وَاللَّبَنِ وَالْعَسَلِ، وَهِيَ مَجْلِسُ أَهْلِ الْجَنَّةِ مُتَحَدِّثُونَ بَيْنَهُمْ، فَيَبِينَا هُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي مَجْلِسِهِمْ إِذْ أَتَتْهُمْ مَلَائِكَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ يَقُودُونَ نُجَبَا مَزْمُومَةً بِسَلْسِلٍ مِنْ ذَهَبٍ وَجُوهُهَا كَالْمَصَابِيحِ مِنْ حُسْنِهَا، وَوَبَرُّهَا كَجَزَةِ الْمَعزَى مِنْ لِينِهِ، عَلَيْهَا رِحَالُ الْوَاخِهَا مِنْ يَاقُوتٍ، وَوَدُفُوفُهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَثِيَابُهَا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ، قَالَ: فَيُنِخِثُونَهَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ رَبَّنَا أَرْسَلَنَا إِلَيْكُمْ لِنُزَوِّرُوهُ وَتُسَلِّمُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَيَرْكَبُونَهَا وَهِيَ أَسْرَعُ مِنَ الطَّائِرِ، وَأَوْطَأُ مِنَ الْفَرَسِ الْمَقْرُوشِ، نُجَبَا مِنْ غَيْرِ تَهَيَّئَةٍ، ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ رِيَاضَةٍ، يَسِيرُ الرَّجُلُ إِلَى جَنْبِ أَخِيهِ وَهُوَ يُكَلِّمُهُ وَيُنَاجِيهِ، وَلَا تَسْبِقُ أُذُنٌ رَاحِلَةً مِنْهَا أُذُنٌ صَاحِبَتِهَا، وَلَا رُكْبَةٌ رَاحِلَةٌ مِنْهَا رُكْبَةٌ صَاحِبَتِهَا، حَتَّى إِنْ الشَّجَرَةَ لَتُنْحَى عَنْ طَرَفِهِمْ ؛ لئَلَّا تُفَرِّقَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَيُسْفِرُ لَهُمْ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا رَأَوْهُ قَالُوا: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ وَحَقٌّ لَكَ الْجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ، قَالَ: فَيَقُولُ رَبُّنَا تَعَالَى عِنْدَ ذَلِكَ: أَنَا السَّلَامُ وَمِنِّي السَّلَامُ وَعَلَيْكُمْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي وَرَحْمَتِي، مَرْحَبًا بِعِبَادِي الَّذِينَ خَشَوْنِي بِالْغَيْبِ وَأَطَاعُوا أَمْرِي، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّا لَمْ نَعْبُدَكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ نَقْدِرْكَ حَقَّ قَدْرِكَ فَأَذَنْ لَنَا بِالسُّجُودِ قَدَّامَكَ، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارٍ نَصَبَ وَلَا عِبَادَةٍ، وَلَكِنَّهَا دَارُ مُلْكٍ وَنُعِيمٍ، وَإِنِّي قَدْ رَفَعْتُ عَنْكُمْ نَصَبَ الْعِبَادَةِ، فَسَلُونِي مَا شِئْتُمْ، فَإِنْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أُمْنِيَّتُهُ، فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى إِنْ أَقْصَرَهُمْ أُمْنِيَّةٌ، يَقُولُ: يَا رَبِّ تَنَافَسَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَتَضَاقَعُوا فِيهَا، رَبِّ فَآتِنِي مِثْلَ كُلِّ مَا كَانُوا فِيهِ مُنْذُ يَوْمٍ خَلَقْتَهَا إِلَى أَنْ انْتَهَتِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لَقَدْ قَصُرَتْ بِكَ أُمْنِيَّتُكَ، وَلَقَدْ سَأَلْتَ دُونَ مَنَزِلَتِكَ، هَذَا لَكَ مِنِّي وَسَأُحْفِكَ بِمَنَزِلَتِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي عَطَائِي هَلَكٌ وَلَا تَصْرِيدٌ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: اعْرِضُوا عَلَى عِبَادِي مَا لَمْ تَبْلُغْهُ أُمَانِيَّتُهُمْ وَلَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ عَلَى بَالٍ فَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَقْصُرَ

بِهِمْ أَمَانِيهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَيَكُونُ فِيمَا يَغْرَضُونَ عَلَيْهِمْ بَرَادِينَ مَقَرَّةً عَلَى كُلِّ أَرْبَعَةٍ مِنْهَا سَرِيرٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ وَاحِدَةٍ، وَعَلَى كُلِّ سَرِيرٍ مِنْهَا قُبَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ مُفْرَعَةٌ فِي كُلِّ قُبَّةٍ مِنْهَا فَرْشٌ مِنْ فُرْشِ الْجَنَّةِ طَاهِرَةٌ، فِي كُلِّ قُبَّةٍ مِنْهَا جَارِيَتَانِ مِنْ حُورِ الْعَيْنِ، عَلَى كُلِّ جَارِيَةٍ مِنْهُنَّ ثَوْبَانِ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ لَوْنٌ إِلَّا أَنَّهُ فِيهَا وَلَا رِيحٌ طَيِّبٌ، إِلَّا قَدْ عُبِقَتْ بِهِ يَنْفُذُ ضَوْءٌ وَجُوهُهُمَا غَلَطَ الْقُبَّةِ حَتَّى يَظُنَّ مَنْ يَرَاهُمَا أَنَّهُمَا مِنْ دُونِ الْقُبَّةِ، يُرَى مِثْلُهَا مِنْ فَوْقِ سَاقِهَا كَالسَّلَكِ الْأَبْيَضِ فِي الْيَاقُوتَةِ الْحُمْرَاءِ، تَرَيَانِ لَصَاحِبَهُمَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَى صَاحِبَتَيْهِ كَفَضْلِ الدُّرِّ عَلَى الْحَجَارَةِ أَوْ أَفْضَلَ، وَيَرَى هُوَ أَفْضَالَهُمَا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِلَيْهِمَا فَيُحْيِيَانِهِ، وَتُقَبَّلَانِهِ، وَتُعَانَقَانِهِ، وَتَقُولَانِ لَهُ: وَاللَّهِ مَا ظَنَّنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْلُقُ مِثْلَكَ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَيَسِيرُونَ بِهِمْ صَفًّا فِي الْجَنَّةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي أُعِدَّ لَهُ^{٤٩٨} - رباط: جمع الربطة، الملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة

وعن أبي أمامة قال: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا، وَلَا وَلَا يُمْنُونَ وَلَا يَزُفُونَ، إِنَّمَا نَعِيمُهُمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ مَسْكٌ يَتَحَدَّرُ مِنْ جُلُودِهِمْ كَالْجُمَانِ، وَعَلَى أَبْوَابِهِمْ كُثْبَانٌ مِنَ الْمَسْكِ، يَزُورُونَ اللَّهَ فِي الْجُمُعَةِ مَرَّتَيْنِ، فَيَجْلِسُونَ عَلَى كُرَاسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ، مُكَلَّلَةٌ بِاللُّؤْلُؤِ، وَالزَّبَرْجَدِ، يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا قَامُوا انْقَلَبَ أَحَدُهُمْ إِلَى الْغُرْفَةِ مِنْ غُرْفَةٍ لَهَا سَبْعُونَ بَابًا، مُكَلَّلَةٌ بِاللُّؤْلُؤِ، وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ" ^{٤٩٩} -
التغوُّط: التبرز - امتخط: أخرج ما في أنفه من المخاط وألقى به

وعن أبي أمامة، قال: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا، وَلَا وَلَا يُمْنُونَ، إِنَّمَا نَعِيمُهُمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ مَسْكٌ يَتَحَدَّرُ مِنْ جُلُودِهِمْ كَالْجُمَانِ، وَعَلَى أَلْوَانِهِمْ مِنَ الْمَسْكِ يَزُورُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجُمُعَةِ مَرَّتَيْنِ فَيَجْلِسُونَ عَلَى كُرَاسٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٌ بِاللُّؤْلُؤِ وَالزَّبَرْجَدِ يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا قَامُوا انْقَلَبَ أَحَدُهُمْ إِلَى الْغُرْفَةِ مِنْ غُرْفَةٍ لَهَا سَبْعُونَ بَابًا مُكَلَّلَةٌ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ" ^{٥٠٠}
التغوُّط: التبرز - التمثخط: الاستنثار وإلقاء مخاط الأنف - الكثيب: الرمل المستطيل المحدود -
الياقوت: حجر كريم من أجود الأنواع وأكثرها صلابة بعد الماس، خاصة ذو اللون الأحمر

المبحث التاسع و الثلاثون

في نظر أهل الجنة إلى ربهم نبارك ونعالى

^{٤٩٨} - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٤٨٨) صحيح إلى وهب ومثله لا يقال بالرأي

^{٤٩٩} - الزهد والرفائق لابن المبارك (١٨٥٣) ضعيف

^{٥٠٠} - صفة الجنة (٩٥) ضعيف

وهي غاية الحسنى، ونهاية النعمة، وكل نعمة في الجنة وكل لذة من لذاتها يُنسى بالنسبة إلى لذة اللقاء والنظر إلى وجه الله تعالى - نسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك - قال تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) {القيامة: ٢٢-٢٣}

وقال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} {يونس: ٢٦}

قال المفسرون: الحسنى هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم، فعن صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذُلٌّ أَتِلْكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٦) سورة يونس.»^{٥٠١}

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قِيلَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ أُعْطُوا فِيهَا مَا أُعْطُوا مِنَ الْكِرَامَةِ وَالنَّعِيمِ، يُودُّوْنَ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ الزِّيَادَةَ فَيَنْحَلِّي لَهُمْ" قَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى: "فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ حِينَ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُمْ، وَحِينَ صَارَتِ الصُّحُفُ فِي أَيْمَانِهِمْ، وَحِينَ جَاوَزُوا جِسْرَ جَهَنَّمَ، وَأَدْخَلُوا الْجَنَّةَ، وَأُعْطُوا مَا فِيهَا مَا أُعْطُوا مِنَ الْكِرَامَةِ وَالنَّعِيمِ؟ كَانَ ذَا لَمْ يَكُنْ شَيْئًا فِيمَا رَأَوْهُ"^{٥٠٢}

وعن عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ». قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَأَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعَاؤُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ». قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدَرُ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُجَازِي حَتَّىٰ يُنْجَىٰ حَتَّىٰ إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا

^{٥٠١} - صحيح مسلم (٤٦٧)

^{٥٠٢} - الزُّهْدُ وَالرَّقَاقِصُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (١٨٩٤) صحيح ومثله لا يقال بالرأي

مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ
تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ
وَقَدْ امْتَحَشُوا فَيَصْبُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ
تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بَوَجهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ
فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَصْرَفَ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذِكَاؤُهَا فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ
أَنْ يَدْعُوهُ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بَكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. فَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكَ
غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ
وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ
أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطَيْتَكَ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ
وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ.

فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ. فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقَ فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ
الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ أَيُّ
رَبِّ أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ
مَا أُعْطَيْتَ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ لَا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ
حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ
تَمَنَّهُ. فَيَسْأَلُ رَبُّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنْ اللَّهُ لَيَذْكُرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ
حَدِيثِهِ شَيْئًا. حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَعَشْرَةَ
أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَشْهَدُ
أَنْنَى حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَوْلَهُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ
أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ. ٥٠٣

الحبة: بذور العشب البرية - الذكاء: لهب النار واشتعالها - تضارون: لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة
النظر - انفهقت: انفتحت واتسعت - قشبنى: سمنى وأهلكنى - امتحشوا: احترقت جلودهم حتى ظهرت
العظام

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَأَلَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابٍ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ
فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابٍ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا

تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، كَمَا لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا، فَيُلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍّ أَلَمْ أُكْرِمَكَ، أَلَمْ أُسَوِّدَكَ، أَلَمْ أُزَوِّجَكَ، أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَتْرَكَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ، قَالَ: فَيَقُولُ بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ، قَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: فَالْيَوْمَ أَنَسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، قَالَ: ثُمَّ يُلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ، أَلَمْ أُسَوِّدَكَ، أَلَمْ أُزَوِّجَكَ، أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَتْرَكَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ، قَالَ: فَيَقُولُ بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ، قَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: فَالْيَوْمَ أَنَسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، قَالَ: ثُمَّ يُلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ: مَا أَنتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَبْدُكَ آمَنْتُ بِكَ، وَبَنَيْتُكَ، وَبَكَّتَابَكَ، وَصُمْتُ، وَصَلَّيْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَبِئْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، قَالَ: فَيَقَالُ لَهُ: أَفَلَا نَبْعَثَ عَلَيْكَ شَاهِدَنَا؟ قَالَ: فَيَفْكُرُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ فَخَذَهُ وَلَحْمُهُ وَعَظَامُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، فَذَلِكَ الْمُنَاقِقُ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مَنْ نَفْسُهُ، وَذَلِكَ الَّذِي سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي مُنَادِي أَلَا اتَّبَعْتَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالَ: فَيَتَّبِعُ أَوْلِيَاءَ الشَّيَاطِينِ الشَّيَاطِينِ، قَالَ: وَاتَّبَعْتَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ يُلْقَى الْمُؤْمِنُونَ، ثُمَّ تَبْقَى أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَيَأْتِينَا رَبُّنَا وَهُوَ رَبُّنَا، فَيَقُولُ: عَلَى مَا هُوَ لَاءِ قِيَامٍ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ عِبَادُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ وَعِبْدَانَاهُ وَهُوَ رَبُّنَا وَهُوَ آتِينَا، وَمُثِينَا، وَهَذَا مَقَامُنَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَاْمُضُوا، قَالَ: فَيُوضَعُ الْجِسْرُ وَعَلَيْهِ كَلَالِبُ مِنْ نَارٍ تَخْطِفُ النَّاسَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَلَّتِ الشَّفَاعَةُ، اللَّهُمَّ سَلِّمِ اللَّهُمَّ سَلِّمِ، فَإِذَا حَاوَزَ الْجِسْرَ، فَكُلُّ مَنْ أَتَقَى زَوْجًا مِنَ الْمَالِ مِمَّا يَمْلِكُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَكُلُّ حَزَنَةٍ الْجَنَّةِ تَدْعُوهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، يَا مُسْلِمَ، هَذَا خَيْرٌ، فَيَقَالُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، يَا مُسْلِمَ، هَذَا خَيْرٌ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ذَلِكَ لِعَبْدٍ لَا تَوَى عَلَيْهِ يَدْعُ أَبَا وَيَلِجُ مِنْ آخِرٍ، قَالَ: فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْكِبِهِ وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ. ٥٠٤

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رَبَّنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمَ صَحْوٍ؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ إِذَا كَانَ صَحْوًا؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا يُنَادِي مُنَادٍ، فَيَقُولُ: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، قَالَ: فَيَذْهَبُ أَهْلُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيْبِهِمْ، وَأَهْلُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، وَيَبْقَى مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُيَّرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرًا ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَةً، وَلَا وَلَدًا مَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: تُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَسْقَاطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ، وَلَا وَلَدٌ مَاذَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: تُرِيدُ أَنْ

تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقُطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: قَدْ فَارَقْنَاهُمْ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، فَيَقَالُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهَا؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لَهُ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ يَسْجُدُ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِ الْجَسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَالْأَيْبِ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكٌ عُقِيْقَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، يَجُوزُ الْمُؤْمِنُ كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَكَالرَّالِكِ فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلِّمٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، وَالْحَقُّ قَدْ تَبَيَّنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا وَبَقِيَ إِخْوَانُهُمْ يَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمَيْهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ يَعُودُونَ ثَانِيَةً، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ يَعُودُونَ الثَّالِثَةَ، فَيَقَالُ: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ حَبَّةَ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَإِنْ لَمْ تُصَدِّقْنِي فَاقْرَأُوا قَوْلَ اللَّهِ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء]، فَتَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالصَّادِقُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: بَقِيَتْ شِفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ الْجَبَّارُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا فَيَلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ، يُقَالُ لَهُ: الْحَيَاةُ فَيَنْتَبِثُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ هَلْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى حَانِبِ الصَّخْرَةِ، أَوْ حَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَيْبَضَ، فَيُخْرِجُونَ مِثْلَ اللُّؤْلُؤَةِ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عِتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا قَدَمٍ قَدَّمُوهُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمُوهُ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَّغَنِي أَنَّ الْجَسْرَ أَذَقُ مِنَ الشَّعْرِ، وَاحِدٌ مِنَ السَّيْفِ^{٥٠٠}. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: السَّاقُ الشَّدَّةُ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِجُلَسَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: "هُمُ الْخَائِفُونَ، الْخَاضِعُونَ، الْمُتَوَاضِعُونَ، الذَّاكِرُونَ لِلَّهِ كَثِيرًا" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَهُمْ أَوَّلُ النَّاسِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: "لَا" قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: "الْفُقَرَاءُ يَسْبِقُونَ النَّاسَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيُخْرِجُ إِلَيْهِمْ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعُوا إِلَى الْحِسَابِ، فَيَقُولُونَ: عَلَامَ نَحْسَبُ؟ وَاللَّهِ مَا

أُفِضَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا فَنَقْبِضَ فِيهَا وَنَبْسِطَ، وَمَا كُنَّا أُمَرَاءَ نَعْدِلُ وَنَجُورُ، وَلَكِنَّا...اللَّهُ
فَعَبَدْنَاهُ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ٥٠٦

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: جَنَّاتٍ مِنْ فَضَّةٍ آتِيَتْهُمَا، وَمَا فِيهِمَا
وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ آتِيَتْهُمَا، وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى
وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ. ٥٠٧.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ
لَوْلُؤَةٍ مُحَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ، مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
الْمُؤْمِنُونَ، وَجَنَّاتٍ مِنْ فَضَّةٍ، آتِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ كَذَا آتِيَتْهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ
أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ » ٥٠٨.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعٌ: ثَنَّتَانِ
آتِيَتْهُمَا وَحُلِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَثَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ آتِيَتْهُمَا وَحُلِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ
أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَشْحَبُ مِنْ
جَنَّاتِ عَدْنٍ ثُمَّ تَصْدَعُ بَعْدَ أَنْهَارًا ٥٠٩

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " أَتَانِي جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَفِي يَدِهِ مِرْآةٌ
بَيضاء، فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا رَبُّكَ لَتَكُونَ لَكَ
عِيدًا، وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلُ، وَتَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ، قَالَ: مَا لَنَا فِيهَا ؟
قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، لَكُمْ فِيهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا رَبَّهُ فِيهَا بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسَمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَكَأَنَّ لَهُ بِقَسَمٍ إِلَّا
دَخَرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَوْ تَعَوَّذَ فِيهَا مِنْ شَرٍّ هُوَ مَكْتُوبٌ إِلَّا أَعَاذَهُ مِنْ أَعْظَمَ مِنْهُ. قُلْتُ: مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ
السَّوْدَاءُ فِيهَا ؟ قَالَ: هَذِهِ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ عِنْدَنَا، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ
الْمَزِيدِ " . قَالَ: " قُلْتُ: لِمَ تَدْعُوهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ ؟ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ - عَزَّ وَجَلَّ - اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفِيحَ
مِنَ الْمِسْكِ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ حَتَّى حَفَّ
الْكُرْسِيُّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، وَجَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ حَفَّ الْمَنَابِرَ بِكَرَاسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ جَاءَ
الصَّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ يَجِيءُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكَثِيبِ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ
- تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَّقْتُكُمْ وَعَدِي، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي، هَذَا مَحَلُّ كَرَامَتِي فَسَلُونِي. فَيَسْأَلُوهُ الرِّضَا فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : رِضَائِي أَحَلَّكُمْ

٥٠٦ - الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (١٨٩٥) حسن

٥٠٧ - صحيح البخارى (٤٨٧٨) وصحيح مسلم (٤٦٦)

٥٠٨ - صحيح البخارى (٤٨٧٩)

٥٠٩ - مسند أبي عوانة (٣١٠) صحيح

داري، وَأَنَا لَكُمْ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي. فَيَسْأَلُوهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، إِلَى مَقْدَارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى كُرْسِيِّهِ فَيَصْعَدُ مَعَهُ الشُّهَدَاءُ وَالصَّادِّقُونَ - أَحْسَبُهُ قَالَ: وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْعُرْفِ إِلَى غُرْفِهِمْ، دُرَّةٌ بَيْضَاءٌ لَا قَصَمَ فِيهَا وَلَا فَصَمَ، أَوْ يَأْقُوْتَةُ حَمْرَاءُ أَوْ زَبْرَجْدَةٌ خَضْرَاءُ، مِنْهَا غُرْفُهَا وَأَبْوَابُهَا مَطْرُودَةٌ، فِيهَا أَنْهَارُهَا مُتَدَلِّيَةٌ، فِيهَا ثِمَارُهَا، فِيهَا أَرْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا، فَلْيَسُوا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا فِيهِ كَرَامَةً، وَلِيَزْدَادُوا فِيهِ نَظَرًا إِلَى وَجْهِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ

٥١٠ ۱۱

النُّكْتَةُ: النُّقْطَةُ وَالْعَلَامَةُ وَالْأَثَرُ، وَأَصْلُهُ مِنَ النُّكْتِ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ التَّأْثِيرُ فِيهَا بَعْصًا أَوْ بَغِيرَهُ - الحُف: الإِحَاطَةُ - الْكَثِيبُ: الرَّمْلُ الْمُسْتَطِيلُ الْمَحْدُودُ بِ

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَانِي جَبْرِيلُ، وَفِي يَدِهِ كَالْمِرَّةِ الْبَيْضَاءِ، فِيهَا كَالنُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الْجُمُعَةُ؟ قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا لَنَا فِيهَا؟ قَالَ: تَكُونُ عِيدًا لَكَ وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى تَبَعًا لَكَ. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا لَنَا فِيهَا؟ قَالَ: لَكُمْ فِيهَا سَاعَةٌ، لَا يُوَفَّقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، هُوَ لَهُ قِسْمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، أَوْ لَيْسَ لَهُ بِقِسْمٍ إِلَّا ذَخَرَ لَهُ عِنْدَهُ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَوْ يَتَعَوَّذُ بِهِ مِنْ شَرٍّ، هُوَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِلَّا صَرَفَ عَنْهُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: وَمَا هَذِهِ النُّكْتَةُ فِيهَا؟ قَالَ: هِيَ السَّاعَةُ، وَهِيَ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ عِنْدَنَا سَيِّدُ الْأَيَّامِ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ الْمَزِيدِ.

قَالَ: قُلْتُ: مِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ رَبَّكَ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا مِنْ مِسْكِ أَبْيَضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هَبَطَ مِنْ عَلَيَيْنَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسِيُّ بِمَنَابِرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالْجَوَاهِرِ، ثُمَّ يَجِيءُ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، وَيَنْزِلُ أَهْلُ الْعُرْفِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى ذَلِكَ الْكَثِيبِ، ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمَّ يَقُولُ: سَلُونِي أُعْطِيَكُمْ، قَالَ: فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَى، فَيَقُولُ: رِضَائِي أَحْلَكُكُمْ دَارِي، وَأَنَا لَكُمْ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي أُعْطِيَكُمْ، قَالَ: فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَى، قَالَ: فَيُسْأَلُونَهُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ، قَالَ: فَيَفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَذَلِكَ مَقْدَارُ انْصِرَافِكُمْ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. قَالَ ثُمَّ يَرْتَفِعُ، وَيَرْتَفِعُ مَعَهُ النَّبِيُّونَ وَالصَّادِّقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْعُرْفِ إِلَى غُرْفِهِمْ، وَهِيَ دُرَّةٌ بَيْضَاءٌ، لَيْسَ فِيهَا قَصَمٌ، وَلَا فَصَمٌ، أَوْ دُرَّةٌ حَمْرَاءُ، أَوْ زَبْرَجْدَةٌ خَضْرَاءُ، فِيهَا غُرْفُهَا وَأَبْوَابُهَا مَطْرُودَةٌ، وَفِيهَا أَنْهَارُهَا وَثِمَارُهَا

٥١٠ - المعجم الأوسط للطبراني (٦٩٠٦) ومسند البزار (٧٥٢٧) وجمع الزوائد (١٨٧٧١) والأحاديث المختارة للضياء - (ج ٣ /

مُتَدَلِّيةٌ، قَالَ: فَلْيَسُوا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا إِلَى رَبِّهِمْ نَظْرًا، وَلِيَزْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً. ٥١١

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: عُرِضَتْ الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، جَاءَ جَبْرِيلُ فِي كَفِّهِ كَالْمِرَاةِ الْبَيْضَاءِ فِي وَسْطِهَا كَالثُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ، فَقَالَ: "مَا هَذِهِ يَا جَبْرِيلُ؟" قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلُ، وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو أَحَدٌ رَبَّهُ بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسَمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ، أَوْ يَتَعَوَّذُ مِنْ شَرِّ إِلَّا دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفِيحَ مِنْ مِسْكِ أَبْيَضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عَلَيَيْنِ، فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَحَفَّ الْكُرْسِيُّ بِمَنَابِرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالْحَوَاهِرِ، وَجَاءَ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَجَاءَ أَهْلُ الْعُرْفِ مِنْ غُرْفِهِمْ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكُتَيْبِ، وَهُوَ كُتَيْبٌ أَبْيَضٌ مِنْ مِسْكِ أَذْفَرٍ، ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعَدِي، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَهَذَا مَحَلُّ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَقُولُ: رِضَايَ أُحِلُّكُمْ دَارِي، وَأَنَالَكُمْ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَشْهَدُ عَلَيْهِمْ عَلَى الرِّضَا، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، إِلَى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِهِمْ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَهِيَ زَبْرَجْدَةٌ خَضِرَاءُ أَوْ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ، مُطْرَدَةٌ فِيهَا أَنْهَارُهَا، مُتَدَلِّيةٌ، فِيهَا ثِمَارُهَا، فِيهَا أَرْوَاحُهَا وَخَدْمُهَا، فَلَيْسَ هُمْ فِي الْجَنَّةِ بِأَشْرَقَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا نَظْرًا إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وَكَرَامَتِهِ، وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ " ٥١٢

عَلِيُّونَ: اسْمٌ لِلسَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ لِدِيَّوَانَ الْمَلَائِكَةِ الْحَفَظَةِ، تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الصَّالِحِينَ مِنَ الْعِبَادِ، وَقِيلَ: أَرَادَ أَعْلَى الْأَمْكِنَةِ وَأَشْرَفَ الْمَرَاتِبِ مِنَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. - الْكُتَيْبُ: الرَّمْلُ الْمُسْتَطِيلُ الْمُحْدَوْدِبُ - أَذْفَرُ: جَدِيدٌ إِلَى الْغَايَةِ رَائِحَتُهُ شَدِيدَةٌ - الزَّبْرَجْدُ: الزَّمْرَدُ وَهُوَ حَجَرٌ كَرِيمٌ - الْيَاقُوتُ: حَجَرٌ كَرِيمٌ مِنْ أَحْجَدِ الْأَنْوَاعِ وَأَكْثَرُهَا صَلَابَةً بَعْدَ الْمَاسِ، خَاصَّةٌ ذُو اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَانِي جَبْرِيلُ، فَإِذَا فِي كَفِّهِ مَرَاةٌ كَأَصْفَى الْمَرَايَا وَأَحْسَنَهَا، وَإِذَا فِي وَسْطِهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ"، قَالَ: "قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذِهِ؟" قَالَ: هَذِهِ الدُّنْيَا صَفَاؤُهَا وَخُسْنُهَا، قُلْتُ: وَمَا هَذِهِ اللَّمْعَةُ فِي وَسْطِهَا؟" قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ، قُلْتُ: وَمَا الْجُمُعَةُ؟ قَالَ: يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ رَبِّكَ عَظِيمٌ، وَسَأُخْبِرُكَ بِشَرَفِهِ، وَفَضْلِهِ، وَاسْمِهِ فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا شَرَفُهُ وَفَضْلُهُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ فِيهِ أَمْرَ الْخَلْقِ، وَأَمَّا مَا يُرْجَى فَإِنَّ فِيهِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، أَوْ أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ يَسْأَلَانِ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَمَّا شَرَفُهُ وَفَضْلُهُ وَاسْمُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا صَيَّرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلَ النَّارِ إِلَى النَّارِ، وَجَرَتْ عَلَيْهِمْ أَيَّامُهَا وَسَاعَاتُهَا، لَيْسَ بِهَا لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ إِلَّا قَدْ عَلِمَ اللَّهُ مِقْدَارَ ذَلِكَ وَسَاعَتَهُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِي الْحِينِ الَّذِي يَبْرُزُ أَوْ يَخْرُجُ فِيهِ أَهْلُ الْجُمُعَةِ إِلَى جُمُعَتِهِمْ نَادَى

٥١١ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ٢ / ص ١٥٠) (٥٥٦٠) والأحاديث المختارة للضياء - (ج ٣ / ص ١٣٢) (٢٢٩١) صحيح لغيره

٥١٢ - المعجم الأوسط للطبراني (٢١٦٥) حسن

مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ اخْرُجُوا إِلَى دَارِ الْمَزِيدِ، مَا يَعْلَمُ سَعَتَهُ، وَعَرْضَهُ، وَطُولَهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُتُبَانٍ مِنَ الْمَسْكِ " قَالَ " :فِيخْرُجُ غُلَمَانُ الْأَنْبِيَاءِ بِمَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، وَيَخْرُجُ غُلَمَانُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَرَاسِيٍّ مِنْ يَاقُوتٍ " قَالَ: " فَإِذَا وُضِعَتْ لَهُمْ وَأُخِذَ الْقَوْمُ مَجَالِسَهُمْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا تُدْعَى الْمُثِيرَةَ تُثِيرُ عَلَيْهِمْ أَثَانِيرَ الْمَسْكِ الْأَبْيَضِ، تَدْخُلُهُ تَحْتَ ثِيَابِهِمْ، وَتُخْرِجُهُ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ، فَتِلْكَ الرِّيحُ أَعْلَمُ كَيْفَ تَصْنَعُ بِذَلِكَ الْمَسْكِ مِنْ امْرَأَةٍ أَحَدَكُمْ لَوْ دُفِعَ إِلَيْهَا كُلُّ طِيبٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَكَانَتْ تِلْكَ الرِّيحُ أَعْلَمُ كَيْفَ تَصْنَعُ بِذَلِكَ الْمَسْكِ مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ لَوْ دُفِعَ إِلَيْهَا ذَلِكَ الطِّيبُ بِإِذْنِ اللَّهِ، قَالَ: ثُمَّ يُوحِي اللَّهُ تَعَالَى إِلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ، فَيُوضَعُ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْجَنَّةِ، وَمَا فِيهَا أَسْفَلُ مِنْهُ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الْحُجُبُ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَا يَسْمَعُونَ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ: أَتَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ أَطَاعُونِي بِالْغَيْبِ وَلَمْ يَرَوْنِي، فَصَدَّقُوا رُسُلِي، وَاتَّبَعُوا أَمْرِي يَسْأَلُونِي فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ ؟ قَالَ: فَيَجْمَعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: رَبِّ رَضِينَا عَنْكَ فَارْضَ عَنَّا، قَالَ: فَيَرْجِعُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِمْ: أَنْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنِّي لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ لَمَا أَسْكَنْتُكُمْ جَنَّتِي، فَسَلُونِي فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ قَالَ: فَيَجْمَعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ: رَضِينَا عَنْكَ فَارْضَ عَنَّا، قَالَ: فَيَرْجِعُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِمْ: أَنْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ مَا أَسْكَنْتُكُمْ جَنَّتِي، فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ فَسَلُونِي، قَالَ: فَيَجْمَعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: رَبِّ وَجْهَكَ رَبِّ وَجْهَكَ أَرْنَا نَنْظُرُ إِلَيْكَ، قَالَ: فَيَكْشِفُ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْحُجُبَ، قَالَ: وَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَعْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ شَيْءٌ لَوْ لَمْ أَنَّهُ قَضَى عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَحْتَرِقُوا لَاحْتَرَقُوا مِمَّا غَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ " قَالَ: " ثُمَّ يُقَالُ: ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ " قَالَ: " فَيَرْجِعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَقَدْ خَفَوْا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، وَخَفِينَ عَلَيْهِمْ مِمَّا غَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ، فَإِذَا صَارُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ يُزَادُ النُّورُ وَأَمْكَنَ وَيُزَادُ وَأَمْكَنَ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى صُورِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا " قَالَ: " فَيَقُولُ لَهُمْ أَزْوَاجُهُمْ: لَقَدْ خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِنَا عَلَى صُورَةٍ، وَرَجَعْتُمْ عَلَى غَيْرِهَا " قَالَ: " فَيَقُولُونَ: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَجَلَّى لَنَا، فَنَظَرْنَا مِنْهُ إِلَى مَا خَفَيْنَا بِهِ عَلَيْكُمْ " قَالَ: " فَلَهُمْ كُلُّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ الضَّعْفُ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ " قَالَ: " وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١٧) سورة السجدة . ٥١٣

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتَانِي جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كَفِّهِ مِثْلَ الْمِرَّةِ فِي وَسْطِهَا لَمْعَةٌ سَوْدَاءُ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا ؟، قَالَ: هَذِهِ الدُّنْيَا صَفَاؤُهَا، وَقُلْتُ: مَا هَذِهِ اللَّمْعَةُ السَّوْدَاءُ ؟، قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ، قُلْتُ: وَمَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ ؟، قَالَ: يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ رَبِّكَ عَظِيمٌ، فَذَكَرَ شَرَفَهُ، وَفَضْلَهُ، وَأَسَمَهُ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا صَيَّرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلَ النَّارِ إِلَى النَّارِ لَيْسَ ثَمَّ لَيْلٌ، وَلَا نَهَارٌ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِقْدَارَ تِلْكَ السَّاعَاتِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِي وَقْتِ الْجُمُعَةِ الَّتِي يَخْرُجُ أَهْلُ الْجُمُعَةِ إِلَى جُمُعَتِهِمْ، قَالَ: فَيَنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ

٥١٣ - الْإِبَانَةُ الْكُبْرَى لِابْنِ بَطَّةَ (٢٤٧٥) فِيهِ ضَعْفٌ ، وَيَشْهَدُ لَهُ مَا قَبْلَهُ

الْجَنَّةِ، اخْرُجُوا إِلَى دَارِ الْمَزِيدِ، فَيَخْرُجُونَ فِي كُتُبَانِ الْمِسْكِ " " قَالَ حُذَيْفَةُ: وَاللَّهِ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ دَقِيقِكُمْ فَإِذَا قَعَدُوا وَأَخَذَ الْقَوْمُ مَجَالِسَهُمْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا تُدْعَى الْمُثِيرَةَ فَتَثِيرُ عَلَيْهِمُ الْمِسْكَ الْأَبْيَضَ فَتَدْخُلُهُ فِي ثِيَابِهِمْ، وَتُخْرِجُهُ مِنْ جُيُوبِهِمْ فَالَرِّيحُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ الطَّيِّبِ مِنْ امْرَأَةٍ أَحَدَكُمْ لَوْ دَفَعَ إِلَيْهَا طِيبُ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: " أَتَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ أَطَاعُونِي بِالْغَيْبِ، وَصَدَّقُوا رُسُلِي وَلَمْ يَرَوْني؟، سَلُونِي فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: إِنَّا قَدْ رَضِينَا فَارْضَ عَنَّا، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ لَهُمْ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ لَمْ أُسْكِنَكُمْ جَنَّتِي، فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ فَسَلُونِي، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَرْنَا وَجْهَكَ نَنْظُرُ إِلَيْهِ قَالَ: فَيَكْشِفُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْحُجُبَ، وَيَتَجَلَّى لَهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَعْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى أَنْ لَا يَمُوتُوا لَاحْتَرَفُوا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ، فَيَرْجِعُونَ وَقَدْ خَفُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، وَخَفِينَ عَلَيْهِمْ مِمَّا غَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَلَا يَزَالُ الثُّورُ يَتَمَكَّنُ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى حَالِهِمْ أَوْ إِلَى مَنَازِلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَزْوَاجُهُمْ: لَقَدْ خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِنَا بِصُورَةٍ وَرَجَعْتُمْ إِلَيْنَا بِغَيْرِهَا؟، فَيَقُولُونَ: تَجَلَّى لَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فَنَظَرْنَا إِلَى مَا خَفِينَا بِهِ عَلَيْكُمْ قَالَ: فَهُمْ يَقْبَلُونَ فِي مِسْكِ الْجَنَّةِ، وَنَعِيمِهَا فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَهُوَ يَوْمُ الْمَزِيدِ ٥١٤

وَعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لِمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جَنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرَرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَجْهَهُ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ " ٥١٥

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ نُعْطَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا ٥١٦

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « نَعَمْ ». قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهْرِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ». قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذُنٌ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَرٍ

٥١٤ - مسند البزار (٢٨٨١) ضعيف

٥١٥ - سنن الترمذي (٣٦٤٩) ضعيف

٥١٦ - صحيح البخاري (٧٥١٨) ومسلم (٧٣١٨)

أَهْلَ الْكِتَابِ فَيَدْعَى الْيَهُودَ فَيَقَالُ لَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ. فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْعُونَ قَالُوا عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ فَيَحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يَدْعَى النَّصَارَى فَيَقَالُ لَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيَقَالُ لَهُمْ مَاذَا تَبْعُونَ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. - قَالَ - فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ فَيَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا.

قَالَ فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا يَا رَبَّنَا فَارْقِنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءَ وَرِيَاءٍ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبَّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ قَالَ « دَحْضُ مَزَلَةٍ. فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَالَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شَوْيَكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ فَتَاجِ مُسَلِّمٍ وَمَخْدُوشُ مُرْسَلٍ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحْجُونَ. فَيَقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ. فَتَحَرَّمَ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا. « وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) » فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرِ فِي أَفْوَاهِ

الْجَنَّةُ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأُخْيَضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَيْضَ . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ قَالَ « فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ .

فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا . فَيَقُولُ رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » ٥١٧ .

الحبة: بذور العشب البرية - الحسك: جمع حسكة وهى الشوكة الصلبة - تضارون: لا تتخالفون ولا تتجادلون فى صحة النظر - المكدوس: المدفوع من ورائه

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ » ٥١٨ .

تضامون: تزدهمون - تضامون: لا يحصل لكم ذل

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا » ٥١٩ .

وَعَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ، فَقَالَ: « أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا، كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا » ٥٢٠ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: " حَتَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَحَتَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ " ٥٢١ .

" قَالَ الْأَسْتَاذُ الْإِمَامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَوْلُهُ " رِذَاءُ الْكِبْرِيَاءِ " هُوَ مَا يَتَّصِفُ بِهِ مِنْ إِرَادَةِ احْتِجَابِ الْأَعْيُنِ، عَنْ رُؤْيَيْهِ فَإِذَا أَرَادَ إِكْرَامَ أَوْلِيَائِهِ بِهَا رَفَعَ ذَلِكَ الْحِجَابَ عَنْ أَعْيُنِهِمْ بِخَلْقِ الرُّؤْيَا فِيهَا لِيَرَوْهُ بِلَا كَيْفٍ، كَمَا عَرَفُوهُ بِلَا كَيْفٍ، وَقَوْلُهُ " فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ " يَعْنِي: وَالنَّازِلُونَ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ " وَلِهَذَا الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ شَوَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ

٥١٧ - صحيح مسلم (٤٧٢)

٥١٨ - صحيح البخارى (٧٤٣٦)

٥١٩ - صحيح البخارى (٧٤٣٥)

٥٢٠ - الرد على الجهمية للدارمي (٨١) صحيح

٥٢١ - صحيح البخارى (٤٨٧٨)

عُمَرَ، وَعَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ، وَأَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ، وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ، وَبُرَيْدَةَ بْنَ حُصَيْبٍ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَوَيْنَا فِي إِنْبَاتِ الرُّؤْيَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَخُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبِي مُوسَى وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَرَوْا عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ نَفِيَهَا، وَلَوْ كَانُوا فِيهِ مُخْتَلِفِينَ لَنُقِلَ اخْتِلَافُهُمْ إِلَيْنَا، وَكَمَا أَنََّّهُمْ لَمَّا اخْتَلَفُوا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ نُقِلَ اخْتِلَافُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَكَمَا أَنََّّهُمْ لَمَّا اخْتَلَفُوا فِي رُؤْيَايِهِ بِالْأَبْصَارِ فِي الدُّنْيَا نُقِلَ اخْتِلَافُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَيْنَا فَلَمَّا نُقِلَتْ رُؤْيَا اللَّهِ بِالْأَبْصَارِ عَنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ كَمَا نُقِلَ عَنْهُمْ فِيهَا اخْتِلَافٌ فِي الدُّنْيَا عَلِمْنَا أَنََّّهُمْ كَانُوا عَلَى الْقَوْلِ بِرُؤْيَا اللَّهِ بِالْأَبْصَارِ فِي الْآخِرَةِ مُتَّفِقِينَ مُجْتَمِعِينَ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ ٥٢٢.

المبحث الأربعون أمانى أهل الجنة

يتمنى بعض أهل الجنة فيها أمانى عجيبة تتحقق على نحو عجيب، لا تشبه حال ما يحدث في الدنيا فهذا واحد من أهل الجنة يستأذن ربه في الزرع فيأذن له، فما يكاد يلقي البذر حتى يضرب بجذوره في الأرض، ثم ينمو ويكتمل، وينضج في نفس الوقت، ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ لَهُ أَلَسْتَ فِيمَا شَتَّتَ قَالَ بَلَى وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ. قَالَ فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتَحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ». فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ وَاللَّهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا قُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ - ﷺ - ٥٢٣.

وهذا آخر يتمنى الولد، فيحقق الله له أمنيته في ساعة واحدة، حيث تحمل وتضع في ساعة واحدة، روى ابن حبان في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَشَبَابُهُ، كَمَا يَشْتَهِي فِي سَاعَةٍ. ٥٢٤
قال الترمذي: وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْجَنَّةِ جِمَاعٌ وَلَا يَكُونُ وَلَدٌ. هَكَذَا رَوَى عَنْ طَاوُسٍ وَمُجَاهِدٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ. وَقَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ - «

٥٢٢ - الاعتقاد للبيهقي (٧٢)

٥٢٣ - صحيح البخاري (٢٣٤٨)

٥٢٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤١٧) (٧٤٠٤) صحيح

إِذَا اشْتَهَى الْمُؤْمِنُ الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَشْتَهَى ». وَلَكِنْ لَا يَشْتَهَى. قَالَ مُحَمَّدٌ وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا وَلَدٌ »...^{٥٢٥}

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالِدَ أَيُّ: لَا يَشْتَهُونَ الْوَلَدَ لِأَنَّ فِي خَبَرِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ النَّاجِيٍّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " إِذَا اشْتَهَى أَحَدُكُمْ الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسَنُّهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ "، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعْلَمَ أَنَّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا مَا تَشْتَهَى الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، وَمُحَالٌ أَنْ يَشْتَهِيَ الْمُشْتَهِي فِي الْجَنَّةِ وَلَدًا فَلَا يُعْطَى شَهْوَتُهُ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ، وَالْوَلَدُ فِي الدُّنْيَا قَدْ يَكُونُ عَلَى غَيْرِ شَهْوَةِ الْوَالِدَيْنِ، فَأَمَّا فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَدٌ إِلَّا أَنْ يَشْتَهِيَ فَيُعْطَى شَهْوَتُهُ عَلَى مَا قَدْ وَعَدَ رَبُّنَا أَنْ لَهُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُهُمْ^{٥٢٦}

المبحث الواحد والأربعون

ففي الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « قَالَ اللَّهُ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١٧) سورة السجدة^{٥٢٧} .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى ثُمَّ قَالَ - ﷺ - فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: « فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ». ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) [السجدة/١٦-١٧]^{٥٢٨}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ^{٥٢٩} " .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فِيَمَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: قَالَ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ^{٥٣٠}

^{٥٢٥} - سنن الترمذي (٢٧٦٢)

^{٥٢٦} - التَّوْحِيدُ لِابْنِ خَزِيمَةَ (٢٤١)

^{٥٢٧} - صحيح البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٧٣١٠)

^{٥٢٨} - صحيح مسلم (٧٣١٣)

^{٥٢٩} - الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ (١٦٩٧) صحيح

^{٥٣٠} - صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (١١٦) صحيح

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: لو أن ما يُقِلُّ ظُفْرُ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ، لَتَرَخَّرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَ، فَبَدَأَ أَسَاوِرُهُ، لَطَمَسَ ضَوْءُهُ الشَّمْسَ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ. ^{٥٣١}

وعن ابن عباس، يرفعه، قال: خلق الله جنة عدن بيده، ودلى فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها، فقال: قد أفلح المؤمنون، قال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل. ^{٥٣٢}

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: قيد سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومثلها معها. ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها. ولنصيب امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، قال: قلت: يا أبا هريرة، ما النصيب؟ قال: الخمار. ^{٥٣٣}

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ - قال: لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب. ^{٥٣٤} وقال: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب» ^{٥٣٤}.

وعن سهل بن سعد، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لغدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» ^{٥٣٥}.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأقرأوا إن شئتم: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} (١٧) سورة السجدة.

وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، وأقرأوا إن شئتم: {وظل ممدود} (٣٠) سورة الواقعة.

وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، وأقرأوا إن شئتم: {كل نفس ذائقة الموت وإئما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} (١٨٥) سورة آل عمران. ^{٥٣٦}

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: موضع سوط في الجنة خير من الدنيا، وما فيها جميعاً، أقرأوا إن شئتم: {كل نفس ذائقة الموت وإئما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} (١٨٥) سورة آل عمران. ^{٥٣٧}

^{٥٣١} - سنن الترمذی (٢٧٣٤) حسن صحيح

^{٥٣٢} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٠ / ص ٢٩٣) (١٢٥٥٥) حسن

^{٥٣٣} - مسند أحمد (١٠٥٤١) صحيح لغيره

^{٥٣٤} - صحيح البخاری (٢٧٩٣)

^{٥٣٥} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٥ / ص ٤٣٧) (٥٧٠٣) صحيح

^{٥٣٦} - سنن الترمذی (٣٦٠٣) صحيح

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: غَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا وَلَقَابٌ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً أَطْلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَأَضَاعَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَّتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. ^{٥٣٨}

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ غَرْبٌ سَهْمٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتُ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا: "هَبْلَتْ، أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جَنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى"

وَقَالَ: "غَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابٌ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لَأَضَاعَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَّتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا - يَعْنِي الْحِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا" ^{٥٣٩}

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "غَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابٌ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى الدُّنْيَا لَمَلَّتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا" ^{٥٤٠}

القاب هنا قيل هو القدر وقيل من مقبض القوس إلى سيته ولكل قوس قوبان
والقد بكسر القاف وتشديد الدال هو السوط ومعنى الحديث ولقدر قوس أحدكم أو قدر الموضع الذي يوضع فيه سوطه خير من الدنيا وما فيها

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ، مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ" ^{٥٤١}
وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَانِي جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كَفِّهِ مِثْلُ الْمِرْآةِ فِي وَسْطِهَا لَمْعَةٌ سَوْدَاءُ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذِهِ الدُّنْيَا صَفَاؤُهَا، وَحُسْنُهَا، قُلْتُ: مَا هَذِهِ اللَّمْعَةُ السَّوْدَاءُ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ، قُلْتُ: وَمَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ رَبِّكَ عَظِيمٌ، فَذَكَرَ شَرَفَهُ، وَفَضْلَهُ، وَأَسَمَهُ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا صَيَّرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلَ النَّارِ إِلَى النَّارِ لَيْسَ ثَمَّ لَيْلٌ، وَلَا نَهَارٌ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِقْدَارَ تِلْكَ السَّاعَاتِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِي وَقْتِ الْجُمُعَةِ الَّتِي يَخْرُجُ أَهْلُ الْجُمُعَةِ إِلَى جُمُعَتِهِمْ، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، اخْرُجُوا إِلَى دَارِ الْمَزِيدِ، فَيَخْرُجُونَ فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ، قَالَ حُذَيْفَةُ: وَاللَّهِ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ دَقِيقِكُمْ فَإِذَا قَعَدُوا وَأَخَذَ الْقَوْمُ مَجَالِسَهُمْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا تُدْعَى الْمُثِيرَةُ فَتُثِّرُ عَلَيْهِمُ الْمِسْكَ الْأَبْيَضَ فَتَدْخُلُهُ فِي ثِيَابِهِمْ، وَتُخْرِجُهُ مِنْ

^{٥٣٧} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٣٣) (٧٤١٧) صحيح

^{٥٣٨} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤١١) (٧٣٩٨) صحيح

^{٥٣٩} - صحيح البخاري (٦٥٦٧ و ٦٥٦٨)

^{٥٤٠} - أحاديث إسماعيل بن جعفر (٥٦) صحيح

^{٥٤١} - البعث والتشور للبيهقي (٣٢٢) حسن

جُيُوبِهِمْ فَالرَّيْحُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ الطَّيِّبِ مِنْ امْرَأَةٍ أَحَدَكُمْ لَوْ دُفِعَ إِلَيْهَا طِيبُ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ أَطَاعُونِي بِالْغَيْبِ، وَصَدَّقُوا رُسُلِي وَلَمْ يَرُونِي؟ سَلُونِي فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: إِنَّا قَدْ رَضِينَا فَارْضَ عَنَّا، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ لَهُمْ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ لَمْ أُسْكِنُكُمْ جَنَّتِي، فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ فَسَلُونِي، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَرِنَا وَجْهَكَ نَنْظُرَ إِلَيْهِ قَالَ: فَيَكْشِفُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْحُجُبَ، وَيَتَجَلَّى لَهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَعْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى أَنْ لَا يَمُوتُوا لاحترقوا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ، فَيَرْجِعُونَ وَقَدْ خَفُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، وَخَفِينَ عَلَيْهِمْ مِمَّا عَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَلَا يَزَالُ النُّورُ يَتِمَكَّنُ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى حَالِهِمْ أَوْ إِلَى مَنَازِلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَزْوَاجُهُمْ: لَقَدْ خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدَنَا بِصُورَةٍ وَرَجَعْتُمْ إِلَيْنَا بغيرِهَا؟ فَيَقُولُونَ: تَجَلَّى لَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فَنَظَرْنَا إِلَى مَا خَفَيْنَا بِهِ عَلَيْكُمْ قَالَ: فَهُمْ يَقْبَلُونَ فِي مَسْكِ الْجَنَّةِ، وَنَعِيمُهَا فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَهُوَ يَوْمُ الْمَزِيدِ. ^{٥٤٢}

المبحث الثاني والأربعون

ففي خلود أهل الجنة فيها وأهل النار فيها

قال تعالى: { قُلْ أُوْبِتُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) } [آل عمران/ ١٥]

وقال تعالى: { أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) } [آل عمران/ ١٣٦]

وقال تعالى: { لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) } [آل عمران/ ١٩٨]

وقال تعالى: { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) } [النساء/ ١٣]

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧) } [النساء/ ٥٧]

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢) } [النساء/ ١٢٢]

وقال تعالى: { قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) } [المائدة/١١٩]

وقال تعالى: { وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٍ (١٠٨) } [هود/١٠٨].....

وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، إلا الفريق الذي شاء الله تأخيرهم، وهم عصاة الموحدين، فإنهم يبقون في النار فترة من الزمن، ثم يخرجون منها إلى الجنة بمشيئة الله ورحمته، ويعطي ربك هؤلاء السعداء في الجنة عطاء غير مقطوع عنهم.

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ، يُخْبِرُكُمْ أَنَّ الْمَرَدَّ إِلَى اللَّهِ، إِلَى جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَإِقَامَةٌ وَلَا ظَنٍّ^{٥٤٣}

وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ، قَالَ: قَامَ فِينَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَقَالَ: "يَا بَنِي أَوْدٍ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، تَعْلَمُونَ الْمَعَادَ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ، وَإِقَامَةٌ لَا ظَنٍّ فِيهِ، وَخُلُودٌ لَا مَوْتَ فِي أَجْسَادٍ لَا تَمُوتُ" ^{٥٤٤}

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا لَنَا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا، وَزَهَدْنَا فِي الدُّنْيَا، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ فَانْسَنَّا أَهَالِينَا، وَشَمَمْنَا أَوْلَادَنَا أَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي كُنْتُمْ عَلَى حَالِكُمْ ذَلِكَ لَزَارَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تَذَنْبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِخَلْقٍ حَدِيدٍ كَيْ يَذْنِبُوا فَيَغْفِرَ لَهُمْ"

قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّ خُلِقَ الْخَلْقُ؟ قَالَ: "مِنَ الْمَاءِ"، قُلْتُ: الْجَنَّةُ مَا بَنَاؤُهَا؟ قَالَ: "لَبَنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَيْئَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ"

ثُمَّ قَالَ: "ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْعِمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ"^{٥٤٥}

وعَنْ ابْنِ عَمْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: "مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَحْيَا فِيهَا فَلَا يَمُوتُ، وَيَنْعَمُ فِيهَا لَا يَيْئَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بَنَاؤُهَا؟ قَالَ: "لَبَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبَنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، تُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، حَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ"

^{٥٤٣} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٥ / ص ١٠٣) (١٦٧٨٨) صحيح لغيره

^{٥٤٤} - المستدرک للحاکم (٢٨١) صحيح

^{٥٤٥} - سنن الترمذی (٢٧١٧) صحيح لغيره

بَلِي الثوب: قَدُم ورث وتلف - اللَّبَنَة: واحدة اللَّبن وهي التي يُننى بها الجِدَار - الملاط: الطين الذي يكون بين اللبنتين، أو التراب الذي يخالطه الماء - الأذفر: ذو الرائحة القوية الفواحة - الحصباء: الحجارة

الصغيرة - الياقوت: حجر كريم من أجود الأنواع وأكثرها صلابة بعد الماس، خاصة ذو اللون الأحمر وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ - قال: «يُنَادِي مُنَادٍ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَعْمُوا فَلَا تَبْتَسُوا أَبَدًا». فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (٤٣) سورة الأعراف ٥٤٦

وعن أبي سعيد، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ، وَأُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَكُلُّ قَدْ رَأَوْهُ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، فَيُؤْخَذُ فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: { وَأَنْذَرْتُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (٣٩) سورة مريم، قال: أَهْلُ الدُّنْيَا فِي غَفْلَةٍ ٥٤٧

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية وَأَنْذَرْتُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ قَالَ: " يُنَادِي: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ فَيَنْظُرُونَ، وَيُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ فَيَنْظُرُونَ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ الْمَوْتَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُجَاءُ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ، فَيُقَالُ: هَذَا الْمَوْتُ، فَيَقْدَمُ فَيَذْبَحُ، قَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ " قَالَ ثُمَّ قَرَأَ { وَأَنْذَرْتُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (٣٩) سورة مريم ٥٤٨ .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: { وَأَنْذَرْتُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (٣٩) سورة مريم، وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . ٥٤٩

٥٤٦ - صحيح مسلم (٧٣٣٦)

٥٤٧ - السُّنَنُ الْكُبْرَى لِلنَّسَائِي (جامع الحديث) (٩٩٤٢) صحيح

٥٤٨ - السُّنَنُ الْكُبْرَى لِلنَّسَائِي (٩٩٤٣) صحيح

٥٤٩ - صحيح البخاري (٤٧٣٠)

يشرب: يرفع رأسه ويمد عنقه

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي هَيْئَةٍ كَبَشٍ أَمْلَحُ فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيُطْلَعُونَ خَائِفِينَ وَجَلِيلِينَ مَخَافَةَ أَنْ يَخْرُجُوا مِمَّا هُمْ فِيهِ، فَيَقَالُ: تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيُطْلَعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرَحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِمَّا هُمْ فِيهِ، فَيَقَالُ: تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، فَيَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ عَلَى الصَّرَاطِ فَيَقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ: خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لَا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا" ٥٥٠ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبَشٌ أَمْلَحُ أَغْفَرُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ فَيَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ فَيَنْظُرُونَ، فَيَرَوْنَ أَنَّ الْفَرَجَ قَدْ جَاءَ، فَيَدْعَى، فَيَذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ فِيهِ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ فِيهِ " قَالَ إِسْحَاقُ: قَالَ التَّضَرُّ: مَعْنَى أَغْفَرُ: الَّذِي مِنْهُ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ" ٥٥١ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبَشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، تَعْرِفُونَ هَذَا: فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ هَذَا الْمَوْتُ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ تَعْرِفُونَ هَذَا: فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ هَذَا الْمَوْتُ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ " ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (٣٩) سورة مريم، ٥٥٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ قَالَ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبَشٌ أَمْلَحُ حَتَّى يُوقَفَ عَلَى السُّورِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَبُونَ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَبُونَ، فَيَقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، فَيُضْجَعُ فَيَذْبَحُ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَيَاةَ وَالْبَقَاءَ، لَمَاتُوا فَرَحًا، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى لِأَهْلِ النَّارِ الْحَيَاةَ فِيهَا وَالْبَقَاءَ، لَمَاتُوا تَرَحًا " ٥٥٣

يشربون بشين معجمة ساكنة ثم راء ثم همزة مكسورة ثم باء موحدة مشددة أي يمدون أعناقهم لينظروا

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ عَلَى الصَّرَاطِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْطَلِقُونَ خَائِفِينَ وَجَلِيلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَنْطَلِقُونَ

٥٥٠ - مسند البزار (٧٩٥٧) وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ (٢٥٦) صحيح

٥٥١ - الشَّرِيعَةُ لِلْأَجَرِيِّ (٩٢٩) صحيح

٥٥٢ - الشَّرِيعَةُ لِلْأَجَرِيِّ (٩٣٠) صحيح

٥٥٣ - سنن الترمذی (٣٤٥٠) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ" وهو كما قال

فَرَحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيَقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ رَبَّنَا هَذَا الْمَوْتُ، فَيَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا: خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ فِيهِ أَبَدًا.^{٥٥٤}

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ رَبَّنَا، هَذَا الْمَوْتُ، فَيَذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، فَيَأْمَنُ هَؤُلَاءِ، وَيَنْقَطِعُ رَجَاءُ هَؤُلَاءِ.^{٥٥٥}

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِئَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يَذْبَحُ، ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ. وَيَزِدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ.^{٥٥٦}

وَعَنْ صَالِحٍ حَدَّثَنَا نَافِعٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ كُلُّ خَالِدٍ فِيمَا هُوَ فِيهِ».^{٥٥٧}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - قَالَ: أَطْنُوه رَفَعُهُ - قَالَ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالْكَبْشِ الْأَمْلَحِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَذَا الْمَوْتُ، يَا أَهْلَ النَّارِ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ: فَيَذْبَحُ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ، فَلَوْ مَاتَ أَحَدٌ فَرَحًا لَمَاتَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا، وَلَوْ مَاتَ أَحَدٌ حُزْنًا لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا"^{٥٥٨}

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -^{٥٥٩}:

فلله ما في حشوها من مَسْرَةٍ وأصنافٍ لذاتٍ بها يُتَنَعَّمُ
ولله بردُ العيشِ بين خيامها ... وروضاتها والتَّعْرِ في الروضِ يَسْمُ
ولله واديهما الذي هو موعدُ الـ مَزِيدٍ لوفدِ الحبِّ لو كنتَ منهم
ولله أبصارٌ ترى اللهَ جَهْرَةً فلا الضَّيْمُ يَغْشَاهَا ولا هي تَسْأَمُ
فيا نظرةً أهدت إلى الوجهِ نَضْرَةً أَمِنْ بَعْدَهَا يَسْلُو الحُبُّ المَتَّيْمُ
ولله كَمٍ مِنْ خَيْرَةٍ إِنْ تَبَسَّمتَ أضَاءَ لَهَا نُورٌ مِنَ الفَجْرِ أعْظَمُ
فيا لذةَ الأبصارِ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ ويا لَذَّةَ الأَسْمَاعِ حِينَ تَكَلَّمُ
ويا حَجَلَةَ الغصنِ الرطيبِ إِذَا انْتَنَتْ ويا حَجَلَةَ الفَجْرِ حِينَ تَبَسَّمُ
فإِنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ عَلِيلٍ بِجِبْهَةٍ فلم يَنْقُ إِلَّا وَصْلُهَا لَكَ مَرَّهْمُ

^{٥٥٤} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٨٧) (٧٤٥٠) صحيح

^{٥٥٥} - مسند أبي يعلى الموصلي (٢٨٩٨) صحيح

^{٥٥٦} - صحيح البخاري (٦٥٤٨)

^{٥٥٧} - صحيح مسلم (٧٣٦٢)

^{٥٥٨} - الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (١٨٩٣) صحيح لغيره

^{٥٥٩} - أنظر القصيدة بتمامها في كتاب حادي الأرواح لابن القيم: ص ٧-٩

فيا خاطبَ الحناءِ إن كنتَ راغباً..... فهذا زمان المهر فهو المقدم
 وكن مبغضاً للخائناتِ لحبها فتحظى بها من دونهم وتنعّم
 وصمّ يومك الأدي لعلك في غد تفوز بعيدِ الفطرِ والناس صوم
 وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها..... ولم يك فيها منزلٌ لك يُعلم
 فحيّ على جنّاتِ عدنٍ فإنّها منازلنا الأولى وفيها المحيّم
 وحيّ على السوقِ الذي فيه يلتقي..... المحبّون ذاك السوقِ للقوم يعلم
 فما شئتَ خذ منه بلا ثمنٍ له فقد أسلفَ التجارُ فيه وأسلموا
 وحيّ على يوم المزيّد الذي به زيارة ربّ العرشِ فاليومَ موسم
 وحيّ على وادٍ هنالك أفيح وترتبه من إذفر المسكِ أعظم
 منابرٌ من نورٍ هنالك وفضة ومن خالصِ العقيان لا يتقسّم
 وكثبانُ مسكٍ قد جُعِلنَ مقاعدًا..... لمن دون أصحابِ المنابرِ يُعلم
 فيبناهم في عيشهم وسرورهم وأرزاقهم تجري عليهم وتقسّم
 إذا هم بنور ساطعٍ أشرقَ له..... بأقطارها الجنّاتُ لا يتوهم
 تجلّى لهم ربُّ السمواتِ جهرةً فيضحكُ فوق العرشِ ثم يكلم
 سلامٌ عليكم يسمعون جميعهم بأذانهم تسليمه إذ يسلم
 يقلّ سلّوني ما اشتَهِيتُم فكلّما..... تُريدون عندي، إني أنا أرحم
 فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا..... فأنت الذي تُولي الجميلَ وترحم
 فيُعطيهمو هذا ويشهدُ جمعهم..... عليه تعالى الله، فالله أكرم
 فيا بائعاً هذا ببخسٍ مُعجلٍ كأنتك لا تدري، بلى سوف تعلم
 فإن كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنتَ تدري فالمصيبةُ أعظم



الفصل الثالث

صفة من يستحق دخول النار في القرآن الكريم

الكافرون

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) } سورة البقرة

وقال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) } سورة البقرة

وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) } سورة البقرة

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) كَذَّابٌ آلَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) } سورة آل عمران

وقال تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكَ مِنْكَ وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) } سورة آل عمران

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧) } سورة آل عمران

الذي لا يؤمن بالله ولا يحض على طعام المسكين

قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَهُ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكْتُ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ

(٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) { [الحاقة/٢٥-٣٧]

أَمَّا الْأَشْرَارُ الْأَشْقِيَاءُ فإِنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَحِيفَةً أَعْمَالِهِمْ فَيَتَنَاوَلُونَهَا بِشَمَائِلِهِمْ، وَحِينَئِذٍ يَرُونَ مَا فِيهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ فَيَنْدَمُونَ غَايَةَ النَّدَمِ عَلَى مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَمَنَّوْنَ أَنَّهُمْ قُذِفَ بِهِمْ فِي النَّارِ، وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَا فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْمَخَازِي وَالْأَعْمَالِ الْمُخْجَلَةِ. وَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا شَيْئًا عَنِ الْحِسَابِ الَّذِي سَيَحَاسِبُونَ بِهِ .

وَيَتَمَنَّى وَاحِدُهُمْ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَةَ الْأُولَى الَّتِي مَاتَهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ الْفَاصِلَةَ، وَلَمْ يُعِثْ مَرَّةً أُخْرَى. لَمْ يُعِنْ عَنِّي مَالِي شَيْئًا، وَلَمْ يُنَجِّنِي مَا جَمَعْتُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَنُضَارٍ، مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَا مِنْ بَأْسِهِ. وَذَهَبَ سُلْطَانِي وَجَاهِي الَّذِي كُنْتُ أَفْرُضُهُ عَلَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَبَقِيْتُ فَرْدًا ذَلِيلًا حَقِيرًا فَقِيرًا. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلزَّبَانِيَةِ - مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ - : خُذُوهُ فَاجْمَعُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِالْغُلِّ. ثُمَّ أَدْخَلُوهُ نَارَ جَهَنَّمَ لِيُصَلَّى حَرْهَا وَعَذَابُهَا، جَزَاءً لَهُ عَلَى مَا اجْتَرَحَهُ مِنْ كُفْرٍ وَأَثَامٍ. ثُمَّ أَدْخَلُوهُ فِي سِلْسِلَةٍ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا تَلْتَفَتْ حَوْلَ جَمِيعِ أَنْحَاءِ جِسْمِهِ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ حَرَاكًا وَلَا فِكَاكًا . وَافْعَلُوا ذَلِكَ كُلَّهُ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَكْفُرُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ يُشْرِكُ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ. وَكَانَ لَا يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى إِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَصْحَابِ الْحَاجَاتِ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ الْيَوْمَ هُنَا فِي الْآخِرَةِ قَرِيبًا وَدُودًا، وَلَا صَدِيقًا حَمِيمًا مُخْلِصًا، يُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْشَغِلٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِنَفْسِهِ. وَلَا يَجِدُ لَهُ طَعَامًا فِي النَّارِ إِلَّا مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الدَّمِ وَالصَّيْدِ . وَالصَّيْدُ شَيْءٌ كَرِيهُ الْمَذَاقِ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّذِينَ مَرَّتُوا عَلَى اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا .

أَكْلُوا أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا

قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) } سورة النساء

يَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِدُورٍ سَبَبٍ مَشْرُوعٍ، وَعَلَى سَبِيلِ الْهَضْمِ وَالظُّلْمِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي إِيصَالِهِمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا تَتَّحَجَّجُ.

ولقد فعلت هذه النصوص القرآنية بإيحاءاتها العنيفة العميقة فعلها في نفوس المسلمين. خلصتها من روااسب الجاهلية. هزتها هزة عنيفة ألقت عنها هذه الرواسب. وأشاعت فيها الخوف والتحرج والتقوى والحذر من المساس - أي مساس - بأموال اليتامى.. كانوا يرون فيها النار التي حدثهم الله عنها في هذه النصوص القوية العميقة الإيحاء. فعادوا يجفلون أن يمسوها ويبالغون في هذا الإحفال!

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} (٣٤) سورة الإسراء، {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا} (١٠) {سورة النساء، قَالَ: انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ، فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرَّابَهُ مِنْ شَرَّابِهِ، يَفْصِلُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ فَيَحْبِسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ، أَوْ يَفْسِدَ، فَيَرْمِي بِهِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَنَّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢٢٠) سورة البقرة، فَخَالَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَّابَهُمْ بِشَرَّابِهِمْ

٥٦٠ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ" [البقرة آية ٢٢٠]، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْزَلَ: "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا" [النساء آية ١٠] كَرِهَ الْمُسْلِمُونَ مَوَآكِلَ الْيَتَامَى وَتَحَرَّجُوا إِنْ خَالَطُوهُمْ فِي شَيْءٍ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَنَّكُمْ" [البقرة آية ٢٢٠] يَقُولُ: لَصَيِّقَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّهُ وَسَّعَ وَيَسَّرَ، فَقَالَ: "مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ" [النساء آية ٦]، يَقُولُ: يَأْكُلُ الْفَقِيرُ إِذَا وَلِيَ مَالَ الْيَتِيمِ بِقَدْرِ قِيَامِهِ عَلَى مَالِهِ وَمَنْفَعَتِهِ مَا لَمْ يُسْرِفْ. ^{٥٦١}، وَكَذَلِكَ رَفَعَ الْمَنْهَجَ الْقُرْآنِي هَذِهِ الضَّمَائِرَ إِلَى ذَلِكَ الْأَفَقِ الْوَضِئِ ؛ وَطَهَرَهَا مِنْ غَبْشِ الْجَاهِلِيَّةِ ذَلِكَ التَّطْهِيرَ الْعَجِيبَ .

كفار بني إسرائيل

قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِمَا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦) } سورة البقرة

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا

^{٥٦٠} - المستدرک للحاکم (٢٤٩٩) صحیح

^{٥٦١} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٠ / ص ٣٩٣) (١٢٨٤٥) صحیح لغيره

لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) { سورة البقرة

تعمد قتل صيد البر للمحرم

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغُلَبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٩٥) } سورة المائدة

يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى: بِأَنَّهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ (يَبْلُوهُمْ) فِي حَالَةِ إِحْرَامِهِمْ، بِأَنْ يَجْعَلَ صِغَارَ حَيَوَانَاتِ الصَّيْدِ وَضِعَافَهَا فِي مُتَنَاوَلِ أَيْدِيهِمْ، لَوْ شَاؤُوا لَتَنَاوَلُوهَا بِأَيْدِيهِمْ، كَمَا أَنَّهُ سَيَخْتَبِرُهُمْ بِجَعْلِ كِبَارِ الْحَيَوَانَاتِ فِي مُتَنَاوَلِ رِمَاحِهِمْ، تَعْرِضُ لَهُمْ، أَوْ تَغْشَاهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ مِنْهُمْ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ، وَيَمْتَنِعَ عَنِ الصَّيْدِ مَا دَامَ مُحْرِمًا فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ هَذَا التَّحْذِيرِ مِنَ اللَّهِ، وَقَتَلَ الصَّيْدَ أَوْ أَكَلَ لَحْمَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الْآخِرَةِ لِمُخَالَفَتِهِ شَرَعَ اللَّهُ .

حَرَّمَ اللَّهُ صَيْدَ الْبَرِّ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، وَنَهَى الْمُؤْمِنَ عَنْ تَنَاوُلِهِ فِيهِ، وَمَنْ قَتَلَ الصَّيْدَ مُتَعَمِّدًا، وَهُوَ مُحْرِمٌ، يَجِبُ عَلَيْهِ جَزَاءٌ مِنْ مِثْلِ الْحَيَوَانِ الَّذِي قَتَلَهُ (إِنْ كَانَ لِلْحَيَوَانِ مِثْلٌ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْأَلِفَةِ)، يَحْكُمُ بِهِ رَجُلَانِ عَادِلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (وَقَدْ حَكَمَ بَعْضُهُمْ بِنَحْرِ تَيْسٍ فِي جَزَاءٍ عَنْ قَتْلِ ظَبْيٍ)، وَعَلَى مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمِثْلِ الَّذِي سَيَذْبُحُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، لِيَكُونَ هَدْيًا لَهَا، فَيَذْبُحُ هُنَاكَ، وَيُوزَعُ لَحْمُهُ عَلَى فَقَرَاءِ أَهْلِ الْحَرَمِ. فَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْمُحْرِمُ مِثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ، أَوْ لَمْ يَكُنِ الصَّيْدُ الْمَقْتُولُ مِنْ ذَوَاتِ الْأَمْثَالِ فَيُخَيَّرُ الْمُحْرِمُ بَيْنَ أُمُورٍ:

أ - أَنْ يَقُومَ الصَّيْدَ الْمَقْتُولَ، وَيُقِيمَ مِثْلَهُ مِنَ النَّعْمِ، لَوْ كَانَ مَوْجُودًا، فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَمَّ فِيهِ الصَّيْدُ، أَوْ فِي أَقْرَبِ مَكَانٍ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَشْتَرِي الْمُحْرِمُ الْمُخَالَفَ بِشَمَنِهِ طَعَامًا فَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى فَقَرَاءِ الْحَرَمِ .

ب - أَوْ يُطْعِمَ مَسَاكِينَ. وَيَخْتَلِفُ عَدَدُهُمْ بِحَسَبِ أَهْمِيَّةِ الصَّيْدِ الْمَقْتُولِ: فَقِيلَ إِنْ مَنْ قَتَلَ ظَبْيًا فَعَلَيْهِ ذَبْحُ شَاةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَإِذَا قَتَلَ نَعَامَةً أَوْ حِمَارًا وَحَشٍ، فَعَلَيْهِ ذَبْحُ بَدَنَةٍ (نَاقَةٍ أَوْ بَعِيرٍ)، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَطْعَمَ ثَلَاثِينَ مِسْكِينًا. ج - وَإِذَا لَمْ يَجِدْ مَا يُطْعِمُ بِهِ الْمَسَاكِينَ صَامَ أَيَّامًا عَنْ ذَلِكَ .

وَتَرَاوَحُ مُدَّةُ الصَّوْمِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فِي قَتْلِ ظَنِيٍّ، إِلَى ثَلَاثِينَ يَوْمًا، فِي قَتْلِ نَعَامَةٍ أَوْ حِمَارٍ وَحَشٍّ. (يَصُومُ يَوْمًا عَنْ إِطْعَامِ كُلِّ مِسْكِينٍ) .

وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ أَوْجَبَ الْكَفَّارَةَ لِيَذُوقَ الْمُتَجَاوِزُ الْعُقُوبَةَ عَنِ الْفِعْلِ الَّذِي ارْتَكَبَ فِيهِ الْمَخَالَفَةَ (وَبَالَ أَمْرِهِ) .

وَقَدْ أَلْحَقَتِ السُّنَّةُ قَتْلَ الصَّيْدِ حَطًّا بِقَتْلِهِ عَمْدًا، فِي وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ. وَلَكِنْ دُونَ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْمُخْطِئِ إِثْمٌ .

وَقَدْ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا سَلَفَ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ فِي حَالَةِ الْإِحْرَامِ، الَّذِي تَمَّ قَبْلَ هَذَا التَّحْرِيمِ، وَقَبْلَ بُلُوغِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ لِلنَّاسِ. وَمَنْ عَادَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَى فِعْلِ ذَلِكَ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ مُنِيعُ الْجَانِبِ. قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِمَّنْ عَصَاهُ .

اتخاذ أولياء من دون الله

قال تعالى: {قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) } سورة الأنعام قُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَطْلُبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا فِعْلًا وَلَا مَنَعًا، وَلَا أَتَّخِذُ غَيْرَهُ تَعَالَى وَلِيًّا لِي، فَهُوَ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَخَالِقُهُمَا وَمُبدِعُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ .

وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُ الْعِبَادَ الطَّعَامَ، وَلَيْسَ هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَرْزُقُهُ وَيُطْعِمُهُ، لِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَقُلْ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ اسْتَبَانَ لَهُمُ الْأَدْلَةُ عَلَى وُجُوبِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ: لَقَدْ أَمَرَنِي رَبِّي، جَلَّ شَأْنُهُ وَعَلَا، أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، وَأَنْقَادَ لِأَمْرِهِ، مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ الَّتِي بُعِثْتُ فِيهَا، فَلَا أَدْعُو إِلَى شَيْءٍ إِلَّا كُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَقَدْ أَمَرَنِي رَبِّي بِالْأَكُونِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ لِيُقَرَّبُوهُمْ إِلَيْهِ زُلْفَى .

وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَعْصِي رَبِّي لِأَنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ أَوْامِرَهُ أَنْ يَمَسَّنِيَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ لَا تَنْفَعُ فِيهِ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. وَمَنْ يُحَوَّلْ عَنْهُ الْعَذَابُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ (يُصْرِفُ عَنْهُ)، فَيَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ رَحِمَهُ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ النِّجَاةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعَذَابِ، ثُمَّ دُخُولِ الْجَنَّةِ، هُمَا الْفَوْزُ الَّذِي لَا فَوْزَ أَعْظَمُ مِنْهُ .

من ابتغى غير الإسلام ديناً

قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١) { سورة آل عمران

مَنْ ابْتَغَى دِينًا لَا يَقُودُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ الْكَامِلِ لِلَّهِ، وَالْخُضُوعِ التَّامِّ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ هَذَا الدِّينُ، وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ سَلَكَ طَرِيقًا غَيْرَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ. وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ: " مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ .

أَسْلَمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالشِّرْكِ، ثُمَّ نَدِمَ فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ أَنْ اسْأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا فَعَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ .

فَالَّذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ هُدَاهُ، وَقَامَتَ لَدَيْهِمُ الْبَرَاهِينُ عَلَى صِدْقِهِ، وَصَدَّقَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ، كَيْفَ يَسْتَحِقُّونَ الْهُدَايَةَ؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ، الْجَانِينَ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُمْ تَنَكَّبُوا عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَتَرَكُوا هِدَايَةَ الْعَقْلِ، بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ نُورُ التَّوْبَةِ، وَعَرَفُوهُ بِالْبَيِّنَاتِ . وَهَؤُلَاءِ يَسْتَحِقُّونَ سَخَطَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ، وَسَخَطَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ جَمِيعًا، إِذْ أَنَّهُمْ مَتَى عَرَفُوا حَقِيقَةَ حَالِهِمْ لَعَنُوهُمْ .

وَمَنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ جَزَاؤُهُمُ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، وَيَتَقَوَّنَ خَالِدِينَ فِي اللَّعْنَةِ وَالْعَذَابِ مَسْخُوطًا عَلَيْهِمْ إِلَى الْأَبَدِ. وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَا يُخَفَّفُ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُمَهَّلُونَ لِمَعْدَرَةٍ يَتَعَدَّرُونَ بِهَا .

وَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَاسْتَشْنَى، اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حُكْمِ الْمُرْتَدِّينَ، الَّذِينَ تَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَتَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَتَرَكُوا الْكُفْرَ الَّذِي دَسُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، نَادِمِينَ عَلَى مَا أَصَابُوا مِنْهُ، وَأَصْلَحُوا أَنْفُسَهُمْ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

وَقَبُولُ التَّوْبَةِ مُنَوِّطٌ بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى الْإِيمَانِ، فَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَيَزْدَادُونَ فِي كُفْرِهِمْ طُعْيَانًا وَفَسَادًا، وَإِيذَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْتَمِرُّونَ فِي ذَلِكَ حَتَّى مَمَاتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَقْبَلَ التَّوْبَةَ الَّتِي يُحْدِثُونَهَا وَقَتَ الْمَوْتِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ تَوْبَةً خَالِصَةً، وَهَؤُلَاءِ هُمُ أَهْلُ الضَّلَالَةِ .

المتشبعون بما لم يعطوا

قال تعالى: { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنْهُمْ بِمَقَارَةِ مَنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (١٨٨) سورة آل عمران

يُنَبِّئُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ إِلَى حَالٍ آخَرَ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا مِنَ التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ لِلْكِتَابِ، وَيَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ شَرَفًا وَفَضْلًا بِأَنَّهُمْ أَثِمَّةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ. وَكَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِأَنَّهُمْ حُفَاطُ الْكِتَابِ وَمُفَسِّرُوهُ.

وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا فَعَلُوا نَقِيضَهُ، إِذْ حَوَّلُوهُ مِنَ الْهِدَايَةِ إِلَى مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَ الْحُكَّامِ وَالْعَامَّةِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - كَانُوا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ - إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ وَفَرَحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ - اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا وَأَحْبُوا أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَتَزَلَّتْ { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (١٨٨) سورة آل عمران ٥٦٢.

وَعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ اذْهَبْ يَا رَافِعُ - لِبَوَائِهِ - إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ لَنَنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى وَأَحَبَّ أَنْ يُحَمَّدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذِّبًا لِنُعَذِّبَنَّ أَجْمَعُونَ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةُ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ. ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ } (١٨٧) سورة آل عمران، هَذِهِ الْآيَةُ وَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (١٨٨) سورة آل عمران، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ - عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنَّ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ وَفَرَحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِيَّاهُ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ. ٥٦٣

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لَيَسْأَلُنَا نَاجِحِينَ مِنَ الْعَذَابِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا.

عدم قبول التوبة عند الموت واليأس من الحياة

قَالَ تَعَالَى: { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } (١٧) وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) {

سورة النساء

٥٦٢ - صحيح مسلم (٧٢١٠)

٥٦٣ - صحيح مسلم (٧٢١١)

إِنَّ التَّوْبَةَ الَّتِي أَوْحَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ قُبُولُهَا بِوَعْدِهِ كَرَمًا مِنْهُ وَتَفَضُّلاً، لَيْسَتْ إِلَّا لِمَنْ يَجْتَزِحَ السَّيِّئَاتِ بِجَهَالَةٍ تُلَابِسُ النَّفْسَ مِنْ ثَوْرَةِ غَضَبٍ، أَوْ تَغْلِبُ شَهْوَةً، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْدَمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، وَيُنِيبُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَتُوبُ وَيُقْلِعَ عَنْهَا. فَأُولَئِكَ الَّذِينَ فَعَلُوا الذُّنُوبَ بِجَهَالَةٍ وَتَابُوا بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ، يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ الذُّنُوبَ لَمْ تَتَرَسَّخْ فِي نُفُوسِهِمْ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ .
وَاللَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِضَعْفِ عِبَادِهِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْلَمُونَ مِنْ عَمَلِ السُّوءِ، فَشَرَعَ بِحِكْمَتِهِ قَبُولَ التَّوْبَةِ، فَفَتَحَ لَهُمْ بَابَ الْفَضِيلَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى مَحْوِ السَّيِّئَةِ .

أَمَّا الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّيِّئَاتِ، وَيَسْتَمِرُّونَ فِي فِعْلِهَا وَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَيْهَا، وَلَا يَتُوبُونَ حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِمْ، أَيْ حَتَّى يَحْضُرَهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَيَقُولُونَ: تُبْنَا الْآنَ، وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ، فَهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ يَتَوَعَّدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْمَوْجِعِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ. (وَجَعَلَ اللَّهُ تَوْبَةَ النَّاسِ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ) .

الذين ييخلون ويأمرون الناس بالبخل

قال تعالى: {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)} سورة النساء
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُخْتَالِينَ الْفُخُورِينَ، وَهُنَا يَصِفُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُخْتَالِينَ الْفُخُورِينَ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ أَنْ يُنْفِقُوهَا فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، مِنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَالْجَارِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَا مَلَكَتِ الْأَيْمَانُ مِنَ الْأَرْقَاءِ، وَلَا يُؤَدُّونَ حَقَّ اللَّهِ، وَلَا يَكْتَفُونَ بِالتَّكْبِيرِ وَالْبُخْلِ، وَإِنَّمَا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ أَيْضًا
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الشُّحُّ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ، فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ، فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ، فَبَخِلُوا .. ٥٦٤ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يُلْغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ هُوَ الظُّلُمَاتُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَالْمُتَفَحِّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ قَدْ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ.^{٥٦٥}

وَعَنْ الْهَرَمَاسِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى نَاقَتِهِ، يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَالْخِيَانَةَ، فَإِنَّهَا بَسَتْ الْبَطَانَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّهُ ظَلَمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الشُّحُّ فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ.^{٥٦٦}

وَالْبَحِيلُ جَحُودٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ فَلَا تَظْهَرُ عَلَيْهِ، وَلَا تَبِينُ فِي مَأْكَلِهِ، وَلَا فِي مَلْبَسِهِ، فَهُوَ كَاتِمٌ لِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، كَافِرٌ بِنِعْمَتِهِ، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ بِنِعْمِهِ عَذَابًا مُهِينًا .

وَيَشْمَلُ الْبُخْلُ الْمَقْصُودُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْبُخْلُ بِلَيْنِ الْكَلَامِ، وَالتُّصَحُّ فِي التَّعْلِيمِ، وَإِنْقَازَ الْمُشْرِفِ عَلَى التَّهْلُكَةِ .

لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْبُخْلَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَهُنَا يَذْكُرُ تَعَالَى الْبَازِلِينَ الْمَرَاتِينَ، الَّذِينَ يَقْصِدُونَ بِإِعْطَائِهِمْ أَنْ يَذْكُرُوا بِحُسْنِ السَّمْعَةِ، وَأَنْ يَمْدَحُوا بِالكَرَمِ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يُرِيدُونَ مِنْ إِنْفَاقِهِمْ وَجْهَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمُ الشَّيْطَانُ عَلَى صَنِيعِهِمُ الْقَبِيحِ هَذَا، وَحَسَنَ لَهُمُ الْقَبَائِحُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا، أَيُّ سَاءَ الشَّيْطَانُ رَفِيقًا لَهُؤْلَاءِ الْمَرَاتِينَ .

تَبَّأَ لَهُؤْلَاءِ! فَمَا الَّذِي كَانَ يُصِيبُهُمْ مِنَ الضَّرَرِ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ إِيْمَانًا صَاحِحًا مُخْلِصًا، وَسَلَكُوا سَبِيلَ الْهُدَى، وَعَدَلُوا عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّنَافُكِ إِلَى الْإِخْلَاصِ فِي الْاعْتِقَادِ بِأَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ لِيُوفِّيَهُمْ حِسَابَهُمْ، ثُمَّ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يُحِبُّهَا وَيَرْضَاهَا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِنِيَّاتِهِمْ، مَا صَلَحَ مِنْهَا وَمَا فَسَدَ، وَعَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّوْفِيقَ مِنْهُمْ فَيُوفِّقُهُ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكْتَفِيَ بِعِلْمِ اللَّهِ فِي إِنْفَاقِهِ، وَلَا يُبَالِي بِعِلْمِ النَّاسِ .

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ سَوْفَ يُوفِّيهِمْ أَجُورَ أَعْمَالِهِمْ كَامِلَةً، وَلَا يَظْلُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ مِثْقَالَ (أَيْ ثِقَل) حَبَّةٍ خَرْدَلٍ، وَلَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنَّمَا يُوفِّي كُلَّ عَامِلٍ عَمَلَهُ، وَيُضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ لِفَاعِلِيهَا، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَيُؤْتِي مَنْ لَدُنْهُ الْجَنَّةُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ .

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَّةِ أَمْرِهِ، فَإِذَا كَانَ لَا يَضِيعُ مِنْ عَمَلِ الْعَامِلِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فَكَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ وَالْحَالُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ، وَيَجِيءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ عَلَيْهَا (هُوَ نَبِيِّهَا)، وَيَأْتِي بِمُحَمَّدٍ شَهِيدًا عَلَى قَوْمِهِ (هَؤُلَاءِ) ؟ وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ هِيَ عَرْضُ أَعْمَالِ الْأُمَمِ

^{٥٦٥} - صحيح ابن حبان - (ج ١٤ / ص ١٤١) (٦٢٤٨) صحيح

^{٥٦٦} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٦ / ص ٧٦) (١٧٩٨٥) حسن لغيره

عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَمُقَابَلَةُ عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ بِعَقَائِدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، فَمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ أَنَّهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، وَمَا أَمَرَ النَّاسُ بِالْعَمَلِ بِهِ فَهُوَ نَاجٍ، وَمَنْ تَبَرَّأَ مِنْهُ الْأَنْبِيَاءُ فَهُوَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَمَنَّى الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَعَصَوْا رَسُولَهُ، لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ انْشَقَّتْ وَابْتَلَعَتْهُمْ مِمَّا يَرُونَ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، وَمِمَّا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْفَضِيحَةِ وَالتَّوْبِيخِ. فَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ فِي بَقِيعٍ وَاحِدٍ، فَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا إِلَّا مِمَّنْ وَحْدَهُ، فَتَعَالَوْا نَجْحَدْ. فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. فَيَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَيَسْتَنْطِقُ جَوَارِحَهُمْ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، فَعِنْدَئِذٍ يَتَمَنَّوْنَ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ سُوِّيتَ بِهِمْ، وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا .

مانعو بناء المساجد

قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١١٤) سورة البقرة

يُشِيرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى مَا وَقَعَ مِنَ الْقَاتِدِ الرُّومَانِيِّ الَّذِي هَاجَمَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ بَعْدَ مِيلَادِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَنَحُو سَبْعِينَ سَنَةً، بِتَحْرِيزٍ مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ هَرَبُوا إِلَى رُومًا تَخَلُّصًا مِنْ ظُلْمِ الْيَهُودِ وَطُغْيَانِهِمْ وَمُؤَامَرَاتِهِمْ، فَدَخَلَ الْقُدْسَ وَخَرَّبَهَا، وَخَرَّبَ الْهَيْكَلَ وَدُورَ الْعِبَادَةِ، وَأَحْرَقَ التَّوْرَةَ. وَكَانَ الْمَسِيحُ قَدْ أَنْذَرَ الْيَهُودَ بِذَلِكَ .

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُعَرِّضُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى مَسَاجِدِ اللَّهِ وَبُيُوتِهِ، لِيَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالصَّلَاةِ، وَيَسْعَوْنَ فِي خَرَابِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ الظَّالِمُونَ، وَلَا أَحَدٌ أَكْثَرُ مِنْهُمْ ظُلْمًا. وَيَجِبُ أَنْ لَا يَدْخُلَ هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ - إِذَا قَدَّرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ - إِلَّا وَهُمْ أَذَلَّةٌ يَدْفَعُونَ الْجِزْيَةَ، أَوْ فِي ظُلٍّ هَدَنَةٍ يَعْقِدُونَهَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدْخُلُونَ الْمَسَاجِدَ وَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ أَنْ يَنْطِشَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ. وَهَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ قَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ خِزْيًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَأَنَّ سَلْطَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ، وَأَظْفَرَهُمْ بِهِمْ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا عَظِيمًا جَزَاءَ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ .

المكذبون بآيات الله

قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٣٩) سورة البقرة

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢) } سورة آل عمران

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا } (٥٦) سورة النساء

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا } (٥٦) سورة النساء

وقال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَسُبُّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) } سورة الأنعام

وقال تعالى: { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُكُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩) } سورة الأنعام

وقال تعالى: { وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨) } سورة الأنعام

وقال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ

وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) { سورة الأعراف

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) } سورة يونس
وقال تعالى: { وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧) } { سورة يونس

وقال تعالى: { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) } سورة الكهف

من يشتري لهو الحديث ليصد عن سبيل الله

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَ آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ آيَةٍ } [لقمان/٦، ٧]

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ السُّعْدَاءِ الَّذِينَ يَهْتَدُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَيَتَنَفَّعُونَ بِسَمَاعِهَا، نَبَّيْ بِذِكْرِ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِكَلَامِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى مَا لَا فَايِدَةَ مِنْهُ يَتَلَهَّوْنَ بِهِ مِنْ لَعْوِ الْحَدِيثِ، لِيُضِلُّوا النَّاسَ عَنِ السَّبِيلِ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى اللَّهِ. وَهَؤُلَاءِ يُجَازِيهِمُ اللَّهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِالْعَذَابِ الْمُخْزِي الْمُهِينِ.

إيثار اتباع الآباء والأجداد على الدين

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا

أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) { لقمان/٢٠، ٢١ }

أَلَمْ تَرَوْا يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ، وَكَوَاكِبَ تَسْتَضِيُّونَ بِهَا لَيْلًا وَنَهَارًا، وَتَهْتَدُونَ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمِنْ سَحَابٍ يَتَرَلُّ مِنْهُ الْمَطَرُ لِتَنْبُتَ الْأَرْضُ بِالْخَضِرَةِ وَالنَّمَارِ، وَلِيَشْرَبَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ وَالْأَنْعَامُ وَالْمَخْلُوقَاتُ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ نَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ وَمَعَادِنٍ، لِتَنْتَفِعُوا بِهِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا لَكُمْ عَيَانًا، وَمَا بَطَنَ مِنْهَا، مِمَّا يَسْتُرُهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ مِنْ سَيِّئِ عَمَلِهِ، وَمِمَّا يَسْتَشْعِرُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ حُسْنِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ، فَإِنَّ هُنَاكَ أَنَاثًا يُجَادِلُونَ فِي وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، (كَالْنَّضِرِ بْنِ الْحَارِثِ وَأُبَيِّ بْنِ خَلْفٍ..) بِدُونِ عِلْمٍ، وَلَا مَعْرِفَةٍ فِيمَا يَقُولُونَ، وَبِدُونِ أَنْ يَسْتَنْدُوا إِلَىٰ كِتَابٍ مَأْتُورٍ، أَوْ حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ .

وهؤلاء الذين يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَا كِتَابٍ، لَا مَطْمَعَ فِي هِدَايَتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ شَرْعٍ وَهُدًى قَالُوا: إِنَّهُمْ يُفَضِّلُونَ اتِّبَاعَ مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ مِنْ دِينٍ، لِأَنَّ آبَاءَهُمْ، وَأَسْلَافَهُمْ لَا يَقْعُونَ جَمِيعًا فِي الْخَطَا. وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ قَائِلًا: أَتَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمْ وَأَسْلَافَهُمْ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانُوا عَلَىٰ خَطَاٍ وَضَلَالٍ فِيمَا يَعْبُدُونَ؟ وَحَتَّىٰ وَلَوْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ مَا زَيَّنَتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ؟ وَمَنْ اتَّبَعَ الشَّيْطَانَ أَوْصَلَهُ إِلَىٰ نَارٍ جَهَنَّمَ وَسَعِيرَهَا .

الذين جاءوا بالإفك

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [النور/ ١١]

إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة منتسبون إليكم - معشر المسلمين - لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم، بل هو خير لكم، لما تضمن ذلك من تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، وتمحيص المؤمنين. لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب، والذي تحمّل معظمه، وهو عبد الله بن أبيّ ابن سلول كبير المنافقين - لعنه الله - له عذاب عظيم في الآخرة، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار. ^{٥٦٧}

المروجون للفواحش بين المسلمين

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النور/ ١٩]

^{٥٦٧} - التفسير الميسر - (ج ٦ / ص ٢١٥)

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ، وَبِخَاصَّةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَجَرَّوْنَ عَلَى رَمِي نَبْتِ النُّبُوَّةِ الْكَرِيمِ، إِنَّمَا يَعْمَلُونَ عَلَى زَعَزَعَةِ ثَقَّةِ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ بِالْخَيْرِ وَالْعِفَّةِ، وَعَلَى إِزَالَةِ التَّحَرُّجِ مِنْ ارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ، وَذَلِكَ، عَنْ طَرِيقِ الْإِيحَاءِ بِأَنَّ الْفَاحِشَةَ شَائِعَةٌ فِيهَا، وَبِذَلِكَ تَشْيَعُ الْفَاحِشَةُ فِي النُّفُوسِ، ثُمَّ تَشْيَعُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْوَاقِعِ، فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ: فِي الدُّنْيَا بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ، وَاللَّعْنِ وَالذَّمِّ مِنَ النَّاسِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِعَذَابِ النَّارِ. وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرَى الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ؟ فَارْذُوا الْأُمُورَ إِلَى اللَّهِ تَرْشُدُوا، وَلَا تَرُوءُوا مَا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ .

قوم نوح عليه السلام

قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أَتُبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَانْتَبِهْ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)}

{سورة الأعراف

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، شَرَعَ فِي سَرْدِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ، فَابْتَدَأَ بِنُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ آدَمَ .

وَقَدْ لَاقَى نُوحٌ مِنْ قَوْمِهِ عَنَاءً وَعَنْتًا، فَوَجَدَ قَوْمَهُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَاءٍ، مِثْلَ وَدٍّ وَسَوَاعٍ وَيَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرٍ... فَبَعَثَ اللَّهُ نُوحًا فَأَمَرَ قَوْمَهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَحَذَرَهُمْ مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) . فَقَالَ جُمُهورُ السَّادَةِ وَالْكَبرَاءِ (الْمَلَأُ) مِنْ قَوْمِ نُوحٍ: إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ فِي دَعْوَتِكَ إِنَّا نَا إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَعْبُدُونَهَا. فَقَالَ لَهُمْ نُوحٌ: إِنِّي لَسْتُ ضَالًّا، وَلَمْ أَخْرُجْ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي دَعْوِي لَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ وَمَالِكِهِ . وَأَنَا أَتَوَلَّى إِبْلَاجَكُمْ مَا أُرْسَلَنِي بِهِ اللَّهُ إِلَيْكُمْ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَأَتَوَلَّى نُصْحَكُمْ وَتَوْجِيهَكُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَإِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ، لِأَنِّي مُرْسَلٌ مِنْ قِبَلِهِ إِلَيْكُمْ .

قَالَ لَهُمْ نُوحٌ: أَعْجِبْتُمْ وَكَذَّبْتُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْبَشَرِ (مِنْكُمْ)، وَأُرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا لِيَدْعُوَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُحَذِّرَكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ إِنْ أَصْرَرْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، لَعَلَّ هَذَا الْإِنذَارَ يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَّقُوا مَا يُسْخِطُ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ، مِنَ الشِّرْكِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بِالتَّقْوَى لِلْفَوْزِ بِرَحْمَتِهِ الَّتِي تُرْجَى لِكُلِّ مَنْ أَحَابَ الدَّعْوَةَ . فَكَذَّبَهُ جُمُهورُهُمْ، وَأَصْرَرُوا عَلَى ذَلِكَ وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا

مَعَهُ، إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ، فَأَنْجَى اللَّهُ نُوحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ (الْفُلْكِ)، وَأَغْرَقَ بِالطُّوفَانِ الَّذِينَ كَذَّبُوا نُوحًا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَبَرَاهِينِهِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ، فَقَدْ كَانَ الَّذِينَ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالطُّوفَانِ، قَوْمًا عَمِينَ عَنِ الْحَقِّ، لَا يُبْصِرُونَ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ، فَتَنَصَّرَ اللَّهُ رَسُولُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ

قوم هود عليه السلام

قال تعالى: { وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَضِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) } سورة الأعراف

وَكَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، كَذَلِكَ أَرْسَلَ هُودًا إِلَى قَوْمِهِ عَادٍ، وَهُوَ مِنْهُمْ، يَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُ لُغَتَهُمْ وَتَفَكِيرَهُمْ لِيَسْتَطِيعَ مُحَاطَبَتَهُمْ. وَكَانَ قَوْمُ عَادٍ ذَوِي بَأْسٍ شَدِيدٍ وَقُوَّةٍ، وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ فِي الْأَحْقَافِ فِي جَنُوبِ الْحَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ تَكْذِيبًا لِلْحَقِّ، اعْتَدَادًا مِنْهُمْ بِقُوَّتِهِمْ، وَشِدَّةَ بَأْسِهِمْ. فَدَعَاهُمْ هُودٌ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَحَذَرَهُمْ مِنْ نِقْمِهِ إِنْ أَصْرُوا عَلَى فِعْلِ مَا يُسْخِطُ اللَّهَ مِنْ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَهَا .

قَالَ جُمُهُورُ السَّادَةِ مِنْ قَوْمِهِ (الْمَلَأُ) : إِنَّا نَرَاكَ فِي ضَلَالٍ وَفَسَادٍ رَأْيٍ (فِي سَفَاهَةٍ)، إِذْ تَدْعُونَا إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّا نَظُنُّ أَنَّكَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاكَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا .

فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَسْتُ سَفِيهًا ضَالًّا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَلَا ضَعِيفَ الرَّأْيِ، كَمَا تَزْعُمُونَ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى مِنَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ وَمَالِكُهُ .

وَمَهْمَّتِي هِيَ مَهْمَّةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلِي وَهِيَ إِبْلَاجُ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَإِسْدَاءُ النَّصِيحِ إِلَيْهِمْ، وَأَنَا صَادِقٌ فِي نُصْحِي لَكُمْ، أَمِينٌ فِي إِبْلَاجِكُمْ مَا أَمَرَنِي رَبِّي بِإِبْلَاجِهِ إِلَيْكُمْ .

أَعَجِبْتُمْ وَكَذَّبْتُمْ أَنْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ (مِنْكُمْ) يُوحِي إِلَيْهِ لِيَدْعُوَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُنذِرَكُمْ وَيُخَوِّفَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، إِنْ أَصْرَرْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ كَلَّا لَا تَعْجَبُوا مِنْ ذَلِكَ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ لُطْفٌ مِنْهُ بِكُمْ، وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ، الَّذِي أَهْلَكَ اللَّهُ النَّاسَ بِدَعْوَتِهِ لَمَّا خَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ .

وَقَدْ أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ فَرَادَ فِي أَجْسَامِكُمْ بَسْطَةً طَوِيلًا وَقُوَّةً، فَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ هَذِهِ، وَاشْكُرُوهُ عَلَيْهَا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَحُسْنِ الْعِبَادَةِ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فِي النِّجَاةِ مِنْ نَقْمَتِهِ تَعَالَى، وَتَفُوزُونَ فِي اكْتِسَابِ مَرْضَاتِهِ .

فَتَكَبَّرُوا وَطَعُوا، وَزَادُوا فِي عِنَادِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَقَالُوا لِهُودٍ: أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَتَخَلَّى عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُنَا، فَهَذَا لَنْ يَكُونَ أَبَدًا. وَإِذَا كُنْتَ صَادِقًا بِأَنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ، فَأَتْنَا بِمَا حَذَرْتَنَا مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ بِرَبِّكَ.

قَالَ لَهُمْ هُودٌ: لَقَدْ حَقَّ عَلَيْكُمْ، بِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ، سَخَطٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَغَضَبٌ (رِجْسٌ)، أَتَجَادِلُونَنِي فِي هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ آلِهَةً، وَجَعَلْتُمْ لَهَا أَسْمَاءً، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَيْسَ لَكُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَا دَلِيلٌ يُبَيِّنُ عِبَادَتَكُمْ لَهَا، أَوْ يُصَدِّقُ زَعْمَكُمْ بِأَنَّهُ رَضِيَ بِأَنْ تَكُونَ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ. وَمَا دُئِمْتُمْ قَدْ قُلْتُمْ مَا قُلْتُمْ مِنْ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، فَانْتَظِرُوا عِقَابَ اللَّهِ وَقَضَاءَهُ. وَأَنَا مُنْتَظِرٌ مَعَكُمْ نَزُولَهُ بِكُمْ .

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ سَاقَ اللَّهُ إِلَى عَادِ السَّحَابِ الَّذِي يَحْمِلُ إِلَيْهِمُ الْعَذَابَ، وَأَنْجَى رَسُولُهُ هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَلُطْفٍ، وَدَمَّرَ الْكَافِرِينَ جَمِيعًا، مِنْ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا، لَا تَنْتَهُمُ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمُ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ.

قوم النبي صالح عليه السلام

قال تعالى: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ (٧٣) وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْمَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) } سورة الأعراف

كَانَتْ دِيَارُ قَبِيلَةِ ثَمُودَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ، فِي مَدَائِنٍ صَالِحٍ، بَيْنَ ثُبُوكَ وَالْمَدِينَةِ. وَلَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ صَالِحًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مِنْهُمْ (أَخَاهُمْ)، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَهُ جَمِيعُ الرُّسُلِ لِأَقْوَامِهِمْ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِبُرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ عَلَى صِدْقِ قَوْلِي لَكُمْ إِنَّنِي رَسُولُ اللَّهِ، وَعَلَى صِحَّةِ دَعْوَتِي، فَقَدْ طَلَبْتُمْ مِنِّي بُرْهَانًا عَلَى صِدْقِ نُبُوتِي، أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءَ عَيْنْتُمُوهَا لِي بِذَاتِهَا، نَاقَةً عَشْرَاءَ فَدَعَوْتُ اللَّهَ فَاسْتَجَابَ لِي، وَأَخْرَجَ لَكُمْ النَّاقَةَ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ كَيْفَ تَخْرُجُ، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكُمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ لَتُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ إِنْ حَقَّقَ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ مَا سَأَلْتُمْ، فَأَمِنُوا بِاللَّهِ كَمَا وَعَدْتُمُونِي، وَذَرُوا النَّاقَةَ تَسْرَحُ فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَتَأْكُلُ مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهَا بِسُوءٍ فِي نَفْسِهَا وَلَا فِي أَكْلِهَا، وَأَنَا أُحَذِّرُكُمْ بَأْنِكُمْ إِذَا اعْتَدَيْتُمْ عَلَيْهَا، وَمَسَسْتُمُوهَا بِسُوءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُصِيبُكُمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ الْإِيلَامِ (وَكَانَتْ النَّاقَةُ تَسْرَحُ فِي الْأَرْضِ، وَتَشْرَبُ مَاءَ الْبَيْرِ يَوْمًا وَتَتْرُكُهُ لِقَوْمِ ثَمُودَ يَوْمًا) .

وَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ اسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ عَادٍ، وَمَكَّنَكُمْ فِي الْأَرْضِ، تَبْنُونَ الْقُصُورَ فِي سُهُولِهَا، وَتَنْحِتُونَ الْبُيُوتَ فِي جِبَالِهَا، فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى أَنْعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ وَذَلِكَ بِتَوْحِيدِهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَلَا تَتَصَرَّفُوا فِي الْأَرْضِ تَصَرَّفَ كُفْرَانٍ وَجُحُودٍ بِفِعْلٍ لَا يُرْضِي اللَّهَ .
وَقَالَ رُؤُوسُ الْكُفْرِ، مُتَهَكِّمِينَ سَاخِرِينَ، لِلضُّعَفَاءِ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى صَالِحٍ: أَتَنْظُرُونَ أَنْ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ حَقِيقَةً؟ فَرَدَّ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْتَضْعَفُونَ قَاتِلِينَ: إِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ صَالِحٌ مِنْ رَبِّهِمْ .

فَرَدَّ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَاتِلِينَ: إِنَّهُمْ كَافِرُونَ جَا حِدُونَ بِالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ صَالِحٌ مِنْ رَبِّهِ .

فَقَامَ تِسْعَةُ رَهْطٍ (أَفْرَادٍ) مِنْ كِبَرَاءِ ثَمُودَ، بِاسْتِمَالَةِ قَوْمِهِمْ لِمُوَافَقَتِهِمْ عَلَى نَحْرِ النَّاقَةِ (عَقْرِهَا)، وَالتَّلَاحُصِ مِنْهَا، فَعَقَرُوهَا اسْتِخْفَافًا بِصَالِحٍ، وَنَاقَتِهِ، وَتَحْذِيرَهُ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، وَتَمَرَّدُوا وَتَجَبَّرُوا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ الَّذِي أُنْبِئَهُمْ إِيَّاهُ صَالِحٌ (عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ)، وَقَالُوا لِصَالِحٍ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا بِأَنَّكَ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّكَ، وَأَنَّكَ تُنذِرُنَا بِعَذَابٍ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ فَاتِنًا بِهِذَا الْعَذَابِ .

فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: لَقَدْ حَقَّ عَلَيْكُمْ غَضَبُ اللَّهِ، فَتَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَأْتِيكُمْ بَعْدَهَا عَذَابُ اللَّهِ، فَأَرَادَ الْمُجْرِمُونَ قَتْلَ صَالِحٍ، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ صَادِقًا نَكُنْ قَدْ عَجَلْنَا بِهِ قَبْلَنَا، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا نَكُنْ قَدْ أَلْحَقْنَاهُ بِنَاقَتِهِ، وَتَأَمَّرُوا عَلَى أَنْ يَقْتُلُوهُ وَيَقُولُوا لِأَهْلِهِ: إِنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا مَصْرَعَهُ، وَيَحْلِفُوا عَلَى ذَلِكَ، لِدَفْعِ الْمَسْئُولِيَّةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَلَمَّا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ لَيْلًا أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً أَهْلَكَتْهُمْ جَمِيعًا، وَذَلِكَ قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ بِقَوْمِهِمْ .

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ اسْتَعَدُّوا لِلْهَلَاكِ، وَجَلَسُوا فِي بُيُوتِهِمْ لَا يَدْرُونَ مَا يَكُونُ هَذَا الْعَذَابُ، وَلَا مَتَى يَأْتِيهِمْ. فَلَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَرَحْفَةٌ فِي الْأَرْضِ فَفَاضَتْ

أَرْوَاحُهُمْ، وَزَهَقَتْ نُفُوسُهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَصْبَحُوا صَرَغَى فِي دِيَارِهِمْ لَا أَرْوَاحَ فِيهِمْ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ. وَنَجَّى اللَّهُ صَالِحًا وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ .
فَقَالَ صَالِحٌ، بَعْدَ أَنْ هَلَكَ قَوْمُهُ، تَقْرِيعًا لَهُمْ وَتَوْبِيخًا: لَقَدْ أَلْبَعْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَلَمْ تَسْتَمِعُوا إِلَيَّ، وَلَمْ تَتَّبِعُونِي، لِأَنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ مَنْ يَنْصَحُكُمْ، وَيَدْعُوكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ .
(وَقِيلَ: إِنَّ صَالِحًا قَالَ لِقَوْمِهِ هَذَا الْقَوْلُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمُ الْعَذَابُ) .

قوم النبي لوط عليه السلام

قال تعالى: { وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) } سورة الأعراف
وَأَذْكُرُ لُوطًا إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى قَوْمِهِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَإِلَى تَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ، إِلَى الْإِثْيَانِ بِهَا، أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَبْلَهُمْ، لِمُخَالَفَتِهَا لِمُقْتَضَيَاتِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ .
فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ عَدَلْتُمْ عَنِ الْاسْتِمْتَاعِ بِالنِّسَاءِ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ وَسِيلَةً لاسْتِمْرَارِ النَّسْلِ، وَحِفْظِ النَّوعِ، إِلَى الْاسْتِمْتَاعِ بِالذِّكُورِ لَا تَبْتَغُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِلَّا قُضَاءَ الْوَطَرِ وَالشَّهْوَةِ، وَالْمُتَعَةَ الْآثِمَةَ، وَهَذَا إِسْرَافٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ، وَتَجَاوُزٌ لِلْحُدُودِ، لِأَنَّهُ وَضَعَ لِلشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ الطَّبِيعِيَّ .
وَكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، سَاخِرِينَ مُتَهَكِّمِينَ عَلَى طَهَارَةِ لُوطٍ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ: أَخْرِجُوا لُوطًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَدِنَا، لِأَنَّهُمْ يَتَطَهَّرُونَ وَيَتَعَفَّفُونَ، وَيَرْفُضُونَ مُجَارَاتَكُمْ فِي ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ، وَإِثْيَانِ الرِّجَالِ. فَكَانَ إِخْرَاجُ لُوطٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ، تَنْفِيدًا لِإِرَادَةِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى دَمَرُ قَوْمِ لُوطٍ، وَأَهْلُكُهُمْ بَعْدَ خُرُوجِ لُوطٍ وَالْمُؤْمِنِينَ .
لَمْ يُؤْمِنْ لِلُوطٍ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ سِوَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَمْ تُؤْمِنْ امْرَأَتُهُ، فَدَمَرَهَا اللَّهُ مَعَ قَوْمِهَا. فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ لُوطًا بِأَنْ يُسْرِيَ بِأَهْلِهِ لَيْلًا دُونَ أَنْ تَعْلَمَ زَوْجَتُهُ بِخُرُوجِهِمْ، فَبَقِيَتْ مَعَ الْبَاقِينَ فَكَانَتْ مِنَ الْهَالِكِينَ .
وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ مَطَرًا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ فَدَمَرَهَا وَأَهْلَكَهَا. وَيَلْفِتُ تَعَالَى نَظْرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى عَاقِبَةِ مَنْ يَجْتَرِءُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ .
وَجَاءَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى تَفْسِيرٌ لِهَذَا الْمَطَرِ فَقَالَ تَعَالَى { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ* مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ. } وَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ »^{٥٦٨} .

(وَيَشْمَلُ التَّحْرِيمُ إِثْبَانَ النِّسَاءِ فِي الْأَدْبَارِ) .

قوم النبي شعيب عليه السلام

قال تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) } سورة الأعراف

مَدْيَنَ كَلِمَةً تُطْلَقُ عَلَى الْقَوْمِ وَعَلَى الْقَرْيَةِ، وَمَدْيَنُ قَرْيَةٌ تَقَعُ فِي جَنُوبِ الْأُرْدُنِّ قُرْبَ الْعَقَبَةِ، وَهُمْ أَيْضًا أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيَرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ، وَأُظْهِرَهَا بَخْسُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَالتَّعَرُّضُ لِعَابِرِي السَّبِيلِ، لِسَلْبِهِمْ وَالْاعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ .

وَلَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَتَوْحِيدِهِ، وَتَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالْإِفْلَاحَ عَنْ تَطْفِيفِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِلْسَّابِلَةِ بِالْإِخَافَةِ وَالسَّلْبِ.. فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَخُذُوهُ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ، وَقَدْ أَقَامَ لَكُمْ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ إِلَيْكُمْ، ثُمَّ نَصَحَهُمْ بِمُعَامَلَةِ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، وَبِإِيْفَاءِ النَّاسِ، حُقُوقَهُمْ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، وَبِأَلَّا يَخُونُوا النَّاسَ، وَلَا يُخْسِرُوا الْمِيزَانَ، وَلَا يَبْخَسُوا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ (أَشْيَاءَهُمْ)، وَأَنْ يَتْرَكُوا إِخَافَةَ السَّابِلَةِ . وَقَالَ لَهُمْ إِنْ أَتْبَاعَ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ الْخَيْرُ لَهُمْ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُ .

وَنَهَاهُمْ شُعَيْبٌ عَنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ (الصِّرَاطِ)، وَعَنْ تَوَعُّدِ النَّاسِ بِالْقَتْلِ وَالْإِيْذَاءِ إِذَا لَمْ يُعْطَوْهُمْ مَا مَعَهُمْ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ، كَمَا نَهَاهُمْ عَنِ التَّعَدِّيِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَتْبَعُوا شُعَيْبًا، وَعَنِ التَّصَدِّيِّ لِلنَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَى شُعَيْبٍ لِلِاسْتِمَاعِ مِنْهُ إِلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، لِصَرْفِهِمْ عَنْهُ

بِالتَّخْوِيفِ وَالْإِذَاءِ، وَبِالْقَوْلِ: عَنْهُ كَذَابٌ يُرِيدُ فَتْنَةَ النَّاسِ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلًا مِنْ قَلَّةِ
فَكَثَرَهُمُ اللَّهُ، وَذَلَّةِ فَأَعَزَّهُمُ اللَّهُ، وَذَلِكَ لِيَتَعَطُّوا وَيَرْتَدُّوا عَمَّا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ فُسَادٍ. ثُمَّ لَفَتْ نَظْرَهُمْ إِلَى
النِّهَايَةِ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ مِنْ خِزْيٍ وَدَمَارٍ .

وَيَتَابِعُ شُعَيْبٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، نُصَحَ قَوْمِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ اخْتَلَفْتُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَأَمِنْ فَرِيقٌ بِمَا جِئْتُمْ
بِهِ، وَدَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، وَكَفَرَ فَرِيقٌ بِمَا أَرْسَلَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ رَبِّي، فَلَا تَتَعَجَّلُوا الْحُكْمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَانْتَظِرُوا
حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَيَفْصِلَ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَيْرٌ مَنْ يُحْكُمُ، وَأَعْدَلُ مَنْ
يَقْضِي، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ سَيَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَسَيَجْعَلُ الدَّمَارَ عَلَى الْكَافِرِينَ، لِأَنَّهُ سُنَّتُهُ تَعَالَى قَدْ
جَرَتْ بِذَلِكَ، فَلْيَعْتَبِرِ الْكَافِرُونَ بِعَاقِبَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، مِنَ الْكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ .

تَوَعَّدَ الْمُسْتَكْبِرُونَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ نَبِيَّهُمْ شُعَيْبًا، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ قَرِيَّتِهِمْ إِذَا لَمْ
يَقْبَلُوا الرُّجُوعَ عَنْ دِينِهِمْ الْحَقِّ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَمِلَّةِ الشِّرْكِ، فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: أَتَأْمُرُونَنَا بِأَنْ نَعُودَ إِلَى
مِلَّتِكُمْ، وَتُهَدِّدُونَنَا بِالنَّفْيِ مِنْ أَوْطَانِنَا، وَالْإِخْرَاجِ مِنْ دِيَارِنَا، إِنْ لَمْ نَفْعَلْ مَا تَطْلُبُونَهُ مِنَّا؟ أَتُرِيدُونَ إِجْبَارَنَا
عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِنَا، وَعَلَى الْعُودَةِ إِلَى دِينِكُمْ حَتَّى وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ لِكُلِّ الْأَمْرَيْنِ؟

وَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: إِنَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ إِذَا عَادُوا إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدْ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ أَعْظَمَ
الْإِفْتِرَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ وَأَنْدَادًا وَلَا يَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَخْلُقُ بِهِ (وَمَا يَكُونُ لَنَا
)، أَنْ يَعُودَ إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْهَا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَمْرًا
فَعَلَهُ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا مُعْتَرِضَ عَلَى قَضَائِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَا يَرْضَى
الْكُفْرَ لِعِبَادِهِ. ثُمَّ قَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ هُوَ الْمُؤْمِنُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ. ثُمَّ دَعَا شُعَيْبٌ
رَبَّهُ قَائِلًا: رَبَّنَا احْكُمْ وَأَقْضِ (افْتَحْ) بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مَعَهُمْ، وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ
الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَحْزُزُ فِي حُكْمِهِ أَبَدًا. فَقَالَ الْكُفْرَاءُ الْكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ، لِمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ
قَوْمِهِمْ: لَيْنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا فِيمَا يَقُولُ، وَفِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ، وَأَقْرَرْتُمْ بِنُبُوَّتِهِ، وَأَمَنْتُمْ بِمَا آمَنَ بِهِ، وَكَفَرْتُمْ
بِأَصْنَانِكُمْ.. وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمْ مِنْ دِينٍ وَعَادَاتٍ، كُنْتُمْ خَاسِرِينَ .

وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: " وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ " فَاهْتَزَّتْ بِهِمُ الْأَرْضُ بِفِعْلِ زَلْزَلَةٍ شَدِيدَةٍ، فَأَصْبَحُوا
هَالِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ لَا حَرَكَ بِهَمُ، وَهُمْ مُكْبُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ .

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْعَاقِبَةَ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا قَوْمُ شُعَيْبٍ، فَقَدْ هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا
وَكَاثِبُهُمْ لَمْ يُقِيمُوا فِي دِيَارِهِمْ، وَالَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، أَمَّا الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فَكَانُوا هُمُ الْفَائِزُونَ الْمُفْلِحِينَ . وَبَعْدَ أَنْ نَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ وَدَمَارُهُ تَوَلَّى شُعَيْبٌ
عَنْهُمْ، وَأَنْصَرَفَ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَخَاطَبَهُمْ مُقَرَّعًا، فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ يَا قَوْمِي، وَبَلَّغْتُكُمْ مَا

أَرْسَلَنِي بِهِ رَبِّي إِلَيْكُمْ، مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، فَكَفَرْتُمْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ، فَدَمَرَكُمُ اللَّهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي لَا يُمَكِّنُ
أَنْ آسَفَ وَأَحْزَنَ عَلَى قَوْمٍ جَحَدُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ .

من انعدمت حسناتهم

قال تعالى: { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ
أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) [البقرة/٨٠-٨٢] }

كَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ: إِنَّمَا أَتَيْنَا اللَّهَ وَأَحْبَبْنَاهُ، يُؤَاخِذُهُمْ مُؤَاخِذَةَ الْآبِ لِابْنِهِ، بِرَفْقٍ وَحَنَانٍ، وَإِنَّهُمْ لَنْ
يُعَذَّبُوا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، ثُمَّ يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ فَيَنْجُوهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ نَارِ
جَهَنَّمَ، مَهْمَا كَانَتْ ذُنُوبُهُمْ عَظِيمَةً .

وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَاتِلًا: أَحْصَلْتُمْ عَلَى عَهْدٍ وَوَحْيٍ وَخَبَرٍ صَادِقٍ بِذَلِكَ مِنَ اللَّهِ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ حَصَلْتُمْ
عَلَى عَهْدٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ عَهْدَهُ وَوَعْدَهُ أَبَدًا، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَقَعْ، وَلَمْ يَصُدْرَ مِنَ اللَّهِ عَهْدٌ
لِلْيَهُودِ، وَإِنَّكُمْ مُفْتَرُونَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ .

وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْيَهُودِ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَمَنِّيْتُمْ، وَلَا كَمَا تَشْتَهُونَ، بَلِ الْأَمْرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَضَى بِأَنَّ كُلَّ
مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً، وَأَتَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ أَثْقَلَتْهُ خَطَايَاهُ وَأَنَامُهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَا أَعْمَالٌ
صَالِحَةٌ، وَلَمْ يَتَّبِعْ مِنْ خَطَايَاهُ إِلَى اللَّهِ، فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَبْقَى فِيهَا خَالِدًا .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ السَّيِّئَةَ هُنَا تَعْنِي الشَّرْكَ، لِأَنَّ الْمُشْرِكَ خَالِدٌ فِي النَّارِ .

الخراصون

قال تعالى: { قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢)
يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) }
[الذاريات/١٠-١٥]

لَعَنَ الْمُرتَابُونَ الَّذِينَ يَطْنُونَ ظَنًّا، وَيَقُولُونَ قَوْلًا لَا يَسْتَنِدُونَ فِيهِ إِلَى دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ
الَّذِينَ هُمْ فِي جَهْلٍ عَمِيقٍ، وَغَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَمَّا أُمِرُوا بِهِ، وَهُمْ مَعْمُورُونَ بِالْأَبَاطِيلِ وَالْأَضَالِيلِ وَالْأَوْهَامِ
لَا يُفَيِّقُونَ وَلَا يَسْتَيْقِظُونَ .

الَّذِينَ يَقُولُونَ تَكْذِيبًا وَشَكًّا وَاسْتِبْعَادًا، لَا طَلَبًا لِلْعِلْمِ، وَالْمَعْرِفَةِ: مَتَى يَكُونُ يَوْمُ الْحِسَابِ هَذَا الَّذِي
تَعْدُونَنَا بِهِ؟

وَيَوْمَ الْحَرَاءِ الَّذِي يَسْأَلُونَ عَنْهُ مُكْذِبِينَ بِهِ، مُسْتَبْعِدِينَ لَوْفُوعِهِ، هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُعَذِّبُ اللَّهُ فِيهِ الْكُفَّارَ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ .

وَيَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ مُؤَبَّحِينَ مُقَرَّعِينَ: ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي كُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِوُقُوعِهِ اسْتِهْزَاءً، وَتَطْنُونَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ .

من يكتُمون ما أنزل الله

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) } سورة البقرة

يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ يُخْفُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ عَلَى رُسُلِهِ، أَوْ يُؤَوَّلُونَهُ أَوْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَضَعُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، بِرَأْيِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ، فِي مُقَابِلِ الثَّمَنِ الْحَقِيرِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، كَالرَّشْوَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَالْجُعْلِ (الْأَجْرِ عَلَى الْفِتَاوَى الْبَاطِلَةِ) وَنَحْوِ ذَلِكَ... وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ (وَهُمْ الْيَهُودُ)، وَعَنْ رِسَالَتِهِ وَنُبُوتِهِ لِئَلَّا تَذْهَبَ زَعَامَتُهُمْ، وَرِيَاسَتُهُمْ إِنْ صَدَّقُوا مُحَمَّدًا، وَآمَنُوا بِهِ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ، وَلِئَلَّا يَخْسَرُوا مَا كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالٍ وَهَدَايَا، وَهُوَ شَيْءٌ تَافَهُ يَسِيرٌ إِذَا مَا قُورِنَ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ.. فَهَؤُلَاءِ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ مَا يَأْكُلُونَهُ فِي مُقَابِلِ كِتْمَانِ الْحَقِّ نَارًا تَنَاجَّجُ فِي بُطُونِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعُصْبِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَمْدَحُهُمْ وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا .

(وَقِيلَ أَيْضًا فِي تَفْسِيرٍ: مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ: إِنَّهُمْ لَا يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَنِهِ إِلَّا مَا يَكُونُ سَبَبًا لِدُخُولِهِمْ نَارَ جَهَنَّمَ) .

وهؤلاء الآثِمُونَ الَّذِينَ أُنْذِرُهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ، اعْتَصَبُوا عَنِ الْهُدَى الَّذِي يَفْتَضِيهِمْ نَشْرَ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ، وَذَكَرَ مَبْعَثِهِ، وَوُجُوبِ اتِّبَاعِهِ وَتَصَدِيقِهِ، بِالضَّلَالِ وَهُوَ تَكْذِيبُهُ، وَالْكَفْرُ بِهِ، وَكِتْمَانُ صِفَاتِهِ، وَاعْتَصَابُوا عَنِ الْمَغْفِرَةِ، الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ السَّاعِينَ فِي الْخَيْرَاتِ، بِالْعَذَابِ الَّذِي سَيَحِلُّ بِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَكِتْمَانِ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ. فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (أَيْ إِنْ مَنْ يَرَاهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَعَجَّبُ مِنْ صَبْرِهِمْ عَلَى احْتِمَالِهَا، مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ)

أَوْ إِنْ الْمَعْنَى هُوَ: (أَنَّ انْتِهَامَهُمْ فِي الْعَمَلِ الَّذِي يُوصِلُهُمْ إِلَى النَّارِ هُوَ مِثَارُ الْعَجَبِ، فَسَيُرْهِمُ فِي الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَيْهَا، وَعَدَمُ مِبَالَاتِهِمْ بِمَالِ أَعْمَالِهِمْ هُوَ مِثَارُ الْعَجَبِ) .

وَإِنَّمَا اسْتَحَقَّ هَؤُلَاءِ الْعَذَابَ لِكُفْرِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ لِجَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَإِزَالَةِ الْاِخْتِلَافِ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا دَفَعَ إِلَيْهِ حُبُّ الْجَدَلِ، وَمُجَانِبَةُ الْحَقِّ، وَالْإِنْقِيَادُ إِلَى الْهَوَى، فَحَرَّفُوهُ وَأَفْسَدُوهُ وَفَسَّرُوهُ بِغَيْرِ مَعَانِيهِ .

المعتدون في القصاص

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (١٧٨) سورة البقرة

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ فَرَضَ (كُتِبَ) عَلَيْهِمُ الْعَدْلَ وَالْمَسَاوَاةَ فِي الْقِصَاصِ، فَالْحُرُّ يُقْتَلُ بِالْحُرِّ، إِذَا كَانَ الْقَتْلُ عَمْدًا، وَالْعَبْدُ يُقْتَلُ بِالْعَبْدِ، وَالْأُنْثَى تُقْتَلُ بِالْأُنْثَى (وَقَدْ جَرَى الْعَمَلُ مِنْ لَدُن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلِ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ، وَالْحُرِّ بِالْعَبْدِ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْقَاتِلُ سَيِّدَ الْعَبْدِ، فَإِذَا كَانَ سَيِّدُهُ عَزَرَ بِشِدَّةٍ)، وَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالْأَمْرِ بِمَا يَنْتَهِونَ وَلَا يَتَجَاوَزُوا، كَمَا اعْتَدَى الْيَهُودُ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَغَيَّرُوا حُكْمَ اللَّهِ، فَكَانَتْ قَبِيلَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ ضَعِيفَةً، وَقَبِيلَةُ بَنِي النَّضِيرِ قَوِيَّةً، فَكَانُوا إِذَا قَتَلَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ أَحَدًا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ لَمْ يَكُنْ يُقْتَلُ بِهِ بَلْ يُفَادَى، وَإِذَا قَتَلَ الْقُرَظِيُّ نَضِيرِيًّا كَانَ يُقْتَلُ بِهِ، وَإِذَا فَادَوْهُ كَانَ يُفَادَى بِمِثْلِي مَا يُفَادَى بِهِ النَّضِيرِيُّ .

وَكَانَ حَيَّانَ مِنَ الْعَرَبِ قَدْ افْتَتَلَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى وَجَرَاحَاتٌ حَتَّى قَتَلُوا الْعَبْدَ وَالنِّسَاءَ، فَكَانَ أَحَدُ الْحَيِّينَ لَا يَرْضَى حَتَّى يُقْتَلَ بِالْعَبْدِ مِنْهُ الْحُرُّ مِنْ خُصُومِهِ، وَبِالْمَرْأَةِ مِنْهُ الرَّجُلُ. وَكَانَ هَؤُلَاءِ لَا يَقْتُلُونَ الرَّجُلَ الَّذِي يَقْتُلُ الْمَرْأَةَ عَمْدًا، وَلَكِنْ كَانُوا يَقْتُلُونَ الرَّجُلَ بِالرَّجُلِ، وَالْمَرْأَةَ بِالْمَرْأَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ مُبْطِلًا ذَلِكَ التَّعَامُلِ، فَإِذَا قَبِلَ وَلِيُّ الدِّمِ أَنْ يَأْخُذَ الدِّيَّةَ، وَيُعْفُوَ عَنِ الْقَاتِلِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّبَعَ ذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْ يَطْلُبَ الدِّيَّةَ بِرِفْقٍ، وَأَنْ لَا يُرْهَقَ الْقَاتِلَ مِنْ أَمْرِهِ عُسْرًا. وَعَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُؤَدِّيَ الْمَطْلُوبَ مِنْهُ بِإِحْسَانٍ، وَأَنْ لَا يَمْطُلَ وَلَا يَنْقُصَ، وَلَا يُسِيءَ فِي كَيْفِيَةِ الْأَدَاءِ .

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ شَرَعَ لِلنَّاسِ أَخْذَ الدِّيَّةِ فِي حَالَةِ الْقَتْلِ الْعَمْدِ تَخْفِيفًا مِنْهُ، وَرَحْمَةً بِالْمُسْلِمِينَ، إِذْ كَانَ يَتَوَجَّبُ عَلَى الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الْقَتْلُ أَوْ الْعَفْوُ. وَإِذَا تَعَدَّدَ أَوْلِيَاءُ الدِّمِ وَعَفَا أَحَدُهُمْ وَجَبَ اتِّبَاعُهُ، وَسَقَطَ الْقِصَاصُ.. وَيَجُوزُ الْعَفْوُ فِي الدِّيَّةِ أَيْضًا. (وَقِيلَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ مَفْرُوضًا عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ لَا غَيْرَ، وَأَهْلُ الْإِنْجِيلِ أُمِرُوا بِالْعَفْوِ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مُقَابِلَ الْعَفْوِ دِيَّةً) . وَيَهْدُدُّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَعْتَدِي بِالْقَتْلِ عَلَى الْقَاتِلِ - بَعْدَ الْعَفْوِ وَالرِّضَا بِالدِّيَّةِ - بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

المرتد عن دينه

قال تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا يُمِمْتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (٢١٧) سورة البقرة

بَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ عَلَى سَرِيَّةٍ وَأَمَرَهَا بِأَمْرِ، فَلَقِيَتْ السَّرِيَّةُ ابْنَ الْحَضَرَمِيِّ فَقَتَلَتْهُ، وَلَمْ يَعْرِفْ رِجَالُ السَّرِيَّةِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ رَجَبٍ أَوْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ: قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَفِيهَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ لِلْمُشْرِكِينَ: إِنَّ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ أَمْرٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِهِ، وَجُرْمٌ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّهُ إِذَا ارْتُكِبَ لِإِزَالَةِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، كَانَ لَهُ مَا يُبْرِرُهُ، وَإِنْ مَا فَعَلَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَمُحَاوَلَةِ فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ بِالْتَّعْذِيبِ وَالتَّهْدِيدِ، وَإِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ. كُلُّ ذَلِكَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ. وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْتِنُونَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ بِالْتَّعْذِيبِ وَالْإِخَافَةِ لِيَرُدُّوهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، وَهَذَا أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ، وَهُمْ مَا زَالُوا مُقِيمِينَ عَلَى الْكُفْرِ، وَعَلَى مُحَاوَلَةِ فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ لِيَرُدُّوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا، وَعَلَى مُحَاوَلَةِ مَنَعَ الْإِسْلَامَ مِنَ الْإِنْتِشَارِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ، إِنْ أُمَكَّنَهُمْ ذَلِكَ، لَاسْتِحْكَامِ عَدَاوَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ. وَيُهَدِّدُ اللَّهُ مَنْ يَضْعُفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمَامَ هَجَمَاتِهِمْ، وَمُحَاوَلَاتِهِمْ وَإِعْرَاضَاتِهِمْ فَيَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ، ثُمَّ يَمُوتُ وَهُوَ كَافِرٌ، بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْأَبَدِيِّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَجْبُوطُ عَمَلُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

الذين يعبدون الطاغوت

قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٥٧) سورة البقرة
اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ، فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشَّكِّ وَالرَّيْبِ إِلَى نُورِ الْحَقِّ الْوَاضِحِ. وَالْمُؤْمِنُ لَا وَلِيَ لَهُ، وَلَا سُلْطَانَ لِأَحَدٍ عَلَى اعْتِقَادِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَلِيُّهُمْ الشَّيْطَانُ، يُزَيِّنُ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ، وَيُخْرِجُهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَنُورِهِ، إِلَى الْكُفْرِ وَظُلُمَاتِهِ، وَيُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ لِيَبْقُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا. وَالنُّورُ هُوَ الْحَقُّ، وَالْحَقُّ وَاحِدٌ، أَمَّا الظُّلُمَاتُ وَهِيَ الْكُفْرُ فَهِيَ أَجْنَسٌ .

وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)} [النساء/٦٠-٦٤]

يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُرِيدُ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِي فَضْلِ الْخُصُومَاتِ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ .

(وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنْصَارِي وَيَهُودِيٍّ اخْتَلَفَا فِي شَيْءٍ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ مُحَمَّدٌ. وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ (وَهُوَ مِنْ كُبرَاءِ الْيَهُودِ). وَيَذُمُّ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَعْدِلُونَ عَنْ شَرَعِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ (وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا بِالطَّاعُوتِ)، وَقَدْ أَمَرُوا بِأَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيَحْكُمَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ لِيُضِلَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَشَرْعِهِمْ وَهُدَى رَبِّهِمْ، وَيُعِدَّهُمْ عَنْهَا .

وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلَاءِ - الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِيمَانَ، ثُمَّ يُرِيدُونَ التَّحَاكُمَ إِلَى الطَّاعُوتِ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِلتَّحَاكُمِ لَدَيْهِ، وَفَقًا لِمَا شَرَعَ اللَّهُ، اسْتَكْبَرُوا وَأَعْرَضُوا وَرَغَبُوا عَنْ حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ إِعْرَاضًا مُتَعَمِّدًا مِنْهُمْ . فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُمْ إِذَا سَافَتَهُمُ الْمَقَادِيرُ إِلَيْكَ فِي مَصَائِبَ تَحِلُّ بِهِمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَاحْتِاجُوا إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ جَاؤُوكَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكَ، وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنََّّهُمْ مَا أَرَادُوا بِذَهَابِهِمْ إِلَى غَيْرِكَ، وَبِتَحَاكُمِهِمْ إِلَى أَعْدَائِكَ، إِلَّا الْمُدَارَاةَ وَالْمُصَانَعَةَ (إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا)، لَا اعْتِقَادًا مِنْهُمْ بِصِحَّةِ تِلْكَ الْحُكُومَةِ . وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ هُمُ الْمُنَافِقُونَ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ مَبْلَغَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْحَقْدِ وَالْكِيدِ، وَسَيَحْزِرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ. ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى مُعَامَلَتِهِمْ: - أَوَّلًا: بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَعَدَمِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ بِالْبَشَاشَةِ وَالتَّكْرِيمِ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْمُعَامَلَةِ يُثِيرُ فِي نَفْسِهِمُ الْهَوَاجِسَ وَالشُّكُوكَ وَالظُّنُونُ .

- ثُمَّ بِالنَّصْحِ وَالتَّذْكِيرِ بِالْخَيْرِ، عَلَى وَجْهِ تَرْقُّ لَهُ قُلُوبُهُمْ، وَيَبْعَثُهُمْ عَلَى التَّأَمُّلِ فِيمَا يُلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْعِظَاتِ . - ثُمَّ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ، الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي نَفْسِهِمْ، كَالْتَّوَعُّدِ بِالْقَتْلِ، وَالِاسْتِنْصَالِ إِنْ ظَهَرَ مِنْهُمْ نِفَاقٌ، وَأَنْ يُخَبِّرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِهِمْ .

أكلة الربا

قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) } سورة البقرة

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالتَّصَدُّقَ عَلَى عِبَادِهِ، وَإِخْرَاجَ الزَّكَاةِ، شَرَعَ فِي عَرْضِ حَالِ أَكْلِي الرِّبَا، وَأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَأَنْوَاعِ الشُّبُهَاتِ، فَأَخْبَرَ عَنْ حَالِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، يَوْمَ الْبَعْثِ وَالتَّنْشُورِ، فَقَالَ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ لَا يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَّا قِيَامًا مُنْكَرًا، كَمَا يَقُومُ الْمَصْرُوعُ حَالَ صَرَعِهِ وَأَكْلَهُمُ الرِّبَا هَذَا قَائِمٌ عَلَى اسْتِحْلَالِهِمْ لَهُ، وَجَعَلَهُ كَالْبَيْعِ، فَيَقُولُونَ: كَمَا يَحْجُوزُ أَنْ يَبِيعَ الْإِنْسَانُ سِلْعَتَهُ الَّتِي ثَمَنُهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ عَلَى أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِ عِشْرِينَ دِرْهَمًا بَعْدَ سَنَةٍ، فَالْسَّبَبُ فِي رَأْيِهِمْ وَاحِدٌ فِي كُلِّ مِنَ الزَّيَادَتَيْنِ، وَهُوَ الْأَجَلُ .

هَذِهِ هِيَ حُجَّةُ اكِلِي الرِّبَا وَهُمْ وَاهِمُونَ فِيمَا قَالُوهُ، وَقِيَاسُهُمْ فَاسِدٌ، لِأَنَّ الْبَيْعَ فِيهِ مَا يَقْتَضِي حِلَّهُ لِأَنَّهُ يُلَاحَظُ فِيهِ انْتِفَاعُ الْمُشْتَرِي بِالشَّيْءِ انْتِفَاعًا حَقِيقِيًّا .

أَمَّا الرِّبَا فَهُوَ إعْطَاءُ الدَّرَاهِمِ وَالْمِثْلِيَّاتِ وَأَخْذُهَا مُضَاعَفَةً فِي وَقْتٍ آخَرَ. فَمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْمَدِينِ زِيَادَةً فِي رَأْسِ الْمَالِ لَا مُقَابِلَ لَهُ مِنْ عَيْنٍ وَلَا عَمَلٍ. فَمَنْ بَلَغَهُ نَهْيُ اللَّهِ عَنِ الرِّبَا، فَأَنْتَهَى عَنِ الرِّبَا فَلَهُ مَا سَلَفَ مِمَّا أَكَلَهُ مِنَ الرِّبَا قَبْلَ التَّحْرِيمِ، وَمَا سَبَقَ لَهُ أَنْ أَخَذَهُ أَيَّامَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَمْرُهُ مَرْدُودٌ إِلَى اللَّهِ. وَمَنْ عَادَ إِلَى الرِّبَا، بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ النَّهْيُ عَنْهُ، فَقَدْ اسْتَوْجَبَ الْعُقُوبَةَ مِنَ اللَّهِ، وَالْخُلُودَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ - أَيِ الْمَصْرُوعِ. وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْبِطُ الْإِنْسَانَ فَيَصْرَعُهُ .

مَرَاكِحُ تَحْرِيمِ الرِّبَا فِي الْقُرْآنِ:

كَمَا مَرَّ تَحْرِيمُ الْحَمْرِ فِي مَرَاكِحُ، كَذَلِكَ مَرَّ تَحْرِيمُ الرِّبَا فِي أَرْبَعِ مَرَاكِحٍ مُتَدَرِّجَةٍ:

١- فِي الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْمَكِّيَّةِ { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ } أَيِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّ الرِّبَا لَا ثَوَابَ فِيهِ عِنْدَ اللَّهِ .

٢- وَفِي الْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ - أُلْقِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ دَرْسًا وَعِبْرَةً مِنْ سِيرَةِ الْيَهُودِ الَّذِينَ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَكْلَ الرِّبَا فَأَكَلُوهُ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِمَعْصِيَتِهِمْ .

فَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ { فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا. } كَمَا جَاءَ بَعْدَهَا { وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. } وَهَذِهِ الْعِبْرَةُ لَا يَكُونُ لَهَا أَثَرٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ وَرَائِهَا نَوْعٌ مِنَ تَحْرِيمِ الرِّبَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَهْيٌ صَرِيحٌ عَنِ الرِّبَا، وَلَكِنَّهُ أُلْمِحَ إِلَيْهِ .

٣- الْمَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ - وَلَمْ يَجِءِ النَّهْيُ الصَّرِيحُ إِلَّا فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّالِثَةِ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا نَهْيًا جَزْئِيًّا عَنِ الرِّبَا الْفَاحِشِ الَّذِي يَتَزَايَدُ حَتَّى يَصِيرَ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً. } - الْمَرْحَلَةُ الرَّابِعَةُ - وَفِي الْمَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ وَالْآخِرَةِ خُتِمَ التَّشْرِيعُ الْقُرْآنِيُّ كُلُّهُ بِالنَّهْيِ الْحَاسِمِ عَنْ كُلِّ مَا يَزِيدُ عَلَى رَأْسِ مَالِ الدِّينِ .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. } وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "إِيَّاكَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي لَا تُغْفَرُ: الْغُلُولُ فَمَنْ غَلَّ شَيْئًا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالرِّبَا، فَمَنْ أَكَلَ الرِّبَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجْتَنُونَا يُتَخَبَّطُ " .

وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَعَلَى تَحْلِيلِهَا، وَلَا يُحِبُّ الَّذِينَ لَا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِهِ .

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنَّهُ يَمَحَقُ الرِّبَا، وَيُذْهِبُ مِنْ يَدِ آكِلِهِ بَرَكَهَ مَالِهِ، وَيُهْلِكُ الْمَالَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ الرِّبَا، فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنَّهُ يُضَاعَفُ ثَوَابُ الصَّدَقَاتِ، وَيَزِيدُ الْمَالَ الَّذِي أُخْرِجَتْ مِنْهُ، وَيُعَاقَبُ

أَكَلَ الرَّبُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَفُورَ الْمُتَمَادِي فِي كُفْرٍ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ، لِأَنَّهُ لَا يُنْفِقُ مِنْهُ فِي سَبِيلِهِ، وَلَا يُحِبُّ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى تَحْلِيلِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلَا الَّذِينَ يَسْتَمِرُّونَ عَلَى ارْتِكَابِهَا .

المفترون على الله

قال تعالى : { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) } سورة البقرة وهؤلاء صنف من اليهود هم العلماء، والدعاة إلى الضلالة بالكذب والبهتان والزور، وقول غير الحق على الله، وأكل أموال الناس بالباطل، وهم أخبار اليهود الذين كتبوا بأيديهم كتاباً محرّفاً ومُلفقاً من عندهم، يبيعونه لعوامهم زاعمين أنه التوراة المنزلة من عند الله، ليأخذوا به ثمناً قليلاً منهم. ويحذر الله هؤلاء المفتريين على الله، ويقول لهم: الويل لهم - أي الهلاك والدمار لهم وشدة الشر - مما أكلوا من هذا الكسب الحرام. وقد ارتكب هؤلاء بعملهم هذا ثلاث جنایات:

أولاهـا - كتمان ما في كتابهم من صفة النبي وتغييرها .

وثانيتهـا - الافتراء على الله ونسبة شيء إليه لم يقله .

وثالثهـا - الكسب الحرام ثمناً لهذا الكذب والتحريف والإفك .

كَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، يُؤَاخِذُهُمْ مُؤَاخِذَةُ آبَائِهِمْ، بِرَفَقٍ وَحَنَانٍ، وَإِنَّهُمْ لَنْ يُعَذِّبُوا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، ثُمَّ يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ فَيَنْجُوهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، مَهْمَا كَانَتْ ذُنُوبُهُمْ عَظِيمَةً .

وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَاتِلًا: أَحْصَلْتُمْ عَلَى عَهْدٍ وَوَحْيٍ وَخَبَرٍ صَادِقٍ بِذَلِكَ مِنَ اللَّهِ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ حَصَلْتُمْ عَلَى عَهْدٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلَفُ عَهْدَهُ وَوَعْدَهُ أَبَدًا، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَقَعْ، وَلَمْ يَصُدْرَ مِنَ اللَّهِ عَهْدٌ لِلْيَهُودِ، وَإِنَّكُمْ مُفْتَرُونَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْيَهُودِ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَمَنِّيْتُمْ، وَلَا كَمَا تَشْتَهُونَ، بَلِ الْأَمْرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَضَى بِأَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً، وَأَتَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ أَنْقَلَتُهُ خَطَايَاهُ وَأَتَامُهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَا أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، وَلَمْ يَتَّبِعْ مِنْ خَطَايَاهُ إِلَى اللَّهِ، فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَبْقَى فِيهَا خَالِدًا

قتلة الأنبياء والمرسلين

قال تعالى: { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ

(١٨٢) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) { [آل عمران/١٨١-١٨٤]

لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } قَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ أَفْتَقَرَ رَبُّكَ فَيَسْأَلُ عِبَادَهُ الْقَرْضَ؟ وَرَوِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَقِيَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا بَنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ حَاجَةٍ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَفَقِيرٌ، مَا تَنْضَرُّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَنْضَرُّعُ إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنْهُ أَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا اسْتَقْرَضَ مِنَّا كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ.. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ .

وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ بِأَنَّهُ سَمِعَ مَا قَالُوا، وَسَيَكْتُبُهُ وَيُسَجِّلُهُ عَلَيْهِمْ، وَسَيَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ، كَمَا سَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى رِضَاهُمْ بِمَا قَامَ بِهِ أَسْلَافُهُمْ مِنْ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَيْهِ شَرَّ الْجَزَاءِ. وَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ .

وَهَذَا الْعَذَابُ الْمُحْرِقُ الَّذِي تَذُوقُونَهُ، إِنَّمَا وَقَعَ بِكُمْ بِسَبَبِ مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ، وَكُفْرٍ وَظُلْمٍ، وَقَتْلٍ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَقَوْلٍ: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِكُمْ هَذَا الْعِقَابَ بِالْحَقِّ، وَالْعَدْلَ، وَهُوَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ .

لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودَ إِلَى الْإِسْلَامِ، رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ رُؤَسَائِهِمْ (مِثْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ، وَفَنَحَاسِ بْنِ عَازُورَاءَ) قَائِلِينَ: إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَ بِمُعْجَزَةٍ، مِنْهَا أَنْ يَكُونَ إِذَا قَرَّبَ قُرْبَانًا إِلَى اللَّهِ، (أَيْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ) فَتُقْبَلَ مِنْهُ، تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَحْرِقُ الْقُرْبَانَ . وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُكَذِّبًا مَقَالَتَهُمْ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، قُلْ لَهُمْ: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ قَبْلِي بِالْحَقِّ وَالْبَرَاهِينِ، وَبَنَارٍ تَأْكُلُ الْقَرَايِنَ الْمُتَقَبِّلَةَ (وَهُوَ الَّذِي قَالُوهُ وَطَلَبُوهُ) فَلِمَ أَذًا قَتَلْتُمُوهُمْ، وَكَذَّبْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟

وَيُعْزِّي اللَّهُ رَسُولَهُ قَائِلًا: إِنْ كَذَّبَكَ هَؤُلَاءِ فَلَا يَهْمَنَّكَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَكَ أَسْوَةٌ بِمَنْ جَاءَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، الَّذِينَ جَاؤُوا الْمُكَذِّبِينَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحِجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ، وَالْكِتَابِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ السَّمَاءِ (الزُّبُرِ) وَالْكِتَابِ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ (الْكِتَابِ الْمُنِيرِ)، وَأَتَوْا بِالْقُرْآنِ الَّذِي تَأْكُلُهُ النَّارُ.. فَقُوبِلُوا مِنْهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالْمُعَانَدَةِ، وَقَتَلُوا بَعْضُهُمْ كَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ غِلَظُ الْأَكْبَادِ، قُسَاةُ الْقُلُوبِ، لَا يُقِيمُونَ الْحَقَّ، وَلَا يُدْعُونَ لَهُ .

الظالمون

قال تعالى: { رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } (١٩٢) سورة آل

عمران

ثُمَّ يُتَابِعُونَ دُعَائَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ لِرَبِّهِمْ قَائِلِينَ: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُهُ النَّارَ فَقَدْ أَهَنْتَهُ وَأَذَلَّتَهُ، وَأُظْهِرْتَ حَزَنِيَهُ لِأَهْلِ الْجَمْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالظَّالِمُونَ لَا يَجِدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللَّهِ .

وقال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِيبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَعْشَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢) } سورة إبراهيم

وقال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) } [الكهف/٢٩، ٣٠]

قال تعالى: {فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ } (٤٢) سورة سبأ

قال تعالى: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) } [الأنبياء/١١-١٨]

وقال تعالى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ } (١٧) سورة الحشر

وَمَثَلُ هَؤُلَاءِ الْمُنافِقِينَ الَّذِينَ وَعَدُوا الْيَهُودَ بِالنُّصْرَةِ أَنْ يُوتِلُوا وَبِالْخُرُوجِ مَعَهُمْ إِنْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ الَّذِي غَرَّ الْإِنْسَانَ، وَوَعَدَهُ بِالنُّصْرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، إِذَا أَطَاعَهُ وَكَفَرَ بِاللَّهِ، فَلَمَّا احْتِاجَ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ النُّصْرَةَ، تَبَرَّأَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ، وَخَذَلَهُ وَتَرَكَهُ لِمَصِيرِهِ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَخَافُ

اللَّهُ إِنْ نَصَرْتُكَ أَنْ يُشْرِكَ نِي رَبُّ الْعَالَمِينَ مَعَكَ فِي الْعَذَابِ . فَكَانَ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ بِالْكَفْرِ أَنْ صَارَ الشَّيْطَانُ وَمَنْ أَغْرَاهُ بِالْكَفْرِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، جَزَاءُ كُلِّ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ .

وقال تعالى { وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) } وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) { [الجن/١٤، ١٥]

وَأَنَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ وَآخَبَتُوا إِلَيْهِ، وَعَمِلُوا صَالِحًا يَرْضَاهُ، وَمِنَّا الْجَائِرُونَ عَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمِ، الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَأَطَاعَهُ، فَقَدْ اجْتَهَدَ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ لِلسَّعَادَةِ .

وَأَمَّا الْجَائِرُونَ عَنْ سُنَنِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ سَيَكُونُونَ حَطَبًا لِجَهَنَّمَ، تُوقَدُ بِهِمْ كَمَا تُوقَدُ بِكَفَرَةِ الْإِنْسِ .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ إِذَا أَذْخَلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ لَكُمْ، ثُمَّ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا إِلَّا نَفْسَهُ " ٥٦٩ .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ " الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ٥٧٠ .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ » ٥٧١ .

وعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ٥٧٢ .

وَعَنْ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ

الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ٥٧٣

٥٦٩ - صحيح مسلم (٦٧٣٧)

٥٧٠ - صحيح البخاري (٢٤٤٧) ومسلم (٦٧٤٢)

٥٧١ - صحيح مسلم (٦٧٤١)

٥٧٢ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٤ / ص ٤١٥) (١٦٤٥٨) صحيح

٥٧٣ - سنن الدارمي (٢٥٧١) صحيح

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ مُهَاجِرَةُ الْحَبَشَةِ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَجَبَ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ عَلَيْنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ، انْتَفَتَتْ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَتْ: سَتَعَلَّمُ يَا غَدْرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانَا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعَلَّمُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ عِنْدَهُ غَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صَدَقَتْ، ثُمَّ صَدَقْتَ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ قَوْمًا لَا يُؤْخَذُ لَضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ. ٥٧٤

المنافقون

وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) } سورة البقرة

قال تعالى: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا

وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) { سورة النساء

تولي الكفار والفجار دون المؤمنين

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٥١) سورة المائدة

يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَاتَّخَاذِهِمْ خُلَفَاءَ لَهُمْ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ مَنْ يَتَّخِذُهُمْ نُصْرَاءَ وَخُلَفَاءَ وَأَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ مِنْهُمْ فِي التَّحَزُّبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَرِيئَانِ مِنْهُ. وَمَنْ يَتَوَلَّى أَعْدَاءَ اللَّهِ فَهُوَ ظَالِمٌ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِيهِ إِلَى الْخَيْرِ. وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ.

قتل النفس بغير حق

قال تعالى: {وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) { سورة المائدة

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى عَاقِبَةَ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ وَالظُّلْمِ، فِي خَبَرِ ابْنَيْ آدَمَ (قَابِيلَ وَهَابِيلَ)، وَكَيْفَ عَادَا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَقَتَلَهُ بَغْيًا عَلَيْهِ، وَحَسَدًا لَهُ، فِيمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ النِّعْمَةِ، وَتَقَبَّلَ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَخْلَصَ فِيهِ صَاحِبُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَازَ الْمَقْتُولُ بِغُفْرَانِ اللَّهِ لَهُ خَطَايَاهُ، وَبِالدُّخُولِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَعَادَ الْقَاتِلُ وَقَدْ خَسِرَ الدَّارَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

فَقَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: أَقْصُصْ عَلَى الْبُعَاةِ الْحَسَدَةَ مِنَ الْيَهُودِ وَأَمْثَالِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ خَبَرَ ابْنَيْ آدَمَ الَّذِي يَرَوِيهِ النَّاسُ وَيَتَنَاقَلُونَهُ، لَقَدْ قَرَّبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قُرْبَانًا إِلَى اللَّهِ، فِي أَمْرٍ اخْتَلَفَا عَلَيْهِ، فَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْ أَحَدِهِمَا قُرْبَانَهُ (وَهُوَ هَابِيلُ) وَلَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ الْآخَرِ (قَابِيلَ)، بَأَنَّ أَنْزَلَ اللَّهُ نَارًا مِنَ السَّمَاءِ فَآكَلَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ، وَلَمْ تَمَسَّ النَّارُ قُرْبَانَ قَابِيلَ. فَغَضِبَ قَابِيلُ، وَهَدَّدَ أَخَاهُ بِالْقَتْلِ، فَقَالَ لَهُ هَابِيلُ: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ الْقُرْبَانَ وَالصَّدَقَاتِ مِنَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، وَاتَّقَوْا الشَّرْكَ، وَخَافُوا عِقَابَ اللَّهِ، وَاجْتَنَبُوا الْمَعَاصِيَ.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَبْسِطَ إِلَيَّ يَدَكَ وَتَمُدَّهَا بِالشَّرِّ، وَإِذَا نَوَيْتَ قَتْلِي، فَإِنِّي لَنْ أَقَابِلَكَ عَلَى صَنِيعِكَ الْفَاسِدِ

بِمِثْلِهِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأَنْتَ سَوَاءً فِي الْخَطِيئَةِ، وَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ مِنْ أَنْ أَصْنَعَ بِكَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَهُ بِي، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي أَصْبِرُ وَأَحْتَسِبُ .

وَإِنِّي إِذْ أَرَفُضُ مُقَابَلَةَ الْجَرِيْمَةِ بِمِثْلِهَا، فَإِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ تَتَحَمَّلَ إِنَّمِ قَتَلِي، وَالْإِثْمَ الَّذِي عَلَيْكَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَمَنْ أَجَلُّهُ لَمْ يَتَقَبَّلِ اللَّهُ قُرْبَانَكَ، فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَهَذَا هُوَ الْجِزَاءُ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ .

وَلَكِنْ قَابِلٌ لَمْ يَخَفِ النَّارَ الَّتِي خَوْفُهَا بِهَا أَخُوهُ، وَلَمْ يَنْزَجِرْ (وَقِيلَ إِنَّ الْقَاتِلَ يَحْمِلُ فِي الْآخِرَةِ إِنَّمِ مَنْ قَتَلَهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبٍ وَأَثَامٍ وَحُقُوقٍ لِلْعِبَادِ، لِأَنَّهُ بِقَتْلِهِ مَنَعَهُ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَوَفَاءَ مَا عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ) .

فَحَسَنَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ، وَشَجَعَتْهُ عَلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مِنْ أَخِيهِ الْمَوْعِظَةَ فَلَمْ يَتَّعِظْ، وَلَمْ يَزْدَجِرْ، فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ الْقَاتِلُ مِنَ الْخَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا بِفَقْدِهِ أَخَاهُ، وَفِي الْآخِرَةِ إِذْ أَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: " لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ ") . (رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) .

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَسْتَفِيدُ مِنْ تَجَارِبِ غَيْرِهِ، فَلَمَّا مَاتَ الْأَخُ الْقَتِيلُ، تَرَكَهُ الْقَاتِلُ فِي الْعَرَاءِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَدْفِنُهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ غَرَابِيْنِ فَاقْتَتَلَا، فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَحَفَرَ لَهُ حُفْرَةً أَلْقَاهُ فِيهَا، ثُمَّ حَثَا عَلَيْهِ التُّرَابَ. فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنُ آدَمَ الْقَاتِلُ قَالَ: يَا وَيْلَتَا أَعَجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَوَارِي سَوْءَةَ أَخِي؟ فَندِمَ عَلَى مَا فَعَلَ .

يُخْبِرُ تَعَالَى: أَنَّهُ بِسَبَبِ قَتْلِ ابْنِ آدَمَ أَخَاهُ، شَرَعَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَضَى عَلَيْهِمْ، أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بَغَيْرِ نَفْسٍ مِنْ قِصَاصٍ أَوْ إِفْسَادٍ فِي الْأَرْضِ، وَاسْتَحْلَ قَتْلَهَا، بِلا سَبَبٍ وَلَا جُنَايَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ نَفْسٍ وَمَنْ حَرَّمَ قَتْلَهَا، وَكَانَ سَبَبًا فِي حَيَاةِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، بِإِنْقَادِهَا مِنْ مَوْتٍ، فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا، لِأَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى الْامْتِنَاعِ عَنِ الْقَتْلِ هُوَ اعْتِقَادُهُ بِأَنَّ ذَلِكَ شَرٌّ وَأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَسْلَمُونَ مِنْ شَرِّهِ، وَيَأْمَنُونَ أَذَاهُ، وَلِأَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى إِنْقَادِ النَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي كَانَ يَتَهَدَّدُهَا هُوَ الرَّحْمَةُ وَالشَّقَقَةُ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرَائِعِ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِإِنْقَادِ كُلِّ نَفْسٍ إِنْ اسْتَطَاعَ، وَلِذَلِكَ يَكُونُ كَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا. وَلَقَدْ جَاءَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رُسُلُهُمْ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ وَالِدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ. وَلَكِنَّ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ كَانُوا مَعَ ذَلِكَ مُسْرِفِينَ فِي فَسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ .

(وَهَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى ارْتِكَابِهِمُ الْمَحَارِمَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا مَحَارِمٌ) .

المشركون

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) } سورة البقرة

وقال تعالى { وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) } سورة البقرة

قال تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ اُنِّي يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) } سورة المائدة

قال تعالى: { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ } (١٧) سورة التوبة

عدم التناهي عن فعل المنكر

قال تعالى { لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) } سورة المائدة

لَعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الزَّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، فَقَدْ لَعَنَ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَنْ اعْتَدَى مِنْهُمْ فِي السَّبْتِ، أَوْ لَعَنَ الْعَاصِينَ الْمُعْتَدِينَ مِنْهُمْ عَامَّةً، وَكَذَلِكَ لَعَنَهُمُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَسَبَبُ ذَلِكَ اللَّعْنُ هُوَ تَمَادِيهِمْ فِي الْعِصْيَانِ، وَتَمَرُّدُهُمْ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَتَمَادِيهِمْ فِي الظُّلْمِ وَالْفُسَادِ (بِمَا كَانُوا يَعْتَدُونَ)

فَقَدْ كَانُوا لَا يَنْهَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَدًا عَنِ مُنْكَرٍ يَقْتَرِفُهُ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْقُبْحِ وَالضَّرَرِ. وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ حِفَاطُ الدِّينِ، وَسِيَاجُ الْفَضَائِلِ وَالْآدَابِ، فَإِذَا تَجَرَّأَ الْمُسْتَهْتَرُونَ عَلَى إِظْهَارِ فِسْقِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، وَرَأَاهُمْ الْعَوَّاءُ مِنَ النَّاسِ قَلْدُوهُمْ فِيهِ، وَزَالَ قُبْحُهُ مِنْ نَفْسِهِمْ، وَصَارَ عَادَةً لَهُمْ، وَزَالَ سُلْطَانُ الدِّينِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَتُرِكَتْ أَحْكَامُهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى فَشْوِ الْمُنْكَرَاتِ فِيهِمْ. وَيُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى سُوءَ فِعْلِهِمْ، وَيَذُمُّهُمْ عَلَى اقْتِرَافِ الْمُنْكَرَاتِ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَيْهَا وَسُكُوتِ الْآخَرِينَ عَنْهَا، وَرِضَاهُمْ بِهَا .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدُوِّ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ». ثُمَّ قَالَ (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) إِلَى قَوْلِهِ (فَاسْقُونِ) ثُمَّ قَالَ « كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا ». ٥٧٥ .

وَتَرَى يَا مُحَمَّدٌ كَثِيرًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَيُحَالِفُونَهُمْ عَلَيْكَ، وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى قِتَالِكَ، وَأَنْتَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَبِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَتَشْهَدُ لَهُمْ بِصِدْقِ الرِّسَالَةِ، وَأُولَئِكَ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابٍ وَلَا رَسُولٍ، وَلَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَوْ لَا اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَتَزْيِينُ الشَّيْطَانِ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، مَا فَعَلُوا ذَلِكَ، فَبِتَسَّ مَا قَدَّمُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي اسْتَوْجَبَتْ سَخَطَ اللَّهِ، وَعَظِيمَ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ، وَسَيُجْزَوْنَ عَلَى ذَلِكَ شَرَّ الْجَزَاءِ، وَسَيُحِيطُ بِهِمْ الْعَذَابُ، وَلَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَصْرِفًا، وَيَخْلُدُونَ فِي النَّارِ أَبَدًا .

وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الْكَافِرِينَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّ الَّذِي يَدْعُونَ أَتْبَاعَهُ (وَهُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، لَمَا اتَّخَذُوا أُولَئِكَ الْكَافِرِينَ مِنْ عَابِدِي الْأَوْثَانِ، أَوْلِيَاءَ وَأَنْصَارًا، وَلَكَانَتْ عَقِيدَتُهُمْ الدِّينِيَّةُ صَدَقَتْهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مُتَمَرِّدُونَ فِي النِّفَاقِ، خَارِجُونَ عَنْ حَظِيرَةِ الدِّينِ، وَلَا يُرِيدُونَ إِلَّا الْجَاهَ وَالرِّيَاسَةَ، وَيَسْعَوْنَ إِلَى تَحْصِيلِهَا بِأَيِّ طَرِيقَةٍ كَانَتْ، وَبِأَيِّ وَسِيلَةٍ قَدَرُوا عَلَيْهَا .

المحاربون لله ورسوله

قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُنَطَّقَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤) {
سورة المائدة

الْمُحَارَبَةُ هُنَا هِيَ الْمُخَالَفَةُ وَالْمُضَادَّةُ، لِأَنَّ فِيهَا عَدَمَ إِذْعَانٍ لِلدِّينِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ، فِي حِفْظِ الْحُقُوقِ، وَهِيَ تَصُدِّقُ عَلَى الْكُفْرِ، وَعَلَى قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَإِخَافَةِ السَّابِلَةِ. وَكَذَلِكَ يُطْلَقُ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ .

وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ فَتَقَضُّوا الْعَهْدَ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، فَخَيَّرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ إِنْ شَاءَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ (أَيْ إِنْ قَطَعَ الْيَدَ الْيُمْنَى قَطَعَ مَعَهَا الرَّجْلَ الْيُسْرَى، وَالْعَكْسُ عَلَى الْعَكْسِ) أَوْ أَنْ يَنْفِيَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي ارْتَكَبَ فِيهَا الْجُرْمَ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى لِيُسْجَنُوا فِيهَا (وَالنَّفْيُ فِي مَفْهُومِ أَبِي حَنِيفَةَ هُوَ السِّجْنُ) وَالصَّحِيحُ: أَنَّ عَامَّةً تَشْمَلُ كُلَّ مَنْ ارْتَكَبَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ . وَحُكْمُ الْمُحَارَبَةِ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَابْنِ حَنْبَلٍ يَكُونُ فِي الْأَمْصَارِ كَمَا يَكُونُ فِي الطُّرُقِ خَارِجَ الْمَدِينِ، حَتَّى إِنْ مَالِكًا جَعَلَ الْمُحَارَبَةَ تَشْمَلُ حَالَةَ الرَّجُلِ الَّذِي يَخْدَعُ رَجُلًا فَيُدْخِلُهُ بَيْتَهُ فَيَقْتُلُهُ وَيَأْخُذُ مَا مَعَهُ .

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّمَا تَكُونُ الْمُحَارَبَةُ فِي الطُّرُقَاتِ لِبُعْدِ النَّاسِ عَمَّنْ يُغِيثُ، أَمَّا فِي الْأَمْصَارِ فَلَا تَكُونُ مُحَارَبَةً لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَلْحَقُهُ غَوْتُ إِذَا اسْتَعَاثَ .

وَفِي حَالَةِ الْمُحَارَبَةِ يَكُونُ دَمُ الْمَقْتُولِ لِلسُّلْطَانِ لَا إِلَى وَلِيِّ الْمَقْتُولِ، وَلَا يَكُونُ عَفْوُهُ سَبَبًا فِي اسْقَاطِ الْعُقُوبَةِ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ الْعُقُوبَةَ تَكُونُ عَلَى الشَّيْءِ: لِمَنِ التَّالِي: إِذَا قَتَلُوا يُقْتَلُونَ بِمَنْ قَتَلُوا .

إِذَا قَطَعُوا وَغَضِبُوا الْمَالَ وَلَمْ يَقْتُلُوا تُقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَيُنْفَوْنَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ . إِذَا أَخَافُوا السَّابِلَةَ فَقَطُّ يُحَبِّسُونَ .

وَهَذَا الْجَزَاءُ هُوَ عَارٌ لَهُمْ وَنَكَالٌ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (حَزِيٌّ)، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، إِذَا لَمْ يَتُوبُوا مِنْ فِعْلِهِمْ حَتَّى تَحِينَ وَفَاتُهُمْ .

وَأَكْثَرُ الْأَئِمَّةِ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ نَزَلَتَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ عُكْلٍ وَعَرَبِيَّةٍ، قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَتَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ فَوَجَدُوا الْمَدِينَةَ رَدِيئَةَ الْمَنَاحِ، فَأَمَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ الْإِبِلِ وَبِرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَطْرَافِهَا لِيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِنَاحِيَةِ الْحَرَّةِ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَأْفَوْا الْإِبِلَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَرْسَلَ فِي الطَّلَبِ فِي آثَارِهِمْ، فَأَتَتْ بِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ، فَسُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَقُطِعَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَتُرِكُوا حَتَّى مَاتُوا .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ لِبَيَانِ عُقُوبَةِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ .

فَإِذَا تَابَ الْجُنَاةُ الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَقْدَرَ عَلَيْهِمُ السُّلْطَةُ فِي الْبَلَدِ، سَقَطَ عَنْهُمْ الْعِقَابُ الْمَفْرُوضُ (وَهُوَ الْقَتْلُ أَوْ الصَّلْبُ أَوْ قَطْعُ الْيَدَيْنِ ..) وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، يَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ، وَهُوَ مُخْلِصٌ فِيهَا، لِأَنَّ تَوْبَتَهُمْ وَهُمْ فِي قُوَّةٍ وَمَنْعَةٍ جَدِيدَةٍ بِأَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِلَّهِ، صَادِرَةً عَنْ اعْتِقَادٍ بِقُبْحِ الذَّنْبِ، وَالْعَزْمِ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدَةِ إِلَى فِعْلِ مِثْلِهِ (وَلَكِنْ تَبَقَّى عَلَيْهِمْ حُقُوقُ الْعِبَادِ) .
قَبْلَ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ - قَبْلَ وَقُوعِهِمْ بِيَدِ السُّلْطَةِ .

الاستكبار في الأرض

قال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } (١٧٣) سورة النساء

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، فَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَامْتَنَعُوا عَنْ عِبَادَتِهِ، فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، فَهُوَ تَعَالَى يُجَازِي الْمُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ بِالْعَدْلِ وَالْفَضْلِ، وَيُجَازِي الْمُسِيءَ عَلَى إِسَاءَتِهِ بِالْعَدْلِ. وَلَكِنْ يَجِدُوا لَهُمْ وَلِيًّا يَلِي أُمُورَهُمْ وَيُدَبِّرُهَا، وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَبَاسِهِ .
وقال تعالى: { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ } (٢١) سورة إبراهيم

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبَرَّزُ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا لِلوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَتَجْتَمِعُ فِي بَرَازٍ وَاحِدٍ (وَهُوَ الْمَكَانُ الْوَاسِعُ الْخَالِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَسْتُرُهُ)، فَيَقُولُ الْأَتْبَاعُ (الضُّعَفَاءُ) لِلْقَادَةِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: لَقَدْ كُنَّا تَابِعِينَ لَكُمْ نَأْتِمِرُ بِأَمْرِكُمْ، وَقَدْ فَعَلْنَا مَا أَمَرْتُمُونَا بِهِ، فَهَلْ تَدْفَعُونَ عَنَّا الْيَوْمَ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ { فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا } ؟ فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْقَادَةُ الْكِبَرَاءُ قَائِلِينَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانَا لَهْدَيْنَاكُمْ مَعَنَا، وَلَكِنَّا ضَلَلْنَا فَضَلَلْتُمْ مَعَنَا، فَحَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَلَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ لِأَنَّ الْجَزَعَ لَا يُفِيدُ، وَسَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا فَلَا نَجَاةَ لَنَا مِنَ النَّارِ، وَلَا مَصْرِفَ لَنَا عَنْهَا .

أصحاب الأعمال السيئة

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) } [يونس/٧-٨]
إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلِقَاءِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَاعْتَقَدُوا وَاهِمِينَ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا هِيَ مُنْتَهَاهُمْ، وَلَيْسَ بَعْدَهَا حَيَاةٌ، فَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلُوا لِمَا بَعْدَهَا، وَغَفَلُوا عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ..

فَهَؤُلَاءِ سَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَصْلِيَهُمْ بِنيرانِهَا، وَسَيَجْعَلُهَا مَأْوًى لَهُمْ وَمَنْزِلًا، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَعَلَى مَا اكْتَسَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ وَالْخَطَايَا وَالْإِجْرَامِ .

من كفر بالقرآن

قال تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤) } سورة آل عمران
يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُتَّفَرِّدٌ بِالْأُلُوْهِيَّةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْحَيُّ فِي نَفْسِهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا، الْقَيِّمُ عَلَى أَمْرِ الْعَالَمِ، يُدَبِّرُهُ وَيُصَرِّفُهُ .

وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، يَا مُحَمَّدُ، مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَقِّ فِي كُلِّ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ أَصُولِ الشَّرَائِعِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا الْكُتُبُ السَّابِقَةُ، وَمُصَدِّقًا لَهَا. فَهِيَ تُصَدِّقُهُ بِمَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ، وَبَشَّرَتْ بِهِ، مِنَ الْوَعْدِ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِإِنزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ. وَهُوَ يُصَدِّقُهَا لِأَنَّهُ وَافَقَ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ. وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

وَقَدْ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لِهَدَايَةِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ، وَمِنْ جُمْلَةٍ ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ، حِينَ يُنْعَثُ. وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ - وَهُوَ مَا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، بِمَا يَذْكُرُهُ اللَّهُ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ الْقَاطِعَاتِ - (وَيَرَى بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفُرْقَانِ (التَّوْرَةُ) .

وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَحَدَّثُوا بِآيَاتِ اللَّهِ النَّاطِقَةِ بِتَوْحِيدِهِ، وَكَتَنَزَّيْهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِعِزَّةِ جَلَالِهِ، فَكَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ، ثُمَّ بَسَّاتِرِ الْكُتُبِ تَبَعًا لَذَلِكَ، وَأَنْكَرُوهَا، لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ مَنِيعٌ، عَزِيزٌ الْجَانِبِ، يَنْتَقِمُ مِمَّنْ جَحَدَ بِآيَاتِهِ، وَكَذَّبَ رَسُلَهُ .

فرعون ومن سار بركابه

قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) } سورة هود

يُخْبِرُ اللَّهُ عَنْ إِرْسَالِهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَكِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ (مَلَأَهُ)، مُؤَيَّدًا بِآيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَاتِ، الدَّلَالَتِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ، وَفِيهَا السُّلْطَانُ الْمُبِينُ، وَالْحُجَجُ الْوَاضِحَةُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ .

لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَكِبَارِ رَجَالِ دَوْلَتِهِ (مَلَكِهِ) مِنَ الْقِبْطِ، فَكَفَرَ فِرْعَوْنَ بِمَا جَاءَهُ بِهِ مُوسَى، وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِأَنْ يَتَّبِعُوهُ فِي الْكُفْرِ، فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ، وَمَسَلَكُوهُ وَطَرِيقَتَهُ فِي الْغِيِّ وَالضَّلَالِ، وَلَمْ يَكُنْ مَسَلَكُ فِرْعَوْنَ مَهْدِيًا رَشِيدًا حَتَّى يُتَّبَعَ .

(وَخَصَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَأَ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُمْ الْكِبَرَاءُ وَالْعَامَّةُ تَبِعَ لَهُمْ) .

وَكَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكَ قَوْمِهِ وَقَائِدَهُمْ فِي الدُّنْيَا، كَذَلِكَ يَتَقَدَّمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَبِئْسَ الْمَوْرِدُ الَّذِي يَرِدُونَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِإِطْفَاءِ ظَمَائِهِمْ، وَهُوَ الْمَاءُ الْحَمِيمُ.

وَلَحِقَتْ بِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَمِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْعَنُهُمْ أَهْلُ الْمَوْقِفِ جَمِيعًا فَتَكُونُ اللَّعْنَةُ تَابِعَةً لَهُمْ حَيْثُمَا سَارُوا، وَبِئْسَتْ هَذِهِ اللَّعْنَاتُ عَطَاءً وَرَفْدًا يُعْطَوْنَهُ وَيَتَّبِعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (وَيَتَّهِكُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ حِينَمَا يُسَمِّي هَذِهِ اللَّعْنَاتِ رَفْدًا وَعَطَاءً) .

وقال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرُّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَثَمَةً يُدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) } [القصص/٣٦-٤٢]

فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ، وَعَرَضَا عَلَيْهِمَا مَا آتَاهُمَا اللَّهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَالذَّلَالَاتِ الْقَاهِرَاتِ عَلَى صِدْقِهِمَا، لَمْ يَجِدْ فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ مَتَّيِّدِينَ بِبَرَاهِينِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ، فَعَدَلُوا إِلَى الْعِنَادِ وَالْمُبَاهَاةِ اسْتِكْبَارًا مِنْهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، فَقَالُوا: مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَعَلٌ وَمَصْنُوعٌ (مُفْتَرًى) ؛ وَقَالُوا إِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا فِيمَا تَنَاقَلُوهُ عَنْ آبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ أَنَّ أَحَدًا عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا .

فَأَجَابَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ رَبِّي يَعْلَمُ أَنِّي جِئْتُ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، فَهُوَ شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ سَتَكُونُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَأَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَشُرْكِهِمْ لَا يُفْلِحُونَ أَبَدًا، وَلَا يُدْرِكُونَ طُلُبَتَهُمْ وَبُعَيْتَهُمْ .

كَانَ فِرْعَوْنُ يَدَّعِي الْأُلُوهِيَّةَ، وَقَدْ حَمَلَ قَوْمُهُ عَلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَى وَهَارُونُ يَدْعُوَانِهِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُحَذِّرَانِهِ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ إِنَّ اسْتَمَرَ فِي كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، خَذَ فِي الْمَكَابِرَةِ وَالْمَعَانِدَةِ، وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ كِبَارِ رَجَالِ دَوْلَتِهِ: إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ لِقَوْمِهِ إِلَّا غَيْرَهُ هُوَ. وَقَالَ لِمُوسَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: { لِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ } ثُمَّ أَمَرَ وَزِيرَهُ هَامَانَ بِأَنْ يُوقِدَ النَّارَ لِيشْوِي الطِّينَ، وَيَجْعَلَ مِنْهُ آجِرًا لِإِسَادَةِ قَصْرِ شَامِخٍ لَهُ (صَرْحًا)، يَصْعَدُ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ لِيَرَى إِلَهَ مُوسَى. ثُمَّ قَالَ

إِنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ مُوسَى مِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّ لَهُ إِلَهًا فِي السَّمَاءِ يَنْصُرُهُ وَيُؤَيِّدُهُ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ. وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَرْمِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَى تَحْفِيفِ أَثَرِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى وَهَارُونُ، فِي نُفُوسِ رَعِيَّتِهِ .

وَطَعَى فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ وَجُنُودُهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَتَجَبَّرُوا، وَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ لَا قِيَامَةَ وَلَا حَشَرَ وَلَا مَعَادَ، وَلَا رَجْعَةَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا حِسَابَ لَهُمْ عَلَى عَمَلِهِمُ السَّيِّئِ، وَاعْتَقَدَ هُمُ الْفَاسِدُ . فَجَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، وَأَغْرَقَهُمْ فِي الْبَحْرِ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُعْتَبِرُ بِالْآيَاتِ كَيْفَ كَانَ أَمْرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَهَذِهِ هِيَ عَاقِبَةُ الْكُفْرِ وَالْبَغْيِ وَالظُّلْمِ .

وَجَعَلَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ أَئِمَّةً، يَقْتَدِي بِهِمْ أَهْلُ الْعُتُوِّ وَالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ، فَهُمْ يَحْتَوُونَ عَنِ الشُّرُورِ وَالْمَعَاصِي، الَّتِي تُلْقِي بِصَاحِبِهَا فِي النَّارِ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَصِيرَ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ، وَيَقْتَدِي بِهِمْ فِي الْكُفْرِ، وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ مِثْلَ مَصِيرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا يَنْصُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا، مُتَّصِلًا بِذَلِكَ الْآخِرَةِ .

وَأَلَزَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خِزْيًا وَطَرْدًا مِنْ رَحْمَتِهِ (لَعْنَةً)، ثُمَّ قَضَى عَلَيْهِمْ بِالْبَوَارِ وَالْهَلَاكِ، وَسُوءَ الْأَحْدُوثِ، وَسَيِّئَاتِهِمْ لَعْنَةً أُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَذِلُّهُمْ وَيُخْزِيهِمْ خِزْيًا دَائِمًا مُسْتَمِرًّا لَا فَكَاكَ لَهُمْ مِنْهُ .

الْأَشْقِيَاءُ

قال تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُّودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) } [هود/١٠٣-١٠٧] إِنَّ فِيمَا قَصَّهَ اللَّهُ مِنْ إِهْلَاكِ أُولَئِكَ الْأُمَمِ، وَبَيَانِ سُنَّتِهِ فِي عَاقِبَةِ الظَّالِمِينَ، لِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَعِبْرَةٍ ظَاهِرَةٍ لِمَنْ يَخَافُ عَذَابَ الْآخِرَةِ فَيَعْتَبِرُ بِهَا، وَيَتَّقِي الظُّلْمَ فِي الدُّنْيَا، إِذْ يَعْلَمُ أَنَّ مَنْ عَذَّبَ الظَّالِمِينَ فِي الدُّنْيَا، لِقَادَرٍ عَلَى أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ .

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ تَجْتَمِعُ فِيهِ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا لِلْحِسَابِ، وَتَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ، وَتَجْتَمِعُ فِيهِ الرُّسُلُ، وَتُحْشَرُ الْخَلَائِقُ، وَيَحْكُمُ فِيهِ الْمَلِكُ الْعَادِلُ، الَّذِي لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ . وَمَا يُؤَخِّرُ اللَّهُ تَعَالَى إِقَامَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ (يَوْمِ الْقِيَامَةِ) إِلَّا لِمُدَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ مَعْلُومَةٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ، لَا يَزَادُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْقُصُ مِنْهَا .

وَحِينَ يَأْتِي يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِأَهْوَالِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَمْعِ شَقِيٌّ بِمَا يَنْتَظِرُهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ بِمَا يَنْتَظِرُهُ مِنَ النِّعَمِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ .
 أَمَّا الْأَشَقِيَاءُ، الَّذِينَ شَقُّوا بِمَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ فِي الدُّنْيَا، فَيَصِيرُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَتَضِيقُ صُدُورُهُمْ بِثِقَلِ الْعَذَابِ، فَيُصْبِحُ نَفْسُهُمْ زَفِيرًا، وَأَخَذَهُمُ النَّفْسُ شَهيقًا .
 وَيَقْفُونَ فِي النَّارِ خَالِدِينَ، مَا دَامَتْ هُنَاكَ سَمَاوَاتٌ تُظِلُّ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَرْضٌ يَقْفُونَ عَلَيْهَا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، إِذْ يُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِهِ الْعَصَاةَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ يَمْتَنُّ عَلَى الْآخِرِينَ فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ وَالْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ .

قساة القلوب

قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) } سورة الأنعام
 يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الْأُمَمِ السَّالِفَةِ رُسُلًا يَدْعُونَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَكَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالْفَقْرِ، وَالضِّيقِ، فِي الْعَيْشِ (فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ)، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَاضَ وَالْأَسْقَامَ وَالْآلَامَ (وَالضَّرَّاءِ)، لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ، وَيَخْشَعُونَ إِلَيْهِ، وَيَدْعُونَهُ لِيُكْشِفَ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ، فَقَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي فِطْرَةِ الْبَشَرِ أَنْ يَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ .

فَهَلَّا، إِذْ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْبَلَاءِ، تَضَرَّعُوا إِلَيْهِ وَتَوَسَّلُوا، حِينَ جَاءَتْهُمْ مُقَدِّمَاتُ الْعَذَابِ، لِيُكْشِفَهُ عَنْهُمْ، وَلَكِنْ قُلُوبُهُمْ قَسَتْ فَلَمْ تَرَقَّ وَلَمْ تَخْشَعْ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي وَالْمَعَانِدَةِ وَحَسَنَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيُثْبِتُوا عَلَى مَا وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَيْهِ .
 فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَمَّا أَنْذَرَهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ، وَتَرَكُوا الْاهْتِدَاءَ بِهِ، وَتَنَاسَوْهُ وَجَعَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، اسْتَدْرَجَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ فَتَحَ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ، وَأَعْطَاهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُحِبُّونَ وَيَخْتَارُونَ، وَزَادَهُمْ سِعَةً فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، فَلَمْ تُرَبِّهِمُ النِّعْمَةُ، وَلَا شَكَرُوا اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ وَآلَاتِهِ، بَلْ دَفَعَتْهُمْ تِلْكَ النِّعْمَةُ إِلَى الْبَطَرِ وَالْأَشْرِ، فَفَرَحُوا بِذَلِكَ وَسُرُّوا، إِذْ ظَنُّوا أَنَّ الَّذِي أُوتُوا إِنَّمَا هُوَ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ، وَحِينَئِذٍ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ بَغْتَةً، وَعَلَى حِينٍ غَرَّةٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا هُمْ يَأْسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ .
 (وَقَالَ فُتَادَةُ: مَا أَحَدَ اللَّهُ قَوْمًا قَطُّ إِلَّا عِنْدَ سَكْرَتِهِمْ، وَغَرَّتِهِمْ، وَنِعْمَتِهِمْ فَلَا تَعْتَرُوا) .

فَدَمَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ جَمِيعًا، أَوْلَهُمْ وَآخَرَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَإِذَا قَطَعَ اللَّهُ دَابِرَ الْقَوْمِ (آخَرَهُمْ) فَقَدْ قَطَعَ أَوْلَهُمْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ عَلَى مَا أَنْعَمَهُ عَلَى رُسُلِهِ، وَأَهْلٍ طَاعَتِهِ، بِإِظْهَارِ حُجَجِهِمْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ

منكرو البعث

قال تعالى: {وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) } سورة الأنعام

وَلَوْ رُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا، لَعَادُوا إِلَى قَوْلِ مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ مِنْ قَبْلُ، فِي الدُّنْيَا: إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، وَلَا مَعَادَ بَعْدَهَا وَلَا رَجْعَةَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا حَشَرَ بَعْدُ، وَلَا حِسَابَ .

وَلَوْ تَرَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، حِينَ تَقْفُهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، لَهَالِكَ أَمْرُهُمْ، وَلَا سَتَبَشَّعَتْ مَنَظَرُهُمْ وَلَرَأَيْتَ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصَفٌ فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى قَائِلًا: أَلَيْسَ هُوَ بِبَاطِلٍ كَمَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ؟ فَيَرُدُّونَ مُقْسِمِينَ بَأَنَّهُ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ. فَيَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: مَا دَامَ الْأَمْرُ كَمَا اعْتَرَفْتُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بَأَنَّهُ سَيَكُونُ جَزَاءً لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ رُسُلَ رَبِّهِمْ. لَقَدْ خَسِرَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ، الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْحَشْرِ، وَلِقَاءِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ لِلْحِسَابِ، كُلُّ مَا رَبِحَهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَفَازُوا بِهِ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَسْتَمِرُّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ فِي ضَلَالِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، وَبَاطِلِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ فَجْأَةً دُونَ سَابِقِ إِنْدَارٍ، فَحِينَئِذٍ يَدْرِكُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ. وَيَقُولُونَ: يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا فَكَذَّبْنَا وَاسْتَكْبَرْنَا، وَاسْتَسْلَمْنَا لِلشَّهَوَاتِ، وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنَّهُ لَا حَيَاةَ أُخْرَى، وَلَا بَعْثَ وَلَا حِسَابَ وَيَأْتُونَ اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ ذُنُوبَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ وَكَانَ الْأَحْمَالُ الثَّقِيلَةُ (أَوْزَارَهُمْ)، وَمَا أَسْوَأَ مَا يَحْمِلُونَ .

من وصف الله تعالى بوصف معيب

قال تعالى: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ

وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) { سورة آل عمران

وَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعَمِهِ، (كَمَنْعِ الرِّكَاءِ، وَعَدَمِ الْبَدْلِ حِينَمَا
تَتَعَرَّضُ الْأُمَّةُ لِلْمَكَارِهِ..) هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ مَضْرَّةٌ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، لِأَنَّ الْعَبْدَ مُطَالِبٌ
بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالبُّخْلُ كُفْرَانٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْدُرَ عَنْ عَاقِلٍ. وَحِينَمَا يَتَهَدَّدُ الْخَطَرُ
الْأُمَّةُ، وَيَقْتَضِي الْأَمْرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْبَدْلَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَبْخُلُوا لِأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى دَفْعِ الضَّرَرِ عَنِ النَّفْسِ
وَالْمَالِ؛ وَالبُّخْلُ وَالامْتِنَاعُ عَنِ الْبَدْلِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ شَرٌّ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ أَمَّا فِي دِينِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ
يَتَهَدَّدُهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ بِالْمَالِ الَّذِي بَخَلُوا بِهِ، وَيَلْزَمُهُمُ الْإِنْتِمَاءُ وَالذُّنْبُ، وَلَا يَجِدُونَ إِلَى دَفْعِهِ سَبِيلًا .
وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَالْمَالُ كُلُّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ، فَمَا لَهُؤَلَاءِ يَبْخُلُونَ عَلَيْهِ بِمَالِهِ، وَلَا
يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِهِ، وَهُوَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ؟
سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا - سَيُلْزَمُونَ إِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ كَمَا يَلْزَمُ الطَّوْقُ الرِّقَبَةُ .

لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } قَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ أَتَقَرَّرُ رَبُّكَ
فَيَسْأَلُ عِبَادَهُ الْقَرْضَ؟ وَرَوِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَقِيَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا
أَبَا بَكْرٍ مَا بَنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ حَاجَةٍ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَفَقِيرٌ، مَا تَنْضَرُّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ الْيَنَاءُ، وَإِنَّا عَنْهُ
أَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا اسْتَقْرَضَ مِنَّا كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ.. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ .
وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ بِأَنَّهُ سَمِعَ مَا قَالُوا، وَسَيَكْتُبُهُ وَيُسَجِّلُهُ عَلَيْهِمْ، وَسَيَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ، كَمَا
سَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى رِضَاهُمْ بِمَا قَامَ بِهِ أَسْلَافُهُمْ مِنْ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَيْهِ شَرَّ
الْجَزَاءِ. وَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ .

وَهَذَا الْعَذَابُ الْمُحْرِقُ الَّذِي تَذُوقُونَهُ، إِنَّمَا وَقَعَ بِكُمْ بِسَبَبِ مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ، وَكُفْرٍ
وِظْلَمٍ، وَقَتْلٍ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَقَوْلٍ: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِكُمْ هَذَا الْعِقَابَ بِالْحَقِّ، وَالْعَدْلَ، وَهُوَ لَا يَظْلِمُ
أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ .

لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودَ إِلَى الْإِسْلَامِ، رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ رُؤُسَائِهِمْ (مِثْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَمَالِكِ
بْنِ الصَّيْفِ، وَفَتْحَاسِ بْنِ عَازُورَاءَ) قَائِلِينَ: إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَ
بِمُعْجَزَةٍ، مِنْهَا أَنْ يَكُونَ إِذَا قَرَّبَ قُرْبَانًا إِلَى اللَّهِ، (أَيْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ) فَتُقَبَّلَ مِنْهُ، تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ
فَتَحْرِقُ الْقُرْبَانَ .

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُكَذِّبًا مَقَالَتَهُمْ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، قُلْ لَهُمْ: لَقَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ قَبْلِي بِالْحُجَجِ
وَالْبَرَاهِينِ، وَبِنَارٍ تَأْكُلُ الْقَرَابِينَ الْمُتَقَبِّلَةَ (وَهُوَ الَّذِي قَالُوهُ وَطَلَبُوهُ) فَلِمَ آذَا قَتَلْتُمُوهُمْ، وَكَذَبْتُمُوهُمْ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟

وَيُعْزِي اللَّهُ رَسُولَهُ قَائِلًا: إِنَّ كَذَبَكَ هَؤُلَاءِ فَلَا يَهْمُنَكَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَكَ أَسْوَةٌ بِمَنْ جَاءَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، الَّذِينَ جَاؤُوا الْمُكَذِّبِينَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ، وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ (الزُّبُرِ) وَالْكِتَابِ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ (الْكِتَابِ الْمُنِيرِ)، وَأَتَوْا بِالْقُرْآنِ الَّذِي تَأْكُلُهُ النَّارُ.. فَقُوبِلُوا مِنْهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالْمُعَانَدَةِ، وَقَتَلُوا بَعْضُهُمْ كَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ غُلَاطُ الْأَكْبَادِ، فُسَاةُ الْقُلُوبِ، لَا يُقِيمُونَ الْحَقَّ، وَلَا يُدْعُونَ لَهُ .

المجرمون

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (١٢٣) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤) { سورة الأنعام

وَكَمَا جَعَلْنَا فِي قَرْيَتِكَ أَكْبَارًا مِنَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مُخَالَفَتِكَ وَمُعَادَاتِكَ.. كَذَلِكَ كَانَتِ الرُّسُلُ قَبْلَكَ يُتْلَوْنَ بِذَلِكَ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ. وَيَقُومُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ بِالِدَّعْوَةِ إِلَى الضَّلَالَةِ بِزُخْرَفٍ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ (يَمْكُرُونَ) .

وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ لَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ، لَأَنَّ مَكْرَهُمْ يَعُودُ وَبَالًا عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ يَهْلِكُهُمْ بِالْعَذَابِ، وَيُطِيلُ مَكْرَهُمْ، وَيَنْصُرُ رُسُلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ يَمْكُرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ .

وَإِذَا جَاءَ أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ تَتَضَمَّنُ صِدْقَ الرَّسُولِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْهُدَى، قَالُوا: لَنْ نَدْعَنَ لِلْحَقِّ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْنَا الْوَحْيُ، كَمَا يَنْزِلُ عَلَى الرُّسُلِ .

وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ قَائِلًا: الرِّسَالَةُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ يَمُنُّ بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ بِكَسَبٍ، وَلَا يُعْطِيهِ اللَّهُ إِلَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لَهُ. ثُمَّ يَتَوَعَّدُ اللَّهُ الْمُجْرِمِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ عَنْ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَالْإِنْقِيَادِ لَهُمْ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ، بِأَنَّهُمْ سَيُصِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَغَارٌ وَذَلَّةٌ دَائِمِينَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى اسْتِكْبَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَسَيَنَالُهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ وَخَدِيعَتِهِمْ .

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) { سورة الزخرف

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْمُؤْمِنِينَ السَّعْدَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَفَاكِهَةٍ، وَنَعِيمٍ لَا يَيْلَى، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ حَالِ الْكُفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ، فَقَالَ إِنَّ الْكُفْرَةَ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا .

لَا يُخَفَّفُ الْعَذَابُ عَنْهُمْ لِحِظَةٍ، وَهُمْ سَاكِتُونَ يَائِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَفَرَجٍ .

وَمَا ظَلَمَ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ بِمَا أَنْزَلَهُ بِهِمْ مِنْ عِقَابٍ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَإِجْرَامِهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ أَسَاءُوا إِلَيْهَا، فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ السَّيِّئِ .
وَحِينَمَا يَشْتَدُّ الْعَذَابُ بِالْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ يَضْجُونَ فِي النَّارِ، وَيُنَادُونَ: يَا مَالِكُ (وَهُوَ حَازِنُ النَّارِ) ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَقْبِضْ أَرْوَاحَنَا لِيُرِيحَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. فَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ مَالِكٌ قَائِلًا لَهُمْ: إِنَّهُمْ مَا كُنْتُمْ فِي النَّارِ أَبَدًا، وَلَا مَجَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى خُرُوجِهِمْ مِنْهَا .
وَيَذْكُرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - أَوْ يُذَكِّرُهُمْ مَالِكٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ - بِسَبَبِ شَقَائِهِمْ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَأَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوا فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ .

إيذاء المؤمنين بغير حق

قال تعالى: { وَإِذَا تَنَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونِ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (٧٢) سورة الحج

وَإِذَا قُرِئَتْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الْعَابِدِينَ غَيْرَ اللَّهِ، آيَاتُ الْقُرْآنِ الْبَيِّنَاتِ، وَذُكِّرُوا بِمَا فِيهَا مِنْ حُجَجٍ وَبَرَاهِينٍ، وَدَلَائِلٍ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، تَبَدَّلَ مَلَامِحُ وَجُوهِهِمْ، وَتَثَوَّرَ نُفُوسُهُمْ وَيَهُمُّونَ بِالْبَطْشِ بِالَّذِينَ يَقْرَأُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ، وَيَذْكُرُونَ بِهِ، وَيَكَادُونَ يُبَادِرُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالشَّتْمِ (يَسْطُونِ بِهِمْ) .

فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ: إِنَّ النَّارَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ لِيُذِيبَهُمْ فِيهَا هِيَ أَشَدُّ وَأَقْسَى وَأَعْظَمُ مِمَّا تُخَوِّفُونَ بِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا؛ وَبِئْسَ النَّارُ مَنَزَلًا وَمَقَامًا وَمَصِيرًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِلَّذِينَ كَفَرُوا .
إِنَّمَا لَا يَنَاضُونَ الْحُجَّةَ بِالْحُجَّةِ، وَلَا يَقْرَعُونَ الدَّلِيلَ بِالدَّلِيلِ إِنَّمَا هُمْ يَلْجَأُونَ إِلَى الْعَنْفِ وَالْبَطْشِ عِنْدَمَا تَعُوزُهُمُ الْحُجَّةُ وَيَخْذَلُهُمُ الدَّلِيلُ. وَذَلِكَ شَأْنُ الطَّغَاةِ دَائِمًا يَشْتَجِرُ فِي نَفُوسِهِمُ الْعَتُو، وَتَهِيْجُ فِيهِمْ رُوحَ الْبَطْشِ، وَلَا يَسْتَمْعُونَ إِلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ لِأَنَّهُمْ يَدْرِكُونَ أَنَّ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَدْفَعُونَ بِهِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ إِلَّا الْعَنْفَ الْغَلِيظَ!

الفاسقون

قال تعالى: { أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٢٠) } [السجدة/ ١٨-٢٠]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي فِي حُكْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ مُتَّبِعًا رِسُولَهُ، مَعَ مَنْ كَانَ خَارِجًا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ (فَاسِقًا)، مُكَذِّبًا رُسُلَهُ .

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَأَنْتَهُوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ.. فَهَؤُلَاءِ لَهُمُ الْجَنَّاتُ الَّتِي فِيهَا الْمَسَاكِينُ، وَالذُّورُ، وَالْعُرْفُ الْعَالِيَاتُ (جَنَّاتُ الْمَأْوَى) يَحُلُّونَ فِيهَا نُزُلًا فِي ضِيَافَةٍ وَكَرَامَةٍ، جَزَاءَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِيمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ .

وَأَمَّا الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ (فَسَقُوا) وَكَفَرُوا بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ.. فَإِنَّ مَأْوَاهُمْ سَيِّكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَكُلَّمَا حَاوَلُوا الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ يَرُدُّونَ إِلَيْهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَقْرِيعًا: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ، بِمَ كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّكُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ

المسرفون

قال تعالى: { لَا جَرَمَ أَنَّكَ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } (٤٣) سورة غافر
لَا شَكَّ فِي أَنَّ مَا تَدْعُونَنِي أَنْتُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ لَا يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ، فَهُوَ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. وَإِنْ مَرَدَّنَا جَمِيعًا فِي الْآخِرَةِ سَيَكُونُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَإِنَّ الْمُسْرِفِينَ الْمُتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ بِالْكَفْرِ وَالشَّرِكِ سَيَكُونُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ وَيُعَذَّبُونَ فِيهَا .

أعداء الله

قال تعالى: { وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) وَفَقِضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْعَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ (٢٦) فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الدِّينَ أَضْلَانًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩) [فصلت / ١٩، ٢٩] }

وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدٌ لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ حَالَ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ وَيَرْتَدِعُونَ عَنْ غَوَايَاتِهِمْ، فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُسَاقُ الْكَفَرَةُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ، فَتَحْبِسُ الزَّبَانِيَةُ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ (أَيْ تَفْقَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يَتَلَاخَقُوا، وَيَتَكَامَلَ جَمْعُهُمْ) . حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى النَّارِ وَوَقَفُوا عَلَيْهَا، شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ (سَمِعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) بِمَا كَانُوا يَجْتَرِحُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَعَاصِي، وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ أَعْمَالٍ، لَا يَكْتُمُونَ مِنْهَا شَيْئًا .

فَيَقُولُ الْمُجْرِمُونَ لِحُلُودِهِمْ، وَهُمْ يُلُومُونَهَا عَلَى شَهَادَتِهَا عَلَيْهِمْ: لِمَ أَذَا شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ فَتَرُدُّ الْجُلُودُ قَائِلَةً: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْطَقَهَا، وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهَا وَخَلَقَهُمْ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، فَهُوَ تَعَالَى لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ تَبَسَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِنْ أَيْ شَيْءٍ ضَحَكْتُ؟ فَقَالَ: عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَظْلِمَنِي؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ عَلَيَّ شَهَادَةَ شَاهِدٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَيَقُولُ: أَوْ لَيْسَ كَفَى بِي شَهِيدًا، وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ قَالَ: فَيَرُدُّ هَذَا الْكَلَامَ مَرَّاتٍ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُمْ وَسُحْقًا، عَنْكُمْ كُنْتُ أَجَادِلُ^{٥٧٦} .

وَتَقُولُ لَهُمْ جَوَارِحُهُمْ وَجُلُودُهُمْ: وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَخْفُونَ مِنَّا حِينَمَا كُنْتُمْ تَرْتَكِبُونَ الْفَوَاحِشَ حَذَرًا مِنْ أَنْ نَشْهَدَ عَلَيْكُمْ، بَلْ كُنْتُمْ تُجَاهِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ. وَهَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ هُوَ الَّذِي أَرْدَاكُمْ وَأَوْصَلَكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ، فَصَرِّثُ الْيَوْمَ مِنَ الْهَالِكِينَ الْخَاسِرِينَ .

عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ فَإِنَّ قَوْمًا قَدْ أَرْدَاهُمْ سُوءَ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٢٣) سورة فصلت »^{٥٧٧} .

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَصْبَرُوا أَمْ لَمْ يَصْبِرُوا فَإِنَّهُمْ فِي النَّارِ لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا، وَإِنْ طَلَبُوا أَنْ يَسْتَعْتَبُوا وَيُبْدُوا مَعَازِيرَهُمْ فَلَنْ يُقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَلَا تُقَالَ عَثَرَاتُهُمْ .

وَيَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ أَخْدَانًا وَأَقْرَانًا مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَلَمْ يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا مُحْسِنِينَ، وَأَوْحُوا إِلَيْهِمْ إِنَّهُ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا حِسَابَ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا وَجَبَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلُوا مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ، فَكَانُوا جَمِيعًا فِي الْخَسَارِ وَالْدَّمَارِ، وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

^{٥٧٦} - المستدرک للحاکم (٨٧٧٨) حسن

^{٥٧٧} - مسند أحمد (١٥٥٨٨) صحيح

وَتَوَاصَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِأَلَّا يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ، وَأَلَّا يَنْقَادُوا إِلَيْهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِذَا تُلِيَ الْقُرْآنُ لَا تُنصِتُوا لَهُ، وَعَارِضُوهُ بِاللُّغُوِّ وَالْبَاطِلِ بِرَفْعِ الصَّوْتِ بِالشَّعْرِ، أَوْ الْكَلَامِ أَوْ الصَّفِيرِ.. لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ الْعَالِيينَ .

وَيَتَهَدَّدُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُ سَيُذِيقُهُمْ عَذَابًا لَا تُمْكِنُ الْإِحَاطَةُ بِوَصْفِهِ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ فِي الدُّنْيَا أَحْبَطَهَا الشَّرْكُ وَأَهْلَكَهَا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِلَّا الْقَبِيحُ السَّيِّئُ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَجَازُونَ إِلَّا عَلَى السَّيِّئَاتِ .

وَذَلِكَ الْجَزَاءُ الشَّدِيدُ، الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِأَعْدَائِهِ، هُوَ النَّارُ يُعَذِّبُونَ فِيهَا، وَيَبْقُونَ فِي الْعَذَابِ خَالِدِينَ أَبَدًا، وَهِيَ جَزَاؤُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ سَمَاعِهَا . وَيَسْأَلُ الْكَافِرُونَ اللَّهَ، وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، أَنْ يَرِيَهُمُ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْأَنْسِ وَالْجِنِّ لِيُدْوسُوهُمْ بِأَقْدَامِهِمْ انْتِقَامًا مِنْهُمْ، وَإِهَانَةً لَهُمْ (أَوْ لِيَجْعَلُوهُمْ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الْعَذَابِ لِيَكُونَ عَذَابُهُمْ أَشَدَّ) ..

الملحدون في آيات الله

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٤٠) سورة فصلت

الَّذِينَ يُعَانِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ، وَيَمِيلُونَ بِهَا عَنْ الْحَقِّ جُحُودًا وَتَكْذِيبًا، اللَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ، وَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَهُوَ لَهُمُ بِالْمُرْصَادِ، وَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِ وَتَكْذِيبِهِ، مَعَ مَنْ يَأْتِي رَبَّهُ مُؤْمِنًا مُطْمَئِنًّا لَا يَخْشَى مِنْ عَمَلِهِ شَيْئًا. ثُمَّ يَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةَ الْمُعَانِدِينَ فَيَقُولُ لَهُمْ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ أَعْمَالٍ فَإِنَّكُمْ سَتُجْزَوْنَ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى مُحْصٍ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ جَمِيعًا، وَهُوَ خَيْرُ بَصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا شِئْتُمْ بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمْ مَصِيرَ كُلِّ مَنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ .

الخيانة في الدين

قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ} (١٠) سورة التحريم

يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِحَالِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُخَالِطُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُعَاشِرُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ مِنَ الْعِظَاتِ وَالذَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، بِحَالِ امْرَأَةِ نُوحٍ وَامْرَأَةِ لُوطٍ، فَقَدْ كَانَتْ كُلُّ مِنْهُمَا زَوْجَةً لِنَبِيِّ صَالِحٍ مِنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ تَنْفَعَا بِمَا كَانَا يَدْعَوَانِ إِلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَعَمِلْنَا أَعْمَالًا تَدُلُّ عَلَى الْخِيَانَةِ وَالْكَفْرِ، فَأَتَاهُمَا امْرَأَةُ نُوحٍ زَوْجَهَا

بِالْجُنُونِ، وَكَانَتْ إِمْرَأَةٌ لُوطٌ تُرْشِدُ قَوْمَهَا إِلَى ضُيُوفِ زَوْجِهَا لِيَفْعَلُوا مَعَهُمُ الْخَبَائِثَ، فَأَهْلَكَهُمَا اللَّهُ مَعَ قَوْمِهِمَا، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمَا النَّارَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَنْ يَنْفَعَهُمَا قُرْبُهُمَا مِنْ نَبِيِّنِ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَلَا انْتِسَابُهُمَا إِلَيْهِمَا، وَيُقَالُ لَهُمَا: ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ إِلَيْهَا .

من تأخذه العزة بالإثم

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) [البقرة/٢٠٤-٢٠٦] }

هَذَا أَنَا مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ الْمَرْءَ حَلَاوَةً أَلْسِنَتِهِمْ، وَيَتَظَاهَرُونَ بِالْوَرَعِ وَطِيبِ السَّرِيرَةِ، وَيُشْهَدُونَ اللَّهَ عَلَى صِدْقِ طَوَائِفِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَقُلُوبُهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، فَهُمْ يَقُولُونَ حَسَنًا، وَيَفْعَلُونَ سَيِّئًا، وَهُمْ شَدِيدُو الْجَدَلِ، لَا يُعْجِزُهُمْ أَنْ يُعْشُوا النَّاسَ بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيلِ إِلَى الْإِصْلَاحِ . فَإِذَا انْصَرَفَ الْوَاحِدُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَى الْعَمَلِ، أَوْ إِذَا تَوَلَّى وَلَايَةً يَكُونُ لَهُ فِيهَا سُلْطَانٌ، اتَّجَهَ إِلَى الشَّرِّ وَالْفُسَادِ فِي قِسْوَةٍ وَجَفْوَةٍ، تَتِمُّثَلُّ فِي إِهْلَاكِ النَّبَاتِ وَالْحَرْثِ، وَإِثْلَافِ النَّسْلِ الَّذِي يُمَثِّلُ امْتِدَادَ الْحَيَاةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْرَهُ الْفُسَادَ وَالْمُفْسِدِينَ .

فَإِذَا أَخْرَجَ هَذَا الْمُنَافِقُ حِقْدَهُ عَنْ طَرِيقِ التَّخْرِيبِ وَالْفُسَادِ، وَقِيلَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ وَاتَّقِ اللَّهَ، وَاسْتَحِ مِنْهُ، اسْتَعَزَّ بِالْإِثْمِ وَالْخَطِيئَةِ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ فِي وَجْهِ الْحَقِّ. فَإِنْ يَفْعَلْ هَذَا الْمُنَافِقُ ذَلِكَ فَجَهَنَّمُ حَسْبُهُ، وَفِيهَا الْكَفَايَةُ لَهُ، وَهِيَ بِنَسِ الْمَقَرِّ وَالْمِهَادِ لَهُ، وَهِيَ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى عَلَى أَفْعَالِهِ وَأَثَامِهِ .

عدم اتباع منهج الله

قال تعالى: { أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (١٦٢) سورة آل عمران

لَا يَسْتَوِي مَنْ أَتَّبَعَ أَمْرَ اللَّهِ فِيمَا شَرَعَهُ، وَتَرَكَ الْعُلُولَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ، حَتَّى زَكَتْ نَفْسُهُ، فَاسْتَحَقَّ رِضْوَانَ اللَّهِ، وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ، مَعَ مَنْ اسْتَحَقَّ غَضَبَ اللَّهِ بِفِعْلِ الْخَطَايَا، وَارْتِكَابِ الذُّنُوبِ: مِنْ سَرِقَةٍ، وَخِيَانَةِ أَمَانَةٍ، وَغُلُولٍ، وَقَتْلِ، وَسَلْبٍ. فَكَانَ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا .

من صد عن دين الله

قال تعالى: { أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) [النساء/٥٣-٥٥] }

يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ، بَعْدَ أَنْ فَقَدُوهُ بِكُفْرِهِمْ، وَظُلْمِهِمْ، وَطُغْيَانِهِمْ، وَإِيمَانِهِمْ بِالْجَنَّتِ وَالطَّاغُوتِ، ثُمَّ يَصِفُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبُخْلِ وَالْأَثَرَةِ، وَيَقُولُ: لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا لَهُمُ الْمُلْكُ، وَحَقُّ التَّصَرُّفِ، لَمَا أَعْطَوْا النَّاسَ شَيْئًا، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْفَدَ مَا لَدَيْهِمْ، وَلَحَصَرُوا مَنَافِعَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ .

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَضِيقَ فَضْلُ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لَأُمَّةٍ فَضْلٌ أَكْثَرُ مِمَّا لَهُمْ أَوْ مِثْلُهُمْ، لَمَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْغُرُورِ بِنَسَبِهِمْ، وَتَقَالِيدِهِمْ، مَعَ سُوءِ حَالِهِمْ. وَإِنَّ حَسَدَهُمُ لِلرَّسُولِ ﷺ، عَلَى مَا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ الثَّبُوتِ الْعَظِيمَةِ، هُوَ الَّذِي مَنَعَهُمْ مِنَ التَّصَدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، لِأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ، وَلَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَإِنَّ يَحْسُدُوا مُحَمَّدًا عَلَى مَا أُوتِيَ، فَقَدْ أَخْطَؤُوا إِذْ أَنْ مَا أَتَى اللَّهُ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِدَعَا مِنَ اللَّهِ، فَقَدْ أَتَى اللَّهُ هَذَا آلَ إِبْرَاهِيمَ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ، فَلِمَاذَا يَعْجَبُونَ مِمَّا أَتَى اللَّهُ مُحَمَّدًا، وَلَمْ يَعْجَبُوا مِمَّا أَتَى آلَ إِبْرَاهِيمَ؟

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنَ فَرِيقٌ، مِنْ أَقْوَامِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ، وَكَفَرَ فَرِيقٌ وَسَعَى فِي الْأَرْضِ يُفْسِدُ فِيهَا، وَيَصُدُّ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَكَفَى بِالنَّارِ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ كُتِبَ اللَّهُ وَرُسُلُهُ .

قتل النفس عدوانا وظلماً

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) } سورة النساء

يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ عَنْ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُهُمْ مَالَ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ، أَيْ أَنْ يَأْخُذَهُ بِطَرِيقٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ: كَالْقِمَارِ وَالرِّبَا وَالْحِيلِ وَغَيْرِهَا.. وَإِنْ ظَهَرَتْ فِي قَالِبِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيٍّ، مِمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ مَتَاعَطِيهَا إِنَّمَا يُرِيدُ الْحِيلَةَ لِأَكْلِ الرِّبَا. فَاللَّهُ تَعَالَى يُحَرِّمُ عَلَى النَّاسِ تَعَاطِي الْأَسْبَابِ الْمُحَرَّمَةِ فِي اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ، وَاسْتَنْتَى مِنَ التَّحْرِيمِ الْمُتَاجَرَةَ الْمَشْرُوعَةَ الَّتِي تَتِمُّ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي، فَسَمَحَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِتَعَاطِيهَا، وَالتَّسَبُّبِ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ بِهَا. وَيَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ بَارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ رَحِيمًا بِهِمْ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَنَهَاَهُمْ عَنْهُ، لِأَنَّ فِيهِ صَلَاحَهُمْ .

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَشْمَلُ أَيْضًا مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ قَتْلًا حَقِيقًا وَأَعْدَمَهَا الْحَيَاةَ بِحَدِيدٍ أَوْ بِسُمٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَهُ. وَجَعَلَ اللَّهُ جِنَايَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى غَيْرِهِ جِنَايَةً عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا. وَمَنْ تَعَاطَى مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مُعْتَدِيًا فِيهِ عَلَى الْحَقِّ، وَظَالِمًا فِي تَعَاطِيهِ، وَعَارِفًا بِتَحْرِيمِهِ، وَمُتَجَاسِرًا عَلَى انْتِهَاكِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُعَذِّبُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ .

قتل المؤمن عمدا

قال تعالى : { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } (٩٣) سورة النساء
وَإِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ الْإِسْلَامَ وَشَرَائِعَهُ، ثُمَّ قَتَلَ رَجُلًا مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا قَتْلَهُ، مُسْتَحِلًّا ذَلِكَ الْقَتْلَ، فَجَزَاؤُهُ عِنْدَ اللَّهِ جَهَنَّمُ يَبْقَى مُخَلَّدًا فِيهَا، وَيَلْعَنُهُ اللَّهُ، وَيُعَذِّبُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلُهُ فِي النَّارِ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَلِلْفُقَهَاءِ ثَلَاثَةُ آرَاءٍ فِي تَوْبَةِ قَاتِلِ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا:

١- ابن عباس وفريق من السلف - يروون أن قاتل المؤمن لا توبة له إطلاقاً، وَيَبْقَى فِي النَّارِ خَالِدًا. وَيَسْتَنْدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: " كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوْ الرَّجُلُ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا " وَإِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: " مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ " وَإِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: " لَوْ أَنَّ الثَّقَلَيْنِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي النَّارِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْقَاتِلِ وَالْأَمْرِ بِهِ ^{٥٧٨}

٢- ويرى فريق آخر أن الخلود يعني المكث الطويل لا الدوام، لِظَاهِرِ النُّصُوصِ الْقَاطِعَةِ عَلَى أَنَّ عُصَاةَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَدُومُ عَذَابُهُمْ. وَمَا فِي الْآيَةِ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ أَنَّ جَزَاءَهُ ذَلِكَ، لَا أَنَّهُ يَجْزِيهِ بِذَلِكَ حَتْمًا، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْزِي كُلَّ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا لَعَارَضُهُ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: { وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ } فَلِالْمُرَادِ بِذَلِكَ أَنَّ هَذَا هُوَ جَزَاؤُهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ مُجَازَاتَهُ .

٣- ويرى فريق ثالث أن حُكْمَ الْآيَةِ يَتَعَلَّقُ بِالْقَاتِلِ الْمُسْتَحِلِّ لِلْقَتْلِ، وَحُكْمُهُ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ . وَقَدْ فَسَّرَ عَكْرَمَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ (مُتَعَمِّدًا) ب (مُسْتَحِلًّا) فِي الْآيَةِ .

من تركوا الهجرة من بلاد الكفر وهم قادرون عليها

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا

^{٥٧٨} - انظر تفسير ابن كثير - (ج ٣ / ص ٤٠٣)

الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) [النساء/٩٧-١٠٠] }

كَانَ فِي مَكَّةَ قَوْمٌ قَدْ أَسْلَمُوا، وَأَخْفُوا إِسْلَامَهُمْ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَهُمْ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ، وَأَكْرَهُوا فَاسْتَعْفَرُوا لَهُمْ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ. فَكَتَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَخْفِينَ فِي مَكَّةَ: أَنَّهُمْ لَا عُذَرَ لَهُمْ، وَأَنْ عَلَيْهِمُ الْهَجْرَةُ .

وَالْآيَةُ عَامَّةٌ تَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْهَجْرَةِ، وَلَيْسَ مُتِمَكِّنًا فِي مَوْطِنِهِ مِنْ إِقَامَةِ أُمُورٍ دِينِهِ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، مُرْتَكِبٌ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ. وَظَلَمُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ هُوَ تَرْكُهُمُ الْعَمَلَ بِالْحَقِّ خَوْفًا مِنَ الْأَذَى، وَفَقْدَ الْكَرَامَةِ عِنْدَ ذَوِي قُرْبَاهُمْ مِنَ الْمُبْطِلِينَ، وَهَذَا الِاعْتِذَارُ مِمَّا يَعْتَذِرُ بِهِ الَّذِينَ يُسَايِرُونَ أَصْحَابَ الْبِدْعِ بِحُجَّةٍ دَفَعَ الْأَذَى عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِمُدَارَاةِ الْمُبْطِلِينَ، وَهَذَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ، لِأَنَّ الْوَاجِبَ يَقْضِي عَلَيْهِمْ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مَعَ احْتِمَالِ الْأَذَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْهَجْرَةِ إِلَى حَيْثُ يَتِمَكَّنُونَ مِنْ إِقَامَةِ دِينِهِمْ .

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ الَّذِينَ تَحْضُرُهُمُ الْوَفَاةُ، وَهُمْ مُقِيمُونَ فِي أَرْضِ الشِّرْكِ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ، وَلَا إِظْهَارَهَا (وَقَدْ عَدَّ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ ظَالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِتَرْكِهِمُ الْهَجْرَةَ إِلَى دَارِ الْأَمْنِ وَالْإِسْلَامِ)، فَتَسْأَلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ: لِمَ لَيْسْتُمْ مُقِيمِينَ فِي أَرْضِ الْكُفْرِ، وَتَرْكْتُمُ الْهَجْرَةَ؟ فَيُجِيبُونَ: إِنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَا الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ. فَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: أَلَيْسَتْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا إِلَى حَيْثُ الْأَمْنُ وَالْحُرِّيَّةُ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى إِظْهَارِ الْإِيمَانِ؟ وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا .

وَاسْتَنْتَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ، الَّذِي يَنْتَظِرُ الْقَاعِدِينَ عَنِ الْهَجْرَةِ مِنْ دَارِ الشِّرْكِ - وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ شَعَائِرِ دِينِهِمْ - الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَالَّذِينَ لَوْ قَدَرُوا عَلَى التَّخَلُّصِ لَمَا اسْتَطَاعُوا الْاهْتِدَاءَ إِلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ، وَإِيجَادِ السَّبِيلِ، كَالْعَجَزَةِ وَالْمَرْضَى وَالنِّسَاءِ وَالْمَرَاهِقِينَ الَّذِينَ عَقَلُوا .

فَهَؤُلَاءِ الْمَعْدُورُونَ قَدْ يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِتَرْكِ الْهَجْرَةِ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ، وَاللَّهُ كَثِيرُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ . يُحَرِّضُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْهَجْرَةِ، وَيُرْعِبُهُمْ فِي مُفَارَقَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَيُعْلِمُهُمْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُمَا ذَهَبُوا وَجَدُوا أَمَاكِنَ أَمْنٍ يَلْجَأُونَ إِلَيْهَا، وَيَتَحَصَّنُونَ بِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَيَتَحَرَّرُونَ فِيهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَيُرَاعِمُونَهُمْ بِهَا، وَيَجِدُونَ سَعَةً فِي الرِّزْقِ. وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ بِنِيَّةِ الْهَجْرَةِ فَيَلْقَى حَتْفَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الثَّوَابُ عِنْدَ اللَّهِ، مِثْلَ ثَوَابِ مَنْ هَاجَرَ .

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ "

مشاققة الرسول

قال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (١١٥) سورة النساء
مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﷺ بَارْتِدَادِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَإِظْهَارِ الْعِدَاوَةِ لَهُ، وَمَنْ يَسْلُكْ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ، فَصَارَ فِي شِقِّ، وَالشَّرْعُ فِي شِقِّ آخَرَ، وَذَلِكَ عَنْ عَمَدٍ مِنْهُ، بَعْدَمَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الرُّشْدُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّتِي قَامَ عَلَيْهَا إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ (وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ دَلِيلٌ عَلَى الْعِصْمَةِ مِنَ الْخَطَا)، جَازَاهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ يُحَسِّنَ لَهُ أَفْعَالَهُ فِي صَدْرِهِ، وَيُزَيِّنَهَا لَهُ اسْتِدْرَاجًا لَهُ، وَيَجْعَلَ مَصِيرَهُ فِي جَهَنَّمَ، يَصْطَلِي بِلَظَاهَا، وَسَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمَصِيرًا .

إبليس وأتباعه

قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) { سورة الأعراف

يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى شَرَفِ أَبِيهِمْ آدَمَ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ عِدَاوَةَ إِبْلِيسَ لَهُمْ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ بَعَدَ أَنْ صَوَّرَهُ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، تَكْرِيماً وَتَعْظِيماً، فَسَجَدُوا إِطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، إِلَّا إِبْلِيسَ فَإِنَّهُ رَفَضَ السُّجُودَ، وَتَمَرَّدَ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ. وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْلِيسَ فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ بِالسُّجُودِ؟ فَرَدَّ عَلَى خَالِقِهِ قَائِلاً: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَآدَمَ مَخْلُوقٌ مِنْ طِينٍ، وَالنَّارُ أَفْضَلُ مِنَ الطِّينِ فِي رَأْيِ إِبْلِيسَ، لِذَلِكَ لَمْ يَسْجُدْ لِآدَمَ، وَالْأَفْضَلُ لَا يَسْجُدُ لِلْمَفْضُولِ. فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْلِيسَ بِأَنْ يَهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ، لِعَصْيَانِهِ أَمْرَ رَبِّهِ، وَخُرُوجِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، فَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَكَبَّرَ فِيهَا. ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ ذَلِيلًا حَقِيرًا، بِسَبَبِ كُفْرِهِ وَتَمَرُّدِهِ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ. فَاسْتَدْرَكَ إِبْلِيسُ، وَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُمَهِّلَهُ وَلَا يُمِيتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي سَيَبْعَثُ

فِيهِ اللَّهُ الْخَالِقُ لِلْحَسَابِ. وَقَدْ أَرَادَ إِبْلِيسُ بِذَلِكَ أَنْ يَجِدَ فُسْحَةً مِنَ الْوَقْتِ لِإِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ وَإِضْلَالِهِمْ. فَأَجَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى سُؤَالِهِ لِحُكْمَةٍ اقْتَضَتْهَا إِرَادَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ الَّتِي لَا تُخَالَفُ وَلَا تُعَارَضُ. وَقَدْ أَنْظَرَهُ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى. لَمَّا اسْتَوْتَقَ إِبْلِيسُ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ لَهُ بِإِقَائِهِ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، أَخَذَ فِي الْمَعَانِدَةِ وَالتَّمَرُّدِ فَقَالَ لِرَبِّهِ: كَمَا أَغْوَيْتَنِي (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) وَأَضَلَلْتَنِي وَأَهْلَكْتَنِي فَإِنِّي سَأُحَاوِلُ فِتْنَةَ ذُرِّيَةِ آدَمَ، وَسَأَعْتَرِضُ سَبِيلَهُمْ مُحَاوِلًا إِبْعَادَهُمْ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، بِأَنْ أُزَيِّنَ لَهُمْ طَرَفًا أُخْرَى حَتَّى يَضِلُّوا. ثُمَّ سَأُحَاوِلُ تَشْكِيكَهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) وَأُرْغِبُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ (مِنْ خَلْفِهِمْ)، وَسَأُشَبِّهُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ (عَنْ أَيْمَانِهِمْ)، وَسَأُزَيِّنُ لَهُمْ الْمَعَاصِيَ، وَأُحَسِّنُهَا لَهُمْ (عَنْ شِمَائِلِهِمْ) وَسَأَفْتِنُهُمْ، مَا اسْتَطَعْتُ، حَتَّى لَا تَجِدَ يَا رَبُّ بَيْنَ بَنِي آدَمَ كَثِيرًا مِنَ الْمُطِيعِينَ الشَّاكِرِينَ لِأَنْعَمِكَ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى لَعْنَتَهُ عَلَى إِبْلِيسَ وَطَرَدَهُ لَهُ، وَإِبْعَادَهُ عَنِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَهُوَ مَقِيَّتٌ مَعِيبٌ (مَذْذُومٌ) مُفْصًى مُبْعَدٌ، وَقَالَ لَهُ مُهَدِّدًا: إِنَّهُ وَمَنْ يَتَّبِعُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ سَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ جَهَنَّمَ، وَسَيَمْلَأُهَا مِنْهُمْ جَمِيعًا .

من أغلق حواسه عم سماع كلمة الحق

قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (١٧٩) سورة الأعراف

لَقَدْ خَلَقْنَا كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ لِيَكُونُوا وَقُودًا لِجَهَنَّمَ، لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَلَ أَهْلِهَا، وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ جَوَارِحِهِمُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ سَبِيلًا لِلْهُدَايَةِ، فَلَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ بِأَذَانِهِمْ، وَلَا يَفْقَهُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ، وَلَا يَرَوْنَ النُّورَ بَعْيُونَهُمْ، فَهُمْ كَالْبَهَائِمِ وَالْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ، لَا تَنْتَفِعُ بِحَوَاسِّهَا إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَاشِهَا وَبَقَائِهَا، أَوْ هُمْ شَرٌّ مِنَ الدَّوَابِّ وَأَكْثَرُ ضَلَالًا، لِأَنَّ الدَّوَابَّ قَدْ تَسْتَجِيبُ لِرَاعِيهَا إِذَا أُنْسَتْ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَفْقَهُ كَلَامَهُ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ. وَلِأَنَّ الدَّوَابَّ تَفْعَلُ مَا خُلِقَتْ لَهُ، إِمَّا بِطَبْعِهَا وَإِمَّا بِتَسْخِيرِهَا. أَمَّا الْكَافِرُونَ فَإِنَّهُمْ خُلِقُوا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ وَيُوحِّدُوهُ، فَكَفَرُوا بِاللَّهِ، وَأَشْرَكُوا بِهِ فَهُمْ الْغَافِلُونَ .

الفرار من الزحف

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ } (١٥) وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ { (١٦) سورة الأنفال

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّبَاتِ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَبِمُوْاجَهَةِ الْكَافِرِينَ بِقُلُوبٍ مُؤْمِنَةٍ، وَيَحْثُهُمْ عَلَى عَدَمِ الْفِرَارِ وَتَوَلِّيَةِ الظُّهُورِ لِلْأَعْدَاءِ، وَإِنْ كَانَ الْكَافِرُونَ أَكْثَرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَدَدًا، لِأَنَّ الْفِرَارَ يُحْدِثُ الْوَهْنَ فِي الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُقَاتِلِ .

وَلَكِنَّهُ تَعَالَى سَمَحَ لِلْمُقَاتِلِ بِحُرِّيَةِ الْحَرَكَةِ أَثْنَاءَ الْمَعْرَكَةِ، كَأَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَكَانٍ فِي الْمَعْرَكَةِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، لِنُصْرَةِ فَرِيقٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ لِسَدِّ ثَغْرَةٍ نَفَذَ مِنْهَا الْعَدُوُّ، فَالْمُهْمُ هُوَ أَنْ يَكُونَ هَدَفُ الْمُقَاتِلِ الْمُسْلِمِ النَّصْرَ أَوْ الشَّهَادَةَ، وَإِطَاعَةَ أَمْرِ الْقِيَادَةِ. أَمَّا الَّذِينَ يَتْرَكُونَ الْمَعْرَكَةَ فِرَارًا وَهَرَبًا مِنَ الْمَوْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَوَعَّدُهُمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (وَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ مِنَ الْكِبَائِرِ) (أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ) .

كانزو الذهب والفضة

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَدُوفُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) } سورة التوبة

يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ، وَعِبَادِ الضَّلَالَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ، الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، بِصُورٍ وَطَرَائِقَ مُخْتَلِفَةٍ، وَيَسْتَعْلُونَ رِئَاسَتَهُمُ الدِّينِيَّةَ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ ذَلِكَ، وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ اسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، طَمَعًا فِي أَنْ تَبْقَى لَهُمْ تِلْكَ الرِّئَاسَاتُ، وَأَخَذُوا يَصُدُّونَ النَّاسَ وَيَصْرِفُونَهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ دِينُ الْحَقِّ، وَيُلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُمَوِّهُونَ عَلَى أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْجَهْلَةِ أَنََّّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَوْ أَقْرَأُوا بِصِدْقِ مُحَمَّدٍ، وَصِحَّةِ دِينِهِ، لَتَوَجَّبَ عَلَيْهِمْ مُتَابَعَتُهُ، فَيَبْطُلُ حُكْمُهُمْ، وَتَزُولُ مَكَانَتُهُمْ، وَتَنْقَطِعُ مَوَارِدُهُمْ، وَمَصَادِرُ رِزْقِهِمُ الْعَرِيبَةُ .

وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ دُعَاءٌ إِلَى النَّارِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ، وَيُهْدَدُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ (أَيْ يُكَدِّسُونَ الْأَمْوَالَ)، وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي الْجِهَادِ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، وَفِي الْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ وَمَصَالِحِهِمْ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمَقْصُودُ بِالْكَنْزِ هُوَ الْمَالُ الَّذِي لَا تُؤَدَّى زَكَاتُهُ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّ مَالٍ أَذَيْتَ زَكَاتُهُ، فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَإِنْ كَانَ مَدْفُونًا فِي الْأَرْضِ، وَأَيُّ مَالٍ لَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ هُوَ كَنْزٌ يُكْوَى بِهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْمَالَ الَّذِي لَمْ تُؤَدِّ زَكَاتُهُ سَيَحْمَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَتُكْوَى بِهَ جِبَاهُ أَصْحَابِهِ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، وَسَيُقَالُ لَهُمْ تَبْكَيْتُمْ وَتَقْرِعُ: هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَلَمْ تُؤَدُّوا مِنْهُ حَقَّ اللَّهِ، وَهَذَا مَا حَبَّأْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا طَعْمَهُ الْآنَ عَذَابًا أَلِيمًا .

محاضرة الله ورسوله

قال تعالى: {لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} (٦٣) سورة التوبة

أَلَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَفِّقُونَ أَنَّ مَنْ شَاقَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَتَعَدَّى حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَحَارَبَهُمَا وَخَالَفَهُمَا، وَلَمَزَ رَسُولَ اللَّهِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ، فَإِنَّهُ سَيَصَلَّى نَارَ جَهَنَّمَ، وَيَبْقَى خَالِدًا فِيهَا، وَهَذَا هُوَ الدَّلُّ الْعَظِيمُ، وَالشَّقَاءُ الْكَبِيرُ .

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) } [المجادلة/٥، ٦]

إِنَّ الَّذِينَ يُعَادُّونَ اللَّهَ، وَيَخْتَارُونَ لَأَنْفُسِهِمْ حُدُودًا غَيْرَ الْحُدُودِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ، سَيَلْحَقُهُمُ الْخِزْيُ وَالنَّكَالُ، وَالْخِذْلَانُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا لَحِقَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْكَفَّارِ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ. وَكَيْفَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ تُبَيِّنُ قَوَاعِدَ الشَّرْعِ، وَتَحُدُّ حُدُودَهُ، وَتُفَصِّلُ أَحْكَامَهُ، فَلَا عُدْرَ لَهُمْ فِي مُخَالَفَتِهَا، وَالْإِنْحِرَافِ عَنْهَا، وَلِلْجَاحِدِينَ بِتِلْكَ الْآيَاتِ عَذَابٌ مُهِينٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلْقَ جَمِيعًا وَيَجْمَعُهُمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقَدْ أَتْبَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سِجْلِ أَعْمَالِهِمْ وَهُمْ قَدْ نَسُوهُ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَنْسَى شَيْئًا .

المتقاعسون عن الجهاد في سبيل الله مع قدرتهم

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) } سورة التوبة

يُعَاتِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ تَخَلَّفَ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزْوَةٍ تُبْوَكُ، حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ، وَكَانَ الْوَقْتُ حَارًّا قَاطِطًا، فَيَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: مَا لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكَاسَلْتُمْ وَتَبَاطَأْتُمْ، وَمَلِئْتُمْ إِلَى الدَّعَةِ وَالْإِقَامَةِ فِي الظِّلِّ وَطِيبِ الثَّمَارِ؟ أَفَعَلْتُمْ ذَلِكَ رِضًا مِنْكُمْ

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَدَلًا مِنَ الْآخِرَةِ؟ وَمَا قِيمَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا مَتَاعُهَا إِلَّا قَلِيلٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ، إِذْ يَنْتَظِرُونَ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، وَجَنَّاتٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءَاتِ وَالْأَرْضِ .
وَإِذَا لَمْ تَنْفِرُوا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَمْ تَخْرُجُوا مَعَهُ إِلَى الْجِهَادِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا، بَزْوَالِ النِّعْمَةِ وَغَيْرِهَا عَنْكُمْ، وَفِي الْآخِرَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا يَصْعَبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ بِكُمْ، يَخْشَوْنَ لِنُصْرَةِ نَبِيِّهِ، وَيُجَاهِدُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَضُرُّ اللَّهَ، لِأَنَّهُ الْعَنِيُّ عَنِ الْعِبَادِ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ .

عدم الاستجابة لله وللرسول :

قال تعالى: { لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } (١٨) سورة الرعد
النَّاسُ فِي تَلَقِّيهِمْ دَعْوَةَ اللَّهِ صِنْفَانِ: فَالَّذِينَ أَطَاعُوا رَبَّهُمْ، وَأَتَقَادُوا لأوامره، وَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ رَسُولِهِ ﷺ لَهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَثُوبَةُ الْحُسْنَى الْخَالِصَةُ. وَالَّذِينَ عَصَوْا رَبَّهُمْ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، سَيَلَفُونَ حِسَابًا عَسِيرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحْسَبُونَ عَلَى الْجَلِيلِ وَالْحَفِيرِ مِنَ الْأَعْمَالِ، لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِأَعْمَالِهِمْ، وَلَكِنْ يُنْقِذُهُمْ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ أَحَدٌ، وَلَكِنْ يُعْنِي عَنْهُمْ جَمْعُهُمْ وَلَا مَالُهُمْ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِمِثْلِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَلَا يُمْكِنُهُمْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يَقْبَلُ مِنْهُمْ، وَسَتَكُونُ جَهَنَّمُ مَأْوَاهُمْ وَمُسْتَقَرَّهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا

معصية الله والرسول

وقال تعالى: { وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } (١٤)
سورة النساء
وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ ﷺ، وَيَتَعَدَّ حُدُودَ شَرَعِ اللَّهِ، وَيُصِرَّ عَلَى الْعِصْيَانِ، دُونَ اسْتِشْعَارِ خَوْفِ أَوْ نَدَمٍ، يُدْخِلْهُ اللَّهُ نَارًا، وَيَبْقَى خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا، وَلَهُ فِيهَا عَذَابٌ مُذِلٌّ مُهِينٌ .
وقال تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } (٣٦) سورة الأحزاب
رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ ابْنَةَ عَمَّتِهِ (زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ) لِمَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَأَبَتْ، وَقَالَتْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ حَسَبًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: فَقَبِلَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ مِنْهُ، وَقَالَتْ سَمِعَا وَطَاعَةً .

وَفِي الْحَدِيثِ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ "

وَكَانَ زَوْجُ زَيْنَبَ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ لِحِكْمَةٍ إِذْ تَبِعَ رَدُّ الْأُمُورِ إِلَى نِصَابِهَا فِي أَمْرِ النَّبِيِّ. فَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تُعْطِي الْوَلَدَ الْمُتَنَبِّيَ (الدَّعِيَّ) حُقُوقَ الْإِبْنِ مِنَ النَّسَبِ، حَتَّى الْمِيرَاثَ، وَحُرْمَةَ النَّسَبِ. فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مَحْوَ ذَلِكَ بِالْإِسْلَامِ، حَتَّى الْمِيرَاثَ، وَحُرْمَةَ النَّسَبِ. فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مَحْوَ ذَلِكَ بِالْإِسْلَامِ، حَتَّى لَا يُعْرَفَ إِلَّا النَّسَبُ الصَّرِيحُ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: { وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ { وَمَعْنَى الْآيَةِ: لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَضَاءً، أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ مَا قَضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَهُمْ، وَلَا أَنْ يُخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ وَقَضَاءَهُمَا. وَمَنْ يَعُصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَا بِهِ، وَنَهَى عَنْهُ، فَقَدْ جَارَ عَنِ السَّبِيلِ الْقَوِيمِ، وَسَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ .

الذين أخرجوا الرسل من بلادهم

قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) }

سورة إبراهيم

وَلَمَّا عَجَزَ رُؤُوسُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ عَنْ مُقَارَعَةِ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ، عَمَدُوا إِلَى تَهْدِيدِ الرُّسُلِ بِالنَّفْيِ وَالْإِخْرَاجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، إِنْ لَمْ يَعُوذُوا فِي مِلَّتِهِمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الرُّسُلِ: أَنَّهُ تَعَالَى سَيُهْلِكُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الظَّالِمِينَ .

وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الرُّسُلِ: أَنَّهُ سَيُسَكِّنُهُمْ أَرْضَ الْكَافِرِينَ وَدِيَارَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهَذَا جَزَاءُ عَادِلٍ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَخَافَ مَا خَوْفُهُ بِهِ رَبُّهُ، وَمَا تَوَعَّدَهُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ .

وَاسْتَنْصَرَ الرُّسُلُ بِرَبِّهِمْ عَلَى أَقْوَامِهِمْ، لَمَّا يَسْئَلُوا مِنْ إِيْمَانِهِمْ، وَطَلَبُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَى الْكَافِرِينَ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ، فَرَبِحُوا، وَخَسِرَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، شَدِيدِ الْعَنَادِ لِلْحَقِّ .

(وَقِيلَ بَلْ مَعْنَاهُ هُوَ: أَنَّ الْأُمَّمَ اسْتَفْتَحَتْ عَلَى نَفْسِهَا، كَمَا قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: { اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. } اسْتَفْتَحُوا - اسْتَنْصَرَ الرُّسُلُ بِاللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ .

فَقَدْ حَلَّتِ الْهَزِيمَةُ بِهَذَا الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَامَهُ فِي الْآخِرَةِ جَهَنَّمُ تَنْتَظِرُهُ، فَهِيَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ، وَسَيَكُونُ خَالِدًا فِيهَا، وَيُسْقَى فِي النَّارِ مِنَ الصَّدِيدِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ لَحْمِهِ وَجِلْدِهِ الْمُحْتَرِقِينَ .

(وَوَرَاءُ هُنَا، مَعْنَاهَا أَمَامَ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى { وَرَأَاهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا } أَيْ كَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ) .

يَشْرِبُهُ قَسْرًا وَقَهْرًا، جَرْعَةً بَعْدَ جَرْعَةٍ، وَلَا يَكَادُ يَبْتَلِعُهُ لِسُوءِ طَعْمِهِ، وَتَنْتِنُ رَائِحَتُهُ، وَحَرَارَتُهُ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ، وَيَأْتِيهِ الْعَذَابُ بِأَنْوَاعِهِ، لَيْسَ مِنْهَا نَوْعٌ إِلَّا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يَمُوتُ لِيَخْلُدَ فِي النَّارِ وَالْعَذَابِ، وَلَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالَةِ عَذَابٌ آخَرٌ شَدِيدٌ غَلِيظٌ أَذْهَى مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ وَأَمْرٌ .

جاحدو نعم الله

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) } سورة إبراهيم

أَلَمْ تَعْلَمْ وَتَعْجَبَ مِنْ قَوْمٍ أَتَتْهُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ فَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَشْكُرُوهَا وَيُقَدِّرُوهَا، وَلَكِنَّهُمْ غَمَطُوهَا، وَكَفَرُوا بِهَا وَجَحَدُوهَا، كَأَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ أَسْكَنَهُمُ اللَّهُ حَرَمًا آمِنًا تُجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَهُمْ سِدَنَةً بَيْنَهُ، وَشَرَّفَهُمْ بِإِرْسَالِ نَبِيِّ مِنْهُمْ، فَكَفَرُوا بِتِلْكَ النِّعْمَةِ، فَأَصَابَهُمُ الْجَدْبُ وَالْقَحْطُ سَبْعَ سِنِينَ، وَأُسِرُوا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ سَرَاتِهِمْ وَقَادَتِهِمْ... وَأَحَلُّوا الَّذِينَ شَايَعُوهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ دَارَ الْهَلَكَ (دَارَ الْبَوَارِ) .

وَدَارُ الْبَوَارِ هِيَ جَهَنَّمَ يُلْقَوْنَ فِيهَا لِيُقَاسُوا حَرَّهَا. وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَبِئْسَ الْمَقَامُ وَالْمُسْتَقَرُّ . وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ (أُنْدَادًا) عَبْدُوهُمْ مَعَهُ، وَدَعَوْا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِمْ، لِيَصْرِفُوهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْقَوِيمِ، فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُوْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنْ اتِّبَاعِ دِينِهِ الْحَنِيفِ: اسْتَمْتَعُوا فِي الدُّنْيَا، قَدَرِ مَا تَسْتَطِيعُونَ وَافْعَلُوا مَا يُمَكِّنُكُمْ فِعْلُهُ، فَإِنَّ أَعْمَالَكُمْ هَذِهِ سَتُورِدُكُمْ مَوَارِدَ الْهَلَكَ، وَسَيَكُونُ مَصِيرُكُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ جَزَاءً وَفَاقًا .

الطاغون

قال تعالى : { هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمْ تَكُونُوا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمْهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) } سورة ص

هَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ هُوَ جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَخْيَارِ، عَلَى مَا قَدَّمُوهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَطَاعَةٍ لِرَبِّهِمْ. أَمَّا الْكَافِرُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ الْكَرَامَ، فَلَهُمْ سُوءُ الْمُنْقَلَبِ، وَشَرُّ الْعَاقِبَةِ إِذْ تَكُونُ عَاقِبَتُهُمُ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُقَاسُونَ حَرَّهَا الشَّدِيدِ، وَسَاءَتْ جَهَنَّمَ مِهَادًا وَفِرَاشًا . وَهَذَا الْعَذَابُ هُوَ جَزَاؤُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ. فَلْيَذُوقُوهُ فَهُوَ مَاءٌ حَارٌّ، مَتَنَاهُ فِي شِدَّةِ حَرَارَتِهِ، وَقَدْ مَزَجَ بِالصَّدِيدِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِهِمُ الْمُحْتَرِقَةِ فِي النَّارِ (غَسَّاقٌ) .

حَمِيمٌ - مَاءٌ بَلَغَ النَّهَآيَةَ فِي الْحَرَارَةِ .

عَسَاقٌ - الصَّدِيدُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ الْمُحْتَرَقَةِ. وَقِيلَ إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْعَذَابِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . وَلَهُمْ صُنُوفٌ أُخْرَى مِنَ الْعَذَابِ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا الْعَذَابِ يُعَذَّبُونَ بِهَا، كَالزَّمْهَرِيرِ، وَالسَّمُومِ، وَشَرْبِ الْحَمِيمِ وَالْعَسَاقِ، وَأَكْلِ الزَّقُومِ. يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ، وَكَيْفَ يَتَنَكَّرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَكَيْفَ يَتَشَاتَمُونَ وَيَتَلَاعَنُونَ، وَيُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَحِينَمَا يَرَى جَمَاعَةٌ الْكِبَرَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ، فَوَجًا يَدْخُلُهَا مِنَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَذَا فَوْجٌ مِنَ الْكَفَرَةِ الضَّالِّينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ مَعَكُمْ، فَلَا مَرْحَبًا بِهِمْ، إِنَّهُمْ سَيَذُوقُونَ عَذَابَ النَّارِ، وَسَيَصِلُونَ سَعِيرَهَا .

فَإِذْ عَلَيْهِمُ الْأَتْبَاعُ الدَّاخِلُونَ قَائِلِينَ لَهُمْ، وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَهُمْ: بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ فَأَنْتُمْ الَّذِينَ أَضَلَلْتُمُونَا وَدَعَوْتُمُونَا إِلَى مَا أَفْضَى بِنَا إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ، فَبُئْسَ الْمَنْزِلُ وَالْمُسْتَقَرُّ وَالْمَصِيرُ . فَيَقُولُ الْأَتْبَاعُ دَاعِينَ عَلَى رُؤُوسِ الضَّالَّةِ: رَبَّنَا عَذَّبْ مَنْ كَانَ السَّبَبَ فِي وُضُوعِنَا إِلَى هَذَا الْعَذَابِ وَادْفَعْهُ عَذَابًا مُضَاعَفًا فِي النَّارِ: عَذَابًا لِضَلَالِهِ، وَعَذَابًا آخَرَ لِإِضْلَالِهِ غَيْرُهُ .

وقال تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَابًا (٢٢) لَا بَيْنَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)} سورة النبأ

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ تَكُونُ جَهَنَّمَ مَعْدَةً وَمِرْصَدَةً لِلطَّاغِينَ، وَخَزَنَتُهَا يَتَرَقَّبُونَ مَنْ يَسْتَحِقُّهَا بِسُوءِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا. وَتَكُونُ النَّارُ مَعْدَةً وَمِرْصَدَةً لِلطُّغَاةِ الْعَاتِينَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَتَكُونُ مَرْجِعُهُمْ وَمَصِيرُهُمْ. وَسَيَمْكُثُونَ فِي النَّارِ دُحُورًا مُتَلَا حَقَّةً، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا. وَلَا يَذُوقُ الْمُجْرِمُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْدًا يُبْرِدُ حَرَّ السَّعِيرِ، وَلَا شَرَابًا يَرْوِيهِمْ مِنَ الْعَطَشِ. وَلَا يَذُوقُونَ فِي النَّارِ إِلَّا الْحَمِيمَ (وَهُوَ الْمَاءُ الْمُتَنَاهِي فِي الْحَرَارَةِ)، وَالْعَسَاقَ (وَهُوَ الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ الْمُنْتِنُ وَالْعَرَقُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ) .

وَهَذَا الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ، هُوَ جَزَاءٌ مُوَافِقٌ لأَعْمَالِهِمُ الْمُنْكَرَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، فَكَأَنَّمَا وَافَقَ الْعَذَابُ الذَّنْبَ. وَقَدْ ارْتَكَبُوا الْمُنْكَرَاتِ، وَكَفَرُوا وَأَجْرَمُوا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ. وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ تَكْذِيبًا شَدِيدًا بِجَمِيعِ الْبَرَاهِينِ، وَالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى صِدْقِ الثُّبُوتِ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَدْ أَحْصَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ، وَأَثْبَتَهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ الْحَفَظَةُ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ هَؤُلَاءِ كِتَابَةٌ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجْحَدُوا شَيْئًا مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

المناجاة بالإثم والعدوان

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبْتُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (٨) سورة المجادلة

كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ يَهُودِ الْمَدِينَةِ مَوَادَعَةٌ، وَكَانَ الْيَهُودُ إِذَا مَرَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَنَاجَوْنَ فِيَمَا بَيْنَهُمْ، حَتَّى لَيُظَنَّ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَنَاجَوْنَ بِقَتْلِهِ، أَوْ بِمَا يَكْرَهُ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ خَشِيَهِمْ فَتَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ، فَتَنَاهَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّجْوَى فَلَمْ يَتْنَهُوا، وَعَادُوا إِلَى النَّجْوَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يُبَيِّنُ لِرَسُولِهِ مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ إِنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِمَا هُوَ إِيَّاهُمْ فِي نَفْسِهِ، وَبِمَا هُوَ وَبِالْعَلِيَّةِ، وَبِمَا هُوَ تَعَدُّ عَلَى هُوَ تَعَدُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَتَوَاصٍ بِمُخَالَفَةِ النَّبِيِّ .

وَدَخَلَ نَفَرٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ: (وَعَلَيْكُمْ). وَكَانَ هَذَا النَّفَرُ مِنَ الْيَهُودِ يَقْصِدُ بِقَوْلِهِ هَذَا الْإِسَاءَةَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَالِدُّعَاءَ عَلَيْهِ، فَفَضَحَهُمُ اللَّهُ، وَكَشَفَ أَسْتَارَهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَيُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا لَوْ كَانَ نَبِيًّا حَقًّا لَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَقُولُونَ، لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ. وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ: قَاتِلًا إِنَّ جَهَنَّمَ كَافِيَةٌ لِعِقَابِهِمْ وَعَذَابِهِمْ، وَهِيَ بئسَ المَقَرُّ وَالْمَصِيرُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

من فتن المؤمن عن دينه

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} (١٠) سورة البروج

إِنَّ الَّذِينَ حَاوَلُوا فَتْنَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ عَنْ دِينِهِمْ، وَعَذَّبُوهُمْ لِيُجْبِرُوهُمْ عَلَى الْارْتِدَادِ عَنِ الْإِيمَانِ، وَأَصْرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَالطُّغْيَانِ، وَلَمْ يَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ الْمَوْتُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ جَزَاءً لَهُمْ .

وَعَنْ صُهِيبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ لَهُ غُلَامًا يَعْلَمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرْبُهُ، وَإِذَا رَجَعَ مِنْ عِنْدِ السَّاحِرِ قَعَدَ إِلَى الرَّاهِبِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ ضَرْبُهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ لَهُ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبْسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبْسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ: الرَّاهِبُ أَفْضَلُ أَمِ السَّاحِرُ ؟

فَأَخَذَ حَجْرًا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمُضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ الْيَوْمَ

أَفْضَلُ مِنِّي، وَإِنَّكَ سَتَبْتَلي، فَإِنْ ابْتَلَيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. فَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي سَائِرَ الْأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسُ الْمَلِكِ، كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَى الْغُلَامَ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، قَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، إِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ. فَأَتَى الْمَلِكَ يَمْشِي يَجْلِسُ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ الْمَلِكُ: فُلَانُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ وَاحِدٌ. فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ. فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِيٍّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ قَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَأَخَذَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ.

فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ. ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ. ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَجَرَفَ بِهِمْ الْجَبَلَ، فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ، فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَوَسِّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَلَجَّجُوا بِهِ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَأَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: وَإِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ، ثُمَّ تَخَذُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ، ثُمَّ تَضَعُ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ صَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، ثَلَاثًا. فَأَتَى الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ بِأَفْوَاهِ السَّكَّكِ فَخُذَتْ، وَأُضْرِمَ النَّيِّرَانِ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمُّهُ اصْبِرِي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ.^{٥٧٩}

وَعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ هَمَسَ، وَالْهَمْسُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ، فَقِيلَ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ الْعَصْرَ هَمَسْتَ؟ فَقَالَ: "إِنْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ

^{٥٧٩} - صحيح ابن حبان - (ج ٣ / ص ١٥٣) (٨٧٣) وصحيح مسلم (٧٧٠٣)

المنشار : المنشار - الأخدود : الشق العظيم في الأرض - القرقر : السفينة قيل الصغيرة وقيل الكبيرة - تقاعست : توقفت ولزمت موضعها وامتنعت عن التقدم - الكنانة : وعاء السهام

أَعْجَبَ بِأَمَّتِهِ، فَقَالَ: مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنْ خَيْرُهُمْ بَيْنَ أَنْ أَتْتِمَّ مِنْهُمْ، وَبَيْنَ أَنْ أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، فَاخْتَارُوا النِّقْمَةَ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا".

قَالَ: فَكَانَ إِذَا حَدَّثَ بِهِذَا الْحَدِيثَ، حَدَّثَ بِهِذَا الْحَدِيثَ الْآخَرَ، قَالَ: "كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، وَكَانَ لَذَلِكَ الْمَلِكِ كَاهِنٌ يَتَكَهَّنُ لَهُ، فَقَالَ ذَلِكَ الْكَاهِنُ: انْظُرُوا لِي غُلَامًا فَطِنًا، أَوْ قَالَ: لَقِنَا أَعْلَمُهُ عِلْمِي هَذَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ، فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا الْعِلْمُ، وَلَا يَكُونُ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ، فَنَظَرُوا لَهُ غُلَامًا عَلَى مَا وَصَفَ، وَأَمَرُوهُ أَنْ يَحْضُرَ ذَلِكَ الْكَاهِنَ، وَأَنْ يَخْتَلِفَ إِلَيْهِ قَالُوا: كَانَ عَلَى طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَةٍ، قَالَ مَعْمَرٌ: وَأَحْسَبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمئِذٍ مُسْلِمِينَ، فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ عَنْ دِينِهِ، حَتَّى أَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ، وَجَعَلَ الْغُلَامُ يَمْكُثُ عِنْدَ الرَّاهِبِ، وَيُنِيطُ عَلَى الْكَاهِنِ، فَأَرْسَلَ الْكَاهِنُ إِلَى أَهْلِ الْغُلَامِ أَنَّهُ لَا يَكَادُ يَحْضُرُنِي، فَأَخْبَرَ الْغُلَامُ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ الْكَاهِنُ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْ: عِنْدَ أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ لَكَ أَهْلُكَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْ: عِنْدَ الْكَاهِنِ، فَبَيْنَمَا الْغُلَامُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ كَثِيرَةٍ قَدْ حَبَسَتْهُمْ دَابَّةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ كَانَتْ الْأَسَدَ، فَأَخَذَ الْغُلَامُ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ الرَّاهِبُ حَقًّا، فَأَسْأَلُكَ أَنْ أَقْتُلَ هَذِهِ الدَّابَّةَ، وَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُ الْكَاهِنُ حَقًّا أَنْ لَا أَقْتُلَهَا، ثُمَّ رَمَاهَا فَقَتَلَ الدَّابَّةَ، فَقَالَ النَّاسُ: مَنْ قَتَلَهَا؟ فَقَالُوا: الْغُلَامُ، فَفَرَّغَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقَالُوا: قَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمَهُ أَحَدٌ، فَسَمِعَ بِهِ أَعْمَى فَجَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْمَى: إِنْ أَنْتَ رَدَدْتَ عَلَيَّ بَصَرِي، فَإِنَّ لَكَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: لَا أُرِيدُ مِنْكَ هَذَا، وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ إِنْ رَجَعَ إِلَيْكَ بَصْرُكَ أَتَوْمُنْ بِالَّذِي رَدَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَفَرَدَّ عَلَيْهِ بَصَرَهُ، فَأَمَّنَ الْأَعْمَى، فَبَلَغَ الْمَلِكُ أَمْرَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ فَأَتَى بِهِمْ، فَقَالَ: لَا تَقْتُلَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قِتْلَةً لَا أَقْتُلُهَا صَاحِبَهَا، فَأَمَرَ بِالرَّاهِبِ وَبِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ أَعْمَى فَوَضَعَ الْمِسْشَارَ عَلَى مَفْرِقِ أَحَدِهِمَا، فَقَتَلَ وَقَتَلَ الْآخَرَ بِقِتْلَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ أَمَرَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَأَلْقُوهُ مِنْ رَأْسِهِ، فَلَمَّا انْطَلَقُوا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ، وَانْتَهَوْا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَرَادُوا جَعَلُوا يَتَهَايَتُونَ مِنَ الْجَبَلِ، وَيَتَرَدَّدُونَ مِنْهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغُلَامُ، ثُمَّ رَجَعَ الْغُلَامُ فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْبَحْرِ فَأَلْقُوهُ فِيهِ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى الْبَحْرِ، فَغَرَّقَ اللَّهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، وَأَنْجَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ الْغُلَامُ: إِنَّكَ لَنْ تَقْتُلَنِي حَتَّى تَصْلُبَنِي، ثُمَّ تَرْمِينِي، وَتَقُولَ إِذَا رَمَيْتَنِي: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ هَذَا الْغُلَامِ، أَوْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ، ثُمَّ مَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ، فَإِنَّا نُؤْمِنُ بِرَبِّ هَذَا الْغُلَامِ، فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: أَجَزَعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلَاثَةٌ؟ فَهَذَا النَّاسُ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ، فَخَذَ أَخْذُودًا أَلْقَى فِيهَا الْحَطَبَ وَالتَّارَ، ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ رَجَعَ إِلَى دِينِهِ تَرَكْنَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ أَلْقَيْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي تِلْكَ الْأَخْذُودِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَتِلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ"

حَتَّى بَلَغَ "الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" [البروج ٤-٨]، فَذُكِرَ أَنَّ الْعُلَامَ أُخْرِجَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَاضِعَ يَدِهِ عَلَى صُدْغِهِ، كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ.^{٥٨٠}

من استحب الحياة الدنيا على الآخرة

قال تعالى: { فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) } سورة البقرة

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْإِكْتِسَادِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ قَضَاءِ الْمَنَاسِكِ وَالْفَرَاحِ مِنْهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَقِفُونَ فِي الْمَوْسِمِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: كَانَ أَبِي يُطْعِمُ وَيَحْمِلُ الدِّيَّاتِ... إلخ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ غَيْرُ ذِكْرِ فِعَالِ آبَائِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَرْشَدَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دُعَائِهِ بَعْدَ ذِكْرِهِ كَثِيرًا، لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ مَظَنَّةٍ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَذَمِّ اللَّهِ الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ إِلَّا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِمْ، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِهِ .

وإلى جَانِبِ أُولَئِكَ الْمُهْتَمِّينَ بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَقَطْ، آخَرُونَ يَهْتَمُّونَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ إِلَى جَانِبِ اهْتِمَامِهِمْ بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً (وَتَشْمَلُ كُلَّ مَطْلَبٍ دُنْيَوِيٍّ) وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً (وَتَشْمَلُ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ)، وَهَذَا يَفْتَضِي تَبَسُّيرَ أَسْبَابِهِ فِي الدُّنْيَا: مِنْ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ وَالْإِتِّمَامِ، وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ .

وهؤلاء لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا بِالطَّلَبِ وَالرُّكُونِ إِلَى اللَّهِ، لَا يُبْطِئُ عَلَيْهِمْ، فَاللَّهُ تَعَالَى سَرِيعُ الْحِسَابِ، وَهُوَ يَجْزِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ .

أبو لهب وزوجه

قال تعالى: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) } سورة المسد

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْبَطْحَاءِ يَوْمًا فَصَعِدَ الْجَبَلَ، وَنَادَىٰ وَاصْبَحَاةً. فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ أَوْ مُمَسِّكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ إِلَيْكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ أَلِهَذَا جَمَعْتَنِي؟ تَبًّا لَكَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ السُّورَةَ .

^{٥٨٠} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٧ / ص ٣٣) (٧١٦٦ و ٧١٦٧) صحيح

وَمَعْنَى الْآيَةِ: الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُ وَالتَّيَبُّ لِأَبِي لَهَبٍ (وَأَبُو لَهَبٍ عَمُّ الرَّسُولِ)، وَقَدْ نَسَبَ تَعَالَى الْخُسْرَانَ وَالتَّيَبَّ لِيَدِي أَبِي لَهَبٍ لِأَنَّهُمَا أَدَاةُ الْعَمَلِ وَالْبَطْشِ، وَقَدْ تَبَّ وَهَلَكَ. (فَالْجُمْلَةُ الْأُولَى دُعَاءٌ، وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ إِخْبَارٌ بِأَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ قَدْ تَحَقَّقَ، وَأَنَّ أَبَا لَهَبٍ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ).

وَفِي الْآخِرَةِ لَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ وَلَا عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَقُومُ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ مُعَادَاةِ الرَّسُولِ وَإِذْيَائِهِ. وَسَيَذُوقُ فِي الْآخِرَةِ حَرَّ النَّارِ، وَسَيُعَذَّبُ فِي لَظَاهَا. وَسَتُعَذَّبُ فِي هَذِهِ النَّارِ أَيْضًا زَوْجَتُهُ لِسَعْيِهَا فِي الْفِتْنَةِ وَالتَّمِيمَةِ لِإِطْفَاءِ نُورِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِذْيَاءِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ. (وَأَمْرَاهُ أَبِي لَهَبٍ اسْمُهَا أَرْوَى بِنْتُ حَرْبٍ وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَتُكْنَى بِأُمِّ حَمِيلٍ). وَفِي عُنُقِهَا حَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ غَلِيظٍ أَحْكَمَ فُتْلُهُ، وَهِيَ تَرْبُطُ بِهِ حُرْمَةَ حَطَبٍ إِلَى جِدِّهَا مِثْلَ الْحَطَابَاتِ الْمُتَهَنِّاتِ. وَقَدْ صَوَّرَهَا تَعَالَى بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْمُزِرَّةِ احْتِقَارًا لَهَا وَلَزَوْجِهَا .

جحود نعم الله

قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تُكْفِرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) } سورة إبراهيم

وَأَذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ آذَنَّاكُمْ رَبُّكُمْ، وَأَعَلَّمَكُم بِوَعْدِهِ، فَقَالَ: لَئِنْ شَكَرْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ مِنْهَا، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ النَّعَمَ وَسَتَرْثُمُوهَا وَجَحَدْتُمُوهَا، لَأُعَاقِبَنَّكُمْ عِقَابًا شَدِيدًا عَلَى كُفْرِهَا، وَلَا سُلْبَنَكُمْ إِيَّاهَا. (وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لِعِبَارَةِ: " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ " هُوَ: وَإِذْ أَقْسَمَ رَبُّكُمْ بِعَزَّتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ).

وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ حِينَمَا عَانَدُوا وَجَحَدُوا: إِنَّ كَفَرْتُمْ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، أَنْتُمْ وَجَمِيعُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَإِنَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِ عِبَادِهِ لَهُ، وَهُوَ الْحَمِيدُ الْمُحْمَدُ، وَإِنْ كَفَرَهُ مَنْ كَفَرَهُ، وَإِنَّكُمْ لَا تَضُرُّونَ، بِالْكَفْرِ وَالْجُحُودِ، إِلَّا أَنْفُسَكُمْ لَأَنْتُمْ تَحْرِمُونَهَا بِذَلِكَ مَنْ مَزِيدٍ مِنَ الْإِنْعَامِ، وَتُعَرِّضُونَهَا لِعَذَابِ اللَّهِ .

الجدال في آيات الله بالباطل

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) } [الحج/٣-٤]

ومن الكفار من يجادل بالباطل في الله وتوحيده واختياره رسوله ﷺ، وإنزاله القرآن، وذلك الجدال بغير علم، ولا بيان، ولا كتاب من الله فيه برهان وحجة واضحة، لا وياً عنقه في تكبر، معرضاً عن الحق ؛ ليصد غيره عن الدخول في دين الله، فسوف يلقي خزيًا في الدنيا باندحاره وافتضاح أمره، ونخرقه يوم القيامة بالنار.

قضى الله وقدر على هذا الشيطان أنه يُضِل كل من اتبعه، ولا يهديه إلى الحق، بل يسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة جزاء اتباعه إياه.

الاستهزاء بآيات الله

قال تعالى: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} (٧٠) سورة الأنعام
ودع أيها الرسول، أنت ومن تبعك من المؤمنين، هؤلاء المشركين، الذين اتخذوا دينهم لعباً وسخرية وهزواً، وغرَّتْهم الحياة الدنيا، ولا تُبالوا بتكذيبهم واستهزائهم، وأعرضوا عنهم، وأمهلوهم قليلاً، فإنهم صابرون إلى عذاب عظيم. وذكروا الناس دائماً بهذا القرآن، وحذروهم نقم الله وعذابه الأليم، لكيلاً تفتضح نفس يوم القيامة فتصير إلى التهلكة، وتكون رهن العذاب (أن تُبسَلَ نفس)، بسبب ما اقترفته من الأعمال السيئة، وما اجترحته من الذنوب والخطايا.

وفي ذلك اليوم لا يكون لهذه النفس المذنب شافع ولا ولي يشفع لها أو ينصرها من دون الله، وإنها إذا بذلت كل نوع من أنواع الفداء (العَدْل)، لتنجو من العذاب، فلن يُقبل منها ذلك. وهؤلاء الذين افتضحوا، وصاروا رهن العذاب (أُبْسِلُوا) بسبب ما اجترحوه من الذنوب سيكون شرابهم، يوم القيامة، من ماء شديد الحرارة (حَمِيم)، ولهم عذاب أليم جزاء لهم على كفرهم.

الذين يعبدون المسيح عليه السلام

قال تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ اتَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) [المائدة/٧٢-٧٦]

حكم الله تعالى بتكفير الذين ادَّعوا أن الله هو المسيح عيسى بن مريم. وقال الله تعالى إنهم قد ضلوا ضللاً بعيداً، إذ أنهم في إطرائهم إياه، ومدحه غلواً كبيراً، يفوق غلواً اليهود في تكذيبهم والافتراء عليه وعلى أمه، وقولهم عليها بهتاناً عظيماً، مع أن المسيح قال لهم غير ما يقولون، فقد أمرهم بعبادة

اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُعْتَرِفًا بِأَنَّهُ رَبُّهُ وَرَبُّهُمْ، وَأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَأَوَّلُ كَلِمَةٍ نَطَقَ بِهَا الْمَسِيحُ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي الْمَهْدِ قَوْلُهُ: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) .

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْمَسِيحَ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ أَحَدًا فِي أُلُوهِيَّتِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَلَنْ يَجِدَ الظَّالِمُونَ نَصِيرًا لَهُمْ وَلَا مُعِينًا، وَلَا مُنْقِذًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

يُوكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ هُمْ كُفَّارٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ رَبُّ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَإِلَهَاهَا. وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ الْقَائِلِينَ (إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْأَقَانِيمِ)، وَيَتَهَدَّدُهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَهُ مِنَ الْكُذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ، لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ، عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ .
(وَتَقُولُ فِتْنَةٌ مِنَ النَّصَارَى بِالْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ، أَقْنُومِ الْأَبِ، وَأَقْنُومِ الْإِبْنِ، وَأَقْنُومِ الْكَلِمَةِ الْمُنْبِثَةِ مِنَ الْأَبِ إِلَى الْإِبْنِ) .

يَقُولُ تَعَالَى كَيْفَ يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ مَا ذَكَرَ مِنَ التَّفْنِيدِ لَأَقْوَالِهِمْ، وَالْوَعِيدِ عَلَيْهَا، ثُمَّ لَا يَحْمِلُهُمْ ذَلِكَ عَلَى التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَعَلَى اسْتِغْفَارِ اللَّهِ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ؟ ثُمَّ يَحُثُّهُمْ تَعَالَى عَلَى طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ لِيَتُوبَ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ .

الْمَسِيحُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالرَّسَالَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْهُ رُسُلٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَهُ أَسْوَةٌ بِهِمْ. وَأُمُّهُ مُؤْمِنَةٌ مُصَدِّقَةٌ لَهُ (صِدِّيقَةٌ - وَهَذَا أَعْلَى مَقَامَاتِهَا فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ نَبِيَّةً)، وَكَانَ الْمَسِيحُ وَأُمُّهُ يَحْتَاجَانِ إِلَى الطَّعَامِ وَالْغِذَاءِ، وَمَا يَسْتَتِجِ الطَّعَامُ وَالْغِذَاءُ، فَهُمَا مَخْلُوقَانِ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنْهُمَا إِلَهًا خَالِقًا، وَلَا رَبًّا مَعْبُودًا. فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ تُوَضِّحُ لَهُمُ الْآيَاتِ وَتُظْهِرُهَا، ثُمَّ انْظُرْ، بَعْدَ ذَلِكَ التَّوَضُّيْحِ، أَيْنَ يَذْهَبُونَ، وَبِأَيِّ قَوْلٍ يَتَمَسَّكُونَ، وَكَيْفَ يُصَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ؟

يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ وَالْمَخْلُوقَاتِ، ضَلَالَهُمْ وَكُفْرَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، فَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُؤُلَاءِ النَّصَارَى وَأَمْثَالُهُمْ مِمَّنْ عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ: أَتَتْرُكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ، الْخَالِقُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتَعْبُدُونَ مَا لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِعِيرِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؟ وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوزًا، مِنْ بَشَرٍ وَصَمٍّ وَأَنْدَادٍ؟

المكذبون بالآيات والمستكبرون

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) [الأعراف/ ٤٠، ٤١]

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ تَكْبُرًا وَطُغْيَانًا، وَلَمْ يَتَّبِعُوا رُسُلَ اللَّهِ اسْتِكْبَارًا عَنِ التَّصَدِيقِ بِمَا جَاءُوا بِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لَا تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَأَرْوَاحِهِمْ، وَلَا يَرْفَعُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ عَمَلٌ وَلَا دُعَاءٌ، وَلَا يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ حَتَّى يَدْخُلَ الْحَبْلُ الْعَلِيطُ (الْجَمْلُ) فِي فَتْحَةِ الْإِبْرَةِ الصَّغِيرَةِ (سَمَّ الْحَيَاطِ). فَكَمَا أَنَّ الْحَبْلَ
الْعَلِيطَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَمُرَّ فِي فَتْحَةِ الْإِبْرَةِ الصَّغِيرَةِ، كَذَلِكَ لَا يَدْخُلُ الْكُفَّارُ الْجَنَّةَ .
وَهَذَا جَزَاءٌ عَادِلٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُجْرِمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .
وَلَهُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ فُرُشٌ مِنْ تَحْتِهِمْ (مِهَادٌ)، وَلَهُمْ مِنْهَا أَعْطِيَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ تُعْطِيهِمْ (غَوَاشٍ)
(.وَيُمِثِّلُ هَذَا الْجَزَاءُ يَجْزِي اللَّهُ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ، الْمُضِلِّينَ لِلنَّاسِ .



الفصل الرابع عذاب النار في القرآن والسنة

المبحث الأول

الترغيب في سؤال الجنة والاستعاذة من النار

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ « قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ».^{٥٨١}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ.^{٥٨٢}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَتُ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ - « اللَّهُمَّ أَمْتَعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حُلِّهِ أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حُلِّهِ وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ ».^{٥٨٣}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي يَوْمٍ، إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا قَدْ اسْتَجَارَكَ مِنِّي فَأَجِرْهُ، وَلَا يَسْأَلُ اللَّهُ عَبْدُ الْجَنَّةِ فِي يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا سَأَلَنِي فَأَدْخَلْهُ.^{٥٨٤}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَنْ قَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ سَبْعًا، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ اسْتَعَاذَ مِنَ النَّارِ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ مِنَ النَّارِ.^{٥٨٥}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا سَأَلَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَلَا اسْتَجَارَ مُسْلِمٌ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ.^{٥٨٦}

^{٥٨١} - صحيح مسلم (١٣٦١)

^{٥٨٢} - صحيح ابن حبان - (ج ٣ / ص ٢٨٠) (٩٩٩) صحيح

^{٥٨٣} - صحيح مسلم (٦٩٤١)

^{٥٨٤} - مسند أبي يعلى الموصلي (٦١٩٢) ضعيف

^{٥٨٥} - مسند الطيالسي (٢٧٠٢) صحيح

^{٥٨٦} - صحيح ابن حبان - (ج ٣ / ص ٢٩٣) (١٠١٤) صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.

قَالَ وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا لَا أَيْ رَبِّ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا لَا. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ - قَالَ - فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا - قَالَ - فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فَلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ فَيَقُولُ وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » ٥٨٧.

الفضل: ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم

المبحث الثاني

الترهيب من النار أعاذنا الله منها بكمه وكرمه

عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ - « اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَفِي عَذَابِ النَّارِ » ٥٨٨.

قال تعالى: { فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِي عَذَابِ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) } [البقرة/٢٠٠-٢٠٢]

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْإِكْتِسَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ قَضَاءِ الْمَنَاسِكِ وَالْفَرَاحِ مِنْهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَقِفُونَ فِي الْمَوْسِمِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: كَانَ أَبِي يُطْعِمُ وَيَحْمِلُ الدِّيَاتِ... إلخ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ غَيْرُ ذِكْرِ فِعَالِ آبَائِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَرْشَدَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دُعَائِهِ بَعْدَ ذِكْرِهِ كَثِيرًا، لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ مَظْنَةِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَذَمِّ اللَّهِ الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ إِلَّا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِمْ، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِهِ .

٥٨٧ - صحيح مسلم (٧٠١٥)

٥٨٨ - صحيح البخاري (٦٣٨٩)

وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا بِالطَّلَبِ وَالرُّكُونِ إِلَى اللَّهِ، لَا يُطِئُ عَلَيْهِمْ، فَاللَّهُ تَعَالَى سَرِيعُ الْحِسَابِ، وَهُوَ يَجْزِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ .

وإلى جانب أولئك المهتمين بأمر الدنيا فقط، آخرون يهتمون بأمر الآخرة إلى جانب اهتمامهم بأمر الدنيا فيقولون: ربنا آتينا في الدنيا حسنة (وتشمل كل مطلب دنيوي) وفي الآخرة حسنة (وتشمل دخول الجنة والنجاة من النار)، وهذا يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا: من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والمحرمات .

وعن أبي إسحاق قال سمعت عبد الله بن معقل قال سمعت عدي بن حاتم - رضى الله عنه - قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول « اتقوا النار ولو بشق تمره »^{٥٨٩}.

وعن عدي بن حاتم قال ذكر النبي - ﷺ - النار، فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار، فتعوذ منها، وأشاح بوجهه - قال شعبة أما مرتين فلا أشك - ثم قال « اتقوا النار ولو بشق تمره، فإن لم تجد فبكلمة طيبة »^{٥٩٠}.

وعن عدي بن حاتم قال قال النبي - ﷺ - « اتقوا النار ». ثم أعرض وأشاح، ثم قال « اتقوا النار ». ثم أعرض وأشاح ثلاثاً، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال « اتقوا النار ولو بشق تمره، فمن لم يجد فبكلمة طيبة »^{٥٩١}.

وعن عدي بن حاتم، قال: قام النبي ﷺ، فقال: اتقوا النار ثم أعرض وأشاح قال: ثم قال: اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح حتى رأينا أنه يراها، ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمره، فإن لم تجدوا، فبكلمة طيبة.^{٥٩٢}

أشاح بشين معجمة وحاء مهملة معناه حذر النار كأنه ينظر إليها وقال الفراء المشيح على معنيين المقبل إليك والمانع لما وراء ظهره قال وقوله أعرض وأشاح أي أقبل

وعن أبي هريرة قال لما أنزلت هذه الآية { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } (٢١٤) سورة الشعراء، دعا رسول الله - ﷺ - قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ فقال « يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سألها ببالها »^{٥٩٣}. أبل: أصل

^{٥٨٩} - صحيح البخارى (١٤١٧)

^{٥٩٠} - صحيح البخارى (٦٠٢٣)

^{٥٩١} - صحيح البخارى (٦٥٤٠) وصحيح مسلم (٢٣٩٦)

^{٥٩٢} - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٤٣) (٢٨٠٤) صحيح

^{٥٩٣} - صحيح مسلم (٥٢٢)

وَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَخْطُبُ فَقَالَ: «أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ». فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا لَسَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ وَحَتَّى سَقَطَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ. ٥٩٤

الخميصة: كساء أسود مربع له علمان في طرفيه من صوف وغيره

وَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، حَتَّى سَقَطَ أَحَدُ عِطْفِي رِدَائِهِ عَنْ مَنْكِبِيهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، حَتَّى لَوْ كَانَ مِنْ مَكَانِي هَذَا لَأَسْمَعَ أَهْلَ السُّوقِ، أَوْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْهُمْ. ٥٩٥

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْفَدَ نَارًا فَجَعَلَتْ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ» ٥٩٦ .

الحجز: جمع حجرة وهي معقد الإزار والسرراويل - تقحمون: تقعون

وَعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - . فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبُنَّهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا قَالَ فَذَلِكَ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا» ٥٩٧ .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَدْبُهَا عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفْلُتُونَ مِنْ يَدِي» ٥٩٨ .

الجنادب: جمع جندب وهو نوع من الجراد يقفز ويطيح - الحجز: جمع حجرة وهي معقد الإزار والسرراويل

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : " مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الْجَنَّةِ، نَامَ طَالِبُهَا. وَلَا مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا ٥٩٩ "

وَعَنْ كَلْبِ بْنِ حَزْنٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " يَا قَوْمُ " اطْلُبُوا الْجَنَّةَ جَهْدَكُمْ، وَاهْرُبُوا مِنَ النَّارِ جَهْدَكُمْ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَنَامُ طَالِبُهَا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يَنَامُ هَارِبُهَا، أَلَا إِنَّ الْآخِرَةَ الْيَوْمَ مُحَفَفَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ الدُّنْيَا مُحَفَفَةٌ بِالشَّهَوَاتِ ٦٠٠ "

٥٩٤ - سنن الدارمي (٢٨٦٨) صحيح

٥٩٥ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٥٨) (٣٥٢٧٣) صحيح

٥٩٦ - صحيح مسلم (٦٠٩٥)

٥٩٧ - صحيح مسلم (٦٠٩٧)

٥٩٨ - صحيح مسلم (٦٠٩٨)

٥٩٩ - مجمع الزوائد (١٧٧٠٩) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ .

٦٠٠ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٤ / ص ٨١) (١٥٧٧٩) ضعيف

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، ارْغَبُوا فِيمَا رَغِبَكُمْ اللَّهُ فِيهِ، وَاحْذَرُوا مِمَّا حَذَرَكُمْ اللَّهُ مِنْهُ، وَخَافُوا مِمَّا خَوَّفَكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ وَمِنْ جَهَنَّمَ ؛ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ قَطْرَةً مِنَ الْجَنَّةِ مَعَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ أَلْتِي أَنْتُمْ فِيهَا حَلَّتْهَا لَكُمْ، وَلَوْ كَانَتْ قَطْرَةً مِنَ النَّارِ مَعَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ أَلْتِي أَنْتُمْ فِيهَا حَبَّتْهَا عَلَيْكُمْ " ٦٠١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَتَى بِفَرَسٍ، يَجْعَلُ كُلُّ حَطْوٍ مِنْهُ أَقْصَى بَصَرِهِ، فَسَارَ وَسَارَ مَعَهُ جَبْرِيلُ ﷺ - فَأَتَى عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ فِي يَوْمٍ، وَيَحْصِدُونَ فِي يَوْمٍ، كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ، فَقَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلَفُهُ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُرَضِّخُ رُءُوسَهُمْ بِالصَّخَرِ، كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. قَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَنَاقَلَتْ رُءُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ، وَعَلَى أُقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ، يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ إِلَى الضَّرْبِ وَالرَّقُومِ وَرَضْفِ جَهَنَّمَ. قَالَ: مَا هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَمَا ظَلَمَ اللَّهُ لِلْعَبِيدِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ فِي قَدَرٍ نَضِيجٍ، وَلَحْمٌ آخَرُ نِيءٌ خَبِيثٌ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ الْخَبِيثَ وَيَدْعُونَ النَّضِيجَ الطَّيِّبَ. قَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ: الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ يَقُومُ مِنْ عِنْدِ امْرَأَتِهِ حَلَالًا، فَيَأْتِي الْمَرْأَةَ الْخَبِيثَةَ، فَيَبِيتُ مَعَهَا حَتَّى يُصْبِحَ، وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا، فَتَأْتِي الرَّجُلَ الْخَبِيثَ فَيَبِيتُ عِنْدَهُ حَتَّى تُصْبِحَ، ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُزْمَةً عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَذَا ؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ عَلَيْهِ أَمَانَةُ النَّاسِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَدَاءَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ وَالسِّتُّهُمْ بِمَقَارِضٍ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. قَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى جُحْرِ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ، فَيُرِيدُ الثَّوْرُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ فَيَنْدِمُ عَلَيْهَا، فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ، ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ رِيحًا طَيِّبَةً، وَوَجَدَ رِيحَ مِسْكِ مَعَ صَوْتٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا ؟ قَالَ: صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْتِنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كُتِبَ

غَرَسِي، وَحَرِيرِي، وَسُنْدُسِي، وَإِسْتَبْرَقِي، وَعَبَقَرِي، وَمَرْجَانِي، وَقَصْبِي، وَذَهَبِي، وَأَكُوَابِي، وَصَحَافِي، وَأُبَارِقِي، وَفَوَاحِي، وَعَسَلِي، وَثِيَابِي، وَلَبَنِي، وَخَمْرِي، ائْتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي. قَالَ: لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ. وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي، وَعَمِلَ صَالِحًا، وَلَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أُنْدَادًا - فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَزَيْتُهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لَا خُلْفَ

لِمِعَادِي، قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، فَقَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ، ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتًا مُنْكَرًا، فَقَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذَا الصَّوْتُ ؟ قَالَ: هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ: يَا رَبِّ، أَتَيْتَنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَ سَلَاسِلِي، وَأَغْلَالِي، وَسَعِيرِي، وَحَمِيمِي، وَغَسَاقِي، وَغَسْلِينِي، وَقَدْ بَعْدَ فَعْرِي، وَأَشْتَدَّ حَرِّي، أَتَيْتَنِي بِمَا وَعَدْتَنِي. قَالَ: لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وَخَبِيثٍ وَخَبِيثَةٍ، وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ. قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ. ٦٠٢

- الرُّضْخ: الشَّدْخ. والرُّضْخ أيضا: الدَّقُّ والكسر - الأدبار: جمع الدبر ودبر كل شيء عقبه ومؤخره - الأنعام: الإبل والبقر والغنم - الضريع: نبات الشريق لا تقربه دابة لحبته - قصعته: ضربته وقمعه - قرض: قطع - المقاريض: جمع المقراض وهو المقص وكل ما يُقَطَّع به الأشياء - قرضت: قطعت - العرف: الريح الطيبة - الأغلال جمع الغُل: وهو طوق من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو المجرم أو في أيديهما - الغساق: بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل الزمهرير وعن أنس بن مالك قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ». قَالُوا وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ». وَحَصَّاهُمْ عَلَى الصَّلَاةِ وَنَهَاَهُمْ أَنْ يَسْبِقُوهُ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَنَهَاَهُمْ أَنْ يَنْصَرِفُوا قَبْلَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَقَالَ « إِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي وَمِنْ أَمَامِي » ٦٠٣.

وعن عبد الله بن الزبير: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - مَرَّ بِقَوْمٍ يَضْحَكُونَ فَقَالَ: " تَضْحَكُونَ وَذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ ! " قَالَ: فَمَا رَأَيْ أَحَدًا مِنْهُمْ ضَاحِكًا حَتَّى مَاتَ، قَالَ: وَنَزَلَتْ: " نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) [الحجر/٤٩-٥١] " ٦٠٤.

وعن عبد الله بن عمر: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لَا تَنْسُوا الْعَظِيمَيْنِ ". قُلْنَا: وَمَا الْعَظِيمَانِ ؟ قَالَ: " الْجَنَّةُ وَالنَّارُ " فَذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا ذَكَرْتُ ثُمَّ بَكَى حَتَّى جَرَى أَوْ بَلَ الدَّمْعُ جَانِبِي لِحَيْتِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ الْأَمْرِ مَا أَعْلَمُ لَمَسَيْتُمْ إِلَى الصَّعِيدِ عَلَى رُءُوسِكُمُ التُّرَابَ ٦٠٥

الحشو والحنى: الاغتراف بملء الكفين، وإلقاء ما فيهما

٦٠٢ - تهذيب الآثار للطبري (٢٧٦٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٦٧٩) حسن

٦٠٣ - مسند أحمد (١٣٨٧٥) صحيح

٦٠٤ - مسند البزار (٢٢١٦) ضعيف

٦٠٥ - المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني (٣٣٩٢) حسن

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ». قَالُوا وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا ».^{٦٠٦}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - . وَعَمَرُو عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ « إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفْعَةً لِأَحَدٍ ».^{٦٠٧}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحْرُوقُهَا ».^{٦٠٨}

قَالَ فِي اللَّمَعَاتِ: لَعَلَّ جَهَنَّمَ يُؤْتَى بِهَا فِي الْمَوْقِفِ لِيَرَاهَا النَّاسُ تَرْهِيبًا لَهُمْ^{٦٠٩}.

والزمام: لغة ما يجعل في أنف البعير يشد عليه المقود فيحتمل أن يكون ذلك على حقيقته، وأن تكون تمثيلاً لعظمها وفرط كبرها بحيث إنها تحتاج في الإتيان بها إلى هذه الأزيمة^{٦١٠}

وهذا يدل على عظمة هذه النار نسأل الله أن يعيذنا والمسلمين منها ومن هول ذلك اليوم لأن الله تعالى جعل سبعين ألف ملك مع كل زمام من سبعين ألف زمام يجرون بها جهنم والعياذ بالله فهذا العدد الكبير من الملائكة يدل على أن الأمر عظيم والخطر جسيم^{٦١١}

المبحث الثالث

الأعمال والأقوال التي تقي من النار

لما كان الكفر هو السبب في الخلود في النار فإن النجاة من النار تكون بالإيمان والعمل والصالح، ولذا فإن المسلمين يتوسلون إلى ربهم بإيمانهم كي يخلصهم من النار، قال تعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (١٦) [آل عمران/١٦]

فَعِبَادُ اللَّهِ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ نَعِيمَ الْآخِرَةِ، وَرِضْوَانَ اللَّهِ، هُمُ الَّذِينَ تَنَاطَرُ قُلُوبُهُمْ بِثَمَرَاتِ إِيمَانِهِمْ فَتَفِيضُ أَلْسِنَتُهُمْ بِالاعْتِرَافِ بِهَذَا الْإِيمَانِ حِينَ الدُّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا

^{٦٠٦} - سنن الترمذي (٢٧٩٢) صحيح

^{٦٠٧} - مسند أحمد (٧٥٢٩) صحيح

^{٦٠٨} - صحيح مسلم (٧٣٤٣)

^{٦٠٩} - تحفة الأحوذى - (ج ٦ / ص ٣٦٧)

^{٦١٠} - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - (ج ٤ / ص ١٢٧)

^{٦١١} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (ج ٣ / ص ٣٧)

بِكَ، وَبِكُتُبِكَ، وَبِرُسُلِكَ، فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَامْحُهَا بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَادْفَعْ عَنَّا عَذَابَ النَّارِ، إِنَّكَ أَنْتَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

وقال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) [آل عمران/١٩٠-١٩٤] ،

يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى أُولِي الْأَلْبَابِ فَيَقُولُ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَائِمِينَ وَقَاعِدِينَ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ
وَلَا يَقْطَعُونَ ذِكْرَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، بِسَرَائِرِهِمْ، وَأَلْسِنَتِهِمْ... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لِيَفْهَمُوا مَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارِ خَلْقَتِهِ، وَمِنْ حِكْمٍ وَعَبَرٍ وَعِظَاتٍ، تَذُلُّ عَلَى
الْخَالِقِ، وَقُدْرَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا الْخَلْقَ عَبَثًا
وَبَاطِلًا، رَبَّنَا تَنْزَهْتَ عَنِ الْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ بِالْحَقِّ، وَالْإِنْسَانِ مِنْ بَعْضِ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقْهُ
عَبَثًا، وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ لِحِكْمَةٍ. وَمَتَى حُشِرَ الْخَلْقُ إِلَيْكَ حَاسِبَتُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَتَجْزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا
عَمِلُوا، وَتَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. ثُمَّ يَتِمُّونَ دُعَاءَهُمْ سَائِلِينَ رَبَّهُمْ أَنْ يَقْبَلَهُمْ عَذَابَ النَّارِ.
ثُمَّ يَتَابِعُونَ دُعَائَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ لِرَبِّهِمْ قَائِلِينَ: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُهُ النَّارَ فَقَدْ أَهَنْتَهُ وَأَذَلَّتَهُ، وَأُظْهِرْتَ
خِزْيَهُ لِأَهْلِ الْجَمْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالظَّالِمُونَ لَا يَجِدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللَّهِ .

وَبَعْدَ أَنْ عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ بِالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ، عَبَّرُوا عَنْ وُصُولِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ، وَاسْتِجَابَتِهِمْ
لِدَعْوَتِهِ سِرَاعًا، فَقَالُوا: رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ (وَهُوَ الرَّسُولُ)، وَيَقُولُ: آمِنُوا
بِرَبِّكُمْ، فَآمَنَّا مُسْتَجِيبِينَ لَهُ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَتَحَاوَزْ عَن سَيِّئَاتِنَا، فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ
الصَّالِحِينَ وَأَلْحِقْنَا بِهِمْ .

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى لِسَانِ رُسُلِكَ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْخَلْقِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ الَّذِي
أَخْبَرَ عَنْهُ رُسُلُكَ الْكَرَامَ، وَهُوَ قِيَامُ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَإِنَّكَ تَجْزِي الْعَامِلِينَ الصَّالِحِينَ بِالْخَيْرِ
وَالْحُسْنَى، وَتَجْزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ .

وقد بينت النصوص الأعمال التي تقي من النار، ومنها :

الشهادتان بإخلاص

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
غَزَاةٍ، فَأَصَابَ النَّاسَ مَخْمَصَةٌ، فَاسْتَأْذَنَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نَحْرِ بَعْضِ ظُهُورِهِمْ، فَقَالُوا: يُبْلِغُنَا اللَّهُ
عِزًّا وَحَلًّا بِهَا، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ هَمَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي نَحْرِ بَعْضِ

ظُهُورِهِمْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بَنَّا نَحْنُ إِذَا لَقِينَا عَدُوَّنَا جِيَاعًا رِجَالًا، وَلَكِنْ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَدْعُو النَّاسَ بَقَايَا أَزْوَاجِهِمْ، فَيَجْمَعُهَا، ثُمَّ تَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُبَلِّغُنَا بِدَعْوَتِكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَقَايَا أَزْوَاجِهِمْ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجِئُونَ بِالْحِفْنَةِ مِنَ الطَّعَامِ، وَفَوْقَ ذَلِكَ، فَكَانَ أَغْلَاهُمْ مَنْ جَاءَ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ، فَجَمَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَامَ، فَدَعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَدْعُو، ثُمَّ دَعَا الْجَيْشَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْثُوا، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعَاءٌ إِلَّا مَلْؤُهُ، وَبَقِيَ مِثْلُهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدٌ يُؤْمِنُ بِهَا إِلَّا حَاجَبَهُ عَنِ النَّارِ" ٦١٢

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، فَأَصَابَ النَّاسَ مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ، فَاسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي نَحْرِ بَعْضِ ظَهْرِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بَنَّا إِذَا لَقِينَا عَدُوَّنَا جِيَاعًا رِجَالًا؟ وَلَكِنْ إِنْ رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَدْعُو النَّاسَ بِبَقِيَّةِ أَزْوَاجِهِمْ. فَجَاؤُوا بِهِ، يَجِيءُ الرَّجُلُ بِالْحِفْنَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ، وَكَانَ أَغْلَاهُمْ الَّذِي جَاءَ بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ، فَجَمَعَهُ عَلَى نَطْعٍ، ثُمَّ دَعَا اللَّهَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعَاءٌ إِلَّا مَمْلُوءٌ وَبَقِيَ مِثْلُهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَلْقَاهُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِهِمَا إِلَّا حَاجَبَتْهُ عَنِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ٦١٣

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ مَهْلًا لَمْ تَبْكِي فَوَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ وَلَئِنْ شَفَعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمْوهُ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمْوهُ الْيَوْمَ وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ » ٦١٤ .

وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - وَمُعَاذُ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ « يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ « يَا مُعَاذُ ». قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثَلَاثًا، قَالَ « مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ « إِذَا يَتَكَلَّمُوا ». وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِيًا ٦١٥ .

٦١٢ - الأحاد والمثاني (٢٠٠٤) حسن

٦١٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٤٥٤) (٢٢١) حسن

٦١٤ - صحيح مسلم (١٥١)

٦١٥ - البخاري (١٢٨)

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: مَنْ دَخَلَ الْقَبْرَ بِـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَلَّصَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ. ^{٦١٦}
وَعَنْ سُهَيْلِ بْنِ الْبَيْضَاءِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا رَدِيْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
يَا سُهَيْلُ بْنُ الْبَيْضَاءِ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُحْيِيهِ سُهَيْلٌ، فَسَمِعَ النَّاسُ صَوْتَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يُرِيدُهُمْ، فَحَبِسَ مَنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَحِقَهُ مَنْ كَانَ خَلْفَهُ. حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا، قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، وَأَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّةَ. ^{٦١٧}

محبة الله تعالى ورسوله ﷺ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَصَبِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَأَتْ
أُمُّهُ الدُّوَابَّ، خَشِيتَ عَلَى ابْنِهَا أَنْ يُوطَأَ، فَسَعَتْ وَالْهَةَ، فَقَالَتْ: ابْنِي ابْنِي، فَاحْتَمَلَتْ ابْنَهَا، فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا
نَبِيَّ اللَّهِ، مَا كَانَتْ هَذِهِ لُتْلِقِي ابْنَهَا فِي النَّارِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا وَاللَّهِ، لَا يُلْقِي اللَّهُ حَبِيبَهُ فِي
النَّارِ، قَالَ: فَخَصَّمَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ^{٦١٨}

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ صَبِيٌّ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ أُمُّ
الصَّبِيِّ الْقَوْمَ خَشِيتُ أَنْ يُوطَأَ ابْنَهَا، فَسَعَتْ وَحَمَلَتْهُ، وَقَالَتْ: ابْنِي ابْنِي، قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا
كَانَتْ هَذِهِ لُتْلِقِي ابْنَهَا فِي النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا، وَلَا يُلْقِي اللَّهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ. ^{٦١٩}

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ - وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَصَبِيٌّ فِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَأَتْ أُمُّ الْقَوْمِ خَشِيتَ
عَلَى وَلَدِهَا أَنْ يُوطَأَ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَتَقُولُ: ابْنِي، ابْنِي، وَسَعَتْ فَأَخَذَتْهُ، فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا
كَانَتْ هَذِهِ لُتْلِقِي ابْنَهَا فِي النَّارِ، قَالَ: فَخَفَضَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ - وَقَالَ: "وَلَا اللَّهُ يُلْقِي حَبِيبَهُ فِي النَّارِ"
. رَوَاهُ أَحْمَدُ ^{٦٢٠}

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ - عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ «
وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا» .

قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ - . فَقَالَ «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» . قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا
بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ - «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» . قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ - وَأَبَا
بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ. ^{٦٢١}

^{٦١٦} - أخرجه التَّسَائِي، في "عمل اليوم والليلة" (١١١١) صحيح

^{٦١٧} - مسند أحمد (١٦١٥١) فيه انقطاع

^{٦١٨} - المستدرك للحاكم (٧٣٤٧) صحيح

^{٦١٩} - مسند أحمد (١٣٨١٥) صحيح

^{٦٢٠} - مسند أحمد (١٢٣٤٤) صحيح

^{٦٢١} - صحيح البخاري (٣٦٨٨) وصحيح مسلم (٦٨٧٨)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ - مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « مَا أَعَدَدْتُ لَهَا ». قَالَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » ٦٢٢.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ، قَالَ: أَتَيْنَ السَّائِلُ عَنْ سَاعَتِهِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ شَيْءٍ، وَلَا صَلَاةٍ، وَلَا صِيَامٍ، أَوْ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ عَمَلٍ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، أَوْ قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ: فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرَحُوا بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ مِثْلَ فَرَحِهِمْ بِهَذَا. ٦٢٣

الصدقة

عَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا عَنِ الصَّدَقَةِ قَالَ: إِنَّهَا حِجَابٌ عَنِ النَّارِ، لِمَنْ احْتَسَبَهَا، يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ قَالَتْ: أَفْتِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِي ثَمَنِ الْكَلْبِ قَالَ: طُعْمَةُ جَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ أَغْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا قَالَتْ: وَأَفْتِنَا عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: مَنْ أَثَرِ الْبَوْلِ، فَمَنْ أَصَابَهُ بَوْلٌ فَلْيَغْسِلْهُ بِمَاءٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً، فَلْيَمْسَحْهُ بِتُرَابٍ طَيِّبٍ ٦٢٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ: كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، وَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، وَيَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ. ٦٢٥

كل معروف صدقة

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمِدَ اللَّهَ وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ عَزَلَ شَوْكَةً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَتْ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثَ مِائَةَ السُّلَامَى فَإِنَّهُ يُمَسَّى يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحَزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ ٦٢٦

فِيهِ فَضْلٌ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّالِحِينَ، وَأَهْلَ الْخَيْرِ، الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتِ. وَمَنْ فَضَّلَ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ امْتَنَالَ أَمْرَهُمَا، وَاجْتَنَبَ نَهْيَهُمَا، وَالتَّأَدَّبَ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ. وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الْإِنْتِفَاعِ بِمَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلُهُمْ؛ إِذْ لَوْ عَمِلَهُ لَكَانَ مِنْهُمْ وَمِثْلَهُمْ "شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٨٣)

٦٢٢ - صحيح البخاري (٦١٧١)

٦٢٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٣٠٨) (١٠٥) صحيح

٦٢٤ - الآحاد والمثاني (٣٤٤٩) حسن

٦٢٥ - صحيح ابن حبان - (ج ٨ / ص ١٧٤) (٣٣٨١) صحيح

٦٢٦ - صحيح مسلم (٢٣٧٧) والسنن الكبرى للبيهقي (ج ٤ / ص ١٨٨) (٨٠٧٤)

وعن عائشة، قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ مَفْصِلٍ فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمِدَهُ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِهِمْ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِ مِائَةٍ، فَإِنَّهُ يُمَسِّي يَوْمَهُ وَقَدْ زَحَرَخَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ. ٦٢٧

صيام التطوع

إذا كان الصوم في حال جهاد الأعداء فذاك الفوز العظيم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ٦٢٨

عَنْ عَثَامَةَ بْنِ قَيْسٍ أَبِي عَلِيٍّ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْدَ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى بَاعَدَتْ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ سَنَةٍ ٦٢٩

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ٦٣٠

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ، رَكُضَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ الْمُضْمَرِّ". ٦٣١

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ". ٦٣٢

وَعَنْ عُثْبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلْمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرِيضَةً بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ السَّبْعِ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا تَطَوُّعًا بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ". ٦٣٣

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: « مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بَيْنَ وَجْهِهِ وَبَيْنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ». ٦٣٤

٦٢٧ - صحيح ابن حبان - (ج ٨ / ص ١٧٣) (٣٣٨٠) صحيح

٦٢٨ - صحيح مسلم (٢٧٦٩) و صحيح البخارى (٢٨٤٠)

٦٢٩ - الأحاد والمثاني (٢٧٤٢) حسن لغيره

٦٣٠ - المعجم الصغير للطبراني (٤٤٩) حسن

٦٣١ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٧ / ص ٢١٩) (٧٧١٢) حسن لغيره

٦٣٢ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٧ / ص ٢٦٩) (٧٨٤٦) حسن

٦٣٣ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٢ / ص ٤٧) (١٣٧٤٢) ضعيف

٦٣٤ - سنن الدارمى (٢٤٥٤) صحيح

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ. ٦٣٥

من يحب للناس ما يحب لنفسه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ يَقُولُ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي سَفَرٍ فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ حَبَاءَهُ وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - الصَّلَاةَ جَامِعَةً قَالَ فَاثْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ أَلَا وَإِنَّ عَافِيَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَفِتْنٌ يُدْفِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا تَجِيءُ الْفِتْنُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ ثُمَّ تَجِيءُ فَيَقُولُ هَذِهِ هَذِهِ ثُمَّ تَجِيءُ فَيَقُولُ هَذِهِ هَذِهِ ثُمَّ تَنْكَشِفُ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتُنْذِرْهُ مَنِئْتَهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةً قَلْبِهِ فَلْيُطْعِمْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ». وَقَالَ مَرَّةً: «مَا اسْتَطَاعَ». أَظُنُّهُ قَالَ: «فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ». فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَدْخَلْتُ رَأْسِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقُلْتُ: إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ مُعَاوِيَةَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَأَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) قَالَ: فَوَضَعَ جُمُعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ثُمَّ نَكَسَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ أَطْعَمَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصَاهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ قُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ أَذْنًاى وَوَعَاهُ قَلْبِي. رَوَاهُ مُسْلِمٌ ٦٣٦

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، يُحَدِّثُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي مَجَشَرِهِ، وَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ حَبَاءَهُ، إِذْ نُودِيَ بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ قَبْلِي نَبِيٌّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لَهُمْ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، فَتَجِيءُ فِتْنَةُ الْمُؤْمِنِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَقُولُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُرْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُنْذِرْهُ مَنِئْتَهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمَرَةً قَلْبِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مَا اسْتَطَاعَ، قَالَ: قُلْتُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةَ، يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ، وَنُهْرِقُ دِمَاءَنَا، وَقَالَ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}

٦٣٥ - مسند الشاميين (٢٩٠) صحيح لغيره

٦٣٦ - صحيح مسلم (٤٨٨٢)

[النساء]، وَقَالَ: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء] قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَطِيعُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَعَصِيهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ. ٦٣٧

الفجر في جماعة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ» ٦٣٨.

وعن أنس بن مالك، رفعه - قال: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ، وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فِي جَمَاعَةٍ لَا تَفُوتُهُ رَكْعَةٌ كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ، بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ» ٦٣٩.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ «مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَا تَفُوتُهُ الرُّكْعَةُ الْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عِتْقًا مِنَ النَّارِ» ٦٤٠.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا». يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ نَعَمْ. قَالَ الرَّجُلُ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّي سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- سَمِعْتُهُ أَذْنًا وَيَوَعَاهُ قَلْبِي ٦٤١.

الاستجارة من النار

ومما يقي العبد من النار استجارة العبد بالله من النار، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) [الفرقان/٦٥-٦٦] وهُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ فَيَدْعُوْنَهُ، وَيَسْأَلُوْنَهُ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ، فَإِنَّ عَذَابَهَا مَوْْلٌ مَلَاظِمٌ لِلْإِنْسَانِ، لَا يَزُولُ عَنْهُ، وَلَا يَحُولُ، وَلَا يُفَارِقُهُ. وَإِنَّ جَهَنَّمَ بئسَ المَزلُ، وبئسَ المَقِيلُ والمَقَامُ.

وهذا منهم على وجه التضرع لربهم، وبيان شدة حاجتهم إليه وأنها ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب، وليتذكروا منة الله عليهم، فإن صرف الشدة بحسب شدتها وفضاعتها يعظم وقعها ويشدّد الفرح بصرفها.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «مَا يَسْأَلُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ وَلَا اسْتَجَارَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا إِلَّا قَالَتِ النَّارُ اللَّهُمَّ أَجِرْهُ» ٦٤٢.

٦٣٧ - صحيح ابن حبان - (ج ١٣ / ص ٢٩٤) (٥٩٦١) صحيح

٦٣٨ - سنن الترمذي (٢٤١) حسن لغيره

٦٣٩ - شعب الإيمان للبيهقي (٢٧٤٧) حسن لغيره

٦٤٠ - سنن ابن ماجه (٨٤٧) فيه ضعف

٦٤١ - صحيح مسلم (١٤٦٨)

٦٤٢ - مسند أحمد (١٢٧٧٤) صحيح

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْأَلُ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْرِهُ مِنِّي ٦٤٣

الدعاء يعد الصلاة

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ الْكِنَانِيِّ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ الْحَارِثِ التَّمِيمِيَّ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ اللَّهُمَّ اجْرِني مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ جَوَارًا مِنَ النَّارِ وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ اللَّهُمَّ اجْرِني مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ تَلَكَ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ جَوَارًا مِنَ النَّارِ ». ٦٤٤

وَعَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُسْلِمِ التَّمِيمِيَّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَلَمَّا بَلَغْنَا الْمُعَارَ، اسْتَحْثَّتْ فَرَسِي، فَسَبَقْتُ أَصْحَابِي، فَتَلَقَّانِي الْحَيُّ بِالرَّيْنِ، فَقُلْتُ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُحَرِّزُوا، فَقَالُوا: فَلَا مَنِي أَصْحَابِي، وَقَالُوا: حُرِّمْنَا الْغَنِيمَةَ بَعْدَ أَنْ رُدَّتْ بِأَيْدِينَا، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَخْبَرُوهُ بِمَا صَنَعْتُ، فَدَعَانِي، فَحَسَّنَ لِي مَا صَنَعْتُ، وَقَالَ: أَمَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَكَ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ كَذَا وَكَذَا. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَأَنَا نَسِيتُ الثَّوَابَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: إِنِّي سَأَكْتُبُ لَكَ كِتَابًا، وَأُوصِي بِكَ مَنْ يَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّةٍ الْمُسْلِمِينَ قَالَ: فَكُتِبَ لِي كِتَابًا، وَخَتَمَ عَلَيْهِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: إِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا: اللَّهُمَّ اجْرِني مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ تَلَكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جَوَارًا مِنَ النَّارِ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا: اللَّهُمَّ اجْرِني مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جَوَارًا مِنَ النَّارِ قَالَ: فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ، أَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ بِالْكِتَابِ، فَفَضَّضَهُ، فَقَرَأَهُ وَأَمَرَ لِي بِعِطَاءٍ وَخَتَمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ عُمَرَ، فَقَرَأَهُ، وَأَمَرَ لِي، وَخَتَمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ عُثْمَانَ، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. ٦٤٥

أربع ركعات قبل الظهر وأربعاً بعدها

عَنْ عَنَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ أُخْتِي أُمَّ حَبِيبَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَنْ حَافِظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » ٦٤٦ .

أربع ركعات قبل العصر

٦٤٣ - مسند أبي يعلى الموصلي (٣٦٨٣) صحيح

٦٤٤ - مسند أحمد (١٨٥٤١) وسنن أبي داود (٥٠٨١) حسن

في سنده الحارث بن مسلم بن الحارث وثقه ابن حبان ولم يرو عنه سوى واحد من الثقات ١٧٦/٦ وسكت عليه تخ ٢٨٢/٢ وأبو حاتم الجرح ٨٧/٣، لكن رواية هؤلاء الأئمة لهذا الحديث وسكوهم عليه كاف لتقويته.

٦٤٥ - صحيح ابن حبان - (ج ٥ / ص ٣٦٦) (٢٠٢٢) حسن

٦٤٦ - سنن الترمذی (٤٣٠) صحيح

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: جِئْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَاعِدٌ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَذْرَكْتُ آخِرَ الْحَدِيثِ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: " مَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ "، فَقُلْتُ بِيَدَيَّ هَكَذَا - يُحَرِّكُ بِيَدِهِ أَنَّ هَذَا حَدِيثٌ جَيِّدٌ - فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَمَّا فَاتَكَ مِنْ صَدْرِ الْحَدِيثِ أَجُودٌ وَأَجُودٌ. قُلْتُ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَهَاتِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - -: " أَنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ " ٦٤٧.

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ حَرَّمَ اللَّهُ بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ " ٦٤٨.

ما يقول عند الصباح والمساء

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمَسِّي اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ » ٦٤٩.

اغترار القدمين في سبيل الله

عَنْ عُبَايَةَ بْنِ رِفَاعَةَ قَالَ أَذْرَكَنِي أَبُو عَبْسٍ وَأَنَا أَذْهَبُ إِلَى الْجُمُعَةِ فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ « مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » ٦٥٠.

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: لَحِقَنِي عُبَايَةُ بْنُ رَافِعٍ وَأَنَا مَاشٍ إِلَى الْجُمُعَةِ فَقَالَ أَبْشِرْ فَإِنَّ خُطَاكَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَمِعْتُ أَبَا عَبْسٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ حَرَامٌ عَلَى النَّارِ » ٦٥١.

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُثْعَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ. ٦٥٢.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ » ٦٥٣.

٦٤٧ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٢٠ / ص ١٤٣) (١٥٣٠) ضعيف

٦٤٨ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٧ / ص ١١٣) (١٩١٠٥) ضعيف

٦٤٩ - سنن أبي داود (٥٠٧١) حسن

٦٥٠ - صحيح البخاري (٩٠٧)

٦٥١ - سنن النسائي (٣١٢٩) صحيح

٦٥٢ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ٥ / ص ٣١٠) (١٩٧٣٣) صحيح

٦٥٣ - مسند أحمد (١٥٣٣٤) صحيح

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ^{٦٥٤}

وعن ابن جابر أن أبا المصباح الأوزاعي حَدَّثَهُمْ قَالَ: بَيْنَا نَسِيرُ فِي دَرْبٍ قَلَمِيَّةٍ إِذْ نَادَى الْأَمِيرُ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيُّ رَجُلًا يَقُودُ فَرَسَهُ فِي عِرَاضِ الْجَبَلِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلَا تَرَكِبُ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ»^{٦٥٥}.

وعن عبد الرحمن بن جابر أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ »^{٦٥٦}

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى، قَالَ: مَرَّ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيُّ وَهُوَ عَلَى النَّاسِ بِالصَّائِفَةِ بِأَرْضِ الرُّومِ، قَالَ: وَرَجُلٌ يَقُودُ دَابَّتَهُ، فَقَالَ لَهُ: ارْكَبْ، فَإِنِّي أَرَى دَابَّتَكَ ظَهِيرَةً، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا النَّارَ، قَالَ: فَتَزَلْ مَالِكُ وَنَزَلَ النَّاسُ يَمْشُونَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمَ أَكْثَرَ مَا شِئًا مِنْهُ^{٦٥٧}.

الخوف من الله والجهاد في سبيله

ومما ينجي من النار مخافة الله، والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ (٤٦) [الرحمن/٤٦])

وَمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ، وَرَاقَبَهُ فِي أَعْمَالِهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ قَائِمٌ عَلَيْهِ، مُشْرِفٌ عَلَى أَعْمَالِهِ، عَارِفٌ بِمَا يُكْنُهُ صَدْرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْزِيهِ بِجَنَّتَيْنِ فِي الْآخِرَةِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْحَرِي مُسْلِمٍ أَبَدًا^{٦٥٨}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا^{٦٥٩}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعًا يَضُرُّ أَحَدَهُمَا: مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا، ثُمَّ سَدَّدَ الْمُسْلِمُ وَقَارَبَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ عَبْدٍ وَغُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ: الْإِيمَانُ وَالشُّحُّ^{٦٦٠}.

^{٦٥٤} - مسند أبي يعلى الموصلي (٢٠٧٥) حسن

^{٦٥٥} - مسند أحمد (٢٢٦٠٥) صحيح

^{٦٥٦} - صحيح البخاري (٢٨١١)

^{٦٥٧} - مسند أبي يعلى الموصلي (٩٤٤) صحيح

^{٦٥٨} - شرح السنة للبيهقي (٤١٦٨) صحيح

^{٦٥٩} - صحيح ابن حبان - (ج ٨ / ص ٤٣) (٣٢٥١) صحيح

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ. ٦٦١

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي مَنْخَرِي عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ. ٦٦٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا ». ٦٦٣

اتقاء النار ولو بشق ثمرة

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْقِلٍ قَالَ سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ ثَمَرَةٍ » ٦٦٤

وَعَنْ عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيَّكَلُمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ ثَمَرَةٍ » ٦٦٥ .

وَعَنْ عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ، إِلَّا سَيَّكَلُمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ تَلَفَاءَ وَجْهِهِ، فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ ثَمَرَةٍ فَلْيَفْعَلْ. ٦٦٦

وَعَنْ عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ يَشْكُو أَحَدُهُمَا الْعِيْلَةَ، وَيَشْكُو الْآخَرُ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ: فَلَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ مِنَ الْحِيرَةِ إِلَى مَكَّةَ بَغِيرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا الْعِيْلَةُ: فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِبَصَدَقَةٍ مَالِهِ، فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقْفَنَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ، وَلَا تُرْجُمَانٌ يُتْرَجَمُ لَهُ، فَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا ؟ فَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا ؟ فَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ

٦٦٠ - مسند أبي عوانة (٥٩٥٧) صحيح

٦٦١ - مسند البزار (٢٧٢٢) صحيح

٦٦٢ - مسند الشاميين (٣٤٤٦) صحيح

٦٦٣ - صحيح مسلم (٥٠٠٣)

قَالَ الْقَاضِي: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا مُحْتَضَرٌ بِمَنْ قَتَلَ كَافِرًا فِي الْجِهَادِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مُكْفَرًا لِذُنُوبِهِ حَتَّى لَا يُعَاقَبَ عَلَيْهَا، أَوْ يَكُونُ بِنِيسَةٍ مَخْصُوصَةٍ، أَوْ حَالَةٍ مَخْصُوصَةٍ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عِقَابُهُ إِنْ عُوقِبَ بِغَيْرِ النَّارِ كَالْحَبْسِ فِي الْأَعْرَافِ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ أَوَّلًا وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ، أَوْ يَكُونُ إِنْ عُوقِبَ بِهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ عِقَابُ الْكُفَّارِ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي إِذْرَاكِهَا" شرح النووي على مسلم - (ج ٦ / ص

(٣٦٨)

٦٦٤ - صحيح البخاري (١٤١٧)

٦٦٥ - صحيح البخاري (٦٥٣٩)

٦٦٦ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٧٣) (٧٣٧٣) صحيح

يَمِينِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ. ٦٦٧

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » ٦٦٨ .
وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ لَهَا « يَا عَائِشَةُ اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَهَا مِنَ الشَّبَعَانِ » ٦٦٩ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فُلَانٍ قَالَ: الْقَاضِي ذَهَبَ عَلَيَّ اسْمُ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَخْمَرٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: احْتَجِبِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ " ٦٧٠ .

فضل الصلاة في المدينة المنورة وزيارة الرسول ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: " مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً لَا تَفُوتُهُ صَلَاةٌ كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ الْعَذَابِ وَبَرِيٌّ مِنَ النَّفَاقِ " ٦٧١ .
وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: « مَنْ زَارَ قَبْرِي أَوْ قَالَ مَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا وَمَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي الْآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ٦٧٢ .

عينان لا تمسهما النار

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ٦٧٣ .
وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ أَبَدًا: عَيْنٌ بَاتَتْ تَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ " ٦٧٤ .
وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ كَفَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ " ٦٧٥ .

٦٦٧ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٧٤) (٧٣٧٤) صحيح

٦٦٨ - مسند أحمد (٣٧٥١) صحيح

٦٦٩ - مسند أحمد (٢٥٢٣٦) صحيح لغيره

٦٧٠ - الآحاد والمثاني (٢٦٤٤) صحيح لغيره

٦٧١ - مسند أحمد (١٢٩١٩) حسن

٦٧٢ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٥ / ص ٢٤٥) (١٠٥٧٢) فيه جهالة

٦٧٣ - سنن الترمذي (١٧٤٠) حسن

٦٧٤ - مسند أبي يعلى الموصلي (٤٣٤٦) صحيح لغيره

٦٧٥ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٤ / ص ٣٥١) (١٦٣٤٧) حسن لغيره

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَطَوِّعًا لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ لَمْ يَرَ النَّارَ بِعَيْنَيْهِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) » ٦٧٦ .

وَعَنْ أَبِي رِيحَانَةَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، فَأَوْفَيْنَا عَلَى شَرَفٍ، فَأَصَابَنَا بَرْدٌ شَدِيدٌ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا يَحْفَرُ الْحَفِيرَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فِيهِ وَيُعْطِي عَلَيْهِ بِحَجَفَتِهِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ أَدْعُو اللَّهَ لَهُ بِدُعَاءٍ يُصِيبُ بِهِ فَضْلًا، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَعَا لَهُ، قَالَ أَبُو رِيحَانَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا، فَدَعَا لِي بِدُعَاءٍ هُوَ دُونَ مَا دَعَا لِلْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: وَنَسِيتُ الثَّلَاثَةَ، قَالَ أَبُو شَرِيحٍ: وَسَمِعْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، أَوْ عَيْنٍ فُقِئَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٦٧٧ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ » ٦٧٨ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعًا يَضُرُّ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ، مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ الْمُسْلِمُ وَقَارَبَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالشُّعْ ٦٧٩ .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : " لَا يَجْمَعُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي جَوْفِ رَجُلٍ غُبَارًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ، وَمَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ سَائِرَ جَسَدِهِ عَلَى النَّارِ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ النَّارَ مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْتَعَجَلِ، وَمَنْ جُرِحَ جِرَاحَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِخَاتَمِ الشُّهَدَاءِ، لَهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْثُهَا مِثْلُ لَوْنِ الزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ، يُعْرِفُهُ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ يَقُولُونَ: فُلَانٌ عَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ، وَمَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَوَاقَ نَاقَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ٦٨٠ .

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ مُكَاتَّبًا لَهَا دَخَلَ عَلَيْهَا بِبَقِيَّةِ مَكَاتِبَتِهِ فَقَالَتْ لَهُ: مَا أَنْتَ بِدَاخِلٍ عَلَيَّ غَيْرَ مَرَّتِكَ هَذِهِ، فَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: "مَا خَالَطَ قَلْبَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ رَهْجٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ ٦٨١

٦٧٦ - مسند أحمد (١٦٠١٧) ضعيف

٦٧٧ - المستدرک للحاکم (٢٤٣٢) حسن

٦٧٨ - سنن الترمذی (١٧٣٣) صحيح

٦٧٩ - المستدرک للحاکم (٢٣٩٤) حسن

٦٨٠ - مسند أحمد (٢٨٢٦٧) فيه انقطاع

٦٨١ - مسند أحمد (٢٥٢٨٥) حسن

عتق الرقاب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ » ٦٨٢ .

وعن سَعِيدِ بْنِ مَرْجَانَةَ صَاحِبِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرِئًا مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ حِينَ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَذَكَرْتُهُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَأَعْتَقَ عَبْدًا لَهُ قَدْ أَعْطَاهُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَشْرَةَ آلَافٍ أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ. ٦٨٣

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى الْفَرْجَ بِالْفَرْجِ. ٦٨٤

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ مَرْجَانَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ إِرْبٍ مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْتَقُ الْيَدَ بِالْيَدِ وَالرَّجْلَ بِالرَّجْلِ وَالْفَرْجَ بِالْفَرْجِ. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ: يَا سَعِيدُ بْنُ مَرْجَانَةَ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ. هَذَا لَفْظُ الزَّعْفَرَانِيِّ، قَالَ: ادْعُوا لِي أَحَدَ غِلْمَانِي مُطَرِّفًا، فَأَعْتَقَهُ فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لَوْجِهَةِ اللَّهِ. ٦٨٥

الذب عن عرض المسلم

عَنْ ابْنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ فِي رَجُلٍ فَرَدَّ عَنْهُ آخَرُ فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ ذَبَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ. ٦٨٦

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَنْ ذَبَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْمَغِيبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ. ٦٨٧

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ٦٨٨ .

الحمى حظ أمي من النار

٦٨٢ - صحيح البخارى (٦٧١٥) وصحيح مسلم (٣٨٦٩)

٦٨٣ - مسند أبي عوانة (٣٩٠٨) صحيح

٦٨٤ - مسند أبي عوانة (٣٩٠٩) صحيح

٦٨٥ - مسند أبي عوانة (٣٩١١) صحيح

٦٨٦ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ٨ / ص ٣٨٨) (٢٦٠٥٢) حسن لغيره

٦٨٧ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٧ / ص ٤١٨) (١٩٩١٦) حسن

٦٨٨ - سنن الترمذى (٢٠٥٦) حسن لغيره

عَنْ أَبِي رِيحَانَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ " ٦٨٩ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « الْحُمَّى كَبِيرٌ مِنْ جَهَنَّمَ فَمَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِنْهَا كَانَ حَظَّهُ مِنْ جَهَنَّمَ » . ٦٩٠

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرِيضًا مِنْ وَعَكٍ كَانَ بِهِ، وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ» ٦٩١

من قال لا إله إلا الله والله أكبر

عَنِ الْأَعْرَجِ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا لِي، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضٍ، وَمَاتَ مِنْهُ لَمْ تَطْعَمَهُ النَّارُ» ٦٩٢

تحرم النار على كل هين سهل

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ » ٦٩٣ .
وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: « حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيْنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ » ٦٩٤ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّمَا يُحْرَمُ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيْنٍ لَيْنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ . ٦٩٥

أشياء عديدة تمنع دخول النار

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: " إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا، رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةٌ، فَجَاءَهُ وَضُوءُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ سُلِّطَ

٦٨٩ - شعب الإيمان للبيهقي (٩٥٠٣) حسن

٦٩٠ - مسند أحمد (٢٢٩٣٤) حسن لغيره

٦٩١ - المستدرک للحاکم (١٢٧٧) صحيح

٦٩٢ - سنن الترمذی (٣٧٥٨) حسن

٦٩٣ - سنن الترمذی (٢٦٧٦) حسن صحيح

٦٩٤ - مسند أحمد (٤٠١٧) صحيح لغيره

٦٩٥ - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٢١٥) (٤٦٩) صحيح

عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ فَخَلَّصَهُ مِنْهُمْ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ، فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ، فَجَاءَهُ حُجَّةُ، وَعُمُرْتُهُ، فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَجَاءَتْهُ صَلَةُ الرَّحِمِ، فَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا كَانَ وَاصِلًا لِرَحِمِهِ فَكَلَّمَهُمْ، وَكَلَّمُوهُ وَصَارَ مَعَهُمْ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي وَهَجَ النَّارِ عَنْ وَجْهِهِ، فَجَاءَتْهُ صِدْقَتُهُ، فَصَارَتْ ظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ وَسِتْرًا عَنْ وَجْهِهِ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاءَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ، فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي هَوَى فِي النَّارِ، فَجَاءَتْهُ دُمُوعُهُ الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَتْ صَحِيفَتُهُ إِلَى شِمَالِهِ، فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فِي يَمِينِهِ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ خَفَّ مِيزَانُهُ، فَجَاءَهُ إِفْرَاضُهُ فَثَقُلَ مِيزَانُهُ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُرْعِدُ كَمَا تُرْعِدُ الزَّعْفَرَةُ، فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ فَسَكَنَ رِعْدَتُهُ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصَّرَاطِ مَرَّةً وَيَجْتُو مَرَّةً وَيَتَعَلَّقُ مَرَّةً، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَى فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَقَامَتْهُ عَلَى الصَّرَاطِ حَتَّى جَاوَزَ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَعُلِقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ٦٩٦

تَقُولُ الْعَدْلُ، وَتُعْطِي الْفَضْلَ

وَعَنْ كُدَيْرِ الضَّبِّيِّ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ - فَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : "أَوْ هُمَا أَعْمَلَتَاكَ ؟" . قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "تَقُولُ الْعَدْلَ، وَتُعْطِي الْفَضْلَ" . قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ الْعَدْلَ كُلَّ سَاعَةٍ، وَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعْطِيَ الْفَضْلَ. قَالَ: "فَتُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتُقَشِّي السَّلَامَ" . قَالَ: هَذِهِ أَيْضًا شَدِيدَةٌ. قَالَ: "فَهَلْ لَكَ إِبْلٌ ؟" . قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَانْظُرْ إِلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِكَ وَسِقَاءٍ، ثُمَّ اْعْمِدْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ لَا يَشْرَبُونَ الْمَاءَ إِلَّا غَبًّا فَاسْقِهِمْ ؛ فَلَعَلَّكَ لَا يَهْلِكُ بَعِيرُكَ وَلَا يَنْخَرِقُ سِقَاؤُكَ حَتَّى تَجِبَ لَكَ الْجَنَّةُ" . فَانْطَلَقَ الْأَعْرَابِيُّ يُكَبِّرُ، فَمَا انْخَرَقَ سِقَاؤُهُ، وَلَا هَلَكَ بَعِيرُهُ حَتَّى قَتَلَ شَهِيدًا. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٦٩٧

اللَّهُمَّ أَجْرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَهُمْ فِي سَرِيَّةٍ قَالَ: فَلَمَّا بَلَغْنَا الْمُعَارَ اسْتَحْتَشْتُ فَرَسِي، فَسَبَقْتُ أَصْحَابِي، فَاسْتَقْبَلَنِي الْحَيُّ بِالرَّيْنِ، فَقُلْتُ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُخْرِزُوا، فَقَالَ: فَجَاءَ أَصْحَابِي فَلَامُونِي، وَقَالُوا: حَرَمَتْنَا الْغَنِيْمَةَ بَعْدَ أَنْ بَرَدَتْ فِي أَيْدِينَا، فَلَمَّا قَفَلْنَا ذَكَرُوا

٦٩٦ - مجمع الزوائد (١١٧٤٦) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ ، فِي أَحَدِهِمَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاسِطِيُّ ، وَفِي الْآخَرِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُخَزُومِيُّ ، وَكِلَاهُمَا ضَعِيفٌ .

٦٩٧ - مجمع الزوائد (٤٧٢٩) وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَسَّنَ لِي مَا صَنَعْتُ، وَقَالَ لِي: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كُتِبَ لَكَ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ كَذَا كَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ أَنَا نَسِيتُهُ قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنِّي سَأَكْتُبُ لَكَ كِتَابًا أُوصِي بِكَ مَنْ يَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّةٍ الْمُسْلِمِينَ، فَكُتِبَ لَهُ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: إِذَا صَلَّيْتَ الْعَدَاةَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ جَوَازًا مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جَوَازًا مِنَ النَّارِ^{٦٩٨}

وَعَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُسْلِمِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَلَمَّا بَلَغْنَا الْمُعَارَ، اسْتَحْثَثْتُ فَرَسِي، فَسَبَقْتُ أَصْحَابِي، فَتَلَقَانِي الْحَيُّ بِالرَّيْنِ، فَقُلْتُ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُحَرِّزُوا، فَقَالُوا: فَلَا مَنِي أَصْحَابِي، وَقَالُوا: حُرِّمْنَا الْغَنِيمَةَ بَعْدَ أَنْ رُدَّتْ بِأَيْدِينَا، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَخْبَرُوهُ بِمَا صَنَعْتُ، فَدَعَانِي، فَحَسَّنَ لِي مَا صَنَعْتُ، وَقَالَ: أَمَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كُتِبَ لَكَ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ كَذَا وَكَذَا. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَأَنَا نَسِيتُ الثَّوَابَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: إِنِّي سَأَكْتُبُ لَكَ كِتَابًا، وَأُوصِي بِكَ مَنْ يَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّةٍ الْمُسْلِمِينَ قَالَ: فَكُتِبَ لِي كِتَابًا، وَخَتَمَ عَلَيْهِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: إِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جَوَازًا مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جَوَازًا مِنَ النَّارِ قَالَ: فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ، أَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ بِالْكِتَابِ، فَفَضَّضَهُ، فَقَرَأَهُ وَأَمَرَ لِي بِعِطَاءٍ وَخَتَمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ عُمَرَ، فَقَرَأَهُ، وَأَمَرَ لِي، وَخَتَمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ عُثْمَانَ، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.^{٦٩٩}

أداء الفرائض

عن سويد بن حجر، حَدَّثَنِي خَالِي قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَرَفَةَ وَالْمُزْدَلِفَةِ، فَأَخَذْتُ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ، فَقُلْتُ: مَاذَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ أَوْجَزْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ لَقَدْ أَعْظَمْتَ وَأَطَوَّلْتَ، أَقِمِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَأَدِّ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَحُجَّ الْبَيْتَ، وَمَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكَ النَّاسُ فَافْعَلْ بِهِمْ، وَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ النَّاسُ إِلَيْكَ فَدَعْ النَّاسَ، خَلِّ سَبِيلَ النَّاقَةِ^{٧٠٠}

وَعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ؛ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ، أَوْ بِزِمَامِهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ يَا مُحَمَّدَ، أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ وَفَّقْتُ، أَوْ لَقَدْ هَدَيْتُ، قَالَ: كَيْفَ قُلْتُ؟

٦٩٨ - الأحاد والمثاني (١٢١٢) حسن

٦٩٩ - صحيح ابن حبان - (ج ٥ / ص ٣٦٦) (٢٠٢٢) حسن

٧٠٠ - الأحاد والمثاني (١٢٥٩) صحيح لغيره

قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَعْبُدُ اللَّهَ، لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ. ٧٠١

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَوْ عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِعَرَفَةَ، فَأَخَذْتُ بِرِمَامٍ نَاقَتِهِ، أَوْ بِخَطَامِهَا، فَدَفَعْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَأَرَبُ مَا جَاءَ بِهِ، قُلْتُ: نَبِّئْنِي بِعَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُبْعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ كُنْتُ أَوْجَزْتُ فِي الْخُطْبَةِ، لَقَدْ أَعْظَمْتُ وَأَطَوَلْتُ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا تُحِبُّ أَنْ يُؤْتُوهُ إِلَيْكَ، وَمَا كَرِهْتَ لِنَفْسِكَ، فَدَعِ النَّاسَ مِنْهُ، خَلِّ عَنْ زِمَامِ النَّاقَةِ. ٧٠٢

الصيام جنة من النار

عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ قَالَ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَا لِي بِلَبَنٍ لَفْحَةً، فَقُلْتُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: الصَّيَامُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ كَجَنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ، صِيَامٌ حَسَنٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فِي الشَّهْرِ قَالَ: وَكَانَ مِنْ آخِرِ مَا عَاهَدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَمَرَنِي عَلَى الطَّائِفِ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، تَجَاوَزِ الصَّلَاةَ، وَاقْدِرِ النَّاسَ بِأَضْعَفِهِمْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، وَالسَّقِيمُ، وَالْبَعِيدُ، وَذَا الْحَاجَةِ. ٧٠٣

من مات له ثلاثة من الولد

عَنْ أَبِي النَّضْرِ السَّلْمِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَحْتَسِبُهُمْ إِلَّا كُنَّ لَهُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ. ٧٠٤

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ السَّلْمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: لَهُ: حَدَّثَنَا حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَيْسَ فِيهِ انْتِقَاصٌ، وَلَا وَهْمٌ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ وُلِدَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ فِي الْإِسْلَامِ، فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، بَلَغَ بِهِ الْعَدُوُّ، أَصَابَ، أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ لَهُ كَعْدِلِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَصُوٍّ مِنْهَا عَصُوًّا مِنْهُ، مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، يُدْخِلُهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا الْجَنَّةَ. ٧٠٥

الصبر على موت الأولاد

٧٠١ - صحيح مسلم (١١٣)

٧٠٢ - مسند أحمد (١٧١٦٠) حسن

٧٠٣ - الأحاد والمثاني (١٥٤٢) صحيح

٧٠٤ - الأحاد والمثاني (٢١٦٦) صحيح

٧٠٥ - مسند أحمد (١٩٩٦٥) صحيح لغيره

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَتْ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالَ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيهَا قَال لِهِنَّ: مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَأَنْتَيْنِ فَقَالَ: وَأَنْتَيْنِ. ٧٠٦

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَتِ النِّسَاءُ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا، فَجَعَلْنَ، فَوَعَظَهُنَّ، فَقَالَ لِهِنَّ فِيهَا قَال: مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ قَالَتْ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنْتَيْنِ؟ وَقَدْ مَاتَ لَهَا اثْنَانِ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: وَأَنْتَانِ. ٧٠٧

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَدَّمَ ثَلَاثَةً، لَمْ يَلْعُوا الْحُلْمَ، كَانُوا لَهُ حِصْنًا حَصِينًا مِنَ النَّارِ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدَّمْتُ اثْنَيْنِ؟ قَالَ: وَأَنْتَيْنِ. فَقَالَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ، سَيِّدُ الْقُرَاءِ: قَدَّمْتُ وَاحِدًا؟ قَالَ: وَوَاحِدًا، وَلَكِنْ إِنَّمَا ذَاكَ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى. ٧٠٨

وَعَنْ أَبِي طَبِيئَةَ، قَالَ: إِنَّ شُرْحَبِيلَ بْنَ السَّمْطِ دَعَا عَمْرُو بْنَ عَبْسَةَ السُّلَمِيَّ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبْسَةَ، هَلْ أَنْتَ مُحَدِّثِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ أَنْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَيْسَ فِيهِ تَزْيِيدٌ، وَلَا كَذِبٌ، وَلَا تُحَدِّثْنِي عَنْ آخَرِ سَمِعْتَهُ مِنْهُ غَيْرُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَافُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَيُّمَا رَجُلٍ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَبَلَغَ مُخْطِئًا، أَوْ مُصِيبًا، فَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَرَقَبَةٍ يُعْتَقُهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ شَابَ شَيْئَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهِيَ لَهُ نُورٌ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَكُلُّ عَضْوٍ مِنَ الْمُعْتَقِ بَعْضُو مِنَ الْمُعْتَقِ، فَدَاءٌ لَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فَكُلُّ عَضْوٍ مِنَ الْمُعْتَقَةِ بَعْضُو مِنَ الْمُعْتَقَةِ، فَدَاءٌ لَهَا مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ قَدَّمَ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ صُلْبِهِ ثَلَاثَةً، لَمْ يَلْعُوا الْحَنْثَ، أَوْ امْرَأَةً، فَهَمَّ لَهُ سُتْرَةٌ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ إِلَى وَضُوءٍ، يُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَأَحْصَى الْوَضُوءَ إِلَى أَمَاكِنِهِ، سَلِمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، أَوْ خَطِيئَةٍ لَهُ، فَإِنْ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ رَفَعَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِهَا دَرَجَةً، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ سَالِمًا.

فَقَالَ شُرْحَبِيلُ بْنُ السَّمْطِ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَا ابْنَ عَبْسَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَوْ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ مَرَّةٍ، أَوْ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَ، أَوْ أَرْبَعَ، أَوْ خَمْسَ، أَوْ سِتٍّ، أَوْ سَبْعَ، فَانْتَهَى عِنْدَ سَبْعٍ، مَا حَلَفْتُ، يَعْنِي مَا بَالَيْتُ، أَنْ لَا أُحَدِّثَ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، مَا أَدْرِي عَدَدَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ٧٠٩

٧٠٦ - صحيح البخارى (١٠١)

٧٠٧ - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٢٠٦) (٢٩٤٤) صحيح

٧٠٨ - مسند أحمد (٤١٥٨) صحيح لغيره

٧٠٩ - مسند أحمد (١٩٩٦٦) حسن

وَعَنْ أَبِي النَّضْرِ السَّامِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَحْتَسِبُهُمْ، إِلَّا كَانُوا جَنَّةً مِنَ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ اثْنَانِ؟ قَالَ: أَوْ اثْنَانِ. ٧١٠

جنة: الجنة: الوقاية، ومنه: المجن للترس، ولأنه يقى صاحبه ويستره.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَوَلَدٍ لَهَا مَرِيضٍ يَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ وَالْعَافِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ مَاتَ لِي ثَلَاثَةٌ، قَالَ: فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَتْ: فِي الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقَدِّمُ ثَلَاثَةً فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يَلْعُوا الْحَنْتَ يَحْتَسِبُهُمْ، إِلَّا احْتَظَرَ بِحَظِيرٍ مِنَ النَّارِ. ٧١١

الصبر على تربية البنات

عَنْ أَبِي عُشَايَةَ الْمَعَاذِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٧١٢ - الجدة: الغنى

وَعَنْ عُرْوَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: جَاءَنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا فَسَأَلَتْنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ ثَمَرَةٍ وَاحِدَةٍ. فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا. فَاخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا. وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا. ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْتَنَاهَا. فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثَتْهُ حَدِيثَهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ ابْتَلَى مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَاحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ. ٧١٣

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ فَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ". ٧١٤

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ. ٧١٥

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ ابْنَتَيْنِ، أَوْ أُخْتَيْنِ، اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، حَتَّى يَبْنَ، أَوْ يَمُتْنَ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ. ٧١٦

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَكُونُ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَيَنْفَقُ عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَبْنَ أَوْ يَمُتْنَ إِلَّا كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ"، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: أَوْ اثْنَتَانِ؟ قَالَ: "وِثْنَتَانِ". ٧١٧

٧١٠ - موطأ مالك (٥٦١) صحيح

٧١١ - مسند أحمد (١١٢١٢) صحيح

٧١٢ - الأدب المفرد (٧٦) صحيح

٧١٣ - صحيح البخاري (١٤١٨) ومسلم (٦٨٦٢)

٧١٤ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٢ / ص ٢٦٦) (١٤٢٤٤) صحيح

٧١٥ - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ١٨٩) (٤٤٦) حسن

٧١٦ - مسند أحمد (٢٤٧١٨) صحيح

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنِ ابْتَلَى بِشَيْءٍ مِنَ الْبَنَاتِ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ ».^{٧١٨}

ثمرة واحدة تعتق من النار

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ جَاءَنِي مَسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ ثَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ثَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا ثَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ الثَّمَرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ ».^{٧١٩}

من أطعم أخاه حتى يشبعه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ خُبْزًا حَتَّى يُشْبِعَهُ، وَسَقَاهُ حَتَّى يَرَوْيَهُ بَعْدَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ سَبْعَ خَنَادِقٍ".^{٧٢٠}

مَا يُنَجِّي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ

عَنْ مَالِكِ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا يُنَجِّي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلٌ، قَالَ: يُرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فَقِيرًا، لَا يَجِدُ مَا يُرْضَخُ بِهِ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَيْيًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: يَصْنَعُ لَأَخْرَقَ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَخْرَقَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا؟ قَالَ: يُعِينُ مَغْلُوبًا، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَ مَظْلُومًا؟ فَقَالَ: مَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرَكَ فِي صَاحِبِكَ، مِنْ خَيْرٍ تُمَسِّكُ الْأَذَى، عَنْ النَّاسِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَفْعَلُ خَصْلَةً مِنْ هَؤُلَاءِ، إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ حَتَّى تُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ.^{٧٢١}

وعن أبي كثير السُّحَيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ، قُلْتُ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلًا؟ قَالَ: يُرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ مُعْدَمًا لَا شَيْءَ لَهُ؟ قَالَ: يَقُولُ مَعْرُوفًا بِلِسَانِهِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ عَيْيًا لَا يُبْلَغُ عَنْهُ لِسَانُهُ؟ قَالَ: فَيُعِينُ مَغْلُوبًا قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا لَا قُدْرَةَ لَهُ؟ قَالَ: فَلْيَصْنَعْ لَأَخْرَقَ قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ أَخْرَقَ؟ قَالَ: فَالْتَمَتْ إِلَيَّ وَ، قَالَ: مَا تُرِيدُ أَنْ تَدَعَ فِي صَاحِبِكَ

^{٧١٧} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٢ / ص ٤٢٣) (١٤٥٢٩) صحيح لغيره

^{٧١٨} - سنن الترمذي (٢٠٣٧) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

^{٧١٩} - صحيح مسلم (٦٨٦٣)

^{٧٢٠} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٢٠ / ص ١٢٦) (١٤٩٨) وشعب الإيمان للبيهقي (٣٢١٨) حسن لغيره

^{٧٢١} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٢ / ص ٢١٣) (١٦٢٧) صحيح لغيره

شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ، فَلْيَدْعِ النَّاسَ مِنْ أَذَاهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ تَبْسِيرٍ؟ فَقَالَ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا، يُرِيدُ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ، إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى تُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. ٧٢٢

الإكثار من ذكر الله

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: مَا عَمِلَ آدَمِيُّ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ٧٢٣

وَعَنْ مُعَاذٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا عَمِلَ آدَمِيُّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَلَا، إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ٧٢٤

عَتَقَ النَّسَمَةَ وَفَكَ الرِّقَبَةَ

عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ « لَنْ كُنْتُ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ أَعْتَقَ النَّسَمَةَ وَفَكَ الرِّقَبَةَ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْكَيْسًا وَاحِدًا قَالَ « لَا عَتَقَ النَّسَمَةَ أَنْ تُفْرِدَ بِعَتَقِهَا وَفَكَ الرِّقَبَةَ أَنْ تُعِينَ فِي ثَمَنِهَا وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ » ٧٢٥.

الوكوف: الغزيرة اللبن وقيل التي لا ينقطع لبنها ستنها جميعها - الفىء: الظل

من حافظ على الصلوات الخمس

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بُرْهَانٌ وَلَا نُورٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ وَأَبِي بَنْ خَلْفٍ. ٧٢٦

التي شربت بول النبي ﷺ

عَنْ أُمِّمَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ لَهُ قَدَحٌ مِنْ عِيدَانٍ يُبُولُ فِيهِ، ثُمَّ يُوضَعُ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ، يُقَالُ لَهَا: بَرَكَةٌ، جَاءَتْ مَعَ أُمِّ حَبِيبَةَ مِنَ الْحَبَشَةِ، فَشَرِبَتْهُ، فَطَلَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالُوا: شَرِبَتْهُ بَرَكَةٌ، فَسَأَلَهَا، فَقَالَتْ: شَرِبْتُه، فَقَالَ: لَقَدْ احْتَضَرْتَنِي مِنَ النَّارِ بِحَضَارٍ، أَوْ قَالَ: جَنَّةٍ أَوْ، هَذَا مَعْنَاهُ ٧٢٧

٧٢٢ - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٩٦) (٣٧٣) صحيح

٧٢٣ - المستدرک للحاکم (١٨٢٥) حسن

٧٢٤ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٥ / ص ٩٢) (١٦٧٦٥) حسن لغيره

٧٢٥ - سنن الدارقطني (٢٠٧٩) صحيح لغيره

٧٢٦ - صحيح ابن حبان - (ج ٤ / ص ٣٢٩) (١٤٦٧) صحيح

٧٢٧ - الأحاد والمثاني (٣٣٤٢) حسن

مجالس الذكر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ. قَالَ فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ .

قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ. قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا. قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فَلَانْ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْفَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » ٧٢٨ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، وَفُضَّلَاءَ يَلْتَمِسُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ، فَإِذَا أَتَوْا عَلَى مَجْلِسٍ ذَكَرَ حَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ وَيَسْتَجِيرُونَكَ فَيَقُولُ: مَا يَسْأَلُونِي ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ: لَا فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهِدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُونِي، وَأَحْرَجْتُهُمْ مِمَّا اسْتَحَارُونِي، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنْ فِيهِمْ عَبْدًا خَطَاءَ جَلَسَ إِلَيْهِمْ وَلَيْسَ مَعَهُمْ فَيَقُولُ: وَهُوَ أَيْضًا قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْفَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ٧٢٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَلَائِكَةٌ سَيَّارَةٌ فَضُلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذَكَرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، فَحَضَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا، أَوْ صَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ، مَنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ

٧٢٨ - صحيح البخارى ٨/١٠٨ (٦٤٠٨)

٧٢٩ - المستدرک للحاکم (١٨٢١) صحيح

رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ قَدْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي ؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.^{٧٣٠}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَلَائِكَةً فُضَّلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ الذِّكْرِ، فَإِذَا مَرُّوا بِمَجْلِسٍ عَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى يَبْلُغُوا الْعَرْشَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَزَّ وَجَلَّ، لَهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ: مَنْ أَيْنَ جُئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: مَنْ عِنْدَ عَبْدٍ لَكَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، وَيَتَعَوَّدُونَ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، فَيَقُولُ: يَسْأَلُونِي جَنَّتِي، هَلْ رَأَوْهَا ؟ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ وَيَتَعَوَّدُونَ مِنَ نَارِ جَهَنَّمَ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ الْخَطَاءَ فُلَانًا، مَرَّ بِهِمْ لِحَاجَةٍ لَهُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ: عَزَّ وَجَلَّ: أُولَئِكَ الْجُلُوسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.^{٧٣١}

من قال هذا الدعاء ثلاثاً

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَأُشْهِدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأُشْهِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، مَنْ قَالَهَا مَرَّةً أَعْتَقَ اللَّهُ ثُلُثَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ ثُلُثَيْهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ كُلَّهُ مِنَ النَّارِ.^{٧٣٢}

التعوذ بالله من النار ثلاثاً

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنَ النَّارِ.^{٧٣٣}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا سَأَلَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَلَا اسْتَجَارَ مُسْلِمٌ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ.^{٧٣٤}

الباقيات الصالحات جنة من النار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذُوا جُنَّتَكُمْ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: مِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ ؟ قَالَ: لَا جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهَا يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنْجِيَاتٍ وَمُقَدِّمَاتٍ وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ.^{٧٣٥}

^{٧٣٠} - مسند أحمد (٩٢٠٨) صحيح

^{٧٣١} - مسند أحمد (٨٩٣٨) صحيح

^{٧٣٢} - المستدرک للحاکم (١٩٢٠) صحيح

^{٧٣٣} - المستدرک للحاکم (١٩٦٠) صحيح

^{٧٣٤} - صحيح ابن حبان - (ج ٣ / ص ٢٩٣) (١٠١٤) صحيح

^{٧٣٥} - المستدرک للحاکم (١٩٨٥) حسن

العمل الذي يقرب من الجنة ويباعد من النار

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَقَدْ أَصَابَ الْحَرُّ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ حَتَّى نَظَرْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَبُهُمْ مِنِّي، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَبِئْنِي بِعَمَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَنْ يَسِرُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قَالَ: وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَبْوَابِ الْجَنَّةِ، قُلْتُ: أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَتَغَيَّ وَجْهَهُ لِلَّهِ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، قَالَ: وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ، قَالَ: قُلْتُ: أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ فَلِإِسْلَامٍ، وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ، وَأَمَّا ذُرْوَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَسَكَتَ، فَإِذَا رَاكِبَانِ يُوضِعَانِ قِبَلَنَا، فَخَشِيتُ أَنْ يَشْعَلَاهُ عَنْ حَاجَتِي، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَأَهْوَى بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَنُؤَاخِذُ بِمَا نَقُولُ بِالسَّنَةِ؟ قَالَ: تَكَلِّتُكَ أُمُّكَ ابْنُ جَبَلٍ هَلْ يَكُوبُ النَّاسُ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟^{٧٣٦}

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ، وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ مِنْ يَسِرُّهُ اللَّهُ، يَهْتَبِدُ اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا: "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ حَتَّى بَلَغَ: "يَعْمَلُونَ" ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ. يَكُ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: تَكَلِّتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ.^{٧٣٧}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْيَشْكُرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: انْطَلَقْتُ إِلَى الْكُوفَةِ لِأَجْلِبَ بَغْلًا - قَالَ - فَأَتَيْتُ السُّوقَ وَلَمْ تَقَمْ. قَالَ: قُلْتُ لِصَاحِبِ لِي لَوْ دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ وَمَوْضِعُهُ يَوْمُئِذٍ فِي أَصْحَابِ التَّمْرِ فَإِذَا فِيهِ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْمُتَنَفِّقِ وَهُوَ يَقُولُ: وَصِفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحُلِي فَطَلَبْتُهُ بِمَكَّةَ فَقِيلَ لِي هُوَ بِمِنَى فَطَلَبْتُهُ بِمِنَى فَقِيلَ لِي هُوَ بِعَرَفَاتٍ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَزَاحَمْتُ عَلَيْهِ فَقِيلَ لِي إِلَيْكَ عَنْ طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

^{٧٣٦} - المستدرک للحاکم (٣٥٤٨) صحیح لغيره

^{٧٣٧} - سنن الترمذی (٢٨٢٥) صحیح لغيره

فَقَالَ دَعُوا الرَّجُلَ أَرَبَ مَا لَهُ. قَالَ فَرَاخَمْتُ عَلَيْهِ حَتَّى خَلَصْتُ إِلَيْهِ - قَالَ - فَأَخَذْتُ بِخَطَامِ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَوْ قَالَ زِمَامِهَا. هَكَذَا حَدَّثَ مُحَمَّدٌ - حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ رَاكِبَتَيْنَا - قَالَ - فَمَا يَزَعْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. أَوْ قَالَ مَا غَيَّرَ عَلَيَّ. هَكَذَا حَدَّثَ مُحَمَّدٌ. قَالَ قُلْتُ نَتَنَانِ أَسْأَلُكَ عَنْهُمَا مَا يُنَجِّنِي مِنَ النَّارِ وَمَا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ نَكَسَ رَأْسَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ بَوَّجِهِ قَالَ لَنْ كُنْتُ أَوْجَزْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ لَقَدْ أَعْظَمْتَ وَأَطَوَلْتَ فَأَعْقِلْ عَنِّي إِذَا اعْبُدَ اللَّهُ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَأَقِمِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَأَدِّ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَصُمْ رَمَضَانَ وَمَا تُحِبُّ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكَ النَّاسُ فَافْعَلْهُ بِهِمْ وَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ النَّاسُ فَذَرِ النَّاسَ مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ خَلَّ سَبِيلَ الرَّاحِلَةِ. ٧٣٨

كلمة التوحيد آخر الزمان

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يَذْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا نُسْكٌ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَيَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا قَالَ صَلَّةُ بْنُ زُفَرٍ لِحُذَيْفَةَ: فَمَا تُعْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَذْرُونَ مَا صِيَامٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا نُسْكٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَّةُ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ. ٧٣٩

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، لَا يَذْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا نُسْكٌ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَيَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ: الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا فَقَالَ صَلَّةُ: فَمَا تُعْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا يَذْرُونَ مَا صِيَامٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا نُسْكٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَدَّدَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَّةُ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ. ٧٤٠

الأذان لصلاة الفجر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَيِّرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَتَسَمَّعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِلَّا أَغَارَ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ. فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزَى. ٧٤١

٧٣٨ - مسند أحمد (٢٧٩١٥) حسن

٧٣٩ - المستدرک للحاکم (٨٤٦٠) صحيح

٧٤٠ - المستدرک للحاکم (٨٦٣٦) صحيح

٧٤١ - صحيح مسلم (٨٧٣)

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يُغَيِّرُ عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ فَيَتَسَمَّعُ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ، قَالَ فَاسْتَمَعَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: الْفِطْرَةُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: خَرَجَ مِنَ النَّارِ. ٧٤٢

مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ ...

عن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ، وَأَشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، أَعْتَقَهُ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ النَّارِ. ٧٤٣

وعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنَّا أَصْبَحْنَا نُشْهَدُكَ، وَنُشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، إِلَّا أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ، أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. ٧٤٤

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ، وَأَشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ. ٧٤٥

المبحث الرابع

خزنة النار

يقوم على النار ملائكة خلقهم عظيم، وبأسهم شديد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتَهُ، وَأْمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقْوَى، وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، وَأْمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لِنُقِذُوهُمْ

٧٤٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١١ / ص ٦١) (٤٧٥٣) صحيح

٧٤٣ - السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة - (ج ٦ / ص ١٦٢) (٩٧٥٣) حسن

٧٤٤ - الأدب المفرد (١٢٠١) حسن

٧٤٥ - مسند الشاميين (١٥٤٢) صحيح لغيره

وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارٍ جَهَنَّمَ، الَّتِي يُكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الْكُفْرَةِ، وَالْحِجَارَةُ، وَتَقُومُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، أَشِدَّاءُ عَلَيْهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ .

وعدهم تسعة عشر ملكاً، كما قال تعالى: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحِةً لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) [المدر/٢٦-٣١])

سأدخله جهنم، وأعمره فيها من كل جانب . وما أدراك ما هي نار جهنم؟ إنها بلغت في العراة حداً لا يمكن إحاطة الوصف به . لا تبقي لحماً، ولا تذر عظماً، وإنما تأتي عليه جميعاً. ثلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه .

وعلى النار خزنة من الملائكة، عدتهم تسعة عشر ملكاً يلون أمرها .

(وَرُوي فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْيَهُودِ سَأَلُوا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ) .

لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ الْكَرِيمِ (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)، قَالَ أَبُو جَهْلٍ مُسْتَهْزِئًا: أَيْعِزُّ كُلُّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ أَنْ يَبْطِشُوا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ رَدًّا عَلَى هَؤُلَاءِ السَّاحِرِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ حَرَسَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَنْ يُطِيقُ مُعَالَبَةَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَمَا جَعَلَ عِدَّتَهُمْ (تِسْعَةَ عَشَرَ)، إِلَّا لِيَقُولَ الْكَافِرُونَ مَا قَالُوا، لِيَتَضَاعَفَ غَضَبُ اللَّهِ وَتَقَمُّتُهُ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ اسْتَقْبَلُوا الْعَدَدَ، وَقَالُوا كَيْفَ يَتَوَلَّى مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ الْقَلِيلِ تَعْذِيبَ خَلْقِ اللَّهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟ وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْعَدَدَ لِرَسُولِهِ لِيَحْصُلَ الْيَقِينُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِأَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِي نُبُوتِهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوَافِقٌ لِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ، وَلِيَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا، حِينَمَا يَرَوْنَ تَسْلِيمَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَتَصَدِيقَهُمْ لِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَلَا يَبْقَى فِي أَنْفُسِهِمْ شَكٌّ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلِكَيْلَا يَشْكُ أَهْلُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَالْكَافِرِينَ بِرِسَالَتِهِ: مَا الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ بِذِكْرِ هَذَا الْعَدَدِ الْقَلِيلِ الْمُسْتَعْرَبِ، وَمَا الْحِكْمَةُ فِيهِ؟

وَكَمَا أَضَلَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ بِذِكْرِ الْعَدَدِ، كَذَلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فَيَصْرِفُهُ عَنِ الْحَقِّ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فَيُوفِّقُهُ لِلْهُدَى، وَالْخَيْرِ، وَالصَّوَابِ. وَمَا يَعْلَمُ عَدَدَ خَلْقِ اللَّهِ، وَمَقْدَارَ جُمُوعِهِ، الَّتِي مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ، إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، لِكَيْلَا يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمُ أَتَهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ فَقَطْ، وَمَا سَقَرُ وَلَا صِفَتُهَا إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَتَعَطَّى مِنَ الْبَشَرِ، وَتَخْوِيفٌ لَهُمْ .

وقد فتن الكفار بهذا العدد، فقد ظنوا أنه يمكن التغلب على هذا العدد القليل، وغاب عنهم أن الواحد من هؤلاء يملك من القوة ما يواجه به البشر جميعاً، ولذلك عقب الحق على ما سبق بقوله (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا)، قال ابن رجب: [والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من حيث ذكر عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقتلهم وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم عنه ولم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن البشر كلهم مقاومته، ولهذا قال الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا إلى قوله وما يعلم جنود ربك إلا هو [المدثر ٣١] ٧٤٦

وهؤلاء الملائكة هم الذين سماهم الله " بخزنة جهنم " في قوله: (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) [غافر/ ٤٩])
لَمَّا يَسْأَلُ الْمُسْتَضْعِفُونَ مَنْ أَنْ يَحْمِلَ السَّادَةُ الَّذِينَ كَانُوا سَبَبَ كُفْرِهِمْ، وَإِدْخَالِهِمْ فِي النَّارِ، شَيْئًا مِنْ الْعَذَابِ عَنْهُمْ، اتَّجَهُوا إِلَى خِزْنَةِ جَهَنَّمَ يَسْأَلُونَهُمُ الْإِتِّجَاهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِدْعَاءِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ فِي النَّارِ .

المبحث الخامس

أسماء النار

ذكر الله تعالى في كتابه النار بعدة أسماء وهي:

- **جهنم:** قال تعالى: (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً) {الطور: ١٣} .
وفي ذلك اليوم يدفع هؤلاء المكذبون، الخائضون في الباطل، إلى جهنم دفعا عنيفا، ويساقون إليها سوفاً .
- **لظى:** قال تعالى: (كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) {المعارج: ١٥-١٦} .
كَلَّا لَا يَقْبَلُ فِدَاءً مِنَ الْكَافِرِ، وَلَوْ أَنَّهُ افْتَدَى بِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ وَمَالٍ، إِنَّهَا النَّارُ الشَّدِيدَةُ الْحَرَارَةِ .
تَحْرُقُ كُلَّ شَيْءٍ بَارَزَ مِنْ جِسْمِ الْإِنْسَانِ فَتَرِيْلُهُ وَكَأَنَّهُا تَنْزِعُهُ انْتِزَاعاً .
- **الحطمة:** قال تعالى: (كَلَّا لَيَنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)) {الهمزة: ٤-٩} .
كَلَّا إِنَّ مَالَهُ لَنْ يُخْلَدَهُ، وَلَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَسَيُطْرَحُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ كَمَا تُطْرَحُ النَّوَاهُ .
(وَسُمِّيتِ النَّارُ حُطَمَةً لِأَنَّهَا تُحَطَّمُ كُلُّ مَا يُلْقَى فِيهَا وَلَا يُبْقِي مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ) .

٧٤٦ - التخويف من النار - (ج ١ / ص ١٦٠)

يُنَبِّدَنَّ - يُقَدِّفَنَّ قَدْفًا كَمَا تُقَدِّفُ النَّوْءُ. وَهَذِهِ الْحُطْمَةُ لَيْسَتْ مِمَّا يُحِيطُ بِهِ عِلْمُكَ .

إِنَّهَا نَارُ اللَّهِ الْمُشْتَعِلَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِعَذَابِ الْكَفَرَةِ الْعُصَاةِ .

وَأَنَّهَا لَتَبْلُغُ فِي عَذَابِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فَتَنْهَشُهَا نَهَشًا، وَالْقَلْبُ أَكْثَرُ الْأَعْضَاءِ تَأَلُّمًا، فَإِذَا نَهَشَتْهُ النَّارُ بَلَغَ الْعَذَابُ بِالْإِنْسَانِ أَقْصَاهُ .

وَتُطَبَّقُ النَّارُ عَلَيْهِمْ إِطْبَاقًا شَدِيدًا، وَتُعْلَقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُهَا، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْهَا خَلَاصًا .

وَأَبْوَابُ النَّارِ تُطَبَّقُ عَلَيْهِمْ، وَتُشَدُّ بِأَعْمِدَةٍ مُمَدَّدةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَلَا يَفْتَحُ عَلَيْهِمْ بَابٌ .

(أَوْ إِنَّهُمْ يَكُونُونَ مُوثَقِينَ فِي النَّارِ، وَمَشْدُودِينَ إِلَى أَعْمِدَةٍ مُمَدَّدةٍ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ حَرَكَاتًا وَلَا خَلَاصًا

.)

• السعير: قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْبَبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) {الشورى: ٧} .

وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَأَرْسَلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى قَوْمِهِ لِيَسْتَطِيعَ دَعْوَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ بَلَّغَتِهِمْ وَلِسَانِهِمْ، وَلِيَفْهَمُوا مِنْهُ مَعَانِي مَا يُرِيدُ إِبْلَاغُهُ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا وَاضِحًا جَلِيًّا مُنْزَلًا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَعَلَّ قَوْمَكَ لِنُنذِرَ أَهْلَ مَكَّةَ (أُمَّ الْقُرَى)، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَتُحَذِّرُهُمْ عِقَابَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ يَوْمٌ وَقَعَ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ، فَيَجْزِي الْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ بِمَا اجْتَرَحُوا مِنَ الْإِثْمِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَدِّفُونَ فِيهَا قَدْفًا، وَيَجْزِي الْمُحْسِنِينَ بِالْجَنَّةِ .

• سقر: قال تعالى: (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) {القمر: ٤٨} .

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ، وَيُجْرُونَ فِيهَا عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا: ذُوقُوا حَرَّ نَارِ جَهَنَّمَ وَالْأَمَهَا جَزَاءَ لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ وَجَحْدِكُمْ بآيَاتِهِ .

وقال تعالى { سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ

(٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) } [المدرثر/ ٢٦-٣٠]

سَادَّخَلُهُ جَهَنَّمَ، وَأَغْمَرُهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارُ جَهَنَّمَ؟ إِنَّهَا بَلَغَتْ فِي الْعَرَابَةِ حَدًّا لَا يُمَكِّنُ إِحَاطَةَ الْوَصْفِ بِهِ. لَا تُبْقِي لَحْمًا، وَلَا تَذَرُ عَظْمًا، وَإِنَّمَا تَأْتِي عَلَيْهِ جَمِيعًا. ثُلُوحُ الْجِلْدِ فَتَحْرِقُهُ وَتُغَيِّرُ لَوْنَهُ. وَعَلَى النَّارِ خَزَنَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، عِدَّتُهُمْ تِسْعَةُ عَشَرَ مَلَكًا يَلُونُ أَمْرَهَا .

وقال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ

(٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ

نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا

الْيَقِينَ (٤٧) } [المدرثر/ ٣٨-٤٧]

كُلُّ نَفْسٍ مُّرْتَهَنَةٌ بِعَمَلِهَا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْحِسَابِ فَيَتَنَاولُونَهَا بِأَيْمَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فَكُّوا رَهْنَ أَنْفُسِهِمْ بِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا. وَيَكُونُ أَصْحَابُ الْيَمِينِ هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّاتِ يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَيَسْأَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي دَرَكَاتِ النَّارِ. ثُمَّ يَسْأَلُونَ الْمُجْرِمِينَ وَهُمْ فِي النَّارِ: مَا الَّذِي أَدْخَلَكَم نَارَ جَهَنَّمَ؟ وَيَرُدُّ الْمُجْرِمُونَ عَلَى سُؤَالِ الْأَبْرَارِ أَهْلَ الْجَنَّاتِ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَوَاتِ. وَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءِ، وَلَمْ يَكُونُوا يُطْعِمُونَ الْمَسَاكِينَ. وَإِنَّهُمْ كَانُوا يُشَارِكُونَ أَهْلَ الْبَاطِلِ فَيَخُوضُونَ مَعَهُمْ فِيمَا يَخُوضُونَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ. وَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِحَشْرِ وَلَا نَشْرِ وَلَا بَعْثٍ وَلَا حِسَابٍ، وَلَا عِقَابٍ فِي الْآخِرَةِ. حَتَّى جَاءَهُمُ الْمَوْتُ، وَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَلِمُوا أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ.

• الجحيم: قال تعالى: (خُذُوهُ فَعَلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) {الحاقة: ٣٠-٣١}.

يقال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها

• الهاوية: قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ نَارٍ حَامِيَةٍ) {القارعة: ٨-١١}.

وَأَمَّا مَنْ رَجَحَتْ سِيَّائُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، فَثَقُلَتْ كِفَّةُ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، وَخَفَّتْ كِفَّةُ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ. فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى مَهْوَاةٍ سَحِيقَةٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهَا كَمَا يَأْوِي الْوَلَدُ إِلَى أُمِّهِ. وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ وَيَعْرِفُكَ بِمَا هِيَ تِلْكَ الْهَآوِيَةُ؟

المبحث السادس

أبواب النار

للنار سبعة أبواب يدخل أهلها منها، وذلك لكثرة أهلها، ولكل باب من الأبواب الغواة قدر معلوم متميز عن غيره، قال تعالى: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) {الحجر: ٤٣-٤٤}.

وَإِنَّ جَهَنَّمَ هِيَ مَكَانُ اللَّقَاءِ وَالْاجْتِمَاعِ (مَوْعِدُهُمْ) لِجَمِيعِ مَنْ اتَّبَعُوا إِبْلِسَ وَهِيَ مَقَرُّهُمْ وَبَيْتُ الْمَهَاد. وَيُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ لَجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لِكُلِّ بَابٍ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ السَّبْعَةِ نَصِيباً مُعَيَّناً مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِسَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلَى جَهَنَّمَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ. ^{٧٤٧}

^{٧٤٧} - انظر تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٥٣٦)

وعندما يرد الكفار النار تفتح أبوابها، ثم يدخلونها خالدين فيها: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) [الزمر/٧١-٧٢])،

وهذه الأبواب تغلق على المجرمين فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك، كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ (٢٠) [البلد/١٩، ٢٠])
أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَهُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ الَّذِينَ يُؤْتُونَ كِتَابَ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشِمَالِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ عَنْهُمْ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ: { وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ }
وَيَدْخُلُونَ النَّارَ فَتُوصَدُ أَبْوَابُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُطَبَّقُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْهُ فُكَاكًا .

قال ابن عباس: (مؤصدة) مغلقة الأبواب، وقال مجاهد أصد الباب بلغة قريش أي أغلقه. وأخبر النبي ﷺ أن أبواب النار تفتح وتغلق قبل يوم القيامة، فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحَتُّ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ » ٧٤٨ .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال « إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتُحَتُّ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ » ٧٤٩ . - صفدت: قيدت
وعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَىٰ مُنَادٌ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ ٧٥٠
وعن ابن عمر عن النبي - ﷺ - قال « لِحَبْنِهِمْ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَ السَّيْفَ عَلَى أُمَّتِي أَوْ قَالَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - ﷺ - - » ٧٥١ .

ويُفهم من هذا الحديث أن كل باب من هذه الأبواب لعملٍ من الأعمال السيئة، كما أن كل باب من أبواب الجنة الثمانية لعملٍ من الأعمال الصالحة.

فعن عتبة بن عبد السلمي وكان من أصحاب النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ يُقْتَلَ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ

٧٤٨ - صحيح البخارى (٣٢٧٧)

٧٤٩ - صحيح مسلم (٢٥٤٧)

٧٥٠ - المستدرك للحاكم (١٥٣٢) صحيح

٧٥١ - سنن الترمذى (٣٤١٤) فيه انقطاع وأوله صحيح

الْمُتَّحِنُ، فِي خِيَمَةِ اللَّهِ، تَحْتَ عَرْشِهِ، وَلَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِفَضْلِ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَتِلْكَ مَصْمُصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَاءٌ لِلْخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي النَّارِ، إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ^{٧٥٢}.

وقيل: الأبواب: الأطباق، طبق فوق طبق. فعن عليٍّ، قال: أَبْوَابُ جَهَنَّمَ سَبْعَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَمْتَلِئُ الْأَوَّلُ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّلَاثُ، ثُمَّ تَمْتَلِئُ كُلُّهَا^{٧٥٣}.

وعن هُبَيْرَةَ بْنِ مَرِيَمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: إِنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَمْلَأُ الْأَوَّلُ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى آخِرِهَا^{٧٥٤}.

وعن ابن جُرَيْجٍ، قَوْلُهُ: { لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ } قَالَ: أَوَّلُهَا جَهَنَّمَ، ثُمَّ لَطَى، ثُمَّ الْحُطَمَةُ، ثُمَّ السَّعِيرُ، ثُمَّ سَقَرٌ، ثُمَّ الْجَحِيمُ، ثُمَّ الْهَآوِيَةُ^{٧٥٥}.

المبحث السابع

وقود النار

الأحجار والفجرة الكفار هم وقود النار، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) {التحریم: ٦}

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتَهُ، وَأْمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقْوَى، وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، وَأْمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لَتُنْقِذُوهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، الَّتِي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الْكُفْرَةِ، وَالْحِجَارَةُ، وَتَقُومُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، أَشَدَّاءَ عَلَيْهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ.

وقال تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} {البقرة: ٢٤}

^{٧٥٢} - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ٥١٩) (٤٦٦٣) حسن

^{٧٥٣} - تفسير الطبري - (ج ١٦ / ص ٩٣) (١٦٠١٦) حسن

^{٧٥٤} - المصدر السابق

^{٧٥٥} - تفسير الطبري - (ج ١٦ / ص ٩٣) (١٦٠١٨) صحيح

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا هُمْ وَشُرَكَاءُهُمْ وَشُهَدَاؤُهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (وَهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ أَبَدًا مَهْمَا طَالَ الزَّمَنُ) فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ مِنْ وَحْيِ الْمَكَابِرِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ، وَفِيمَا يُبْلَغُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَيَكُونُونَ هُمُ الْمَكَابِرِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَخْشَوْا عَذَابَ اللَّهِ وَنَارَهُ الَّتِي يَكُونُ النَّاسُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ وَحِجَارَةٍ... مِنَ الْوُقُودِ الَّتِي تَشْتَعِلُ بِهِ، وَهِيَ مُعَدَّةٌ لِتُعَذِّبَ الْكَافِرِينَ الْجَاهِلِينَ الْمُعَانِدِينَ .
ولا يخفى ما في هذا من التهويل إذ أن هذه النار توقد بنفس ما يراد إحراقه بها.

والمراد بالناس هم الكفرة المشركون، وأما الحجارة التي تكون وقودا للنار فالله أعلم بحقيقتها، وقد ذهب بعض السلف إلى أن هذه الحجارة من كبريت فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: { وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } قَالَ: هِيَ حِجَارَةٌ مِنْ كِبْرِيتٍ خَلَقَهَا اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا يُعِدُّهَا لِلْكَافِرِينَ. وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: { وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } قَالَ: حِجَارَةُ الْكِبْرِيتِ جَعَلَهَا اللَّهُ كَمَا شَاءَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: { اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } أَمَّا الْحِجَارَةُ فَهِيَ حِجَارَةٌ فِي النَّارِ مِنْ كِبْرِيتٍ أَسْوَدَ يُعَدُّونَ بِهِ مَعَ النَّارِ

وَعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ: { وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } قَالَ: حِجَارَةٌ مِنْ كِبْرِيتٍ أَسْوَدَ فِي النَّارِ. ٧٥٦
قال القرطبي: هي حجارة الكبريت الأسود- عن ابن مسعود والفرء- وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواعٍ من العذاب: سرعة الانتقاد، نتن الرائحة، كثرة الدخان، شدة الالتصاق بالأبدان، قوة حرّها إذا حُميت ٧٥٧.

[وقيل: المراد بها: حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تعبد من دون الله كما قال: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } الآية [الأنبياء: ٩٨]، حكاه القرطبي وفخر الدين ورجحه على الأول؛ قال: لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمنكر فجعلها هذه الحجارة أولى، وهذا الذي قاله ليس بقوي؛ وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد لحرها وأقوى لسعيرها، ولا سيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك، ثم إن أخذ النار في هذه الحجارة - أيضا- مشاهد، وهذا الحص يكون أحجاراً فتعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك. وكذلك سائر الأحجار تفخرها النار وتحرقها. وإنما سيق هذا في حر هذه النار التي وعدوا بها، وشدة ضرامها وقوة لهبها كما

٧٥٦ - تفسير الطبري - (ج ١ / ص ١٨٩) (٤٢٠ - ٤٢٣) حسن صحيح

٧٥٧ - تفسير القرطبي (٢٥/١٠)

قال: {كُلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء: ٩٧]. وهكذا رجع القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تسعر بها النار لتحصى ويشتد لهبها قال: ليكون ذلك أشد عذاباً لأهلها،^{٧٥٨}

فإن كان أمراً اجتهدا مبنياً على العلم بطبائع الحجارة وخصائصها فهذا القول غير مسلم، فإن من الحجارة ما يفوق الكبريت قوة واشتعالاً والأوائل رأوا أن حجارة الكبريت لها خصائص ليست لغيرها من الحجارة فقالوا ألها مادة وقود النار، يقول ابن رجب (وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت توقد بها النار، ويقال: إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها: سرعة الإيقاد، وتنن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت)^{٧٥٩}.

وقد يوجد الله من أنواع الحجارة ما يفوق ما في الكبريت من خصائص. ومما توقد به النار الآلهة التي كانت تعبد من دون الله، قال تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) [الأنبياء/ ٩٨-١٠٠])، أي: إنكم أيها العابدون مع الله آلهة غيره {حَصَبُ جَهَنَّمَ} أي: وقودها وحطبها {أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} وأصنامكم.

والحكمة في دخول الأصنام النار، وهي جماد، لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم، فلماذا قال: {لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا} وهذا كقوله تعالى: {لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ} وكل من العابدين والمعبودين فيها، خالدون، لا يخرجون منها، ولا ينتقلون عنها. {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ} من شدة العذاب {وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} صم بكم عمي، أولاً يسمعون من الأصوات غير صوتها، لشدة غليانها، واشتداد زفيرها وتغيظها. ودخول آلهة المشركين النار، إنما هو الأصنام، أو من عبد، وهو راض بعبادته.

وأما المسيح، وعزير، والملائكة ونحوهم، ممن عبد من الأولياء، فإنهم لا يعذبون فيها، ويدخلون في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} ^{٧٦٠}

المبحث الثامن

في شدة حرها وزمهيرها

قال الله تعالى: (وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) [الواقعة/ ٤١-٤٤])

^{٧٥٨} - تفسير ابن كثير - (ج ١ / ص ٢٠١) فما بعد

^{٧٥٩} - التخويف من النار - (ج ١ / ص ١٠١)

^{٧٦٠} - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٥٣١)

وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ، وَيَقِفُونَ فِي الْمَحْشَرِ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَمَا يُدْرِيكَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ حَالُهُمْ؟

فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ يَنْفُذُ مِنَ الْمَسَامِ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ مَاءٍ مُتَنَاهٍ فِي الْحَرَارَةِ .
وَيَكُونُ الظِّلُّ الَّذِي يَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ دُخَانٍ حَارٍّ أَسْوَدَ . وَهَذَا الدُّخَانُ الْأَسْوَدُ لَيْسَ بِطَيِّبِ الْهَوَاءِ، وَلَا بَارِدِهِ، وَلَا بِحَسَنِهِ وَلَا كَرِيمِهِ .

وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرد به الناس في الدنيا من الكرب والحر وهو ثلاثة: الماء والهواء والظل، وذكرت الآية أن هذه لا تعني عن أهل النار شيئاً، فهواء جهنم: السموم وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها الحميم الذي قد اشتد حره، وظلها اليمحوم وهو قطع دخالها.

وذكر سبحانه هول النار في آية أخرى، فقال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) [القارعة/٨-١١]).

وَأَمَّا مَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، فَتَقُلَّتْ كِفَّةُ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، وَخَفَّتْ كِفَّةُ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ. فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى مَهْوَاةٍ سَحِيقَةٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهَا كَمَا يَأْوِي الْوَلَدُ إِلَى أُمِّهِ .
وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ وَيُعْرِفُكَ بِمَا هِيَ تِلْكَ الْهَآوِيَةُ؟

إِنَّهَا نَارٌ مُلْتَهَبَةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، يَهْوِي فِيهَا الْمُجْرِمُ الظَّالِمُ لِيُنْقَى فِيهَا خَالِدًا، حَزَاءً لَهُ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ سَيِّئَاتٍ . وَأَمَّا الظِّلُّ الَّذِي أَشارت إليه الآية (وظل من يمحوم)، هو ظل دخان النار، والظل يشعر عادة بالنداوة والبرودة، كما أن النفس تحبّه وتستريح إليه، أما هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل ولا بكريم المنظر، إنه ظل من يمحوم. وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار، فقال: (انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ (٣٣) [المرسلات/٣٠-٣٣])،

انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ دُخَانٍ نَارِ جَهَنَّمَ الْمُتَشَعِّبِ إِلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ: شُعْبَةٌ عَنْ يَمِينِهِمْ، وَشُعْبَةٌ عَنْ شِمَالِهِمْ، وَشُعْبَةٌ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ. أَيُّ إِنَّ الدُّخَانَ مُحِيطٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِقُهَا. وَهَذَا الظِّلُّ لَيْسَ بِظَلِيلٍ، أَيُّ إِنَّهُ لَا يُعْطِي ظِلًّا يَبْقَى مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ حَرَّ لَهَبِ جَهَنَّمَ، الَّذِي هُمْ مُقِيمُونَ فِيهِ .

وَنَارُ جَهَنَّمَ، الَّتِي تُحْدِثُ هَذَا الظِّلَّ مِنَ الدُّخَانِ، يَتَطَايَرُ مِنْهَا شَرَرٌ مُتَفَرِّقٌ فِي جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَأَنَّهُ الْقَصْرُ عَظْمًا وَارْتِفَاعًا . وَكَأَنَّهُ الْجِمَالُ الصُّفْرُ لَوْنًا وَكَثْرَةً . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ مَعْنَى (جِمَالَةٌ صُفْرٌ) هُوَ حِبَالُ السُّفْنِ الْعَلِيظَةِ .

فالآية تقسم هذا الدخان إلى ثلاثة أقسام. وأخير الحق سبحانه عن قوة النار ومدى تأثيرها في المعذبين فقال: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩)

[المدر/٢٦-٢٩] إنها تأكل شيء، وتدمر كل شيء، لا تبقى ولا تذر، تحرق الجلود وتصل إلى العظام وتصهر ما في البطون، وتطلع على الأفئدة.

وعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ - قال « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ». قَالُوا وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا »^{٧٦١}.

وعن أبي هريرة: يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَ: نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ضُرِبَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ، وَكُلُّهَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفَعَةً لِأَحَدٍ.^{٧٦٢}

وعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " تَحْسُبُونَ أَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ مِثْلُ نَارِكُمْ هَذِهِ، هِيَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنْ، هِيَ جُزْءٌ مِنْ بَضْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا مِنْهَا، أَوْ ثِنْفٌ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا " ^{٧٦٣}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: " هَذِهِ النَّارُ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِنْ جَهَنَّمَ " ^{٧٦٤} .
وهذه النار لا يخبو أوارها مع تطاول الزمان، ومرور الأيام قال تعالى: { فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا } (٣٠) سورة النبأ.

وقال تعالى: { وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } (٩٧) سورة الإسراء .

ولذلك لا يجد الكفار طعم الراحة، ولا يخفف عنهم العذاب مهما طال العذاب، {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} (٨٦) سورة البقرة، وقال تعالى: { خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ } (١٦٢) سورة البقرة

والنار تسعُرُ كل يوم كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي أمامة قال قال عمرو بن عبسَةَ السُّلَمِيُّ كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ فَسَمِعْتُ بَرَجْلًا بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مُسْتَخْفِيًا جُرَاءً عَلَيْهِ قَوْمُهُ فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ مَا أَنتَ قَالَ « أَنَا نَبِيٌّ ». فَقُلْتُ وَمَا نَبِيٌّ قَالَ « أُرْسَلَنِي اللَّهُ ». فَقُلْتُ وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ قَالَ « أُرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوحِدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ ». وفيه: أَخْبَرَنِي عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ « صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَ يَنْزِلُ

^{٧٦١} - صحيح مسلم (٧٣٤٤)

^{٧٦٢} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٠٤) (٧٤٦٣) صحيح

^{٧٦٣} - البعث والنشور للبيهقي (٤٨٤) حسن

^{٧٦٤} - مسند أحمد (٩١٥٨) صحيح

يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ ثُمَّ صَلَّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنْ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمَ فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلَّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ» ٧٦٥

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ » ٧٦٦ .

وتسعر النار يوم القيامة عندما تستقبل أهلها (وإذا الجحيم سعرت)، أي: أوقدت وأحميت وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِذَا كَانَ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ. وَذَكَرَ: أَنَّ النَّارَ اشْتَكَتْ إِلَى رَبِّهَا، فَأَذَنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ. ٧٦٧ وقال تعالى: (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) {التوبة: ٨١} وقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، إِغْرَاءَ لَهُمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْمُنْكَرِ، وَتَثْبِيطًا لِعَزَائِمِ الْمُؤْمِنِينَ: لَا تَخْرُجُوا إِلَى الْجِهَادِ فِي الْحَرِّ. فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ الَّتِي سَيَصِيرُونَ إِلَيْهَا، هِيَ أَشَدُّ حَرًّا مِنْ قَيْظِ الصَّحَرَاءِ الَّذِي فَرُّوا مِنْهُ. وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُدْرِكُونَ وَيَعْقِلُونَ لَمَا خَالَفُوا وَقَعَدُوا، وَلَمَا فَرَحُوا بِقُعُودِهِمْ . وعن يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَلَسْنَا إِلَى كَعْبِ الْأَخْبَارِ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ يُحَدِّثُ، فَجَاءَ عُمَرُ، فَجَلَسَ فِي نَاحِيَةِ الْقَوْمِ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ، خَوْفُنَا، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ النَّارَ لَتُقَرَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ، حَتَّى إِذَا أُذْنِيَتْ وَقُرِبَتْ، زَفَرَتْ زَفْرَةً مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا صِدِّيقٍ، وَلَا شَهِيدٍ، إِلَّا وَجَنَّا لِرُكْبَتَيْهِ سَاقِطًا، حَتَّى يَقُولَ كُلُّ نَبِيٍّ، وَكُلُّ صِدِّيقٍ، وَكُلُّ شَهِيدٍ: اللَّهُمَّ لَا تُكَلِّفْكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَوْ كَانَ لَكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ عَمَلُ سَبْعِينَ نَبِيًّا، لَطَنَنْتُ أَنْ لَا تَنْجُو، قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنْ الْأَمْرَ لَشَدِيدٌ. ٧٦٨

وعن كعب قال: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا وَأَنَا عِنْدَهُ: " يَا كَعْبُ خَوْفُنَا " قَالَ: فَقُلْتُ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْلَيْسَ فِيكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ " قَالَ: " بَلَى، وَلَكِنْ يَا كَعْبُ خَوْفُنَا " قَالَ: قُلْتُ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَلْ عَمَلِ رَجُلٍ لَوْ وَافَيْتَ الْقِيَامَةَ بِعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيًّا لَأَزْدَرَأْتَ عَمَلَكَ مِمَّا تَرَى " قَالَ: فَأُطْرَقَ عُمَرُ وَأَنْكَسَ وَنَكَّسَ قَالَ: ثُمَّ أَفَاقَ قَالَ: " زِدْنَا يَا كَعْبُ زِدْنَا " قَالَ: قُلْتُ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ قَدْرُ مَنْخَرِ ثَوْرٍ بِالْمَشْرِقِ وَرَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ لَعَلَّا دِمَاعُهُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ حَرِّهَا " قَالَ: فَأُطْرَقَ عُمَرُ وَنَكَّسَ قَالَ: ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: " زِدْنَا يَا كَعْبُ " قَالَ: قُلْتُ: " يَا

٧٦٥ - صحيح مسلم (١٩٦٧)

٧٦٦ - صحيح البخاري (٥٣٦) ومسلم (١٤٢٦)

٧٦٧ - صحيح ابن حبان - (ج ٤ / ص ٣٧٧) (١٥١٠) صحيح

٧٦٨ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٥٤) (٣٥٢٦٥) صحيح مقطوع

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَتَرْفُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَفْرَةً مَا بَقِيَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُصْطَفًى إِلَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ " قَالَ: " وَيَقُولُ: رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي " قَالَ: عُمَرُ قَالَ: قُلْتُ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَلَيْسَ تَجِدُونَ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ " قَالَ: " كَيْفَ ؟ " قَالَ: قُلْتُ: " قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ " ٧٦٩

-مليا: وقتنا طويلا - خر: سقط وهوى بسرعة - الجثو: الجلوس على الركبتين - أطرق: أمال رأسه إلى صدره وسكت فلم يتكلم

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَائَةٌ أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ مِنَ النَّارِ، فَتَنَفَسَ، فَأَصَابَ نَفْسَهُ، لاحتَرَقَ الْمَسْجِدُ وَمَنْ فِيهِ " ٧٧٠

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ فَوَعَزْتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعَزْتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ أَذْهَبَ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعَزْتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ وَعَزْتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا » ٧٧١ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: " يُجَاءُ بِجَهَنَّمَ ثِقَادُ سَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤُنَهَا " ٧٧٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ « تَارُكُمُ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ». قَالُوا وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا تِسْعَةٌ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا » ٧٧٣ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ رَبِّ أَكُلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ » ٧٧٤ .

٧٦٩ - الزهد لأحمد بن حنبل (٦٤٧) حسن مقطوع

٧٧٠ - مسند أبي يعلى الموصلي (٦٦٧٠) حسن

٧٧١ - سنن الترمذي (٢٧٥٨) صحيح

٧٧٢ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٩ / ص ٣٩) (١٠٢٧٦) حسن

٧٧٣ - صحيح مسلم (٧٣٤٤)

٧٧٤ - صحيح البخاري (٣٢٦٠) ومسلم (١٤٣٢)

وعن ابن مسعود قال: الزمهرير: لون من العذاب^{٧٧٥}، وعن عكرمة قال: هو البرد الشديد. وعن ابن عباس قال: يستغيث أهل النار من الحر، فيغاثون بريح باردة، يصدع العظام بردها، فيسألون الحر^{٧٧٦}.

وقال تعالى: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا) {النبأ: ٢٤-٢٥} وَلَا يَذُوقُ الْمُجْرِمُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْدًا يُبَرِّدُ حَرَّ السَّعِيرِ، وَلَا شَرَابًا يَرْوِيهِمْ مِنَ الْعَطَشِ. وَلَا يَذُوقُونَ فِي النَّارِ إِلَّا الْحَمِيمَ (وَهُوَ الْمَاءُ الْمُتَنَاهِي فِي الْحَرَارَةِ)، وَالْغَسَّاقُ (وَهُوَ الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ الْمُنْتِنُ وَالْعَرَقُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ) .

فاستثنى الله تعالى من البرد: الغساق وهو صديد أهل النار وقَيْحُهُمْ، واستثنى من الشراب: الحميم وهو الماء الحار الذي بلغ النهاية في الحر، نسأل الله السلامة.

المبحث التاسع

ملائكة النار وزبانيته

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتَهُ، وَأْمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقْوَى، وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَأْمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لَتُنْقِذُوهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارٍ جَهَنَّمَ، الَّتِي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الْكُفْرَةِ، وَالْحِجَارَةُ، وَتَقُومُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، أَشِدَّاءُ عَلَيْهِمْ، لَا يَخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ .

أي: على النار خزنة من الملائكة يلون أمرها، وتعذيب أهلها، غلاظ على أهل النار، شداد عليهم إذا استرحمهم، لأن الله عز وجل خلقهم من غضبه وحبب إليهم تعذيب خلقه.

وقيل: المراد: غلاظ القلوب، شداد الأبدان، وقيل: الغلاظ: ضخام الأجسام، والشداد: الأقوياء. وليس في قلوبهم رحمة، إنما خلقتوا للعذاب.

وقال تعالى: (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ* سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) {العلق: ١٧-١٨} قال أبو هريرة: الزبانية: الملائكة، وقال عطاء: هم الملائكة الغلاظ الشداد.

^{٧٧٥} - جزء يحيى بن معين (١٢٥) حسن

^{٧٧٦} - صفة النار لابن أبي الدنيا (١٥٣) حسن

وخرَّج ابن أبي حاتم - بإسناده - عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله تعالى (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ) {الحاقة: ٣٠} ابتدره سبعون ألف ملك، وإنَّ الملك منهم ليقول هكذا - يعني: يفتح يديه - فيلقى سبعين ألفاً في النار. ^{٧٧٧}

وكبير خزنة جهنم ورئيسهم هو مالك، كما في قول الله تعالى: (وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ) {الزخرف: ٧٧}

وَحِينَمَا يَشْتَدُّ الْعَذَابُ بِالْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ يَضْجُونَ فِي النَّارِ، وَيُنَادُونَ: يَا مَالِكُ (وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ) ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُقْبِضْ أَرْوَاحَنَا لِيُرِيحَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. فَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ مَالِكُ قَائِلًا لَهُمْ: إِنَّهُمْ مَا كُنْتُمْ فِي النَّارِ أَبَدًا، وَلَا مَجَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى خُرُوجِهِمْ مِنْهَا .

وقد رآه ﷺ في المنام، فعن سمرة بن جندب قال كان النبي ﷺ - إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا » . قَالَ فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَسَأَلْنَا يَوْمًا، فَقَالَ « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا » . قُلْنَا لَا . قَالَ « لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيْنِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كُتُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ - قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى إِنَّهُ - يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكُتُوبَ فِي شِدْقِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَمِسُ شِدْقَهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ . قُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ . فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدُخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهَّدَهُ الْحَجَرُ، فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ، وَعَادَ رَأْسَهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ، قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ . فَاَنْطَلَقْنَا إِلَى ثَقَبٍ مِثْلِ الثَّنُورِ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ . قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ . فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ . قُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ . فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصَبِيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَقَطُ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُبُوحٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ وَصَبِيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُبُوحٌ وَشَبَابٌ . قُلْتُ طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ . قَالَا نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ، فَتَحْمِلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفَعِّلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقَبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ. وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ أَكَلُوا الرَّبَا. وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَالصَّبَّيَانُ حَوْلَهُ فَأُولَادُ النَّاسِ، وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ. وَالذَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارَ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ. قَالَا ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي. قَالَا إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ « ٧٧٨ .

تدهده: تدرج - يشدخ: يكسر - الشدق: جانب الفم

وَعَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدُبِ الْفَزَارِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَقُولُ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْ رُؤْيَا ؟ فَيَقْصُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا، قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتْلَعُ بِهَا رَأْسَهُ، فَتَدْهَدُهُ الصَّخْرَةُ هَا هُنَا، فَيَقُومُ إِلَى الْحَجَرِ فَيَأْخُذُهُ فَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ أَحْسَبُهُ، قَالَ: حَتَّى يَصْبَحَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِفَقَاهُ وَإِذَا آخِرُ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيِي وَجْهَهُ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصْبَحَ الْجَانِبُ الْأَوَّلُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَا ؟ قَالَا: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ الثُّنُورِ، قَالَ عَوْفٌ: أَحْسَبُ أَنَّهُ، قَالَ: فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ، فَاطْلَعْنَا فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ غُرَاةٌ وَإِذَا بِنَهْرٍ لَهَيْبٍ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ تَضَوُّوْا، قَالَ: قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا عَلَى نَهْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ، قَالَ: أَحْمَرُ مِثْلَ الدَّمِ وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عِنْدَ شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي جَمَعَ الْحِجَارَةَ، فَيَفْعُرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْأَةِ كَأَكْرَهٍ مَا أَنتَ رَأَى رَجُلًا مَرَّاهُ، فَإِذَا هُوَ عِنْدَ نَارٍ يَحْسُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ قَائِمٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوِيلًا فِي السَّمَاءِ، وَأَرَى حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانِ رَأَيْتُهُمْ قُطٌّ وَأَحْسَنُهُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا وَاتَيْنَا دَوْحَةً عَظِيمَةً لَمْ أَرِ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ، قَالَا لِي: ارْقُ

فِيهَا، قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبَنِ ذَهَبٍ وَلَبَنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَقُلْنَا: مَا مِنْهَا رَجُلٌ شَطَرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَى، وَشَطَرٌ كَأَفْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَى، قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، فَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذْهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، وَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: قَالَا لِي هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنَزْلُكَ، قَالَ: فَسَمَا بَصَرِي صُعْدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنَزْلُكَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي أَدْخُلْهُ، قَالَ: قَالَا لِي: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ، قَالَ: فَإِنِّي رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ. أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشُرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ. وَأَمَّا الرَّجُلُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ الشُّوَرِ، فَإِنَّهُمْ الرُّنَاةَ وَالزَّوَانِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَيَلْتَقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ أَكَلَ الرِّبَا. وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْأَةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُشُهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنِ جَهَنَّمَ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ وَلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ. قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ. وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ شَطَرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ.^{٧٧٩}

ورآه-أيضًا- ليلة المعراج. قال: ثم انحدر، فقال رسول الله ﷺ لجبريل: "ما لي لم آت على سماء إلا رحبوا بي وضحكوا إلي، غير رجل واحد، فسلمت عليه فرد علي السلام فرحب بي ولم يضحك إلي. قال: يا محمد، ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خلق ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك".^{٧٨٠}

المبحث العاشر

في ظلمتها وسوادها وشررها

عن ابن مسعود: {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ} (٣٢) سورة المرسلات: أما إنني لست أقول كالشجر، ولكن كالحصون والمدائن^{٧٨١}

^{٧٧٩} - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٤٢٧) (٦٥٥) صحيح

^{٧٨٠} - تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ١٤) ضعيف

^{٧٨١} - البعث والنشور للبيهقي (٥٠٦) حسن

وَعَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: النَّارُ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ، لَا يُضِيءُ جَمْرُهَا، وَلَا يَطْفَأُ لَهَبُهَا، ثُمَّ قَرَأَ: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ
يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (٢٢) سورة الحج ٧٨٢
وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُنْبِهِ - رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: "يُنْشِئُ اللَّهُ - [عَزَّ وَجَلَّ] -
سَحَابَةً لَأَهْلِ النَّارِ سَوْدَاءَ مُظْلِمَةً فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، أَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُونَ؟ فَيَذْكُرُونَ بِهَا سَحَابَةَ
الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، الشَّرَابَ. فَيَمْطِرُهُمْ أَغْلَالًا [تَزِيدُ فِي أَغْلَالِهِمْ]، وَسَلْسِلَ فِي سَلْسِلِهِمْ، وَجَمْرًا
يُلْهَبُ عَلَيْهِمْ ٧٨٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ «أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفُ
سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ». ٧٨٤

المبحث العادي عشر

في أوديتها وجبالها

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ
أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ، وَالصَّعُودُ جَبَلٌ فِي النَّارِ فَيَتَصَعَّدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِي وَهُوَ كَذَلِكَ " ٧٨٥
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ «الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُتَصَعَّدُ فِيهِ الْكَافِرُ سَبْعِينَ خَرِيفًا
وَيَهْوِي فِيهِ كَذَلِكَ مِنْهُ أَبَدًا» ٧٨٦.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي بِهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا
قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهَا. ٧٨٧

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ أَنَّ حَجْرًا يُقَذَفُ بِهِ فِي جَهَنَّمَ هَوَى سَبْعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ
يَبْلُغَ قَعْرَهَا. ٧٨٨

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} (١) سورة الهمزة، قَالَ: الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ فِيهِ
الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ ٧٨٩

٧٨٢ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٥٢) (٣٥٢٥٧) والبعث والنشور للبيهقي (٥٦١) حسن

٧٨٣ - المعجم الأوسط للطبراني (٤٢٥٣) ضعيف

٧٨٤ - سنن الترمذي (٢٧٩٤ و ٢٧٩٥) صحيح ورجح وقفه، ولكن مثله لا يقال بالرأي

٧٨٥ - المستدرک للحاکم (٣٨٧٣) حسن

٧٨٦ - سنن الترمذي (٢٧٧٧) حسن

٧٨٧ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٠٨) (٧٤٦٧) حسن

٧٨٨ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٠٩) (٧٤٦٨) صحيح

٧٨٩ - البعث والنشور للبيهقي (٤٤٨) حسن

الْحَرِيفُ: الزَّيْمَانُ الْمَعْرُوفُ مِنْ فصول السَّنَةِ ما بين الصَّيْفِ والشتاء ويطلق على العام كله
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فِي قَوْلِهِ {سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا} (١٧) سورة المدثر، قَالَ: "جَبَلٌ مِنْ
نَارٍ فِي النَّارِ، يُكَلِّفُ أَنْ يَصْعَدَهُ، فَإِذَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ، فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ، وَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيْهِ
ذَابَتْ، فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ" ٧٩٠.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، "فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا" [مريم: ٥٩]، قَالَ: "نَهْرٌ فِي جَهَنَّمَ".
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "الْعَيُّ نَهْرٌ فِي جَهَنَّمَ يُقَذَفُ فِيهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ".
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، "فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا" [مريم: ٥٩]، قَالَ: "وَادٍ فِي جَهَنَّمَ مِنْ قَيْحٍ".
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، "فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا" [مريم: ٥٩]، قَالَ: "نَهْرٌ فِي جَهَنَّمَ وَوَادٍ فِي جَهَنَّمَ".
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ: "فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا" [مريم: ٥٩]، قَالَ: "وَادٍ فِي جَهَنَّمَ بَعِيدُ الْقَعْرِ، حَبِيبُ
الْمَطْعَمِ".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ: "فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا" [مريم: ٥٩]، قَالَ: "نَهْرٌ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ: غِيٌّ".
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "وَيْلٌ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ مِنْ قَيْحٍ" ٧٩١.
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ». قَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ قَالَ «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلُّ يَوْمٍ أَرْبَعِمِائَةِ مَرَّةٍ». قَالُوا يَا
رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَدْخُلُهُ قَالَ «أُعِدَّ لِلْقُرَاءِ الْمُرَاتِينَ بِأَعْمَالِهِمْ وَإِنْ مِنْ أِبْعَضِ الْقُرَاءِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ
يُزُورُونَ الْأُمَرَاءَ» ٧٩٢.

وعن علي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ، أَوْ وَادِي الْحُزْنِ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا
جُبُّ الْحُزْنِ، أَوْ وَادِي الْحُزْنِ؟ قَالَ: "وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَعَادَنَا اللَّهُ
مِنْهَا، أَعَدَّهُ اللَّهُ الْمُرَاتِينَ" ٧٩٣ - القراء: من يجيدون قراءة القرآن وحفظه

وعن علي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ - أَوْ الْحُزْنِ -
قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ؟ قَالَ: "جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَعَدَّهُ اللَّهُ
تَعَالَى لِلْقُرَاءِ، وَإِنْ مِنْ شِرَارٍ مَنْ يَزُورُ الْأُمَرَاءَ" ٧٩٤

٧٩٠ - المعجم الأوسط للطبراني (٥٧٣١) ضعيف

٧٩١ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٨ / ص ١٥٤) (٩٠٠٨-٩٠١٥) حسن

٧٩٢ - سنن ابن ماجه (٢٦٥) ضعيف

٧٩٣ - البعث والنشور للبيهقي (٤٦٤) حسن

٧٩٤ - الدعاء للطبراني - العلمية - (ج ١ / ص ٤١١) (١٣٩٠) حسن

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادٍ يَسْتَعِيدُ جَهَنَّمَ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَ مِائَةِ مَرَّةٍ، أَعَدَّ ذَلِكَ الْوَادِي لِلْمُرَاتِينِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ: لِحَامِلِ كِتَابِ اللَّهِ، وَلِلْمُصَدِّقِ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ، وَلِلْحُجَّاجِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، وَلِلْخَارِجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.^{٧٩٥}

وعن شفي الأصبحي قال: «إن في جهنم جبلا يدعى صعودا، يطلع فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يرقاه قال الله عز وجل: {سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا} (١٧) سورة المدثر، قال: وإن في جهنم قصرا يقال له هوى يرمى الكافر من أعلاه فيهوي أربعين خريفا قبل أن يبلغ أصله، قال الله: {كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى} (٨١) سورة طه، وإن في جهنم واديا يدعى أئاما، فيه حيات وعقارب، في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة سم، والعقرب منهن مثل البغلة المؤكفة، تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر جهنم حموة لدغتها فهو لما خلق له، وإن في جهنم سبعين داء لأهلها، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم، وإن في جهنم واديا يدعى غيا يسيل قيحا ودما، فهو لما خلق له، قال الله: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا} (٥٩) سورة مريم»^{٧٩٦}

– الخريف: الزَّمانُ المعروفُ من فصول السَّنَةِ ما بين الصَّيفِ والشتاءِ ويطلق على العام كله
وعن أبي سلام، قال: حدثني الحجاج بن عبد الله الشمالي – وَكَانَ قَدْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَحَجَّ مَعَهُ حِجَّةَ الْوَدَاعِ – أَنَّ حَدَّثَهُ – وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقُدَمَائِهِمْ –: "أَنَّ فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ أَلْفَ وَادٍ فِي كُلِّ وَادٍ سَبْعُونَ أَلْفَ، فِي كُلِّ سَبْعُونَ أَلْفَ دَارٍ، فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْتٍ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شِقٍّ، فِي كُلِّ شِقٍّ سَبْعُونَ أَلْفَ ثُعْبَانٍ، فِي شِدْقِ كُلِّ ثُعْبَانٍ سَبْعُونَ أَلْفَ عَقْرَبٍ، لَا يَنْتَهِي الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ حَتَّى يُوَاقِعَ ذَلِكَ كُلَّهُ"^{٧٩٧}

الشعب: الطريق في الجبل أو الانفراج بين الجبلين

وعن عطاء بن يسار، قال: «إن في النار سبعين ألف وادٍ، في كل وادٍ سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف حجر، في كل حجر حية تأكل وجوه أهل النار»^{٧٩٨}

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: إِنَّ لِيْجَهَنَّمَ جِبَابًا فِيهَا حَيَّاتٌ أَمْثَالُ الْبُخْتِ وَعَقَارِبٌ أَمْثَالُ الْبَعَالِ الدُّهْمِ، يَسْتَنْغِيثُ أَهْلُ النَّارِ إِلَى تِلْكَ الْجِبَابِ أَوْ السَّاحِلِ، فَتَشِبُّ إِلَيْهِمْ فَتَأْخُذُ بِشِفَاهِهِمْ وَشِفَارِهِمْ إِلَى

^{٧٩٥} – المعجم الكبير للطبراني – (ج ١٠ / ص ٣١٩) (١٢٦٣٢) فيه جهالة

^{٧٩٦} – الزهد والرقائق لابن المبارك (١٩٥٠) حسن مرسل

^{٧٩٧} – صفة النار لابن أبي الدنيا (٩٨) ضعيف

^{٧٩٨} – صفة النار لابن أبي الدنيا (٤٦) فسه ضعف

أَقْدَامُهُمْ، فَيَسْتَغِيثُونَ مِنْهَا إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُونَ: النَّارُ النَّارُ ! فَتَتَّبِعُهُمْ حَتَّى تَجِدَ حَرَّهَا فَتَرْجِعْ، قَالَ: وَهِيَ فِي أَسْرَابٍ ٧٩٩ .

المبحث الثاني عشر

سعة النار وبعد قعرها

النار شاسعة واسعة، بعيد قعرها، مترامية أطرافها، يدلنا على هذا أمور :

الأول: الذين يدخلون النار أعداد لا تحصى، ومع كثرة عددهم فإن خلق الواحد فيهم يضخم حتى يكون ضرره في النار مثل جبل أحد، وما بين منكيبه مسيرة ثلاثة أيام، ومع ذلك فإنها تستوعب هذه الأعداد الهائلة التي وجدت على امتداد الحياة الدنيا من الكفرة الجرمين على عظم خلقهم، ويبقى فيها متسع لغيرهم، وقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة فقال تعالى: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ} (٣٠) سورة ق.

هَلِ امْتَلَأَتْ بِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ أَفْوَاجِ الْكُفَّارِ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْعَصَاةِ؟ وَتَرُدُّ جَهَنَّمَ قَائِلَةً: وَهَلْ بَقِيَ شَيْءٌ تَزِيدُونَنِي بِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ .

إن النار مثل الطاحونة التي ينحدر إليها ألوف وألوف من أطنان الحبوب فتدور بذلك كله لا تكل ولا تمل، وينتهي الحب والطاحونة تدور انتظارا للمزيد.

وقد جاء في حديث احتجاج الجنة والنار عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُورِثْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطُ قَطُ قَطُ. فَهَذَا لَكَ تَمْتَلِئُ وَيُزَوِّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا » رواه البخاري ومسلم. ٨٠٠

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ. حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فَتَقُولُ قَطُ قَطُ » ٨٠١ .

٧٩٩ - تفسير الطبري - (ج ١٦ / ص ٣٨١) (١٦٤٩٢) صحيح

٨٠٠ - صحيح البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٧٣٥١)

٨٠١ - صحيح البخاري (٤٨٤٨)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُوقِفُهُ أَبُو سُفْيَانَ « يُقَالُ لِحَبْنَمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ » ٨٠٢.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يُلْقَى فِي النَّارِ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ الرَّبُّ جُلَّ وَعَلَا قَدَمَهُ فِيهَا، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ. ٨٠٣.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: هَذَا الْخَبَرُ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أُطْلِقَتْ بِتَمْثِيلِ الْمُجَاوِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ الْأَمَمِ وَالْأَمَكِنَةِ الَّتِي غَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهَا، فَلَا تَزَالُ تَسْتَزِيدُ حَتَّى يَضَعَ الرَّبُّ جُلَّ وَعَلَا مَوْضِعًا مِنَ الْكُفَّارِ وَالْأَمَكِنَةِ فِي النَّارِ، فَتَمْتَلِئُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، تُرِيدُ: حَسْبِي حَسْبِي، لِأَنَّ الْعَرَبَ تُطْلِقُ فِي لُغَتِهَا اسْمَ الْقَدَمِ عَلَى الْمَوْضِعِ، قَالَ اللَّهُ جُلَّ وَعَلَا: {لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يونس:]، يُرِيدُ: مَوْضِعٌ صِدْقٍ، لَا أَنَّ اللَّهَ جُلَّ وَعَلَا يَضَعُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ، جُلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ مِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ. ٨٠٤.

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ قَدْ قَدْ بَعِزَّتْكَ وَكَرِمَكَ. وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يَنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيَسْكُنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ ». ٨٠٥.

الثاني: يدلُّ على بعد قعرها أيضا أن الحجر إذا ألقى من أعلاها احتاج إلى آماذ طويلة حتى يبلغ قعرها، فعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « تَدْرُونَ مَا

٨٠٢ - صحيح البخارى (٤٨٤٩)

٨٠٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٥٠١) (٢٦٨) صحيح

٨٠٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٥٠٢)

٨٠٥ - صحيح البخارى (٧٣٨٤) وصحيح مسلم (٧٣٥٨)

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مَشَاهِيرِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ ، وَقَدْ سَبَقَ مَرَّاتٍ بَيَانُ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا عَلَى مَذْهَبَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ : أَنَّهُ لَا يُتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا بَلْ تُؤْمِنُ أَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ ، وَلَهَا مَعْنَى يَلِيقُ بِهَا ، وَظَاهَرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ .

وَالثَّانِي : وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِهَا ، فَعَلَى هَذَا اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ هُنَا الْمُتَقَدِّمُ ، وَهُوَ شَائِعٌ فِي اللُّغَةِ وَمَعْنَاهُ : حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنْ قَدَمِهِ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ ، قَالَ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي : هَذَا تَأْوِيلُ التَّضَرُّعِ بِنِ شَمِيلٍ ، وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ .

الثاني : أَنَّ الْمُرَادَ قَدَمَ بَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَيَعُودُ الضَّمِيرُ فِي قَدَمِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الْمَعْلُومِ .

الثالث : أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يُسَمَّى بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ ، وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا (يَضَعُ اللَّهُ فِيهَا رِجْلَهُ) فَقَدْ زَعَمَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورِكَ أَنَّهَا غَيْرُ نَابِتَةٍ عِنْدَ أَهْلِ الثَّقَلِ ، وَلَكِنْ قَدْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ فِيهِ صَحِيحَةٌ وَتَأْوِيلُهَا كَمَا سَبَقَ فِي الْقَدَمِ ، وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُرَادَ بِالرَّجْلِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ ، كَمَا يُقَالُ : رَجُلٌ مِنْ جَرَادٍ ، أَيْ : قِطْعَةٌ مِنْهُ ، قَالَ الْقَاضِي : أَظْهَرَ التَّأْوِيلَاتِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ اسْتَحَقُّوْهَا ، وَخَلِقُوا لَهَا ، قَالُوا : وَلَا بُدَّ مِنْ صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ الْعَقْلِيِّ عَلَى اسْتِحَالَةِ الْجَارِحَةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . شرح النووي

على مسلم - (ج ٩ / ص ٢٣٠)

هَذَا». قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا ».^{٨٠٦} -الوجه: صوت وقع القدم على الأرض

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - صَوْتًا هَالَهُ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا جَبْرِيلُ ؟ " . فَقَالَ: هَذِهِ صَخْرَةٌ هَوَتْ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مِنْ سَبْعِينَ عَامًا، فَهَذَا حِينَ بَلَغَتْ قَعْرَهَا، فَأَحَبَّ اللَّهُ أَنْ أَسْمِعَكَ صَوْتَهَا. فَمَا رُؤِيَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ضَاحِكًا مِلءَ فِيهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ ^{٨٠٧} . - الشفير: الحرف والجانب والناحية

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ أَنَّ حَجَرًا مِثْلَ سَبْعِ خَلَفَاتِ أُلْقِيَ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ أَهْوَى فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يَبْلُغُ قَعْرَهَا. ^{٨٠٨}

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: خَطَبَ عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتُ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَاءً، وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْهَا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ صَبَّهَا أَحَدُكُمْ، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا مَا بِحَضْرَتِكُمْ - يُرِيدُ مِنَ الْخَيْرِ - فَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَمَا يَبْلُغُ لَهَا قَعْرًا سَبْعِينَ عَامًا، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتُمَلَّانَ، أَفَعَجِبْتُمْ وَلَقَدْ ذَكَرَ لِي أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَطِيطٍ مِنَ الرَّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ مِنْهُ أَشْدَاقُنَا، وَلَقَدْ التَّفَقُّطُ بُرْدَةً، فَشَفَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا مَا مِنَّا أَحَدٌ الْيَوْمَ حَيٌّ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأُمَصَارِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ عَظِيمًا فِي نَفْسِي صَغِيرًا عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ بُبُوَةً إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى تَكُونَ عَاقِبَتُهَا مُلْكًا سَتُبْلُونَ الْأُمَرََاءَ بَعْدَنَا. ^{٨٠٩}

الصباية: البقية اليسيرة من الشراب تبقى أسفل الإناء -الكظيظ: الممتلئ المزحوم

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ قَالَ عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ عَلَى مِثْبَرِنَا هَذَا مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ لَتُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا وَمَا تُفْضِي إِلَى قَرَارِهَا ». قَالَ وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ أَكْثَرُوا ذِكْرَ النَّارِ فَإِنَّ حَرَّهَا شَدِيدٌ وَإِنْ قَعْرَهَا بَعِيدٌ وَإِنْ مَقَامُهَا حَدِيدٌ. ^{٨١٠}

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ أَنَّ حَجَرًا يُقَذَفُ بِهِ فِي جَهَنَّمَ هَوَى سَبْعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهَا. ^{٨١١}

^{٨٠٦} - صحيح مسلم (٧٣٤٦)

^{٨٠٧} - المعجم الأوسط للطبراني (٨٢٧) ضعيف

^{٨٠٨} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٦١) (٣٥٢٨٤) حسن لغيره

^{٨٠٩} - مسند أحمد (١٨٠٤١) و صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٦٠) (٧١٢١) صحيح

^{٨١٠} - سنن الترمذي (٢٧٧٦) وصحيح الجامع (١٦٦٢) والصحيحة (١٦١١) صحيح لغيره

^{٨١١} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٠٩) (٧٤٦٨) حسن

وَعَنْ لُقْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: جِئْتُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ، فَقُلْتُ حَدِّثْنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّ صَخْرَةً وَزَنْتَ عَشْرَ خَلَفَاتٍ، قُدِفَ بِهَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى غَيٍّ، وَأَتَانِمْ، قِيلَ: وَمَا غَيٌّ، وَأَتَانِمْ؟ قَالَ: "بِئْرَانٍ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ مِنْهُمَا صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ" وَهُمَا اللَّذَانِ ذَكَرَهُمَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ "أَضَاعُوا الصَّلَاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَتَانًا" [مریم: ٥٩].^{٨١٢} - الخلفات جمع خلفه وهي الناقة الحامل

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ قَدْرَ مَا بَيْنَ شَفِيرِ النَّارِ وَقَعْرِهَا، كَصَخْرَةٍ زَنْتُهَا سَبْعَ خَلَفَاتٍ بِشُحُومِهِنَّ، وَلُحُومِهِنَّ، وَأَوْلَادِهِنَّ، تَهْوِي فِيمَا بَيْنَ شَفِيرِ النَّارِ وَقَعْرِهَا، إِلَى أَنْ تَقَعَ قَعْرَهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا"^{٨١٣}

- الشفير: الحرف والجانب والناحية - الخلفة: الناقة الحامل العشاء - الشفة: الحرف أو الجانب
وعن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ، كَثِفُ كُلُّ جِدَارٍ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً»^{٨١٤} - السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء أو خيمة - الجدر: الحوائط - كثف: غلظ

الثالث: كثرة العدد الذي يأتي بالنار من الملائكة في يوم القيامة، فقد وصف الرسول ﷺ مجيئ النار يوم القيامة، الذي يقول الله فيه: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} (٢٣) سورة الفجر، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤُنَهَا»^{٨١٥}.

ولك أن تتخيل عظم هذا المخلوق الرهيب الذي احتاج إلى هذا العدد الهائل من الملائكة الأشداء الأقوياء الذين لا يعلم مدى قوتهم إلا الله تبارك وتعالى
الرابع: قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ"^{٨١٦}

^{٨١٢} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٧ / ص ١٩٣) (٧٦٣٣) ضعيف وصوبوا وقفه

^{٨١٣} - المستدرک للحاکم (٨٧٦٧) حسن

^{٨١٤} - صفة النار لابن أبي الدنيا (٦) حسن

^{٨١٥} - صحيح مسلم (٧٣٤٣)

^{٨١٦} - مسند أبي يعلى الموصلي (٤١١٦) ومسند البزار (٨٦٩٦) ومشكل الآثار للطحاوي (١٦٠) صحيح لغيره

ليس المراد من الحديث ما تبادر إلى ذهن البعض أن الشمس والقمر في النار يعذبان فيها عقوبة لهما ، كلا فإن الله عز و جل لا يعذب من أطاعه من خلقه ومن ذلك الشمس والقمر كما يشير إليه قول الله تبارك وتعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ*} (١٨) سورة الحج.

فأخبر تعالى أن عذابه إنما يحق على غير من كان يسجد له تعالى في الدنيا ، كما قال الطحاوي ، وعليه فإلقاؤهما في النار يحتمل أمرين : الأول : أنهما من وقود النار ، قال الإسماعيلي : " لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما ، فإن الله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذابا وآلة من آلات العذاب ، وما شاء الله من ذلك فلا تكون هي معذبة " .

فتأمل رعاك الله حال مخلوقين عظيمين كالشمس والقمر كيف يكونان كثورين مكورين في النار وأما عن سعة جهنم طولا وعرضا فعن مجاهد قال قال ابن عباس أتدري ما سعة جهنم قلت لا. قال أجل والله ما تدري. حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله - ﷺ - عن قوله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) {الزمر: ٦٧} قالت قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله قال « عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ »^{٨١٧}.

المبحث الثالث عشر

درجات النار

النار متفاوتة في شدة حرها، وما أعده الله من العذاب لأهلها، قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} (١٤٥) سورة النساء. والعرب تطلق (الدرك) على كل ما تسافل، كما تطلق (الدرج) على كل ما تعالى، فيقال للجنة درجات وللنار دركات، وكلما ذهب النار سفلا كلما علا حرها واشتد لهيبها، والمنافقون لهم النصيب الأوفر من العذاب لذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار.

وقد تسمى النار درجات أيضا، ففي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار ثم قال: {وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} (١٣٢) سورة الأنعام. وقال تعالى: (أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ) (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣]. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (درجات الجنة تذهب علوا، ودرجات النار تذهب سفلا)^{٨١٨}

المبحث الرابع عشر

في سلاسلها وغير ذلك

والثاني: أنهما يلقيان فيها تبيكتا لعبادهما. قال الخطابي: "ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك، ولكنه تبيكت لمن كان يعبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلا".

قلت: وهذا هو الأقرب إلى لفظ الحديث ويؤيده أن في حديث أنس عند أبي يعلى - كما في "الفتح" (٦ / ٢١٤): "ليراهما من عبيدهما". ولم أرهما في "مسنده" والله تعالى أعلم. وانظر السلسلة الصحيحة - (ج ١ / ص ١٢٣) (١٢٤)

^{٨١٧} - سنن الترمذي (٣٥٤٩) صحيح

^{٨١٨} - التخويف من النار - (ج ١ / ص ٥٠)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «لَوْ أَنَّ رُصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمُجُمَةِ أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ لَبَلَّغَتْ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السَّلْسِلَةِ لَصَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ فَعَرَهَا»^{٨١٩}.

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُنْبِهٍ - رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: "يُنْشِئُ اللَّهُ - [عَزَّ وَجَلَّ] - سَحَابَةً لِأَهْلِ النَّارِ سَوْدَاءَ مُظْلَمَةٍ فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، أَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُونَ؟ فَيَذْكُرُونَ بِهَا سَحَابَةَ الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، الشَّرَابَ. فَيَمْطُرُهُمْ أَغْلَالًا [تَزِيدُ فِي أَغْلَالِهِمْ]، وَسَلْسِلَ فِي سَلْسِلِهِمْ، وَجَمْرًا يُلْهَبُ عَلَيْهِمْ" ^{٨٢٠}.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَوْ أَنَّ مِقْمَعًا مِنْ حَدِيدٍ وَضِعَ فِي الْأَرْضِ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقَلَانِ، مَا أَقْلُوهُ مِنَ الْأَرْضِ" ^{٨٢١}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : لو أن مقمعاً من حديد، لو ضرب الجبل بقمع من حديد، لتفتت ثم عاد كما كان ولو أن دلواً من غساقٍ يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا «^{٨٢٢} - الغساق: ما يسيل من صديد أهل النار وقيل ما يسيل من دموعهم وقيل الزمهرير المقمع المطرق وقيل السوط

وعن عبد الله بن مسعود، قال: «إن الحجارة التي سمي الله تعالى في القرآن { فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } (٢٤) سورة البقرة، حجارة من كبريت، خلقها الله عنده عز وجل كيف شاء أو كما شاء» ^{٨٢٣}

المبحث الخامس عشر

في ذكر حياتها وعقاربها

عَنْ دَرَّاجٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ جَزْءِ الزُّبَيْدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «إِنَّ فِي النَّارِ حَيَاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ تُلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمَوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبُعَالِ الْمُؤَكَّفَةِ تُلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمَوَتَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً» ^{٨٢٤}.

^{٨١٩} - سنن الترمذي (٢٧٩١) حسن

^{٨٢٠} - المعجم الأوسط للطبراني (٤٢٥٣) فيه ضعف

^{٨٢١} - المستدرک للحاکم (٨٧٧٣) حسن

^{٨٢٢} - غاية المقصد في زوائد المسند (٥٠٨٧) ومسنند أحمد (١٢١٠٦) حسن

^{٨٢٣} - البعث والنشور للبيهقي (٤٨٦) صحيح

البخت: واحدهما البختية وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين - الموكفة: المحملة

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ فِي النَّارِ لَحَيَاتٍ أَمْثَالَ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ تَلْسَعُ أَحَدَهُمُ اللَّسْعَةَ، فَيَجِدُ حُمُوتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا. ٨٢٥

وعن مُجَاهِدٍ، قَالَ: إِنَّ لِحَهِنَّ جَبَابًا، فِيهَا حَيَاتٌ أَمْثَالَ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ، وَعَقَارِبَ كَالْبَعَالِ الدُّلَمِ، قَالَ: فَيَهْرُبُ أَهْلُ جَهَنَّمَ إِلَى تِلْكَ الْجَبَابِ: قَالَ: فَتَأْخُذُ تِلْكَ الْحَيَاتُ وَالْعَقَارِبُ بِشِفَاهِهِمْ فَتَنْشِطُ مَا بَيْنَ الشَّفْرِ إِلَى الظُّفْرِ، قَالَ: فَمَا يُنَجِّيهِمْ إِلَّا هَرَبٌ إِلَى النَّارِ. ٨٢٦

وعن عبد الله بن عمرو قال: إِذَا قُتِلَ الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَوَّلُ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دَمِهِ يُكْفَرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا، ثُمَّ يُرْسَلُ لَهُ اللَّهُ بِرِيطَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَقْبِضُ فِيهَا نَفْسَهُ وَيُجَسِّدُ مِنَ الْجَنَّةِ حَتَّى تُرَكَّبَ فِيهِ رُوحُهُ ثُمَّ يَعْرِجُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ كَأَنَّهُ كَانَ مَعَهُمْ مُنْذُ خَلَقَهُ اللَّهُ حَتَّى يُؤْتَى بِهِ الرَّحْمَنُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيَسْجُدُ قَبْلَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ تَسْجُدُ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَهُ، ثُمَّ يَعْفَرُ لَهُ وَيَطْهَرُ ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى الشَّهَدَاءِ فَيَجِدُهُمْ فِي رِيَاضٍ خَضِرٍ وَثِيَابٍ مِنْ حَرِيرٍ عِنْدَهُمْ نُورٌ وَحُوتٌ يُلْعَنَانِهِمْ كُلُّ يَوْمٍ بِشَيْءٍ لَمْ يُلْعَنَاهُ بِالْأَمْسِ يَظَلُّ الْحُوتُ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُ مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَإِذَا أَمْسَى وَكَرَهُ الثَّوْرُ بَقْرِنَهُ فَذَكَاهُ فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهِ فَوَجَدُوا فِي طَعْمِ لَحْمِهِ كُلِّ رَائِحَةٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ وَيَلْبَثُ الثَّوْرُ نَافِثًا فِي الْجَنَّةِ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَدَا عَلَيْهِ الْحُوتُ فَذَكَاهُ بِذَنْبِهِ فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهِ فَوَجَدُوا فِي طَعْمِ لَحْمِهِ كُلِّ ثَمَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، يَنْظُرُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ يَدْعُونَ اللَّهَ بِقِيَامِ السَّاعَةِ فَإِذَا تَوَفَّى اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَيْنِ بِخَرِقَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَرِيحَانٍ مِنْ رِيحَانِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اخْرُجِي إِلَى رُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانَ، اخْرُجِي فَنَعَمَ مَا قَدَّمْتَ فَتَخْرُجُ كَأَطِيبِ رَائِحَةٍ مِنْكَ وَجَدَهَا أَحَدُكُمْ بِأَنْفِهِ وَعَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ جَاءَ مِنَ الْأَرْضِ الْيَوْمَ رُوحٌ طَيِّبٌ فَلَا يَمُرُّ بَبَابٍ إِلَّا فَتَحَ لَهُ وَلَا مَلِكٍ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ وَيَشْفَعُ حَتَّى يُؤْتَى بِهِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَتَسْجُدُ الْمَلَائِكَةُ قَبْلَهُ ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا هَذَا عَبْدُكَ فَلَانُ تَوَفَّيْنَاهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ فَيَقُولُ: مُرُّهُ بِالسُّجُودِ فَيَسْجُدُ النَّسَمَةَ ثُمَّ يَدْعَى مِيكَائِيلُ فَيَقَالُ: اجْعَلْ هَذِهِ النَّسَمَةَ مَعَ أَنْفُسِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْمَرُ بِجَسَدِهِ فَيُوسَّعُ لَهُ، طَوْلُهُ سَبْعُونَ وَعَرْضُهُ سَبْعُونَ وَيَنْبِذُ فِيهِ الرِّيْحَانُ وَيَسْطُرُ لَهُ الْحَرِيرُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ نُورُهُ وَإِلَّا جُعِلَ لَهُ نُورًا مِثْلُ نُورِ الشَّمْسِ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى مَقْعَدِهِ فِي الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. وَإِذَا تَوَفَّى اللَّهُ الْعَبْدَ الْكَافِرَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَيْنِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِقِطْعَةٍ بِجَادٍ أَتْنٌ مِنْ كُلِّ نَتْنٍ وَأَخْشَنُ مِنْ كُلِّ خَشْنٍ فَقَالَ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى جَهَنَّمَ وَعَذَابِ أَلِيمٍ وَرَبِّ عَلَيْكَ سَاحِطٍ، اخْرُجِي فَسَاءَ مَا قَدَّمْتَ، فَتَخْرُجُ كَأَتْنٍ جِيفَةٍ وَجَدَهَا أَحَدُكُمْ بِأَنْفِهِ

٨٢٤ - مسند أحمد (١٨١٨٤) حسن

٨٢٥ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥١٢) (٧٤٧١) حسن

٨٢٦ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٦٠) (٣٥٢٧٩) صحيح مرسل

قَطُّ، وَعَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ جَاءَ مِنَ الْأَرْضِ جَيْفَةٌ وَنَسَمَةٌ خَبِيثَةٌ لَا يُفْتَحُ لَهُ بَابُ السَّمَاءِ فَيُؤْمَرُ بِجَسَدِهِ فَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ فِي الْقَبْرِ وَيُمَلَأُ حَيَاتٌ مِثْلُ أَعْنَاقِ الْبَحْتِ تَأْكُلُ لَحْمَهُ فَلَا يَدْعُنْ مِنْ عِظَامِهِ شَيْئًا، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ صُمُّ عَمِّيَ مَعَهُمْ فَطَاطِيسُ مِنْ حَدِيدٍ لَا يُبْصِرُونَهُ فَيَرْحَمُونَهُ وَلَا يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ فَيَرْحَمُونَهُ فَيَضْرِبُونَهُ وَيَخْبِطُونَهُ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ نَارٍ فَيَنْظُرُ إِلَى مَقْعَدِهِ مِنَ النَّارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً يَسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يُدِيمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَلَا يَصِلُ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ النَّارِ. ^{٨٢٧}

وعن يزيد بن شجرة قال: كَانَ يَزِيدُ بْنُ شَجَرَةَ رَجُلًا مِنْ رَهَاءَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةَ يُسْتَعْمِلُهُ عَلَى الْجِيُوشِ، فَخَطَبَنَا يَوْمًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ مَا أَحْسَنَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، لَوْ تَرَوْنَ مَا أَرَى مِنْ بَيْنِ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ، وَمِنْ كُلِّ لَوْنٍ فِي الرِّجَالِ مَا فِيهَا أَنَّهُ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتُحَتَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَأَبْوَابُ النَّارِ، وَإِذَا التَّقَى الصَّفَّانِ، فَتُحَتَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَأَبْوَابُ النَّارِ، وَزَيْنَ الْعَيْنِ، فَيُطْلَعْنَ، فَإِذَا أَقْبَلَ أَحَدُكُمْ بِوَجْهِهِ إِلَى الْقِتَالِ قُلْنَ: اللَّهُمَّ نَبِّئْهُ، اللَّهُمَّ انصُرْهُ، وَإِذَا أَدْبَرَ احْتَجَبْنَ عَنْهُ وَقُلْنَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَأَنْتَهُكُوا وَجْهَهُ الْقَوْمِ، فِدَاكُمْ أَبِي وَأُمِّي؛ فَإِنَّ أَوَّلَ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمٍ أَحَدِكُمْ يَحْطُ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا الْعُصْنُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرَةِ، وَتَبْتَدِرُهُ اثْنَتَانِ مِنْ حُورِ الْعَيْنِ، وَيَمْسَحَانِ الثَّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولَانِ: فِدَانَا لَكَ، وَيَقُولُ: أَنَا لَكُمْ، فَيُكْسَى مِائَةً لَوْ وُضِعَتْ بَيْنَ أَصْبَعِي هَاتَيْنِ لَوْ سَعَتَاهُمَا، لَيْسَتْ مِنْ نَسَجِ بَنِي آدَمَ، وَلَكِنَّهُمَا مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ؛ إِنَّكُمْ مَكْتُوبُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِأَسْمَائِكُمْ، وَسِمَاتِكُمْ، وَنَجْوَاكُمْ، وَخَلَالِكُمْ، وَمَحَاسِنِكُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ: يَا فُلَانُ، هَذَا نُورُكَ، يَا فُلَانُ، لَأَنُورَ لَكَ، وَإِنْ لِحِجَّتُمْ جَبَابًا مِنْ سَاحِلِ كَسَاحِلِ الْبَحْرِ فِيهِ هَوَاءٌ، حَيَاتٌ كَالْبَخَاتِي، وَعَقَارِبُ كَالْبَعَالِ الدَّلُّ أَوْ كَالدَّلِّ الْبَعَالِ، فَإِذَا سَأَلَ أَهْلُ النَّارِ التَّخْفِيفَ قِيلَ: اخْرُجُوا إِلَى السَّاحِلِ، فَتَأْخُذْهُمْ تِلْكَ بِشِفَاهِهِمْ وَجُنُوبِهِمْ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَتَكْشِطُهَا، فَيَرْجِعُونَ فَيَنَادُونَ إِلَى مُعْظَمِ النَّارِ، وَيُسَلِّطُ عَلَيْهِمُ الْجَرَبُ، حَتَّى إِنْ أَحَدَهُمْ لَيَحْكُ جِلْدُهُ، حَتَّى يَبْدُو الْعَظْمُ، فَيُقَالُ: يَا فُلَانُ، هَلْ يُؤْذِيكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: بِمَا كُنْتَ تُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ " ^{٨٢٨}

الحوام: جمع هامة وهي كل ذات سم يقتل، وأيضا هي ما يدب من الحيوان وإن لم يقتل كالحشرات وعن عبد الله بن مسعود، في قوله: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} [النحل: ٨٨]، قال: "عَقَارِبُ أَنْيَابِهَا كَالنَّحْلِ الطَّوَالِ"، ^{٨٢٩} وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبَيَّتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي شِدْقَيْهِ - ثُمَّ

^{٨٢٧} - مجمع الزوائد (٣٩٣٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ (٩٥٤٠) قَالَ: رِجَالُ الصَّحِيحِ خَلَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْيَلْمَانِيِّ وَهُوَ ثَقَّةٌ. قُلْتُ: وَابْنُ الْبَيْلَمَانِيِّ ضَعِيفٌ تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ (٣٨١٩)

^{٨٢٨} - البعث والنشور للبيهقي (٥٤٨) صحيح مرسل

^{٨٢٩} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٨ / ص ١٥٤) (٩٠٠٦) صحيح

يَقُولُ أَنَا مَالِكُ، أَنَا كَنْزُكَ « ثُمَّ تَلَا الْآيَةَ: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) {آل عمران: ١٨٠} ^{٨٣٠}

للهمزم: الشدق

المبحث السادس عشر

في شراب أهل النار

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أربعة أنواع من شراب أهل النار :

الأول: الحميم، وهو الماء الحار الذي تنهى حره، قال تعالى: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ) {محمد: ١٥}. والحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم، يُذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعائهم، وتتناثر جلودهم، كما في قوله تعالى: (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) {الحج: ١٩-٢٢}.

تَجَادَلَ أَهْلُ الْأَدْيَانِ فِي دِينِ اللَّهِ فَكُلُّ فَرِيقٍ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا عَلَيْهِ خَصَمُهُ هُوَ الْبَاطِلُ، وَبَنَى عَلَى ذَلِكَ جَمِيعَ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ نَوْعًا مِنَ الْخُصُومَةِ، وَاللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، وَلَا يَظْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ شَيْئًا، فَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أُعِدَّتْ لَهُمْ نيرانٌ تُحِيطُ بِهِمْ وَكَأَنَّهَا مَقَطَّعَاتٌ مِنَ الثِّيَابِ قُدَّتْ عَلَى قَدَرٍ أَجْسَادِهِمْ، وَيُصَبُّ الْمَاءُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ فَيَشْوِي وَجُوهَهُمْ

وَيُضْرَبُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِالسَّيَاطِ وَالْمَطَارِقِ (مَقَامِعُ) مِنَ الْحَدِيدِ الْمُحَمَّى فَتَتَنَاثَرُ أَعْضَاؤُهُمْ .

فلا يفتقر عنهم العذاب، ولا هم ينظرون، ويقال لهم توبيخا: {ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} أي: المحرق للقلوب والأبدان ^{٨٣١}

الثاني: الغساق، قال تعالى: (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) {ص: ٥٧} قال ابن عباس: الغساق ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه. وقال: الزمهرير البارد الذي يحرق الجلد. وقال مجاهد: غساق، لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده. ^{٨٣٢}

^{٨٣٠} - صحيح البخاري (١٤٠٣)

^{٨٣١} - انظر تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٥٣٥)

^{٨٣٢} - تفسير الطبري - (ج ٢١ / ص ٢٢٦)

الثالث: الصديد وهو ما يسيل من لحم الكافر، وجلده، قال تعالى: (مَنْ وَرَّاهُ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) {إبراهيم: ١٦-١٧}

أي: يسقى من ماء صديد شديد النتانة والكثافة فيتجرعه ولا يكاد يبتلعه من شدة تنانته وكثافته. وقال مجاهد: (ماء صديد) يعني: القيح والدم.

فَقَدْ حَلَّتِ الهَزِيمَةُ بِهَذَا الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَامَهُ فِي الْآخِرَةِ جَهَنَّمُ تَنْتَظِرُهُ، فَهِيَ لَهُ بِالْمُرْصَادِ، وَسَيَكُونُ خَالِدًا فِيهَا، وَيُسْقَى فِي النَّارِ مِنَ الصَّدِيدِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ لَحْمِهِ وَجُلْدِهِ الْمُحْتَرِقِينَ. (وَوَرَاءُ، هُنَا، مَعْنَاهَا أَمَامَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى { وَرَأَوْهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا } أَيَّ كَانَ أَمَامَهُمْ مَلَكٌ)

يَشْرَبُهُ قَسْرًا وَقَهْرًا، جَرْعَةً بَعْدَ جَرْعَةٍ، وَلَا يَكَادُ يَبْتَلَعُهُ لِسُوءِ طَعْمِهِ، وَتَنْتَنِ رَائِحَتِهِ، وَحَرَارَتِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ، وَيَأْتِيهِ الْعَذَابُ بِأَنْوَاعِهِ، لَيْسَ مِنْهَا نَوْعٌ إِلَّا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يَمُوتُ لِيُخْلَدَ فِي النَّارِ وَالْعَذَابِ، وَلَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالَةِ عَذَابٌ آخَرَ شَدِيدٌ غَلِيظٌ أَذْهَى مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ وَأَمْرٌ .

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ حَيْشَانَ - وَحَيْشَانَ مِنَ الْيَمَنِ - فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ - عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذُّرَّةِ يُقَالُ لَهُ الْمَزْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ ». قَالَ نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ قَالَ « عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ »^{٨٣٣}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ فَشَرِبَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ فَشَرِبَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ: عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ.^{٨٣٤}

الرابع: الماء الذي كالمهل، قال تعالى: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا { [الكهف/ ٢٩])

^{٨٣٣} - صحيح مسلم (٥٣٣٥)

^{٨٣٤} - صحيح ابن حبان - (ج ١٢ / ص ١٨٠) (٥٣٥٧) صحيح

وسئل ابن عباس عن قوله تعالى (كالمهل) فقال: غليظ كدردي الزيت، وعنه قال: أسود كمهل الزيت. وقال الضحاك: أذاب ابن مسعود - رضي الله عنه - فضة من بيت المال، ثم أرسل إلى أهل المسجد فقال: من أحب أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا^{٨٣٥}.

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ إِنَّ هَذَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، وَلَا شَكَّ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ بِهِ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ، فَقَدْ أَعَدَدْنَا وَأَرْصَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، نَارًا لَهَا سُورٌ يُحِيطُ بِمَنْ يَدْخُلُوهَا (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا). وَإِذَا اسْتَعَاثَ أَهْلُ النَّارِ لِيُطْفِئُوا عَظَشَهُمْ يُعَاثُونَ بِمَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ، فَإِذَا قَرَّبُوهُ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ اسْتَوَتْ وَجُوهُهُمْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ، وَبِئْسَ هَذَا الشَّرَابُ شَرَابًا، وَسَاءَتِ النَّارُ مَنَزَلًا لِلارْتِفَاقِ، وَالْإِتْكَاءِ لِلرَّاحَةِ، وَسَاءَتْ مَقِيلًا.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: { كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ } (٤٥) سورة الدخان، قال: كَعَكَرَ الزَّيْتُ، فَإِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةٌ وَجْهَهُ، وَلَوْ أَنَّ دَلُومًا مِنْ غَسْلِينَ يَهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَتَنَتْ بِأَهْلِ الدُّنْيَا^{٨٣٦}.

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ - أَنَّهُ قَالَ (كَالْمُهْلِ) قَالَ « كَعَكَرَ الزَّيْتُ فَإِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةٌ وَجْهَهُ فِيهِ »^{٨٣٧}.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ - قَالَ « إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يَعَادُ كَمَا كَانَ »^{٨٣٨}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، وتلا قول الله عز وجل: { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ } (١٩) سورة الحج، فقال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْجُمُحِمَةُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يَعَادُ كَمَا كَانَ^{٨٣٩}.

وعن أبي أمامة، عن النبي ﷺ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَنْجَرَعُهُ، قَالَ: يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ، فَإِذَا أَذْنِي مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةٌ رَأْسَهُ، فَإِذَا شَرِبَ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ، يَقُولُ اللَّهُ: وَسَقُوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ، وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ^{٨٤٠}.

٨٣٥ -

٨٣٦ - المستدرک للحاکم (٣٨٥٠) حسن

٨٣٧ - مسند أحمد (١١٩٩٠) حسن

٨٣٨ - سنن الترمذی (٢٧٨٣) حسن

٨٣٩ - المستدرک للحاکم (٣٤٥٨) حسن

٨٤٠ - المستدرک للحاکم (٣٣٣٩) حسن

قال تعالى: { وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) [إبراهيم/١٥-١٧]

وَاسْتَنْصَرَ الرُّسُلُ بِرَبِّهِمْ عَلَى أَقْوَامِهِمْ، لَمَّا يَسْأَلُونَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ، وَطَلَبُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَى الْكَافِرِينَ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ، فَرَبِّحُوا، وَخَسِرَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، شَدِيدِ الْعِنَادِ لِلْحَقِّ .
فَقَدْ حَلَّتِ الْمَرْيَمَةُ بِهَذَا الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَامَهُ فِي الْآخِرَةِ جَهَنَّمُ تَنْتَظِرُهُ، فَهِيَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ، وَسَيَكُونُ خَالِدًا فِيهَا، وَيُسْقَى فِي النَّارِ مِنَ الصَّدِيدِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ لَحْمِهِ وَجِلْدِهِ الْمُحْتَرِقِينَ .
يَشْرَبُهُ قَسْرًا وَقَهْرًا، جَرْعَةً بَعْدَ جَرْعَةٍ، وَلَا يَكَادُ يَبْتَلَعُهُ لِسُوءِ طَعْمِهِ، وَتَنْتَنُ رَائِحَتُهُ، وَحَرَارَتُهُ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ، وَيَأْتِيهِ الْعَذَابُ بِأَنْوَاعِهِ، لَيْسَ مِنْهَا نَوْعٌ إِلَّا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يَمُوتُ لِيُخْلَدَ فِي النَّارِ وَالْعَذَابِ، وَلَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالَةِ عَذَابٌ آخَرَ شَدِيدٌ غَلِيظٌ أَذْهَى مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ وَأَمْرٌ .
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَوْ أَنَّ دَلْوً غَسَّاقٍ يَهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا، لَأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا ٨٤١

قال تعالى: { هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْهِمَّادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) } [ص/٥٥-٥٨]
هَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ هُوَ حَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَخْيَارِ، عَلَى مَا قَدَّمُوهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَطَاعَةٍ لِرَبِّهِمْ. أَمَّا الْكَافِرُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ الْكَرَامَ، فَلَهُمْ سُوءُ الْمُنْقَلَبِ، وَشَرُّ الْعَاقِبَةِ إِذْ تَكُونُ عَاقِبَتُهُمُ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمِ، فَيُقَاسُونَ حَرَّهَا الشَّدِيدِ، وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ مَهْدًا وَفِرَاشًا .
وَهَذَا الْعَذَابُ هُوَ حَزَاؤُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ. فَلْيَذُوقُوهُ فَهُوَ مَاءٌ حَارٌّ، مَتَنَاهُ فِي شِدَّةِ حَرَارَتِهِ، وَقَدْ مُزِجَ بِالصَّدِيدِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِهِمُ الْمُحْتَرِقَةِ فِي النَّارِ (غَسَّاقٌ) .
حَمِيمٌ - مَاءٌ بَلَغَ النَّهْيَةَ فِي الْحَرَارَةِ . غَسَّاقٌ - الصَّدِيدُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ الْمُحْتَرِقَةِ. وَقِيلَ إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْعَذَابِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَهُمْ صُنُوفٌ أُخْرَى مِنَ الْعَذَابِ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا الْعَذَابِ يُعَذِّبُونَ بِهَا، كَالزَّمْهَرِيرِ، وَالسَّمُومِ، وَشَرْبِ الْحَمِيمِ وَالْغَسَّاقِ، وَأَكْلِ الزَّقُومِ .

وَعَنْ أَبِي يَحْيَى عَطِيَّةَ الْكَلَاعِيِّ، أَنَّ كَعْبًا، كَانَ يَقُولُ: " هَلْ تَدْرُونَ مَا وَغَسَّاقٌ ؟ " قَالُوا: لَا. قَالَ: " عَيْنٌ فِي جَهَنَّمِ يَسِيلُ إِلَيْهَا حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ مِنْ حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَسْتَنْقِعُ، فَيُؤْتَى بِالْأَدَمِيِّ فَيَغْمَسُ فِيهِ غَمْسَةً وَاحِدَةً، فَيَخْرُجُ وَقَدْ سَقَطَ جِلْدُهُ عَنِ الْعِظَامِ، وَتَعَلَّقَ جِلْدُهُ وَلَحْمُهُ فِي كَعْبِيهِ، فَيَجُرُّ لَحْمَهُ كَمَا يَجُرُّ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ ٨٤٢

٨٤١ - المستدرک للحاکم (٨٧٧٩) حسن

٨٤٢ - صِفَةُ النَّارِ لِأَبِي الدُّنْيَا (٩٢) حسن مقطوع

وعن عطية الكلاعي، أن كعباً، كان يقول: "هل تدرُونَ مَا غَسَّاقُ؟ قالوا: لا والله، قال: عَيْنٌ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ إِلَيْهَا حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ مِنْ حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَيَسْتَنْفَعُ فَيُؤْتَى بِالْأَدَمِيِّ، فَيُغَمَسُ فِيهَا غَمْسَةً وَاحِدَةً، فَيَخْرُجُ وَقَدْ سَقَطَ جِلْدُهُ وَلَحْمُهُ عَنِ الْعِظَامِ حَتَّى يَتَعَلَّقَ جِلْدُهُ فِي كَعْبِيهِ وَعَقْبِيهِ، وَيُنَجَّرَ لَحْمُهُ كَجَرِّ الرَّجُلِ ثَوْبَهُ" وقال آخرون: هُوَ الْبَارِدُ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ بُرْدِهِ ^{٨٤٣}

-الحُمَةُ أَوْ الْحُمَّةُ: السُّمُّ -غمس: غمر وأدخل

وعن أبي موسى، أن النبي ﷺ قال: ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقُ السَّحَرِ، وَمَنْ مَاتَ مُدْمِنًا لِلْخَمْرِ سَقَاهُ اللَّهُ حَلًّا وَعَلَا مِنْ نَهْرِ الْعُوطَةِ قِيلَ: وَمَا نَهْرُ الْعُوطَةِ؟ قال: نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُؤْمِسَاتِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِنَّ. ^{٨٤٤}

المومسات بضم الميم الأولى وكسر الثانية هن الزانيات

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ فَشَرِبَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ فَشَرِبَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قال: عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ. ^{٨٤٥}

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ - قال «كُلُّ مُخَمَّرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَمَنْ شَرِبَ مُسْكِرًا بُخِستَ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ». قِيلَ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ وَمَنْ سَقَاهُ صَغِيرًا لَا يَعْرِفُ حَلَالَهُ مِنْ حَرَامِهِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» ^{٨٤٦}

وعن أسماء بنت يزيد أنها سمعت النبي ﷺ - يقول «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَرْضَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَإِنْ مَاتَ مَاتَ كَافِرًا وَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَادَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ». قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ قَالَ «صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ». ^{٨٤٧}

الخبال: عصارة أهل النار

المبحث السابع عشر

^{٨٤٣} - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٢٧٦١٣) حسن مقطوع

^{٨٤٤} - صحيح ابن حبان - (ج ١٢ / ص ١٦٥) (٥٣٤٦) صحيح

^{٨٤٥} - صحيح ابن حبان - (ج ١٢ / ص ١٨٠) (٥٣٥٧) صحيح

^{٨٤٦} - سنن أبي داود (٣٦٨٢) صحيح

^{٨٤٧} - مسند أحمد (٢٨٣٧٠) حسن

في طعام أهل النار

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) [البقرة/١٧٤، ١٧٥])

يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ يُخْفُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ عَلَى رُسُلِهِ، أَوْ يُؤَوَّلُونَهُ أَوْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَضَعُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، بِرَأْيِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ، فِي مُقَابِلِ الثَّمَنِ الْحَقِيرِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، كَالرَّشْوَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَالْجُعْلِ (الْأَجْرِ عَلَى الْفِتَاوَى الْبَاطِلَةِ) وَنَحْوِ ذَلِكَ... وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ (وَهُمْ الْيَهُودُ)، وَعَنْ رَسُولِهِ وَبُيُوتِهِ لئَلَّا تَذْهَبَ زَعَامَاتُهُمْ، وَرِيَاسَاتُهُمْ إِنْ صَدَّقُوا مُحَمَّدًا، وَأَمَنُوا بِهِ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ، وَلئَلَّا يَخْسَرُوا مَا كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالٍ وَهَدَايَا، وَهُوَ شَيْءٌ تَأْفَهُ يَسِيرٌ إِذَا مَا قُورِنَ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ.. فَهَؤُلَاءِ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ مَا يَأْكُلُونَهُ فِي مُقَابِلِ كِتْمَانِ الْحَقِّ نَارًا تَتَأَجَّجُ فِي بُطُونِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعُصْبِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَمْدَحُهُمْ وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا .

وَقِيلَ أَيْضًا فِي تَفْسِيرٍ: مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ: إِنَّهُمْ لَا يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَنِهِ إِلَّا مَا يَكُونُ سَبَبًا لِدُخُولِهِمْ نَارَ جَهَنَّمَ .

وقال تعالى: (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ) {الغاشية: ٦- ٧}. والضريع: نوعٌ من الشوك لا تأكله الدوابُّ لحبثه.

وَإِذَا طَلَبُوا الطَّعَامَ حَبِيءٌ لَهُمْ بِالضَّرِيعِ، وَهُوَ نَبَاتٌ كَالشَّوْكِ مُرٌّ مُنْتِنٌ، لَا يُشْبِعُ مِنْ جُوعٍ، وَلَا يُسَمِّنُ. وَعَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الضَّرِيعَ بِأَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا فَائِدَةَ مِنْهُ، فَهُوَ لَا يُسَمِّنُ، وَلَا يُغْنِي، وَلَا يُشْبِعُ مِنْ جُوعٍ .

وقال تعالى: (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) {الحاقة: ٣٥-٣٧} قال ابن عباس: الغسلين: الدم والماء والصدید الذي يسيل من لحومهم. وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ الْيَوْمَ هُنَا فِي الْآخِرَةِ قَرِيبًا وَدُودًا، وَلَا صَدِيقًا حَمِيمًا مُخْلِصًا، يُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْشَغِلٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِنَفْسِهِ. وَلَا يَجِدُ لَهُ طَعَامًا فِي النَّارِ إِلَّا مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الدَّمِ وَالصَّدِيدِ. وَالصَّدِيدُ شَيْءٌ كَرِيهُ الْمَذَاقِ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّذِينَ مَرَّتُوا عَلَى اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا .

وقال تعالى: (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا) {المزمل: ١٢-١٣} ومعنى (طعاماً ذا غصة) قال ابن عباس: شوكٌ يأخذ بالحلق، لا يدخل ولا يخرج.

إِنَّ لَدَيْنَا لَهُوَ لَاءِ الْكَفَرَةِ الْمَكْذِبِينَ فِي الْآخِرَةِ قُبُودًا ثَقِيلَةً تُوضَعُ فِي أَرْجُلِهِمْ كَمَا يُفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ، إِذْ لَا لَهُمْ، وَلَهُمْ نَارٌ مُسْتَعْرَةً يَصْلَوْنَهَا. وَلَهُوَ لَاءِ الْكَفَرَةِ الْمَكْذِبِينَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ أَيْضًا طَعَامٌ لَا يُسْتَسَاغُ كَالزُّقُومِ وَالضَّرِيرِ.. وَلَهُمْ أَلْوَانٌ أُخْرَى مِنَ الْعَذَابِ الْمُؤْلَمِ .

وقال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمْ أَهْلُهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ * لَا كُلُّونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ) {الواقعة: ٥١-٥٢}. ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمْ أَهْلُهَا الضَّالُّونَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَالصَّوَابِ، الْمَكْذِبُونَ بِكُتُبِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَآيَاتِهِ، وَبِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ . سَتَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرِ الزُّقُومِ الَّذِي يَنْبُتُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، وَكَأَنَّ طَلْعَهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ. وَأَهْلُ النَّارِ يَأْكُلُونَ الزُّقُومَ عَلَى كَرَاهِيَةٍ مِّدَاقِهِ لَأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ غَيْرَهُ وَغَيْرَ الضَّرِيرِ شَيْئًا يَأْكُلُونَهُ .

وقد وصف الله تعالى شجرة الزقوم في قوله تعالى: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كُلُّونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) {الصافات: ٦٤-٦٦}. حِينَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ وَسْطِ نَارِ جَهَنَّمَ، قَالَ الْكَافِرُونَ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَالنَّارُ تَحْرِقُ الشَّجَرَ؟

كَأَنَّ ثَمَرَهَا (طَلْعُهَا)، فِي قُبْحِ مَنْظَرِهِ، رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ: (وَالْعَرَبُ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَبِيحَةٌ الْمَنْظَرِ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى تَقْبِيحَ شَجَرَةِ الزُّقُومِ، وَتَكْرِيبَهُ السَّامِعِينَ بِهَا) . وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الظَّالِمِينَ، لَا يَجِدُونَ فِي النَّارِ طَعَامًا غَيْرَ الزُّقُومِ الْكَرِيمِ الطَّعْمِ، وَالْمَنْظَرِ، وَالرَّيْحِ، فَيَضْطَرُّونَ إِلَى الْأَكْلِ مِنْهُ لِيَمْلَأُوا بُطُونَهُمْ الْجَائِعَةَ .

وهذا الطعام الذي يأكله أهل النار لا يفيدهم، فلا يجدون له لذة، ولا تنتفع به أجسادهم، فأكلهم له نوع من أنواع العذاب، وقال تعالى: (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْآثِمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) [الدخان/٤٣-٥٠] ،

الزُّقُومُ ثَمَرُ شَجَرَةٍ حَبِيبَةٍ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ النَّارِ وَثَمَرُهَا كَرِيمٌ، وَلَكِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا يَجِدُونَ مَا يَأْكُلُونَ غَيْرَهُ لذلِكَ فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَ إِلَى أَكْلِهِ وَهُمْ كَارِهُونَ . وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ مَصِيرَ الْكَافِرِ الْكَثِيرِ الذُّنُوبِ وَالْآثِمِ (الْآثِمِ) يَكُونُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَإِنَّ طَعَامَهُ سَيَكُونُ مِنْ شَجَرَةِ الزُّقُومِ .

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ ثَمَرَ الزُّقُومِ يَكُونُ كَعَكْرِ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ، وَهُوَ يَغْلِي فِي بُطُونِ أَكْلِيهِ بِفِعْلِ حَرَارَةِ الْجَحِيمِ . كَمَا يَغْلِي الْمَاءُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ الَّذِي بَلَغَ النَّهَايَةَ فِي الْغَلْيَانِ . وَيُقَالُ لِلزَّبَانِيَةِ مِنْ حَرَسِ جَهَنَّمَ: خُذُوا هَذَا الْمُجْرِمَ الْآثِمَ فَادْفَعُوهُ دَفْعًا بَغْلَظَةً وَعَنْفٍ إِلَى وَسْطِ نَارِ جَهَنَّمَ لِيَنَالَ جَزَاءَهُ عَلَى كُفْرِهِ وَآثَامِهِ .

وَيُقَالُ لِحَرَسِ جَهَنَّمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: بَعْدَ أَنْ تُدْخِلُوهُ وَسَطَ الْجَحِيمِ، صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنَ الْمَاءِ الشَّدِيدِ الْحَرَارَةَ زِيَادَةً فِي الْعَذَابِ الْحَمِيمِ - الْمَاءِ الَّذِي بَلَغَ النَّهْيَةَ فِي الْحَرَارَةِ .

وَبَعْدَ إِدْخَالِهِ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، وَصَبَّ الْحَمِيمُ فَوْقَ رَأْسِهِ، يُقَالُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِ: ذُقْ هَذَا الْعَذَابَ الْمَذِلَّ الْمُهِينَ الْيَوْمَ، فَإِنَّكَ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا تَزْعُمُ أَنَّكَ الْعَزِيزُ فِي قَوْمِكَ، الْكَرِيمُ فِي حَسَبِكَ .
وهذا العذاب المذلُّ المهين، الذي تَتَذَوَّقُونَ طَعْمَهُ الْيَوْمَ، هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَتَشَكَّكُونَ فِيهِ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ سَيَلْفُوقُونَ شَيْئًا مِنْهُ، فَهِيَ أَنْتُمْ قَدْ لَقِيتُمُوهُ الْيَوْمَ فَذُوقُوهُ .

وقال في موضع آخر: (أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) [الصفات/٦٢-٧٠])

أَذَلَّكَ الرِّزْقُ الْكَرِيمُ الْوَفِيرُ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا الْمَنْزِلُ الطَّيِّبُ الَّذِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ فِيهِ فِي رَحَابِ الْجَنَّةِ خَيْرٌ، أَمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الْأَكْلِ مِنْ شَجَرَةِ الزُّقُومِ، ذَاتِ الثَّمَرِ الْكَرِيمِ الْمَذَاقِ؟
وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَنْ وُجُودِ شَجَرَةِ الزُّقُومِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ابْتِلَاءً مِنْهُ وَاجْتِبَارًا لِيَرَى مَنْ يُصَدِّقُ بِهَا، مِمَّنْ يُكَذِّبُ، وَجَعَلَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ .

حِينَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ وَسَطِ نَارِ جَهَنَّمَ، قَالَ الْكَافِرُونَ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَالنَّارُ تَحْرِقُ الشَّجَرَ؟

كَأَنَّ ثَمَرَهَا (طَلْعُهَا)، فِي قُبْحِ مَنْظَرِهِ، رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ: (وَالْعَرَبُ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى تَقْبِيحَ شَجَرَةِ الزُّقُومِ، وَتَكْرِيبَهُ السَّامِعِينَ بِهَا) .
وإِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الظَّالِمِينَ، لَا يَجِدُونَ فِي النَّارِ طَعَامًا غَيْرَ الزُّقُومِ الْكَرِيمِ الطَّعْمِ، وَالْمَنْظَرِ، وَالرَّيْحِ، فَيُضْطَرُّونَ إِلَى الْأَكْلِ مِنْهُ لِيَمْلَأُوا بُطُونَهُمْ الْجَائِعَةَ .

وإِنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَا يَشْرَبُونَ إِلَّا الْمَاءَ الشَّدِيدَ الْحَرَارَةَ، الْمَمْزُوجَ بِالصَّدِيدِ وَالْعَسَاقِ .
ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ بَعْدَ هَذَا الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ إِلَى نَارٍ تَتَأَجَّجُ، وَجَحِيمٍ تَتَوَقَّدُ، فَهُمْ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ .
إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ فَتَابَعُوهُمْ . فَأَسْرَعُوا فِي تَقْلِيدِهِمْ، وَاتَّبَاعِهِمْ بِلَا تَدَبُّرٍ وَلَا تَرَوْ .

وقال في موضع آخر: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهِيَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٥٥) هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) [الواقعة/٥١-٥٦])

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهِيَ الضَّالُّونَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَالصَّوَابِ، الْمُكَذِّبُونَ بِكُتُبِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَآيَاتِهِ، وَبِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ. سَتَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرِ الزُّقُومِ الَّذِي يَنْبُتُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، وَكَأَنَّ طَلْعَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ وَأَهْلُ النَّارِ يَأْكُلُونَ الزُّقُومَ عَلَى كَرَاهِيَةٍ مَذَاقِهِ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ غَيْرَهُ وَغَيْرَ الضَّرْبِ شَيْئًا يَأْكُلُونَهُ .

وَأَيْنَكُم مَّنْ سَأَكُلُونَهُ حَتَّى تَمْتَلِئَ بُطُونُكُمْ . وَإِذَا أَكَلْتُمْ مِّنْ شَجَرِ الزُّقُومِ، وَمَلَأْتُمْ بُطُونَكُمْ مِنْهُ، فَسَتَشْعُرُونَ بِالْعَطَشِ فَلَا تَجِدُونَ غَيْرَ الْمَاءِ الشَّدِيدِ الْحَرَارَةِ (الْحَمِيمِ) .
وَأَيْنَكُم مَّنْ سَتَشْرَبُونَ شَرْبًا لَا يَرَوِي غُلَّةً، وَكَأَنَّكُمْ الْإِبِلُ الَّتِي أَصَابَهَا دَاءُ الْهَيْامِ فَلَا يَرَوِي الْمَاءَ لَهَا غَلِيلًا، وَلَا يُطْفِئُ لَهَا ظَمًا .

وَهَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ وَصَفُهُ مِنَ الْعَذَابِ بِالنَّارِ، وَأَكْلِ الزُّقُومِ، وَشَرْبِ الْحَمِيمِ، هُوَ مَا يَلْقَاهُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ، الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ وَالتُّشْوِيرِ عِنْدَ رَبِّهِمْ مِنَ الضِّيَافَةِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

ويؤخذ من هذه الآيات أن هذه الشجرة شجرة خبيثة، جذورها تضرب في قعر النار، وفروعها تمتد في أرجائها، وثمرها قبيح المنظر ولذلك شبهه برؤوس الشياطين، ومع خبث هذه الشجرة وخبث طلعتها، إلا أن أهل النار يلقي عليهم الجوع، بحيث لا يجدون مفرا من الأكل منها إلى درجة ملء البطون، فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلي في أجوافهم كما يغلي دردي الزيت، فيجدون لذلك آلاما مبرحة، فإذا بلغت بهم الحال هذا المبلغ اندفعوا إلى الحميم وهو الماء الحار الذي تناهى حره، فشربوا منه كشرب الإبل التي تشرب ولا تروى لمض أصابها وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ (١٥) [محمد/١٥])، هذه هي ضيافتهم في ذلك اليوم العظيم، أعادنا الله من حال أهل النار بمنه وكرمه .

وإذا أكل أهل النار من هذا الطعام الخبيث من الضريع والزقوم غصوا به لقبحه وخبثه: (إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) [الزمل/١٢-١٣])
إِنْ لَدَيْنَا لَهُؤُلَاءِ الْكَافِرَةُ الْمُكَذِّبِينَ فِي الْآخِرَةِ قِيودًا ثَقِيلَةً تُوضَعُ فِي أَرْجُلِهِمْ كَمَا يُفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ، إِذْ لَا لَهُمْ، وَلَهُمْ نَارٌ مُسْتَعْرَةً يَصْلَوْنَهَا . وَلَهُؤُلَاءِ الْكَافِرَةُ الْمُكَذِّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ أَيْضًا طَعَامٌ لَا يُسْتَسَاغُ كَالزُّقُومِ وَالضَّرِيعِ .. وَلَهُمْ أَلْوَانٌ أُخْرَى مِنَ الْعَذَابِ الْمُؤْلَمِ .

وقد صور الرسول ﷺ شناعة الزقوم وفضاعته، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١٠٢) سورة آل عمران، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ قُطِرَتْ فِي بَحَارِ الْأَرْضِ لَفَسَدَتْ، وَفِي حَدِيثٍ وَهَبِ بْنِ جَرِيرٍ: لَأَمَرْتُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ تَكُونُ طَعَامُهُ؟^{٨٤٨}
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١٠٢) سورة آل عمران، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ قُطِرَتْ فِي الْأَرْضِ لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامُهُ؟ هَذَا

^{٨٤٨} - المستدرک للحاکم (٣١٥٨) صحیح

حَدِيثٌ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو يَعْقُوبَ الْحَنْظَلِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا
فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ^{٨٤٩}

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ، حَتَّى يَعْدِلَ عِنْدَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ
الْعَذَابِ، قَالَ: فَيَسْتَعِثُّونَ فَيُعَاثُونَ بِالضَّرِيعِ، لَا يُسَمِّنُ، وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَيَسْتَعِثُّونَ فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي
غُصَّةٍ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْعَصَصَ بِالشَّرَابِ، فَيَسْتَعِثُّونَ فَيُعَاثُونَ بِمَاءٍ مِنْ حَمِيمٍ فِي كَلَالِبَ
مِنْ حَدِيدٍ، فَإِذَا أَدْنَوْهُ إِلَى وُجُوهِهِمْ شَوَى وَجُوهِهِمْ فَإِذَا أَدْخَلُوهُ بُطُونَهُمْ قَطَعَ مَا فِي
بُطُونِهِمْ، قَالَ: فَيَنَادُونَ: {ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخَفُّ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ}، قَالَ: فَيَجَابُونَ: {أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ
رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، قَالُوا بَلَى، قَالُوا فَادْعُوا، وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}، قَالَ: فَيَقُولُونَ: نَادُوا
مَالِكًا، فَيَنَادُونَ: {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}، قَالَ: فَاجَابَهُمْ: {إِنَّكُمْ مَآكُثُونَ} قَالَ: فَيَقُولُونَ: ادْعُوا
رَبَّكُمْ، فَلَا شَيْءَ أَرْحَمَ بِكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا
ظَالِمُونَ}، قَالَ: فَيَجِيبُهُمْ: {اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا}، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَسَوَّأُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَيَأْخُذُونَ
فِي الْوَيْلِ، وَالشَّهْقِ، وَالتَّبُورِ.^{٨٥٠}

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ، حَتَّى يَعْدِلَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ
الْعَذَابِ، فَيَسْتَعِثُّونَ بِالطَّعَامِ، فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَيَسْتَعِثُّونَ
بِالطَّعَامِ، فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْعَصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ، فَيَسْتَعِثُّونَ
بِالشَّرَابِ، فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمْ الْحَمِيمُ بِكَلَالِبِ الْحَدِيدِ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وَجُوهِهِمْ، وَإِذَا دَخَلَتْ
فِي بُطُونِهِمْ قَطَعَتْ مَا فِي بُطُونِهِمْ، فَيَقُولُونَ: ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ"، قَالَ: "فَيَدْعُونَ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ: أَنْ ادْعُوا
رَبَّكُمْ يَخَفُّ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ، فَيَقُولُونَ: أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟
قَالُوا: بَلَى، قَالُوا: فَادْعُوا، وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"، قَالَ: "فَيَقُولُونَ: ادْعُوا مَالِكًا، فَيَدْعُونَ مَالِكًا
فَيَقُولُونَ: يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ"، قَالَ: "فَيَجِيبُهُمْ: إِنَّكُمْ مَآكُثُونَ" قَالَ الْأَعْمَشُ: أُتْبِئْتُ أَنَّ بَيْنَ
دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ إِلَيْهِمْ أَلْفَ عَامٍ، قَالَ: "فَيَقُولُونَ: ادْعُوا رَبَّكُمْ، فَلَا أَحَدَ خَيْرَ مِنْ
رَبِّكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا، وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ
"، قَالَ: "فَيَجِيبُهُمْ: اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا"، قَالَ: "فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَسَوَّأُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذُوا
مِنَ الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ"^{٨٥١}

الغصة: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب - الحميم: الماء الحار - الكلوب: حديدة معوجة
الرأس، والجمع كلاليب

^{٨٤٩} - المستدرک للحاکم (٣٦٨٦) صحیح

^{٨٥٠} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٥٥) (٣٥٢٦٦) حسن

^{٨٥١} - البعث والنشور للبيهقي (٥٣٣) حسن وصحح الترمذي وفقه

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا} (١٣) سورة المزمل، قَالَ: شَوْكٌ يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ، لَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ، وَفِي قَوْلِهِ: {يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا مَهِيلًا} (١٤) سورة المزمل، قَالَ: الْمَهِيلُ الَّذِي إِذَا أَخَذَتْ مِنْهُ شَيْئًا تَبَعَكَ آخِرُهُ، وَالْكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ " ٨٥٢.

وأهل النار قد يكون طعامهم ما ذكر في الآيات السابقة: الضريع والغسلين والزقوم والنار جميعاً، وقد يكون المعذبون طبقات فمنهم من يأكل الضريع ومنهم من يأكل الغسلين ومنهم من يأكل الزقوم، كلٌ بحسب حاله ومترلته.

ومن طعام أهل النار الغسلين، قال تعالى: (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ) (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) [الحاقة/٣٥-٣٧]

وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ الْيَوْمَ هُنَا فِي الْآخِرَةِ قَرِيبًا وَدُودًا، وَلَا صَدِيقًا حَمِيمًا مُخْلِصًا، يُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْشَغِلٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِنَفْسِهِ. وَلَا يَجِدُ لَهُ طَعَامًا فِي النَّارِ إِلَّا مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الدَّمِ وَالصَّدِيدِ. وَالصَّدِيدُ شَيْءٌ كَرِيهُ الْمَذَاقِ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّذِينَ مَرُّوا عَلَى اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا .

وقال تعالى: (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) [ص/٥٧-٥٨]) وَهَذَا الْعَذَابُ هُوَ حَرَاؤُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ. فَلْيَذُوقُوهُ فَهُوَ مَاءٌ حَارٌّ، مَتَنَاهُ فِي شِدَّةِ حَرَارَتِهِ، وَقَدْ مُزِجَ بِالصَّدِيدِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِهِمُ الْمُحْتَرَقَةِ فِي النَّارِ (غَسَّاقٌ) . وَلَهُمْ صُنُوفٌ أُخْرَى مِنَ الْعَذَابِ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا الْعَذَابِ يُعَذَّبُونَ بِهَا، كَالزَّمْهَرِيرِ، وَالسَّمُومِ، وَشَرْبِ الْحَمِيمِ وَالْغَسَّاقِ، وَأَكْلِ الزَّقُومِ . والغسلين والغساق بمعنى واحد، وهو ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد، وقيل ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم.

ومن أصحاب الذنوب من يطعمه الله جمر جهنم جزاء وفاقا: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا) (١٠) [النساء/١٠]

يُهَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِدُونِ سَبَبٍ مَشْرُوعٍ، وَعَلَى سَبِيلِ الْهَضْمِ وَالظُّلْمِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّمَا يَأْكُلُونَ مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي إِيصَالِهِمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا تَتَّجَحُّ. وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ ﷺ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ: الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ" (صحيح)

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) [البقرة/١٧٤، ١٧٥])

يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ يُخْفُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ عَلَى رُسُلِهِ، أَوْ يُؤَوَّلُونَهُ أَوْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَضَعُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، بِرَأْيِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ، فِي مُقَابِلِ الثَّمَنِ الْحَقِيرِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، كَالرَّشْوَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَالْجُعْلِ (الْأَجْرِ عَلَى الْفِتَاوَى الْبَاطِلَةِ) وَنَحْوِ ذَلِكَ... وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ (وَهُمْ الْيَهُودُ)، وَعَنْ رَسُولِهِ وَنُبُوَّتِهِ لِئَلَّا تَذْهَبَ زَعَامَتُهُمْ، وَرِيَاسَتُهُمْ إِنْ صَدَّقُوا مُحَمَّدًا، وَآمَنُوا بِهِ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ، وَلِئَلَّا يَخْسَرُوا مَا كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالٍ وَهَدَايَا، وَهُوَ شَيْءٌ تَأْفَهُ يَسِيرٌ إِذَا مَا قُورِنَ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ.. فَهَؤُلَاءِ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ مَا يَأْكُلُونَهُ فِي مُقَابِلِ كِتْمَانِ الْحَقِّ نَارًا تَنَاجَّجُ فِي بُطُونِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعُصْبِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَمْدَحُهُمْ وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. (وَقِيلَ أَيْضًا فِي تَفْسِيرٍ: مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ: إِنَّهُمْ لَا يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَنِهِ إِلَّا مَا يَكُونُ سَبَبًا لِدُخُولِهِمْ نَارَ جَهَنَّمَ). وَهَؤُلَاءِ الْإِثْمُونَ الَّذِينَ أُنذَرَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ، اعْتَنَاضُوا عَنِ الْهُدَى الَّذِي يَفْتَضِيهِمْ نَشْرًا مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ، وَذَكَرَ مَبْعَثِهِ، وَوُجُوبِ اتِّبَاعِهِ وَتَصَدِيقِهِ، بِالضَّلَالِ وَهُوَ تَكْذِيبُهُ، وَالْكَفْرُ بِهِ، وَكِتْمَانُ صِفَاتِهِ، وَاعْتَنَاضُوا عَنِ الْمَغْفِرَةِ، الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ السَّاعِينَ فِي الْخَيْرَاتِ، بِالْعَذَابِ الَّذِي سَيَحِلُّ بِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَكِتْمَانِ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ. فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (أَيُّ إِنْ مَنْ يَرَاهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَعَجَّبُ مِنْ صَبْرِهِمْ عَلَى احْتِمَالِهَا، مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ) .

أَوْ إِنْ الْمَعْنَى هُوَ: (أَنَّ انْتِهَامَهُمْ فِي الْعَمَلِ الَّذِي يُوصِلُهُمْ إِلَى النَّارِ هُوَ مَثَارُ الْعَجَبِ، فَسَيُرَاهُمْ فِي الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَيْهَا، وَعَدَمُ مُبَالَاتِهِمْ بِمَالِ أَعْمَالِهِمْ هُوَ مَثَارُ الْعَجَبِ) .

المبحث الثامن عشر

لباس أهل النار

أخبر الحق سبحانه وتعالى أنه يفصل لأهل النار حلل من النار، قال تعالى: (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) {الحج: ١٩}

فَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَعِدَّتْ لَهُمْ نِيرَانٌ تُحِيطُ بِهِمْ وَكَانَتْهَا مُقَطَّعَاتٌ مِنَ الثِّيَابِ قُدَّتْ عَلَى قَدَرٍ أَجْسَادِهِمْ، وَيُصَبُّ الْمَاءُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ فَيَشْوِي وَجُوهَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ، وَيَذِيبُ أَمْعَاءَهُمْ.

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ « مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْفُوتِهِ » ^{٨٥٣}.

الحجزة: معقد الإزار والسرويل

وَعَنْ هُثَيْبِ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ وَطِئَ عَلَى إِزَارِهِ خِيَلَاءَ وَطِئَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » ^{٨٥٤}.

وهذا الحديث يبين معنى ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ » ^{٨٥٥}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُبْطِيَّةً، وَكَسَى أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حُلَّةً سِيرَاءً، فَتَنَظَّرَ فَرَأَنِي أَسْبَلْتُ فَجَاءَ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ كُلُّ شَيْءٍ يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنَ الثِّيَابِ فِي النَّارِ، فَرَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ يَأْتِرُّ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ ^{٨٥٦}.

فَعَلَى هَذَا لَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِ الْحَدِيثِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَيَكُونُ مِنْ وَادِي (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)، أَوْ يَكُونُ فِي الْوَعِيدِ لِمَا وَقَعَتْ بِهِ الْمَعْصِيَةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الَّذِي يَتَعَاطَى الْمَعْصِيَةَ أَحَقُّ بِذَلِكَ ^{٨٥٧}.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ إِبْلِيسُ فَيَضَعُهَا عَلَى حَاجِبِهِ وَيَسْحَبُهَا وَهُوَ يَقُولُ يَا بُورَاهُ وَذَرَيْتُهُ خَلْفَهُ وَهُمْ يَقُولُونَ يَا بُورَهُمْ حَتَّى يَقِفَ عَلَى النَّارِ وَيَقُولُ يَا بُورَاهُ وَيَقُولُونَ يَا بُورَهُمْ فَيُقَالُ { لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ بُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا بُورًا كَثِيرًا } (١٤) سورة الفرقان » ^{٨٥٨}. الثبور: الهلاك

وقد وصف الله تعالى سراييل أهل النار في قوله تعالى: (وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ) { ابراهيم: ٤٩ - ٥٠ }.

قال ابن عباس- في قوله تعالى (قطران)-: هو النحاس المذاب. وقال الحسن: قطران الإبل، يعني: ————— يُطلى به الجمل الأجر، فيكون المعنى- على ذلك- أن قمصانهم (ملابسهم) من

^{٨٥٣} - صحيح مسلم (٧٣٤٩)

^{٨٥٤} - مسند أحمد (١٦٠١١) صحيح لغيره

^{٨٥٥} - صحيح البخاري (٥٧٨٧)

وَهَذَا الْإِطْلَاقُ مَحْمُولٌ عَلَى مَا وَرَدَ مِنْ قَيْدِ الْخِيَلَاءِ ، فَهُوَ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ الْوَعِيدُ بِالْإِتِّفَاقِ

^{٨٥٦} - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١١ / ص ١٩) (١٣٢٥٢) حسن

^{٨٥٧} - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٣٣١)

^{٨٥٨} - مسند أحمد (١٣٩٥٣) حسن

قطران تُطلى به جلودهم حتى يعود هذا الطلاء كالسراويل، وخصَّ القطران لسرعة اشتعال النار فيه، مع تنن رائحته ووحشة لونه^{٨٥٩}

أي: وفي ذلك اليوم الذي تبدَّل فيه السماوات والأرض، وتبرَّز الخلائق لله، ترى يومئذ يا محمد الذين أجزموا بكفرهم وبغيهم، مقرنين (مجموعين) بعضهم إلى بعض في القيود، فيجتمع النظراء في الكفر والإجرام، كل صنف مع صنفه .

وتكون ثيابهم التي يلبسونها من قطران (والقطران مادة سائلة تُطلى بها الإبل الجرباء، وهو الصق شيء بالنار)، وتلفح النار وجوههم .

وعن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ - قال: « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تُتَبَّ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ »^{٨٦٠}.

وعن أبي سلام، قال: قال أبو مالك الأشعري، إن رسول الله ﷺ قال: إن في أممي أربع من أمر الجاهلية ليسوا بتاركيهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالثجوم، والنيابة على الميت، فإن النائحة إذا لم تتب قبل أن تقوم، فإنها تقوم يوم القيامة عليها سراويل من قطران، ثم يغلي عليهن دروع من لهب النار^{٨٦١}

المبحث التاسع عشر

النار تتكلم وتبصر

قال تعالى: (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا (١٢) [الفرقان/ ١٢])
وإذا أصبحت جهنم منهم على مرأى النظر، وهم في المحشر، بعيدون عنها، سمعوا لها صوتاً يشبه صوت المغيظ المحنق، لشدة توقدها، ويشبه صوت الزفير الذي يخرج من فم الحزين المكروب المتحسر .

وقال ابن كثير: "عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبد الله - يعني: ابن مسعود - ومعنا الربيع بن خثيم فمروا على حداد، فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار، ونظر الربيع بن خثيم إليها فتمايل ليسقط، فمر عبد الله على أتون على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه

^{٨٥٩} - تفسير (فتح القدير) للشوكاني (١١٨/٣-١١٩)

^{٨٦٠} - صحيح مسلم (٢٢٠٣)

وفيه دليل على تحريم النياحة وهو مجمع عليه، وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف ولم يصل إلى الغرغرة. شرح النووي على

مسلم - (ج ٣ / ص ٣٤٧)

^{٨٦١} - المستدرک للحاکم (١٤١٣) صحيح

الآية: { إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا } فصعق - يعني: الربيع بن خثيم - فحملوه إلى أهل بيته ورابطه عبد الله إلى الظهر فلم يفق، رضي الله عنه. (صحيح موقوف)
وعن ابن عباس قال: إن العبد ليحجر إلى النار، فتشبهق إليه شهقة البغلة إلى الشعر، ثم تفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف.

وعن ابن عباس قال: إن الرجل ليحجر إلى النار، فتزوي وتنقبض بعضها إلى بعض، فيقول لها الرحمن: ما لك؟ قالت: إنه يستجير مني. فيقول: أرسلوا عبدي. وإن الرجل ليحجر إلى النار، فيقول: يا رب، ما كان هذا الظن بك؟ فيقول: فما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك. فيقول: أرسلوا عبدي، وإن الرجل ليحجر إلى النار، فتشبهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعر، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح !!.

وعن عبيد بن عمير في قوله: { سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا } قال: إن جهنم تزفر زفرة، لا يبقى ملك ولا نبي إلا خرّ ترعد فرائصه، حتى إن إبراهيم عليه السلام، ليحشو على ركبتيه ويقول: رب، لا أسألك اليوم إلا نفسي (صحيح مقطوع).^{٨٦٢}

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - « يَخْرُجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةِ بَكَلٍ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِكُلٍّ مِنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهَا آخَرَ وَبِالْمُصَوِّرِينَ »^{٨٦٣}. عنق من النار: طائفة منها
وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله - ﷺ -، قال: يَخْرُجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْقٌ مِنَ النَّارِ لَهَا لِسَانٌ تَتَكَلَّمُ، فَتَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةٍ: مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَا آخَرَ، وَبِكُلٍّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَلَمْ يُسَمِّ الثَّالِثَةَ، فَتَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَتَطْرَحُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ^{٨٦٤}

المبحث العشرون

تأثير النار على الدنيا وأهلها

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - « اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ »^{٨٦٥}.

^{٨٦٢} - انظر تفسير ابن كثير - (ج ٦ / ص ٩٦-٩٧)

^{٨٦٣} - سنن الترمذي (٢٧٧٥) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح.

^{٨٦٤} - مسند أبي يعلى الموصلي (١١٤٦) حسن لغيره

^{٨٦٥} - صحيح البخاري (٣٢٦٠) ومسلم (١٤٣٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « قَالَتِ النَّارُ رَبُّ أَكَلِ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لِي أَنْفَسُ. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ أَوْ حُرُورٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ ».^{٨٦٦}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلِ بَعْضِي بَعْضًا، فَنَفْسُنِي، فَجَعَلَ لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ نَفْسَيْنِ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَشِدَّةُ الْبَرْدِ الَّذِي تَجِدُونَ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا، وَشِدَّةُ الْحَرِّ الَّذِي تَجِدُونَ مِنْ حُرِّ جَهَنَّمَ.^{٨٦٧}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ».^{٨٦٨}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَبْرِدُوا بِالظُّهْرِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ».^{٨٦٩}

قَوْلُهُ (مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ) أَيُّ مِنْ سِعَةِ انْتِشَارِهَا وَتَنْفُسِهَا، وَمِنْهُ مَكَانٌ أَفِيحٌ أَيُّ مُتَّسِعٌ، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ اسْتِعَارِهَا، وَظَاهِرُهُ أَنَّ مَثَارَ وَهَجِ الْحَرِّ فِي الْأَرْضِ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ حَقِيقَةٌ، وَقِيلَ هُوَ مِنْ مَجَازِ التَّشْبِيهِ، أَيُّ كَأَنَّهُ نَارُ جَهَنَّمَ فِي الْحَرِّ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى^{٨٧٠}

وقال النووي: " قَالَ الْقَاضِي: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَاشْتَكَّتْ حَقِيقَةٌ، وَشِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ وَهَجِهَا وَفَيْحِهَا وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا إِدْرَاكًا وَتَمْيِيزًا بِحَيْثُ تَكَلَّمْتُ بِهِذَا. وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ، قَالَ: وَقِيلَ: لَيْسَ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ، بَلْ هُوَ عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ وَالِاسْتِعَارَةِ وَالتَّقْرِيبِ، وَتَقْدِيرُهُ: أَنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ يُشَبِّهُ نَارَ جَهَنَّمَ فَاحْذَرُوهُ وَاجْتَنِبُوا حُرُورَهُ. قَالَ: وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ .

قُلْتُ: وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ ؛ لِأَنَّهُ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، فَوَجَبَ الْحُكْمُ بِأَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِبْرَادَ إِنَّمَا يُشْرَعُ فِي الظُّهْرِ، وَلَا يُشْرَعُ فِي الْعَصْرِ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَّا أَشْهَبَ الْمَالِكِيِّ، وَلَا يُشْرَعُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ. وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: يُشْرَعُ فِيهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.^{٨٧١}

المبحث الواحد والعشرون

^{٨٦٦} - صحيح مسلم (١٤٣٤)

^{٨٦٧} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٠٧) (٧٤٦٦) صحيح

^{٨٦٨} - صحيح البخاري (٥٣٦)

^{٨٦٩} - صحيح البخاري (٥٣٨) وهو متواتر

^{٨٧٠} - فتح الباري لابن حجر - (ج ٢ / ص ٣٠٤)

^{٨٧١} - شرح النووي على مسلم - (ج ٢ / ص ٤٠٦)

هل ترى النار قبل يوم القيامة؟

الذي نعلمه أن رسول الله ﷺ قد رأى النار كما رأى الجنة في حياته، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عباس قال انخسفت الشمس على عهد رسول الله - ﷺ -، فصلى رسول الله - ﷺ -، فقام قياماً طويلاً نحواً من قراءة سورة البقرة، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع فقام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم قام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فقام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم انصرف وقد تجلت الشمس، فقال - ﷺ - « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادكروا الله ». قالوا يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كعكعت. قال - ﷺ - « إني رأيت الجنة، فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلت من منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار، فلم أرَ منظراً كالיום قط أفطع، ورأيت أكثر أهلها النساء ». قالوا بسم يا رسول الله قال « بكفرن ». قيل يكفرن بالله قال « يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيته منك خيراً قط »^{٨٧٢}. - تكعكت: تأخرت

وعن ابن عباس أنه قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ، والناس معه، فقام قياماً طويلاً نحواً من سورة البقرة، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع، فقام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم قام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع، فقام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم انصرف وقد تجلت الشمس، فقال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فادكروا الله. فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكت، قال: إني رأيت الجنة - أو أريت الجنة -، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلت من منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أرَ كالיום منظراً قط، ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا: بسم يا رسول الله؟ قال: بكفرن قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً قالت: والله ما رأيته منك خيراً قط.^{٨٧٣}

وعن أسماء بنت أبي بكر أن النبي - ﷺ - صلى صلاة الكسوف، فطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع، ثم سجد فأطال السجود، ثم رفع، ثم

^{٨٧٢} - صحيح البخاري (١٠٥٢) ومسلم (٢١٤٧)

^{٨٧٣} - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٧٢) (٢٨٣٢) صحيح

سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ « قَدْ دَنَتْ مِنِّي الْجَنَّةُ حَتَّى لَوْ اجْتَرَأْتُ عَلَيْهَا لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا، وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّى قُلْتُ أَيْ رَبِّ وَأَنَا مَعَهُمْ فَإِذَا امْرَأَةٌ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ قُلْتُ مَا شَأْنُ هَذِهِ قَالُوا حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، لَا أَطْعَمَتْهَا، وَلَا أَرَسَلَتْهَا تَأْكُلُ ». قَالَ نَافِعٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ « مِنْ خَشْيَشٍ أَوْ خَشَاشِ الْأَرْضِ »^{٨٧٤}. الخشاش: هوام الأرض وحشراتهما واحده خَشَاشَةٌ

وَعَنْ عَامِرٍ، قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ ضُحُوَّةً، حَتَّى اشْتَدَّتْ ظِلْمَتُهَا، فَقَامَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَقَامَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ سُورَةَ مِنَ الْمَثَانِي، ثُمَّ رَكَعَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَكَعَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَامَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ رَكَعَ الثَّانِيَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ الشَّمْسَ تَجَلَّتْ، فَسَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ سُورَةَ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ كَسَفَتْ يَوْمَ تُوْفِّي إِبْرَاهِيمَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا هُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا انْكَسَفَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَافْرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ، ثُمَّ نَزَلَ فَحَدَّثَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي الصَّلَاةِ، فَجَعَلَ يَنْفُخُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ إِنَّهُ مَدَّ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: إِنَّ النَّارَ أُدْنِيَتْ مِنِّي حَتَّى نَفَخْتُ حَرَّهَا عَنْ وَجْهِ، فَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْنِ، وَالَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ، وَصَاحِبَةَ حَمِيرٍ صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ.^{٨٧٥}

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ، فَذَكَرَ أَنَّ فِيهَا أُمُورًا عَظِيمًا ثُمَّ قَالَ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا ». فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْبُكَاءِ، وَأَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ « سَلُونِي ». فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ فَقَالَ مَنْ أَبِي قَالَ « أَبُوكَ حُدَافَةُ ». ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ « سَلُونِي ». فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ « عُرِضَتْ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَنْفَاءٌ فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ »^{٨٧٦}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يُصَلِّي حَتَّى لَمْ يَكُذْ أَنْ يَرْكَعَ، ثُمَّ رَكَعَ حَتَّى لَمْ يَكُذْ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَجَعَلَ يَنْصَرَعُ، وَيَبْكِي، وَيَقُولُ: رَبِّ أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ، وَأَنَا فِيهِمْ، أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ إِنَّ الشَّمْسَ

^{٨٧٤} - صحيح البخارى (٧٤٥)

^{٨٧٥} - مسند أحمد (١٨٦٣٢) والمسند الجامع - (ج ١٥ / ص ٦١٧) (١١٧٥٠) صحيح لغيره

^{٨٧٦} - صحيح البخارى (٥٤٠) وصحيح مسلم (٦٢٦٨)

وَالْقَمَرَ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا انْكَسَفَا، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ عُرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ حَتَّى لَوْ شِئْتُ لَتَعَاطَيْتُ قِطْفًا مِنْ قُطُوفِهَا، وَعُرِضْتُ عَلَى النَّارِ، حَتَّى جَعَلْتُ أَتَقِيهَا حَتَّى خَشِيتُ أَنْ تَعْشَاكُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ، رَبِّ أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَرَأَيْتُ فِيهَا الْحَمِيرَةَ السَّودَاءَ صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ كَانَتْ حَبَسَتْهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا، وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، فَرَأَيْتُهَا كُلَّمَا أَذْبَرَتْ نُهِشَتْ فِي النَّارِ، وَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ بَدَنَتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَخَا دَعْدَعٍ، يُدْفَعُ فِي النَّارِ بِقَضِييْنِ ذِي شُعْبَتَيْنِ، وَرَأَيْتُ صَاحِبَ الْمِحْجَنِ، فَرَأَيْتُهُ فِي النَّارِ عَلَى مِحْجَنِهِ مُتَوَكِّئًا.^{٨٧٧}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُسِفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى جَعَلُوا يَخِرُّونَ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَكَانَتْ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعُ سَجَدَاتٍ، وَجَعَلَ يَتَقَدَّمُ وَيَتَأَخَّرُ يَتَأَخَّرُ فِي صَلَاتِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ عُرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَقَرَّبَ مِنِّي الْجَنَّةُ حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا مَا قَصَرْتُ يَدِي عَنْهُ، أَوْ قَالَ: نَلْتُهُ، شَكَّ هِشَامٌ، وَعُرِضْتُ عَلَى النَّارِ فَجَعَلْتُ أَتَأَخَّرُ رَهْبَةً أَنْ تَعْشَاكُمْ، وَرَأَيْتُ امْرَأَةً حَمِيرِيَّةَ سَوْدَاءَ طَوِيلَةَ تُعَذِّبُ فِي هَرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَبَا ثُمَامَةَ، وَقَالَ وَهْبٌ: أَبَا أُمَامَةَ، عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ يَحْرُقُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَأَنْتُمْ كَأَنْتُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا تَنْكَسِفَانِ، قَالَ وَهْبٌ: تُخْسِفَانِ، إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُرِيكُمُوهَا اللَّهُ، فَإِذَا انْكَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ.^{٨٧٨}

وقد رآها ابن عمر رضي الله عنهما، فعن ابن عمر قال: إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ فيقصونها على رسول الله ﷺ فيقول فيها رسول الله ﷺ ما شاء الله، وأنا غلام حديث السنن وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء. فلما اضطرحت ليلة قلت اللهم إن كنت تعلم في خير فأرني رؤيا. فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد، يُقبِلَا بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله اللهم أعوذ بك من جهنم. ثم أراني لقيني ملك في يده مقمعة من حديد فقال كن ثراعا، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة. فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم فإذا هي مطوية كطوى البئر، له قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وأرى فيها رجلاً معلقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجلاً من قريش، فأنصرفوا بي عن ذات اليمين فقصصتها

^{٨٧٧} - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٧٩) (٢٨٣٨) حسن

^{٨٧٨} - مسند أبي عوانة (١٩٦٥) صحيح

عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ. قَالَ نَافِعٌ لَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ. ^{٨٧٩}

وبعد أن يموت العباد تعرض عليهم في البرزخ مقاعدهم في الجنة إن كانوا مؤمنين، ومقاعدهم في النار إن كانوا كافرين، فعن أنس - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ - قَالَ « الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٌ - ﷺ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيَقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ لَا أَدْرَى، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيَقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصْبِحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ » ^{٨٨٠}

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ. فَيُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، فَيَقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ، وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أَذْنِيتَ لِلْغُرُوبِ، فَيَقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَصْلِيَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبَرَنِي عَمَّا تَسْأَلُكَ عَنْهُ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيَّتْ وَعَلَى ذَلِكَ مِتْ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ، فَتَجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى {يُثَبَّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ، فَلَا يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ، فَلَا يُوجَدْ شَيْءٌ، فَيَقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيَقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيَقَالُ: الَّذِي

^{٨٧٩} - صحيح البخارى (٧٠٢٨) وانظر الروايات في المسند الجامع - (ج ١٠ / ص ١٣٢٣) (٨٢١٥)

^{٨٨٠} - صحيح البخارى (١٣٣٨) وصحيح مسلم (٧٣٩٥)

كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالَ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتْ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالَ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَتُبُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالَ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَتُبُورًا، ثُمَّ يُصَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، فَتَلِكِ الْمَعِيشَةُ الضَّنَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه].^{٨٨١}.

المبحث الثاني والعشرون

فراش أهل النار، وغطاؤهم

قال تعالى: (لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) {الأعراف: ٤١}. وَلَهُمْ مِنْ نَّارٍ جَهَنَّمَ فُورَشٌ مِنْ تَحْتِهِمْ (مِهَادٌ)، وَلَهُمْ مِنْهَا أَغْطِيَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ تُغَطِّيهِمْ (غَوَاشٍ). وَيُمَثِّلُ هَذَا الْجَزَاءُ يَجْزِي اللَّهُ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ، الْمُضِلِّينَ لِلنَّاسِ .

ومقصود الآية: أنهم يفترون النار، ويلتحفون بالحفة من النار، والعياذ بالله.

وقال تعالى: (لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) {الزمر: ١٦}. يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ هَؤُلَاءِ الْخَاسِرِينَ وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِيهَا، وَمِنْ فَوْقِهِمْ طَبَقَاتٌ مُّتْرَاكِمَةٌ مِنَ النَّارِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَكَأَنَّهَا الظُّلُلُ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ طَبَقَاتٌ مِثْلُهَا، فَتَعْمُرُهُمُ النَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْصُ عَلَى النَّاسِ مَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُخَوِّفَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَيَزِدَّجَرَ الْعُقَلَاءَ عَنِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَيَعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا رَبَّكُمْ تَعَالَى، وَبَالِغُوا فِي الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ، وَلَا تَرْتَكِبُوا مَا يُسْخِطُ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ .

وحتى لا يتوهم أحدٌ أن هذه الظلل المذكورة تقي من الحر والعذاب قال (ظلل من النار) فهي ظللٌ مُحْرِقَةٌ، كما في قوله تعالى: (انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ* لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ) {المرسلات: ٣٠-٣١}.

انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ دُخَانِ نَارِ جَهَنَّمَ الْمُتَشَعَّبِ إِلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ: شُعْبَةٌ عَنْ يَمِينِهِمْ، وَشُعْبَةٌ عَنْ شِمَالِهِمْ، وَشُعْبَةٌ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ. وَهَذَا الظِّلُّ لَيْسَ بِظَلِيلٍ، أَيْ إِنَّهُ لَا يُعْطِي ظِلًّا يَبْقَى مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ حَرَّ لَهَبِ جَهَنَّمَ، الَّذِي هُمْ مُقِيمُونَ فِيهِ. وَنَارُ جَهَنَّمَ، الَّتِي تُحْدِثُ هَذَا الظِّلَّ مِنْ

^{٨٨١} - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٣٨٠) (٣١١٣) صحيح

الدُّخَانُ، يَتَطَايَرُ مِنْهَا شَرٌّ مُتَفَرِّقٌ فِي جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَأَنَّهُ الْقَصْرُ عَظْمًا وَارْتِفَاعًا. وَكَأَنَّهُ الْجَمَالُ الصُّفْرُ لَوْنًا وَكَثْرَةً. (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ مَعْنَى (جَمَالَةً صُفْرٌ) هُوَ حَبَالُ السُّفْنِ الْغَلِيظَةِ) .

المبحث الثالث والعشرون

في عظم أهل النار وقبحهم فيها

يدخل أهل الجحيم النار على صورة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَا بَيْنَ مَنْكِبِي الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ »^{٨٨٢}.

المنكب مجتمع رأس الكتف والعضد

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أَحَدٍ وَفَحْدُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثِ مِثْلِ الرَّبْدَةِ »^{٨٨٣}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ وَغِلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثِ »^{٨٨٤}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ غِلْظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أَحَدٍ وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ »^{٨٨٥}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: غِلْظُ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ، وَضِرْسُهُ مِثْلُ أَحَدٍ.^{٨٨٦} - الْجَبَّارُ مَلَكٌ بِالْيَمَنِ، يُقَالُ لَهُ: الْجَبَّارُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : " ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أَحَدٍ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مِثْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبْدَةِ " ^{٨٨٧}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " أَهْلُ النَّارِ مُكَبَّلُونَ بِأَصْفَادِ النَّارِ، مُعَلَّقُونَ بِشَجَرٍ فِي النَّارِ، مُنْكَسُونَ الْحَمِيمُ مِنْ أَسْفَلِهِمْ فِي بُطُونِهِمْ، وَيَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَعُيُونُهُمْ، وَإِنَّ جُلُودَهُمْ لَتَقَطَّرُ بِضَهَارَةِ الْحَمِيمِ، خَالِدِينَ فِيهَا، لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا أَخْرَجَ

^{٨٨٢} - صحيح البخارى (٦٥٥١) وصحيح مسلم (٧٣٦٥)

^{٨٨٣} - سنن الترمذى (٢٧٧٩) حسن

^{٨٨٤} - صحيح مسلم (٧٣٦٤)

^{٨٨٥} - سنن الترمذى (٢٧٧٨) صحيح

^{٨٨٦} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٣١) (٧٤٨٦) صحيح

^{٨٨٧} - مسند أحمد (٨٥٦٧) صحيح

مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِلَى الدُّنْيَا، لَمَاتَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ وَحْشَةٍ مَنَظَرِهِ وَنَتْنِ رِيحِهِ " ثُمَّ بَكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو
بُكَاءً شَدِيدًا ٨٨٨

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْكَافِرَ لَيُسْحَبُ لِسَانُهُ الْفَرَسَخَ وَالْفَرَسَخَيْنِ يَتَوَطَّؤُهُ
النَّاسُ. ٨٨٩

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ الْكَافِرَ لَيَجْرُ لِسَانُهُ فِي سَجِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَوَطَّؤُهُ
النَّاسُ ٨٩٠

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: " يُعْظَمُ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، حَتَّى إِنْ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنٍ أَحَدِهِمْ
إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ، وَإِنَّ عِظَمَ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ جِلْدَهُ مِثْلُ أُحُدٍ " ٨٩١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ، قَالَ: يُدْعَى أَحَدُهُمْ فَيُعْطَى
كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ، وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا، قَالَ: وَيَبْيَضُ وَجْهُهُ، وَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ لَوْلُؤٍ
يَتَلَأَلُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعِيدٍ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ائْتِنَا بِهِ وَبَارِكْ لَنَا فِي هَذَا حَتَّى
يَأْتِيَهُمْ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُوا، إِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَسْوَدُ وَجْهُهُ، وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ
سِتُونَ ذِرَاعًا، عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَيَرَاهُ أَصْحَابُهُ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا، اللَّهُمَّ لَا تَأْتِنَا
بِهِ، قَالَ: فَيَأْتِيَهُمْ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَخْرَهُ، قَالَ: فَيَقُولُ أَبْعَدْكُمْ اللَّهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا ٨٩٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « مَقْعَدُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَكُلُّ
ضِرْسٍ مِثْلُ أُحُدٍ وَفَخْدُهُ مِثْلُ وَرْقَانٍ وَجِلْدُهُ سِوَى لَحْمِهِ وَعِظَامِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا. » ٨٩٣.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتَدْرِي مَا سَعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَجَلُ وَاللَّهِ مَا تَدْرِي أَنْ بَيْنَ
شَحْمَةِ أُذُنٍ أَحَدِهِمْ، وَبَيْنَ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا أَوْ دِيَّةَ الْقَيْحِ وَالْدَّمِ، قُلْتُ لَهُ: أَنْهَارٌ؟ قَالَ: لَا، بَلْ
أَوْدِيَّةٌ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مَا سَعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَجَلُ وَاللَّهِ مَا تَدْرِي، حَدَّثَنِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا، أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، قُلْتُ: فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ٨٩٤.

٨٨٨ - صِفَةُ النَّارِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (١٢٣) حسن

٨٨٩ - سنن الترمذی (٢٧٨١) ضعيف

٨٩٠ - الْبَعْثُ وَالتَّشْوِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ (٥٥٣) فيه ضعف

٨٩١ - مسند أحمد (٤٩٠٤) فيه ضعف

٨٩٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٤٦) (٧٣٤٩) والمستدرک للحاکم (٢٩٥٥) حسن

٨٩٣ - مسند أحمد (١١٥٣٦) حسن

٨٩٤ - المستدرک للحاکم (٣٦٣٠) حسن

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَهُمْ فِيهَا كَالْحُونَ، قَالَ: تَشْوِيهِ النَّارِ، فَتَقْلَصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا، حَتَّى تَبْلُغَ رَأْسَهُ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتَهُ السُّفْلَى حَتَّى تَبْلُغَ سُرَّتَهُ " ٨٩٥.

وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ أَقِيْشٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ، حَتَّى يَكُونَ أَحَدُ زَوَايَاهَا، وَإِنْ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ مُضَرَ. ٨٩٦

وَعَنْ أَبِي غَسَّانَ الصَّبِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ أَمْشِي مَعَ أَبِي بَطْهَرِ الْحَرَّةِ، فَلَقِينِي أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَبِي. قَالَ: لَا تَمْشِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَكِنْ أَمْشِ خَلْفَهُ أَوْ إِلَى جَانِبِهِ، وَلَا تَدْعُ أَحَدًا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلَا تَمْشِ فَوْقَ إِجَارِ أَبُوكَ تَحْتَهُ، وَلَا تَأْكُلْ مَا قَدْ نَظَرَ أَبُوكَ إِلَيْهِ لَعَلَّهُ قَدْ اشْتَهَاهُ. ثُمَّ قَالَ: أَتَعْرِفُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَدَاشٍ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: " فَخَذَهُ فِي جَهَنَّمَ مِثْلُ أُحُدٍ، وَضَرَسُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " كَانَ عَاقًا لَوَالِدَيْهِ " ٨٩٧.

بظهر البلدة أو المكان: على أطرافه - الإجار: السطح الذي ليس حواليه ما يرد الساقط عنه - العقوق: الاستخفاف بالوالدين وعصيانهما وترك الإحسان إليهما

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ حِيَانَ التَّيْمِيِّ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُسَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، وَعُمَرُ بْنُ مُسْلَمٍ، إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، وَحَدَّثَنَاهُ زَيْدٌ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَيَعْظُمُ لِلنَّارِ، حَتَّى يَكُونَ الضَّرْسُ مِنْ أَضْرَاسِهِ كَأُحُدٍ. ٨٩٨

وهذا التعظيم لجسد الكافر ليزداد عذابه وآلامه، يقول النووي في شرح مسلم في هذا الباب: "هَذَا كُلُّهُ لِكَوْنِهِ أَبْلَغُ فِي إِيْلَامِهِ، وَكُلُّ هَذَا مَقْدُورٌ لِلَّهِ تَعَالَى يَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِ لِإِخْبَارِ الصَّادِقِ بِهِ" ٨٩٩ وقال ابن كثير: " يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله، فقال: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا [سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا] } الآية، أي ندخلهم نارا دخولا يحيط بجميع أجزائهم، وأجزاءهم. ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم، فقال: { كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ } قال [الأعمش، عن ابن عمر] إذا أحرقت جلودهم بدلوا جلودًا بيضا أمثال القراطيس. رواه ابن أبي حاتم.

وقال يحيى بن يزيد الحضرمي إنه بلغه في قول الله: { كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ } قال: يجعل للكافر مائة جلد، بين كل جلدتين لون من العذاب. رواه ابن أبي حاتم.

٨٩٥ - المستدرک للحاکم (٢٩٧١) حسن

٨٩٦ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٦٢) (٣٥٢٨٧) فيه جهالة

٨٩٧ - المعجم الأوسط للطبراني (٧٠٤٩) فيه ضعف

٨٩٨ - غاية المقصد في زوائد المسند (٥١٠٥) صحيح - وهو مرفوع، ولكن زيادا لم يصرح برفعه

٨٩٩ - شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ٢٣٢)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن هشام، عن الحسن قوله: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ [بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا] } الآية. قال: تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة. قال حسين: وزاد فيه فضيل عن هشام عن الحسن: كلما أنضجتهم فأكلت لحومهم قيل لهم: عودوا فعادوا. (صحيح مقطوع) ٩٠٠

المبحث الرابع والعشرون

أصناف أخرى من العذاب

يوجد للمعذبين في النار أصناف متعددة من العذاب -غير ما ذكرنا- ومنها:

*تبديل جلودهم كلما نضجت.

إن نار الجبار سبحانه وتعالى تحرق جلود أهل النار، والجلد موضع الإحساس بألم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبدل لهم جلودا أخرى غير تلك التي احترقت، لتحترق من جديد، وهكذا دواليك قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) {النساء: ٥٦}. يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى: بِأَنَّهُ سَيُعَاقِبُ الْكَافِرِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرِئُوسِهِ، بِإِحْرَاقِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَكُلَّمَا احْتَرَقَتْ جُلُودُهُمْ أَبَدَلَهُمْ غَيْرَهَا لِيَسْتَمِرُّوا فِي تَحَسُّسِ الْعَذَابِ وَالْأَمَةِ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ لَا يَتَّخِذُ أَحَدٌ، حَكِيمٌ فِي تَصَرُّفِهِ، يَعْرِفُ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْعُقُوبَةِ فَيُعَاقِبُهُ، وَمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلثَّوَابِ فَيُثِيبُهُ . قال الحسن: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا، فيعودون كما كانوا. ٩٠١

* يضربون بمطارق من حديد، فتفتت أبدانهم، ثم يعودون

قال تعالى: (وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ) {الحج: ٢١}. وَيُضْرَبُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِالسَّيَاطِ وَالْمَطَارِقِ (مَقَامِعُ) مِنَ الْحَدِيدِ الْمُحْمَى فَتَتَنَثَّرُ أَعْضَاؤُهُمْ .

* تقييدهم بالقيود والأغلال، وسحبهم على وجوههم.

أعد الله لأهل النار سلاسل وأغلالا وقيودا ومطارق، قال تعالى: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) [الإنسان/٤]) ،

٩٠٠ - تفسير ابن كثير - (ج ٢ / ص ٣٣٧)

٩٠١ - البعث والنشور للبيهقي (٥٦٤) والزهد لأسد بن موسى (٣٧) صحيح مقطوع

إِنَّا أَعَدَدْنَا وَهَيَّأْنَا لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَتِنَا، وَخَالَفَ أَمْرَنَا، سِلَاسِلَ يُقَادُ بِهَا إِلَى الْجَحِيمِ، وَأَغْلَالًا تُشَدُّ بِهَا أَيْدِيهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَنَارًا يُعَذَّبُ فِيهَا .

وقال تعالى: (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) [المزمل/١٢-١٤])،

إِنَّ لَدَيْنَا لَهُؤُلَاءِ الْكُفْرَةَ الْمُكَذِّبِينَ فِي الْآخِرَةِ فَيُودًا ثَقِيلَةً تُوضَعُ فِي أَرْجُلِهِمْ كَمَا يُفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ، إِذْ لَا لَهُمْ، وَلَهُمْ نَارٌ مُسْتَعْرَةً يَصْلَوْنَهَا .

وَلَهُؤُلَاءِ الْكُفْرَةَ الْمُكَذِّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ أَيْضًا طَعَامٌ لَا يَسْتَسَاغُ كَالزُّقُومِ وَالضَّرِيعِ.. وَلَهُمْ أَلْوَانٌ أُخْرَى مِنَ الْعَذَابِ الْمُؤْلَمِ .

والأغلال توضع في الأعناق قال تعالى: (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) [سبأ/٣٣])،

ثُمَّ تُوضَعُ الْأَغْلَالُ وَسِلَاسِلُ الْحَدِيدِ فِي أَعْنَاقِ هَؤُلَاءِ، وَهُمْ فِي النَّارِ . وَالْعَذَابُ الَّذِي يَلْقَوْنَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِذْ مَا هُوَ الْجَزَاءُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى مَا اجْتَرَحُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِثْمِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا .

وقال تعالى: (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ* فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) {غافر: ٧١-٧٢} .

إِذْ تُجْعَلُ الْأَغْلَالُ وَالسَّلَاسِلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَيُسْحَبُونَ بِهَا يُسْحَبُونَ - يُجْرُونَ. وَيُسْحَبُونَ بِالسَّلَاسِلِ فِي النَّارِ، وَالْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، ثُمَّ تُمَلَأُ بِهِمُ النَّارُ لِيَكُونُوا وَقُودًا لَهَا .

والأنكال: القيود، سميت أنكالا لأن الله يعذبهم وينكل بهم بها، (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) [المزمل/١٢]) .

والسلاسل نوع آخر من ألوان العذاب التي يقيد بها المجرمون كما يقيد المجرمون في الدنيا، وانظر إلى هذه الصورة في كتاب الله (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) [الحاقة/٣٠-٣٢]) .

وأعد الله لهؤلاء مقام من حديد وهي المطارق التي تهوي على المجرمين وهم يحاولون الخروج من النار، فإذا بها تطيح بهم مرة أخرى إلى سواء الجحيم قال تعالى: (وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) [الحج/٢١، ٢٢])

***الصهر :**

من ألوان العذاب صب الحميم فوق رؤوسهم، والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم قال تعالى: (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) [الحج/١٩-٢١]) ،

فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جعلت لهم من نار يَلْبَسُونَهَا، فتشوي أجسادهم، ويصبُّ على رؤوسهم الماء المتناهي في حره، ويترل إلى أجوافهم فيذيب ما فيها، حتى ينفذ إلى جلودهم فيشويها فتسقط، وتضرهم الملائكة على رؤوسهم بمطارق من حديد. كلما حاولوا الخروج من النار - لشدة غمهم وكرهم - أعيدوا للعذاب فيها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، وتلا قول الله عز وجل: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَيَنْفَذُ الْجُمُجُمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلُتْ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يُمِزَّقَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ ٩٠٢

*اللفح :

أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن ضرب الوجه، ومن إهانة الله لأهل النار، أنهم يحشرون يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما، قال تعالى: (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) [الإسراء/٩٧]) يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يَحْشُرُ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، عُمِيَآ لَا يُبْصِرُونَ، وَبُكْمًا لَا يَنْطِقُونَ، وَصُمًّا لَا يَسْمَعُونَ. وَذَلِكَ جزاء لهم لما كانوا عليه في الدنيا من العمى والصمم والبكم، لَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ الَّتِي يُعَذِّبُونَ فِيهَا كُلَّمَا سَكَّتْ وَخَفَّ لَهْيُهَا (خَبَتْ)، زَادَ اللَّهُ فِي تَأْجُجِهَا وَسَعِيرِهَا عَلَيْهِمْ، لِيَزِدَّ آلَمُهُمْ وَعَذَابُهُمْ . ويلقون في النار على وجوههم، قال تعالى: (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَوُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠) [النمل/٩٠])

وَمَنْ جَاءَ رَبَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَدْ أَشْرَكَ بِهِ وَعَصَاهُ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَهُوَ لَا يَكُفُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيُتْرَلُ بِهِمْ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ. (أَوْ يُقَالُ لَهُمْ: هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يَسْخَطُ رَبَّكُمْ؟) .

ثم إن النار تلفح وجوههم وتغشاها أبدا لا يجدون حائلا يحول بينهم وبينها، قال تعالى: (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩) [الأنبياء/٣٩])

لَوْ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ مَاذَا أَعَدَّ لَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَا يَكُونُ عَلَيْهِ حَالُهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ، وَلَمَّا أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَلَمَّا اسْتَعْجَلُوا لَأَنْفُسِهِمُ التَّكَالَ وَالْوَبَالَ، فَنَارُ جَهَنَّمَ سَّحِيطٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ، وَتَكْوِي ظُهُورَهُمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا، وَلَا دَفْعَهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ نَاصِرًا لَهُمْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

وقال تعالى: (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) [المؤمنون/١٠٤])
تَلْفَحُ النَّارُ وُجُوهَهُمْ فَتَشْوِيهَا، وَتَقْلَسُ شِفَاهَهُمْ، وَتَتَغَيَّرُ مَلَامِحُهُمْ .

وقال تعالى: (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَعْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) [إبراهيم/٥٠])
وَتَكُونُ ثِيَابُهُمُ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا مِنْ قَطَرَانٍ (وَالْقَطَرَانُ مَادَّةٌ سَائِلَةٌ تُطْلَى بِهَا الْإِبِلُ الْجَرَبَاءُ، وَهُوَ الصَّقُّ شَيْءٌ بِالنَّارِ)، وَتَلْفَحُ النَّارُ وُجُوهَهُمْ .

وقال تعالى: (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) [الزمر/٢٤])

لَا يَسْتَوِي الْمُجْرِمُونَ وَالْمُتَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالْمُجْرِمُونَ الْكَافِرُونَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَيْدِيهِمْ مَغْلُولَةٌ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْفَعُوا بِهَا سُوءَ الْعَذَابِ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُضْطَرُّونَ إِلَى تَلْقَى الْعَذَابِ بِوُجُوهِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ تَبَكُّيتًا وَتَقْرِيعًا: ذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ جَزَاءَ لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَإِحْرَامِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى اتِّقَاءِ مَحْظُورٍ مَخُوفٍ .
وقال تعالى: (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) [الأحزاب/٦٦])

يوم تُقَلَّبُ وُجُوهُ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ نَادِمِينَ مَتَحِيرِينَ: يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا رَسُولَهُ فِي الدُّنْيَا، فَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

أَرَأَيْتَ كَيْفَ يَقْلَبُ اللَّحْمَ عَلَى النَّارِ، وَالسَّمَكُ فِي الْمَقْلَى، كَذَلِكَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ

*** السحب :**

ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار على وجوههم في النار، قال تعالى: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) [القمر/٤٧-٤٨])،
إِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَفِي ضَلَالٍ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ، وَلَفِي عِمَايَةٍ عَنِ الْهُدَى فِي الدُّنْيَا، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ الْعَذَابُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ الْمُسْتَعْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ، وَيُجْرُونَ فِيهَا عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ تَقْرِيعًا وَتَوْيِيخًا: ذُوقُوا حَرَّ نَارٍ جَهَنَّمَ وَآلَمَهَا جَزَاءَ لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ رُسُلَ رَبِّكُمْ وَحَدِّثِكُمْ بِآيَاتِهِ .

ويزيد من آلامهم حال سحبهم في النار أنهم مقيدون بالقيود والأغلال والسلاسل، قال تعالى: (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) [الرعد/٥])

وإن تعجب من عبادة هؤلاء المشركين ما لا يضروا ولا ينفع من الأصنام والأوثان، بعد أن قامت الحجة والأدلة على وجود الخالق، ووحدانيته، وعظمته، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث والنشور، واستبعادهم وقوعه، وقولهم: أبعد أن نموت، وتصبح عظامنا رفاتاً وتراباً، هل سيعيدنا الله إلى الحياة مرة أخرى، ويخلقنا خلقاً جديداً؟ مع أنهم يعلمون أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وأن خلق الكون العظيم أصعب من خلق الإنسان. فهؤلاء الذين يقولون هذا القول إنكاراً للبعث والمعاد، هم الذين كفروا بربهم، وأولئك هم أصحاب النار يسحبون فيها على وجوههم، والسلاسل والأغلال في أعناقهم، ويقيمون في النار خالدين أبداً .

وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) [غافر/٦٩-٧٢])

ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله، والذين يجادلون في الحق بالباطل، كيف تُصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلالة؟

وهؤلاء المبطلون الذين يجادلون في الحق بالباطل هم الذين كذبوا بالقرآن، وبجميع ما أرسلنا به رسلنا من إخلاص العبادة لله، وسوف يعلمون ما يكون عليه مصيرهم في الآخرة. إذ تُجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم ويسحبون بها يسحبون - يجرون. ويسحبون بالسلاسل في النار، والأغلال في أعناقهم، ثم ثملأ بهم النار ليكُونُوا وقوداً لها .

* تسويد الوجوه :

يسود الله في الدار الآخرة وجوه أهل النار، قال تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) [آل عمران/١٠٦])

وفي يوم القيامة تبيض وجوه المؤمنين، ويسرون لما يعملونه من حسن العاقبة. وتسود وجوه أهل الكفر والضلالة والاختلاف، لما يروونه من سوء العاقبة، وما يحل بها من النكال والوبال. ويسأل الذين اسودت وجوههم يوم القيامة من أهل النفاق والاختلاف، ويقال لهم: أكفرتم بالله، وخالفتم ما أمركم به من الاعتصام بحبل الله، وبالوفاق واتحاد الكلمة؟ فذوقوا العذاب الذي تستحقونه بسبب كفركم . وهو سواد شديد، كأنما حلت ظلمة الليل في وجوههم، قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) [يونس/٢٧])

أما المحرمون الذين كسبوا السيئات في الحياة الدنيا، وكفروا بربهم، فإنه تعالى سيجزيهم على السيئة بمثلها من عقاب في الآخرة، دون زيادة أو مضاعفة، وتعتريهم (ترهقهم) ذلة من معاصيهم، ويعلوهم

الْخَوْفُ مِنْهَا، وَلَنْ يَجِدُوا، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، مَنْ يَعَصِمُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَتُصْبِحُ وُجُوهُهُمْ سُودًا مِنْ الْغَمِّ وَالْكَآبَةِ، كَأَنَّمَا عَلَتْهَا قِطْعٌ مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ الْحَالِكِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ يَدْخُلُونَهَا وَيَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَدًا .

* إحاطة النار بالكفار :

أهل النار هم الكفار الذين أحاطت بهم ذنوبهم ومعاصيهم فلم تبق لهم حسنة، كما قال تعالى في الرد على اليهود الذين قالوا: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة: (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) [البقرة/٨١])

وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْيَهُودِ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَمَنِّيْتُمْ، وَلَا كَمَا تَشْتَهُونَ، بَلِ الْأَمْرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَضَى بِأَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً، وَأَتَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ أَثْقَلَتْهُ خَطَايَاهُ وَأَنَامُهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَا أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، وَلَمْ يَتُبْ مِنْ خَطَايَاهُ إِلَى اللَّهِ، فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَبْقَى فِيهَا خَالِدًا .

ولا يكون المرء كذلك إلا إذا كان كافرا مشركا، يقول صديق خان: (المراد بالسيئة هنا الجنس، ولا بد أن يكون سببها محيطا به من جميع جوانبه، فلا تبقى له حسنة، وسدت عليه مسالك النجاة، والخلود في النار هو للكفار المشركين، فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك، وبهذا يبتل تشبث المعتزلة والخوارج لما ثبت في السنة متواترا من خروج عصاة الموحدين من النار) .

ولما كانت الخطايا والذنوب تحيط بالكافر من كل جهه، كما قال تعالى: (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) [الأعراف/٤١])

وَلَهُمْ مِنْ نَارٍ جَهَنَّمَ فُرُشٌ مِنْ تَحْتِهِمْ (مِهَادٌ)، وَلَهُمْ مِنْهَا أَغْطِيَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ تُعْطِيهِمْ (غَوَاشٍ) . وَبِمَثَلِ هَذَا الْجَزَاءِ يَجْزِي اللَّهُ الظَّالِمِينَ لِأَنفُسِهِمْ، الْمُضِلِّينَ لِلنَّاسِ .

والمراد أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، كما قال تعالى: (يَوْمَ يَعَشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) [العنكبوت/٥٥])

وفي يومِ الْقِيَامَةِ يَعَشَاهُمْ الْعَذَابُ، وَيُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ: مِنْ فَوْقِهِمْ، وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، وَعَنْ مِيَامِنِهِمْ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ، وَيَقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ: ذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِي أَوْصَلَكُمْ إِلَيْهِ سُوءُ عَمَلِكُمْ وقال في موضع آخر: (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُوا (١٦) [الزمر/١٦])

يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ هَؤُلَاءِ الْخَاسِرِينَ وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِيهَا، وَمِنْ فَوْقِهِمْ طَبَقَاتٌ مُتْرَاكِمَةٌ مِنَ النَّارِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَكَأَنَّهَا الظُّلُمُ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ طَبَقَاتٌ مِثْلُهَا، فَتَعْمُرُهُمُ النَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْصُ عَلَى النَّاسِ مَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُخَوِّفَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَيَزْدَجِرَ الْعُقَلَاءُ عَنِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَيَعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا رَبَّكُمْ تَعَالَى، وَبَالَغُوا فِي الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ، وَلَا تَرْتَكِبُوا مَا يُسْخِطُ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ .

وقد صرح بالإحاطة في موضع آخر، قال تعالى: (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) [العنكبوت/٥٤])

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ بِهِمْ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ، لَا مَحَالَةَ، وَلَوْ عَلِمُوا مَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ لَمَا تَمَنَّوْا اسْتِعْجَالَ الْعَذَابِ، وَلَعَمِلُوا جُهْدَهُمْ لِلْخَلَاصِ مِنْهُ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ سَتُّحِيطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْكَافِرِينَ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ .

وقد فسر بعض السلف المهاد بالفرش، والغواش باللحف. وتأتي الإحاطة من ناحية أخرى ذلك أن للنار سورا يحيط بالكافرين، فلا يستطيع الكفار مغادرتها أو الخروج منها، كما قال تعالى: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) [الكهف/٢٩])

فَقَدْ أَعْدَدْنَا وَأَرْصَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، نَارًا لَهَا سُورٌ يُحِيطُ بِمَنْ يَدْخُلُوهَا (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا). وَإِذَا اسْتَعَاثَ أَهْلُ النَّارِ لِيُطْفِئُوا عَطَشَهُمْ يُعَاثُونَ بِمَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ، فَإِذَا قَرَّبُوهُ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ اشْتَبَتْ وَجُوهُهُمْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ، وَبِئْسَ هَذَا الشَّرَابُ شَرَابًا، وَسَاءَتْ النَّارُ مَنْزِلًا لِلْإِرْتِفَاقِ، وَالِاتِّكَاءِ لِلرَّاحَةِ، وَسَاءَتْ مَقِيلًا .

*اطلاع النار على الأفتدة :

بالإضافة إلى أن أهل النار يضخم خلقهم في النار شيئاً عظيماً، فإنه مع ذلك تدخل النار في أجسادهم حتى تصل إلى أعماق شيء فيهم، قال تعالى: (سَأَصْلِيهِ سَقَرًا (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) [المدثر/٢٦-٢٩])

سأدخله جهنم؛ كي يصلح حرها ويحترق بنارها وما أعلمك أي شيء جهنم؟ لا تبقي لحماً ولا تترك عظماً إلا أحرقت، مغيرة للبشرة، مسودة للجلود، محرقة لها، يلي أمرها ويتسلط على أهلها بالعذاب تسعة عشر ملكاً من الزبانية الأشداء.

قال بعض أهل السلف في قوله (لا تبقي ولا تذر)، قال: تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذر على ذلك)

وقال تبارك وتعالى: (كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَتَةِ (٧) [الهمزة/٤-٧])

كَلَّا إِنَّ مَالَهُ لَنِ يَخْلُدُهُ، وَلَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَسَيَطْرَحُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ كَمَا تُطْرَحُ النَّوَاهُ. (وَسُمِّيتِ النَّارُ حُطَمَةً لِأَنَّهَا تُحَطِّمُ كُلَّ مَا يُلْقَى فِيهَا وَلَا تُبْقِي مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ) .

وهذه الحُطَمَةُ لَيْسَتْ مِمَّا يُحِيطُ بِهِ عِلْمُكَ. إِنَّهَا نَارُ اللَّهِ الْمُشْتَعِلَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِعَذَابِ الْكَافِرَةِ الْعُصَاةِ. وَإِنَّهَا تَبْلُغُ فِي عَذَابِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فَتَنْهَشُهَا نَهْشًا، وَالْقَلْبُ أَكْثَرُ الْأَعْضَاءِ تَأَلُّمًا، فَإِذَا نَهَشَتْهُ النَّارُ بَلَغَ الْعَذَابُ بِالْإِنْسَانِ أَقْصَاهُ .

عن موسى بن عبيدة الربذي، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، في قوله عز وجل: (التي تطلع على الأفئدة) يقول: «الحطمة يقول: تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أنشأ خلقه»^{٩٠٣}

*** ومنهم من يعذب بالصعود إلى أعلى النار، ثم يهوي فيها**

قال تعالى: (سَأُرْهِقُهُ صُعُودًا) {المدثر: ١٧}. سُنْزِلُ بِهِ عَذَابًا شَاقًّا، يُرْهِقُهُ وَلَا يُطِيقُهُ، فَيَكُونُ حَالُهُ حَال مَنْ يُكَلِّفُ صُعُودَ جَبَلٍ وَعَرَّ شَائِكٍ. وَقِيلَ إِنَّهُ سَيَكْلِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُعُودَ جَبَلٍ مِنْ نَارٍ فِي جَهَنَّمَ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ شَرَبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^{٩٠٤}. يتحسى: يشرب ويتجرع - يتوجأ: يطعن

*** ومنهم من يدور في النار، ويجر أمعاءه معه.**

فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قِيلَ لَهُ أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتَكَلِّمُهُ فَقَالَ أَتُرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ يَكُونُ عَلَى أَمِيرٍ إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ. بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^{٩٠٥}. - الأقتاب: جمع القتب وهو الأمعاء.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَاتِبَ»^{٩٠٦} القُصْب: الأمعاء

*** قرن معبوداتهم وشياطينهم بهم في النار :**

كان الكفار والمشركون يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله ويدافعون عنها ويبدلون في سبيل ذلك النفس والمال، وفي يوم القيامة يدخل الحق تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله النار إهانة لعابديها وإذلالاً لهم، ليعلموا أنهم كانوا ضالين، قال تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) [الأنبياء/٩٨، ٩٩])

^{٩٠٣} - تفسير مجاهد (٢٠٦٨) فيه لين

^{٩٠٤} - صحيح مسلم (٣١٣)

^{٩٠٥} - صحيح مسلم (٧٦٧٤)

^{٩٠٦} - صحيح البخاري (٤٦٢٣)

إنكم - أيها الكفار - وما كنتم تعبدون من دون الله من الأصنام ومن رضي بعبادتكم إياه من الجن والإنس، وقود جهنم وحطبها، أنتم وهم فيها داخلون.

لو كان هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله تعالى آلهة تستحق العبادة ما دخلوا نار جهنم معكم أيها المشركون، إن كلاً من العابدين والمعبودين خالدون في نار جهنم.

يقول ابن رجب: (فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرتة)^{٩٠٧}

ومن أجل ذلك يقذف في يوم القيامة بالشمس والقمر ليكونا مما توقد به النار، يقول القرطبي (وقد يجمعان في نار جهنم؛ لأنهما قد عبدتا من دون الله ولا تكون النار عذاباً لهما لأنهما حماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم)^{٩٠٨}

* حسرتهم وندمهم ودعاؤهم :

عندما يرى الكفار النار يندمون أشد الندم، ولات ساعة مندم، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (٥٤) [يونس/ ٥٤])

وَحِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَيُحْشَرُ الْكَافِرُونَ إِلَى اللَّهِ، يُدْرِكُونَ، حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ، أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ لَا مَحَالَةَ، حِينَئِذٍ تَتَمَنَّى كُلُّ نَفْسٍ ظَالِمَةً لَوْ أَنَّهَا تَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ لِتُقَدِّمَهُ فِدَاءً لَهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَلَكِنْ أَنَّى لَهَا ذَلِكَ. وَحِينَئِذٍ تَتَرَدَّدُ النَّدَامَةُ وَالْحَسْرَةُ فِي سَرَائِرِ الْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ، عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي حَنْبِ اللَّهِ، وَمَا كَفَرُوا بِآيَاتِهِ، وَيَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ وَلَا يَظْلَمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ شَيْئًا .

وقال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) [سبأ/ ٣٣])

وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبركم الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العبادة، وأسراً كل من الفريقين الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعد لهم، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، لا يعاقبون بهذا العقاب إلا بسبب كفرهم بالله وعملهم السيئات في الدنيا. وفي الآية تحذير شديد من متابعة دعاة الضلال وأئمة الطغيان.

^{٩٠٧} - التخويف من النار - (ج ١ / ص ٩٩)

^{٩٠٨} - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - (ج ١ / ص ٥٨٩٥) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ٢ / ص ١٢)

وعندما يطلع الكافر على صحيفة أعماله، يرى كفره وشركه الذي يؤهله للخلود في النار، فإنه يدعو بالثبور والهلاك، قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) [الإنشاق/١٠-١٢])

وَأَمَّا الَّذِي ارْتَكَبَ الْمُعَاصِي، وَاجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ، فَيُؤْتَى كِتَابَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ تَحْقِيرًا لَهُ، وَيَتَنَاوَلُهُ بِشِمَالِهِ. فَيَذَرُكَ أَنَّهُ هَالِكٌ فَيَدْعُو هَلَاكًا وَخَسَارًا وَيَقُولُ: وَأُثْبُورَاهُ. وَيُقَذَفُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيَصْلَى سَعِيرَهَا .

وهناك يعلو صراخهم ويشند عويلهم ويدعون ربهم آمليْن أن يخرجهم من النار، قال تعالى: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) [فاطر/٣٧])

وَفِي النَّارِ يَذُوقُ الْكَافِرُونَ الْمُجْرِمُونَ حَرَّ النَّارِ وَلَهَيْبِهَا، فَيَأْخُذُونَ فِي الاسْتِعَاثَةِ وَالِاصْطِرَاحِ وَالضَّجِيجِ وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ، وَأَعِدْنَا إِلَى الدُّنْيَا، لِنَعْمَلَ صَالِحًا، وَنَتَّبِعَ الرَّسُولَ، وَنُقَلِّعَ عَمَّا كُنَّا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمُعَاصِي وَالْإِجْرَامِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِنْ عَادُوا إِلَى الدُّنْيَا عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمُعَاصِي، وَلِذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ قَائِلًا وَمُقَرَّرًا (أَوْ تَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى): أَلَمْ نَجْعَلْكُمْ تَعِيشُونَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَارًا؟ وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يَتَّقُونَ بِالْحَقِّ لَانْتَفَعْتُمْ بِهِ مَدَّةَ عُمرِكُمْ فِي الدُّنْيَا. وَجَاءَكُمُ الرَّسُولُ وَمَعَهُ كِتَابٌ يُنذِرُكُمْ بِالْعِقَابِ إِنْ خَالَفْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ، وَتَرَكْتُمْ طَاعَتَهُ، فَلَمْ تَعْتَبِرُوا، وَلَمْ تَتَّعِظُوا، وَلِذَلِكَ فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مِمَّا أَنتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ عِقَابًا لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَمُخَالَفَتِكُمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَنْ تَجِدُوا لَكُمْ نَاصِرًا يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، وَلَا مُنْقِذًا يُنْقِذُكُمْ مِمَّا أَنتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ .

وهم في ذلك الوقت يعترفون بضلالتهم وكفرهم، قال تعالى: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) [الملك/١٠، ١١])
وَقَالُوا مُبْدِينَ أَسْفَهُمْ وَنَدَمَهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، فِي وَقْتٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ النَّدَمُ: لَوْ كَانَتْ لَنَا آذَانٌ نَسْمَعُ، أَوْ عَقُولٌ تُذَكِّرُ، وَنَعْيٌ بِهَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، لَمَا كُنَّا أَقْمَنًا عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالْإِغْرَارِ بِالدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا، وَلَمَا صِرْنَا إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ الْيَوْمَ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

فَاعْتَرَفُوا بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ لِلرَّسُولِ، وَمِنْ انْهِمَاكِ فِي مَلَذَاتِ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّ هَذَا الْاعْتِرَافَ لَنْ يُفِيدَهُمْ شَيْئًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَسُحْقًا وَبُعْدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لِلَّذِينَ يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ نَارِ جَهَنَّمَ الْمُسْتَعْرَةِ وَقَالَ تَعَالَى: (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) [غافر/١١، ١٢])

يَقُولُ الْكَافِرُونَ: رَبَّنَا خَلَقْتَنَا مِنْ عَدَمٍ وَلَمْ تَكُنْ لَنَا حَيَاةٌ، وَأَمَتْنَا حِينَ انْقَضَتْ أَجَالُنَا، وَأَحْيَيْتَنَا أَوَّلًا بِنَفْخِ الْأَرْوَاحِ فِيْنَا وَنَحْنُ فِي الْأَرْحَامِ، وَأَحْيَيْتَنَا بِإِعَادَةِ أَرْوَاحِنَا إِلَى أَبْدَانِنَا يَوْمَ الْبَعْثِ، وَالتَّشْوِيرِ، فَاعْتَرَفْنَا بِأَنَّنَا

كُنَّا أَنْكَرْنَا الْبَعْثَ فَكَفَرْنَا، وَاجْتَرَحْنَا السَّيِّئَاتِ، فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى إِخْرَاجِنَا مِنَ النَّارِ، وَإِعَادَتِنَا إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ؟ فَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

فَيَجَابُونَ عَلَى سَوَالِهِمْ هَذَا أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الرَّجْعَةِ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَأَنْكَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ الْأُلُوْهِيَّةُ خَالِصَةً لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِهِ مُشْرِكُ صِدْقَتُمُوهُ وَأَمْنْتُمْ بِهِ. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِفَسَادِ طِبَاعِكُمْ، وَرَفْضِهَا لِلْحَقِّ، فَإِذَا عُدْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا عُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ فُسَادٍ وَكُفْرٍ وَإِفْسَادٍ فِي الْأَرْضِ، فَالْحُكْمُ الْيَوْمَ لِلَّهِ، وَهُوَ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَهُوَ ذُو الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَقَدْ افْتَضَتْ حِكْمَتُهُ خُلُودَ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا. وَلَكِنْ طَلِبُهُمْ يَرْفُضُ بِشَدَّةٍ، وَيَجَابُونَ بِمَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تَجَابَ بِهِ الْأَنْعَامُ، قَالَ تَعَالَى: (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ (١٠٨) [المؤمنون/١٠٦-١٠٨]) .

وَيَرُدُّونَ قَائِلِينَ: يَا رَبِّ لَقَدْ كَثُرَتْ مَعَاصِينَا الَّتِي أَوْرَثَتْنَا الشَّقَاءَ وَقَدْ قَامَتْ عَلَيْنَا الْحُجَّةُ وَلَكِنَّا كُنَّا أَشَقَى مِنْ أَنْ نَنْفَادَ لَهَا، وَكُنَّا بِذَلِكَ ضَالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الثَّوَابِ . ثُمَّ يَقُولُونَ لِرَبِّهِمْ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ، وَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا، فَإِنْ عُدْنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَارْتِكَابِ الْآثَامِ، فَنَحْنُ ظَالِمُونَ لَأَنْفُسِنَا مُسْتَحِقُّونَ لِلْعُقُوبَةِ . وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكُفَّارِ إِذَا سَأَلُوا الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ، وَالرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا، وَيَقُولُ لَهُمْ: امْكُثُوا فِيهَا صَاغِرِينَ مُهَانِينَ أَذِلَّاءَ وَاسْكُتُوا (اخْسِئُوا) وَلَا تَعُودُوا إِلَى سُؤَالِكُمْ، هَذَا، فَإِنَّهُ لَا رَجْعَةَ لَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا .

وَيَتَوَجَّهُ أَهْلُ النَّارِ بَعْدَ ذَلِكَ بِالنِّدَاءِ إِلَى خِزْنَةِ النَّارِ، يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُمْ كَيْ يَخْفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، قَالَ تَعَالَى: (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) [غافر/٤٩-٥٠])

وَلَمَّا يَتَسَّ الْمُسْتَضْعِفُونَ مِنْ أَنْ يَحْمِلَ السَّادَةُ الَّذِينَ كَانُوا سَبَبَ كُفْرِهِمْ، وَإِدْخَالِهِمْ فِي النَّارِ، شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ عَنْهُمْ، اتَّجَهُوا إِلَى خِزْنَةِ جَهَنَّمَ يَسْأَلُونَهُمُ الْإِتِّجَاهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْدُّعَاءِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ فِي النَّارِ .

وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ خِزْنَةُ جَهَنَّمَ يُفَرِّغُونَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلٌ رُبُّكُمْ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ مَا يَدْعُونَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَيَقُولُ الْمُسْتَضْعِفُونَ: نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ بِالْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خِزْنَةُ جَهَنَّمَ: إِذَا فَادَعُوا أَنْتُمْ وَحَدَّكُمْ. وَلَكِنْ دُعَاءُ الْكَافِرِينَ لَا يُغْنِي، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ، وَيَذْهَبُ سُدًى .

وعند ذلك يسألون الشفاعة كي يهلكهم ربهم، قال تعالى: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَتْ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (٧٧) لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) [الزخرف/٧٧-٧٨])،

وَحِينَمَا يَشْتَدُّ الْعَذَابُ بِالْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ يَصْغُرُونَ فِي النَّارِ، وَيُنَادُونَ: يَا مَالِكُ (وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ) ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَقْبِضْ أَرْوَاحَنَا لِيُرِيحَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. فَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ مَالِكٌ قَائِلًا لَهُمْ: إِنَّهُمْ مَا كُنْتُمْ فِي النَّارِ أَبَدًا، وَلَا مَجَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى خُرُوجِهِمْ مِنْهَا .
وَيَذْكُرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - أَوْ يُذَكِّرُهُمْ مَالِكٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ - بِسَبَبِ شَقَائِهِمْ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَأَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوا فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ .

ويقال لهم آن ذلك: (اَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) [الطور/١٦])

فَادْخُلُوا الْآنَ نَارَ جَهَنَّمَ لَتَصْطَلُوا بِنَارِهَا الَّتِي تَعْمُرُكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَسَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَصَبَرْتُمْ عَلَى عَذَابِهَا وَنَكَالِهَا، أَمْ لَمْ تَصْبِرُوا فَلَا مَحِيدَ لَكُمْ عَنْهَا، وَلَا خَلَاصَ لَكُمْ مِنْهَا، وَهَذَا الَّذِي نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ هُوَ مَا تَسْتَحِقُّونَهُ جَزَاءً لَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

هناك يشتد نحيبهم وتفيض دموعهم، ويطول بكاؤهم: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) [التوبة/٨٢])

لِيَضْحَكُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ قَلِيلًا، لِأَنَّ الدُّنْيَا نَفْسَهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ، فَإِذَا انْقَطَعَتِ الدُّنْيَا، وَصَارُوا إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، اسْتَأْنَفُوا بُكَاءً لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا بِسَبَبِ مَا اكْتَسَبُوهُ مِنْ كُفْرٍ وَأَثَامٍ، وَعَلَى مَا فَوَّضُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ فُرْصِ اكْتِسَابِ الْحَسَنَاتِ، وَعَمَلٍ مَا يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ .

إنهم سيكون حتى تنقطع الدموع، ثم سيكون دما، وتؤثر دموعهم في وجوههم كما يؤثر السيل في الصخر، ففي مستدرك الحاكم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَكُونُونَ، حَتَّى لَوْ أُحْرِيتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَكُونُونَ الدَّمَ يَعْنِي مَكَانَ الدَّمْعِ " ٩٠٩

لقد خسر هؤلاء الظالمون أنفسهم وأهليهم عندما استحبوا الكفر على الإيمان، واستمع إلى عويلهم وهم يرددون حال العذاب: (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا (٦٨) [الأحزاب/٦٦-٦٨]).

وتأمل قوله تعالى يصف حالهم، ونعوذ بالله من حالهم: (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) [هود/١٠٦-١٠٧])، قال الزجاج: الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جدا. وقيل الزفير: ترديد النفس في الصدر من شدة الخوف حتى تنتفخ منه الأضلاع، والشهيق النفس الطويل الممتد، أو رد النفس إلى الصدر ، فأما الذين شَقُّوا في الدنيا لفساد عقيدتهم وسوء أعمالهم، فالنار مستقرهم، لهم فيها من شدة ما هم فيه من العذاب زفير وشهيق، وهما أشنع الأصوات وأقبحها، ما كثر في النار أبداً ما دامت السموات والأرض، فلا ينقطع عذابهم ولا ينتهي، بل هو دائم مؤكَّد، إلا ما شاء ربك من إخراج عصاة الموحدين بعد مدَّة من مكثهم في النار. إن ربك -أيها الرسول- فعَّال لما يريد.

* ومنهم من يُلقى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة:

قال تعالى: (إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) [الفرقان/١٢-١٤])

وإذا أصبَحَتْ جَهَنَّمُ مِنْهُمْ عَلَى مَرَأَى النَّظَرِ، وَهُمْ فِي الْحَشْرِ، بَعِيدُونَ عَنْهَا، سَمِعُوا لَهَا صَوْتًا يُشْبِهُ صَوْتَ الْمَغِيْظِ الْمُحْنَقِ، لِشِدَّةِ تَوَقُّدِهَا، وَيُشْبِهُ صَوْتَ الزَّفِيرِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الْحَزِينِ الْمَكْرُوبِ الْمُتَحَسِّرِ .

وَإِذَا أُلْقُوا فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مِنْهَا، وَأَيْدِيهِمْ مَجْمُوعَةٌ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بِالْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ، نَادَوْا هُنَالِكَ طَالِبِينَ تَعْجِيلَ هَلَاكِهِمْ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ هَوْلِ الْعَذَابِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: "إِنَّ الْمُجْرِمِينَ لَيَسْتَكْرَهُونَ فِي النَّارِ كَمَا سَتَكْرَهُ الْوَتْدُ فِي الْحَائِطِ"^{٩١٠} . فَيَقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَفْريْعًا: لَا تَطْلُبُوا الْيَوْمَ هَلَاكًا وَاحِدًا بَلِ اطْلُبُوهُ مَرَارًا، فَلَنْ تَجِدُوا لَكُمْ خَلَاصًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ .

* ومنهم من يتأذى أهل النار من نتن رائحتهم، وهم الزناة:

فَعَنْ بُرَيْدَةَ: أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَتَلْعُنُ الشَّيْخَ الزَّانِي، وَإِنَّ فُرُوجَ الزَّانَةِ لَيُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ نَتْنُ رِيحِهَا^{٩١١} . وغير ذلك كثير، نسأل الله تعالى السلامة.

المبحث الخامس والعشرون

شدة ما يكابده أهل النار

^{٩١٠} - تفسير ابن أبي حاتم (١٣٩٦٥) وهو معضل

^{٩١١} - جمع الزوائد (١٠٥٤١) رَوَاهُ الْبُزَّارُ ، وَفِي إِسْنَادِهِ صَالِحُ بْنُ حَيَّانَ وَهُوَ ضَعِيفٌ .

النار عذابها شديد، وفيها من الأهوال وألوان العذاب ما يجعل الإنسان يذل في سبيل الخلاص منها نفائس الأموال، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١) [آل عمران/٩١])
 إن الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ، وماتوا على الكفر بالله ورسوله، فلن يُقبل من أحدهم يوم القيامة ملء الأرض ذهبًا؛ ليفتدي به نفسه من عذاب الله، ولو افتدى به نفسه فعلا. أولئك لهم عذاب موجه، وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله.

وقال الحق في هذا المعنى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) [المائدة/٣٦])
 إن الذين كفروا بربهم، وعبدوا غيره، أو أشركوا معه في الألوهية غيره، وماتوا قبل أن يتوبوا، فإنهم لا نجاة لهم من عذاب الله ولو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا، ومثله معه، ليفتدي بذلك الذهب من عذاب الله الذي قد أحاط به، لما تُقبل منه ذلك، فلا مندوحة عن عذابه، ولا محيص له من أن يلاقى جزاءه العادل من العذاب، وهو عذاب موجه أليم .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله - ﷺ - « يُؤْتَى أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْعَةٌ ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْعَةٌ فِي الْجَنَّةِ فَيَقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » ٩١٢ .

إنها لحظات قليلة تنسي أكثر الكفار نعيمًا كل أوقات السعادة والهناء. وفي الصحيحين
 عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ يَقُولُ « يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ » ٩١٣

وَعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ: قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ. ٩١٤

إن شدة النار وهولها تفقد الإنسان صوابه، وتجعله يوجد بكل أحبابه لينجو من النار وأنى له النجاة: يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي

٩١٢ - صحيح مسلم (٧٢٦٦)

٩١٣ - صحيح البخاري (٦٥٣٨) ومسلم (٧٢٦٣)

٩١٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٤٨) (٧٣٥١) صحيح

تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨) [المعارج/١١-١٨]

وَيُنْصِرُ الْأَقْرَابُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيَتَعَارَفُونَ، ثُمَّ يَفْرُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَتَمَنَّى الْكَافِرُ لَوْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْدِيَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِأَبْنَائِهِ، وَهُمْ أَعَزُّ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَيَدْفَعُ بِهِمْ إِلَى الْعَذَابِ لِيَنْجُوَ هُوَ مِنْهُ. أَوْ أَنْ يُقَدِّمَ فِدَاءً عَنْهُ زَوْجَتَهُ أَوْ أَخَاهُ. أَوْ أَنْ يُقَدِّمَ جَمِيعَ أَفْرَادِ عَشِيرَتِهِ الَّتِي تَضُمُّهُ إِلَيْهَا. أَوْ أَنْ يُقَدِّمَ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِدَاءً لَهُ لِيَخْلُصَ هُوَ مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ .

كَلَّا لَا يُقْبَلُ فِدَاءٌ مِنَ الْكَافِرِ، وَلَوْ أَنَّهُ افْتَدَى بِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ وَمَالٍ، إِنَّهَا النَّارُ الشَّدِيدَةُ الْحَرَارَةِ تَحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ بَارِزٍ مِنْ جِسْمِ الْإِنْسَانِ فَتَرْبِلُهُ وَكَأَنَّهَا تَنْزِعُهُ انْتِزَاعًا .

إِنَّهَا النَّارُ الْمُحْرِقَةُ تُنَادِي إِلَيْهَا أَصْحَابُهَا مِنَ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهَا، وَهُمْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا حِينَمَا دَعَاهُمْ رَسُولُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الَّذِي جَمَعَ الْمَالَ وَأَوْدَعَهُ فِي الْأَوْعِيَةِ كَانِزًا لَهُ، وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ وَالْخَيْرِ .

المبحث السادس والعشرون

تفاوتهم في العذاب

لما كانت النار دركات بعضها أشد عذابا وهولا من بعض كان أهلها متفاوتون في العذاب، فعَنْ سَمُرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ »^{٩١٥} . الحجة: معقد الإزار والسرراويل

وأما أخف أهل النار عذابا، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ مُتَنَعِّلٌ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي النَّارِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ عَلَى أَرْدِيَّتِهِ، مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ إِلَى تَرْقُوتِهِ، مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ اغْتُمِرَ فِيهَا " ^{٩١٦} .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، رَجُلٌ فِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، وَمِنْهُمْ فِي النَّارِ إِلَى كَعْبِيهِ مَعَ إِجْرَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي النَّارِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ مَعَ إِجْرَاءِ

^{٩١٥} - صحيح مسلم (٧٣٤٨)

^{٩١٦} - المستدرک للحاکم (٨٧٣٤) صحيح

الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنِ اغْتَمَرَ فِي النَّارِ إِلَى أَرْنَبَتِهِ مَعَ إِجْرَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَن هُوَ فِي النَّارِ إِلَى صَدْرِهِ مَعَ إِجْرَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَن قَدْ اغْتَمَرَ فِي النَّارِ.^{٩١٧}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : "إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا رَجُلٌ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَن النَّارِ إِلَى صَدْرِهِ مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَن فِي النَّارِ إِلَى تَرْفُوتِهِ مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَن قَدْ انْغَمَسَ فِيهَا"^{٩١٨}.

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : "إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، لَرَجُلٌ عَلَيْهِ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَأَنَّهُ مَرَجَلٌ، مَسَامِعُهُ جَمْرٌ، وَأَضْرَاسُهُ جَمْرٌ، وَأَشْفَارُهُ لَهَبٌ النَّارِ، وَتَخْرُجُ أَحْشَاءُ جَنْبَيْهِ مِنْ قَدَمَيْهِ، وَسَائِرُهُمْ كَالْحَبِّ الْقَلِيلِ فِي الْمَاءِ الْكَثِيرِ، فَهُوَ يَقُورُ."^{٩١٩}

وَعَنْ سَمُرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ «إِنَّ مِنْهُمْ مَن تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَن تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ وَمِنْهُمْ مَن تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ»^{٩٢٠}.

الحجزة: معقد الإزار والسر اويل

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَحْصَصٍ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، كَمَا يَغْلِي الْمَرْجَلُ وَالْقُمَّمُ»^{٩٢١}

الأخص: باطن القدم الذي يتجافى عن الأرض عند الوطء -المرجل: القدر من النحاس أو الحجارة - القمم: ما يسخن فيه من نحاس وغيره

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَّا سِيقَ إِلَيْهَا أَهْلُهَا، تَلَقَّتْهُمْ، فَلَفَحَتْهُمْ لَفْحَةً، لَمْ تَدَعْ لَحْمًا عَلَى عَظْمٍ إِلَّا أَلْفَتْهُ عَلَى الْعُرْقُوبِ"^{٩٢٢}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا الَّذِي يُجْعَلُ لَهُ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ."^{٩٢٣}

وَعَنِ الْحَسَنِ ؛ فِي قَوْلِهِ {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} (٥٦) سورة النساء، قَالَ: بَلَعْنِي، أَنَّهُ يُحْرَقُ أَحَدُهُمْ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةً.^{٩٢٤}

٩١٧ - مسند أحمد (١١٣٩٨) صحيح

٩١٨ - مجمع الزوائد (١٨٦٢٨) رَوَاهُ الْبُزَارُ ، وَرَجَّاهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

٩١٩ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٥٧) (٣٥٢٧٠) صحيح

٩٢٠ - صحيح مسلم (٧٣٤٨)

٩٢١ - صحيح البخاري (٦٥٦٢) ومسلم (٥٣٨)

٩٢٢ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٩ / ص ١١٦) (٢٦٤) ضعيف والصحيح وقفه لكن مثله لا يقال بالراى

٩٢٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥١٣) (٧٤٧٢) صحيح

٩٢٤ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٦٣) (٣٥٢٨٨) صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: يُعْظَمُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَصِيرَ شِفَاهُهُمْ إِلَى سُرَرِهِمْ، مَقْبُوحُونَ، يَتَهَا فَتُونَ فِي النَّارِ. ٩٢٥

وَعَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثْتُ نَعِيمًا، بِحَدِيثِ شَاذَانَ عَنِ الْبَرَاءِ، فِي الْقَبْرِ، فَقَالَ لِي: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِمَا أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ ثَنَا سُؤِيدُ بْنُ غَفَلَةَ قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُنْسِيَ أَهْلَ النَّارِ جَعَلَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ صُنْدُوقًا عَلَى قَدَرِهِ مِنَ النَّارِ لَا يَنْبُضُ فِيهِ عَرَقٌ إِلَّا فِيهِ مَسْمَارٌ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ يُضْرَمُ فِيهِ النَّارُ، ثُمَّ يُقْفَلُ بِقِفْلٍ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ يُجْعَلُ ذَلِكَ الصُّنْدُوقُ فِي صُنْدُوقٍ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ يُضْرَمُ فِيهَا نَارٌ، ثُمَّ يُقْفَلُ، ثُمَّ يُلْقَى أَوْ يُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادَ فَاتَّقُونَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ، قَالَ: فَمَا يَرَى أَنْ فِي النَّارِ أَحَدًا غَيْرَهُ ٩٢٦

وعن أبي هريرة في حديث المعراج الطويل،، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُرَضِّخُ رُءُوسُهُمْ بِالصَّخَرِ، كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، وَلَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. قَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَنَاقَلَتْ رُءُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ، وَعَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ، يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ إِلَى الصَّرِيعِ وَالزَّقُومِ وَرَضْفِ جَهَنَّمَ. قَالَ: مَا هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ فِي قَدْرِ نَضِيجٍ، وَلَحْمٌ آخَرُ نِيءٍ خَبِيثٍ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ الْخَبِيثَ وَيَدْعُونَ النَّضِيجَ الطَّيِّبَ. قَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ يَقُومُ مِنْ عِنْدِ امْرَأَتِهِ حَلَالًا، فَيَأْتِي الْمَرْأَةَ الْخَبِيثَةَ، فَيَبِيتُ مَعَهَا حَتَّى يُصْبِحَ، وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا، فَتَأْتِي الرَّجُلَ الْخَبِيثَ فَتَبِيتُ عِنْدَهُ حَتَّى تُصْبِحَ، ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُزْمَةً عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ عَلَيْهِ أَمَانَةُ النَّاسِ، لَا يَسْتَطِيعُ آدَاءَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ وَالسِّنْتُهُمْ بِمَقَارِيطِ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا قَرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. قَالَ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى جُحْرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ، فَيُرِيدُ الثَّوْرُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا، فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ، ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ رِيحًا طَيِّبَةً، وَوَجَدَ رِيحًا مُسَكًّا مَعَ صَوْتٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ: يَا رَبِّ، آتِنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَ غَرَسِي، وَحَرِيرِي، وَسُنْدُوسِي، وَاسْتَبْرَقِي، وَعَبَقْرِي، وَمَرْجَانِي، وَقَصْبِي، وَذَهَبِي، وَأَكْوَابِي، وَصَحَافِي، وَأَبَارِقِي، وَفَوَاحِكِي، وَعَسَلِي، وَثِيَابِي، وَلَبَنِي، وَخَمْرِي، آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي. قَالَ: لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ. وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي، وَعَمِلَ صَالِحًا، وَلَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أَلَدًا - فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَمَنْ أَقْرَضَنِي حَزِينَتَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لَا خُلْفَ

٩٢٥ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٦٣) (٣٥٢٨٩) صحيح

٩٢٦ - الْبَعْثُ وَالتَّشْوِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ (٥٢٤) حسن موقوف

لِمِيعَادِي، قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، فَقَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ، ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتًا مُنْكَرًا، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا الصَّوْتُ؟ قَالَ: هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ: يَا رَبِّ، أَتَيْتَنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَ سَلْسَلِي، وَأَغْلَالِي، وَسَعِيرِي، وَحَمِيمِي، وَغَسَاقِي، وَغَسْلِينِي، وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي، وَأَشْتَدَّ حَرِّي، أَتَيْتَنِي بِمَا وَعَدْتَنِي. قَالَ: لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وَخَبِيثٍ وَخَبِيثَةٍ، وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ. قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ... " ٩٢٧

الرَّضُخُ: الشَّدْخُ. والرَّضُخُ أيضًا: الدَّقُّ والكسر - الأدبار: جمع الدبر ودبر كل شيء عقبه ومؤخره - الضريع: نبات الشبرق لا تقربه دابة لحبته - النضيج: ما اكتمل طهوه -- العرف: الريح الطيبة وقد جاءت النصوص القرآنية مصدقة لتفاوت أصحاب أهل النار في العذاب كقوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) [النساء/١٤٥])، وقوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) [غافر/ ٤٦])، وقوله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) [النحل/٨٨]).

يقول القرطبي في هذا الموضوع: "هذا الباب يدل على أن كفر من كفر فقط، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرد وعصى، ولا شك أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون، كما قد علم من الكتاب والسنة، ولأننا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وكفر، مساويا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجته النبي ﷺ إلى ضحضاح لنصرتة إياه، وذبه عنه وإحسانه إليه؟" ٩٢٨

وقال ابن رجب: "واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي أدخلوا بها النار" ثم ساق الأدلة على ذلك، وساق قول ابن عباس "ليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد في الأرض، ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك"، ثم قال ابن رجب: "وكذلك تفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار بحسب أعمالهم، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أهل الصغائر، وقد يخفف عن بعضهم بحسنات أخرى له أو بما شاء الله من الأسباب، ولهذا يموت بعضهم في النار" ٩٢٩

المبحث السابع والعشرون

السُّرْفُ فِي كَثْرَةِ أَهْلِ النَّارِ

٩٢٧ - تهذيب الآثار للطبري (٢٧٦٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٦٧٩) حسن

٩٢٨ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ٢ / ص ٣٥)

٩٢٩ - التخويف من النار - (ج ١ / ص ١٣٢)

جاءت النصوص كثيرة وافرة دالة على كثرة من يدخل النار من بني آدم وقلة من يدخل الجنة منهم. قال تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) [يوسف/١٠٣]). ويدل على كثرة الكفرة والمشركين الذين رفضوا دعوة الرسل أن النبي يأتي في يوم القيامة ومعه الرهط، وهم الجماعة دون العشرة، والنبي ومعه الرجل والرجلان، بل إن بعض الأنبياء يأتي وحيدا لم يؤمن به أحد، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ - قَالَ « عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى - ﷺ - وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ». ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ « مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ فِيهِ ». فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ « هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ». فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ « أَنْتَ مِنْهُمْ » ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ « سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ » ٩٣٠.

وقال ابن عباس، عن النبي ﷺ قَالَ: عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ رَهْطٌ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ رَجُلٌ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: هَذِهِ أُمَّتِي ؟ فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَظَنَنْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى هَذَا الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَدَخَلَ، فَخَاضَ الْقَوْمَ فِي ذَلِكَ، وَقَالُوا: مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؟ فَقَالَ: بَعْضُهُمْ لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا النَّبِيَّ ﷺ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ قَطُّ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَخَوْضُونَ فِيهِ ؟ فَأَخْبَرُوهُ بِمَقَالَتِهِمْ، فَقَالَ: هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ، فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ. ٩٣١

وجاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد قال قال رسول الله - ﷺ - « يَقُولُ اللَّهُ يَا آدَمُ. فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. قَالَ يَقُولُ أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ. قَالَ وَمَا بَعَثَ النَّارَ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ. فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سَكَرَى

٩٣٠ - صحيح مسلم (٥٤٩)

٩٣١ - صحيح ابن حبان - (ج ١٤ / ص ٣٣٩) (٦٤٣٠) صحيح

وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَئِنَّا الرَّجُلُ قَالَ «أَبَشِّرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفَ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ - ثُمَّ قَالَ - وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». قَالَ فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ «وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ الرِّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ». الرقمة: الدائرة^{٩٣٢}

وليس السبب في كثرة أهل النار هو عدم بلوغ الحق إلى البشر على اختلاف أزمانهم، فإن الله لا يؤاخذ العباد إذا لم تبلغهم دعوته: (مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) [الإسراء/١٥])، ولذلك فإن الله أرسل في كل أمة نذيرا: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) [فاطر/٢٤])، ولكن السبب في ذلك يعود إلى قلة الذين استجابوا للرسول وكثرة الذين كفروا بهم، وكثير من الذين استجابوا لم يكن إيمانهم خالصا نقيا.

وقد تعرض ابن رجب في كتابه (التخويف من النار) إلى السبب في قلة أهل الجنة، وكثرة أهل النار فقال: (فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار، وتدل أيضا على أن اتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم، وغير أتباع الرسل كلهم في النار إلا من لم تبلغه الدعوة أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيه من الاختلاف، والمتنسبون إلى أتباع الرسل كثير منهم من تمسك بدين منسوخ، وكتاب مبدل وهم أيضا من أهل النار كما قال تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ [هود/١٧])، وأما المنتسبون إلى الكتاب والشرعية المؤيدة والدين الحق فكثير منهم من أهل النار أيضا، وهم المنافقين الذين هم في الدرك السفلي من النار، وأما المنتسبون إليه ظاهرا وباطنا فكثير منهم فتن بالشبهات، وهم أهل البدع والضلال، وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة، وكثير منها أيضا فتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار - وإن لم يقتض الخلود فيها - فلم ينج من الوعيد بالنار، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة إلا فرقة واحدة، وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ظاهرا وباطنا وسلم من فتن الشهوات والشبهات، وهؤلاء قليل جدا لاسيما في الأزمان المتأخرة)^{٩٣٣}

ولعل السبب الأعظم هو اتباع الشهوات، ذلك أن حب الشهوات مغروس في أعماق النفس البشرية قال تعالى: (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ (١٤) [آل عمران/١٤])، وكثير من الناس يريد الوصول إلى هذه الشهوات عن الطريق التي تهواها نفسه ويجبها

^{٩٣٢} - صحيح البخاري (٦٥٣٠) و صحيح مسلم (٥٥٤)

^{٩٣٣} - التخويف من النار - (ج ١ / ص ١٩٣)

قلبه، ولا يراعي في ذلك شرع الله المتزل، أضف إلى هذا تمسك الأبناء بميراث الآباء المناقض لشرع الله، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) [الزخرف/٢٣]).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال « حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ » ٩٣٤.

المبحث الثامن والعشرون

النساء أكثر أهل النار

أكثر من يدخل النار من عصاة الموحدين النساء، فعن ابن عباس قال قال النبي - ﷺ - « أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ ». قيلَ أَيْكُفِرْنَ بِاللَّهِ قَالَ « يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ » ٩٣٥.

وعن عبد الله بن عباس قال قال: - ﷺ - « إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاولْتُ عَنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمُ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرْ مِنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْطَحَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ ». قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « بِكُفْرِهِنَّ ». قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ « يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ » ٩٣٦.

وعن عمران بن حصين عن النبي - ﷺ - قال « أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَأَطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » ٩٣٧.

وعن أسامة بن زيد، قال قال رسول الله ﷺ: نَظَرْتُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْمَسَاكِينُ، وَنَظَرْتُ فِي النَّارِ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، وَإِذَا أَهْلُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، وَإِذَا الْكُفَّارُ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. ٩٣٨

وعن أبي سعيد الخدري قال خرج رسول الله - ﷺ - في أضْحَى - أَوْ فِطْرٍ - إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدِّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ». فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لُبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ». قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ

٩٣٤ - صحيح البخاري (٦٤٨٧)

٩٣٥ - صحيح البخاري (٢٩)

٩٣٦ - صحيح البخاري (١٠٥٢)

٩٣٧ - صحيح البخاري (٣٢٤١)

٩٣٨ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٩٤) (٧٤٥٦) صحيح

الرَّجُلِ «. قُلْنَ بَلَى. قَالَ « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ». قُلْنَ بَلَى. قَالَ « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا »^{٩٣٩}. الحازم: الضابط لأمره - اللب: العقل

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى، أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَامَ، فَوَعِظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أَرَاكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لُبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، فَقُلْنَ لَهُ: مَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكَ نُقْصَانُ عَقْلِهَا، أَوْ لَيْسَتْ إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكَ نُقْصَانُ دِينِهَا"^{٩٤٠}

وعَنْ زَيْنَبَ قَالَتْ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيكُنَّ، فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَتْ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ رَجُلًا خَفِيفَ ذَاتِ الْيَدِ، فَقَالَتْ: سَلْ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْجِزِي عَنِّي مِنَ الصَّدَقَةِ التَّفَقُّةَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ فِي حِجْرِي؟ قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ، فَقَالَ: لَا بَلْ سَلِيهِ أَنْتِ، قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ إِذَا عَلَى الْبَابِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَاجَتُهَا حَاجَتِي اسْمُهَا زَيْنَبُ، قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ، فَقُلْتُ لَهُ: سَلْ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَنْجِزِي عَنَّا مِنَ الصَّدَقَةِ التَّفَقُّةَ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَأَيْتَامٍ فِي حُجُورِنَا، قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلَالٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى الْبَابِ زَيْنَبُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الزَّيْنَبِ؟ قَالَ: زَيْنَبُ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ، وَزَيْنَبُ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَسْأَلَانِ عَنِ التَّفَقُّةِ عَلَى أَزْوَاجِهِمَا وَأَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا يُعْجِزِي ذَلِكَ عَنْهُمَا مِنَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ.^{٩٤١}

وفي الصحيحين عَنْ أُسَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةٌ مَنِ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مُحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةٌ مَنِ دَخَلَهَا النِّسَاءُ.^{٩٤٢}

وعَنْ أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ كَانَ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ امْرَأَتَانِ فَجَاءَ مِنْ عِنْدِ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ الْآخَرَى جِئْتُ مِنْ عِنْدِ فُلَانَةٍ فَقَالَ جِئْتُ مِنْ عِنْدِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فَحَدَّثَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ أَقْلَ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ ».^{٩٤٣}

^{٩٣٩} - صحيح البخارى (٣٠٤)

^{٩٤٠} - صحيح ابن حبان - (ج ١٣ / ص ٥٤) (٥٧٤٤) صحيح

^{٩٤١} - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ٥٨) (٤٢٤٨) حسن

^{٩٤٢} - صحيح البخارى (٥١٩٦) ومسلم (٧١١٣)

^{٩٤٣} - صحيح مسلم (٧١١٨)

قال ابن القيم: فهذا يدل على أنه إنما يكنّ في الجنة أكثر بالحوار وأما نساء أهل الدنيا فأقل أهل الجنة قال السهمودي: وفيه نظر لإمكان الجمع بأن المراد أن منكن في الجنة ليسير بالنسبة لمن يدخل النار منكن لأنهن أكثر أهل النار ويحمل عليه خبر عائشة أقل ساكني الجنة النساء يعني بالنسبة لمن يسكن منهن النار ٩٤٤

المبحث التاسع والعشرون

ذكر الجهنميين

قال الطبري: " قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَتَأَوَّلَانِ هَذِهِ الْآيَةَ: { رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } قَالَا: ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ أَهْلَ الْخَطَايَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ فِي النَّارِ حِينَ يُحْبَسُ أَهْلُ الْخَطَايَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ - فَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ! قَدْ جَمَعْنَا وَإِيَّاكُمْ ؛ وَفَيَعْضِبُ اللَّهُ لَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ ؛ فَيُخْرِجُهُمُ اللَّهُ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: { رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ }

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: { رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } قَالَ: يُدْخِلُ الْجَنَّةَ وَيَرْحَمُ حَتَّى يَقُولَ فِي آخِرِ ذَلِكَ: مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ! قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: { رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ }

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: { رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَمَنَّى الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُوَحِّدِينَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ: { رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } قَالَ: هَذَا فِي الْجَهَنَّمِيِّينَ إِذَا رَأَوْهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي فَرْوَةَ الْعَبْدِيُّ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ كَانَا يَتَأَوَّلَانِ هَذِهِ الْآيَةَ: { رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } يَتَأَوَّلَانِهَا يَوْمَ يُحْبَسُ اللَّهُ أَهْلَ الْخَطَايَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَعْضِبُ اللَّهُ لَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فَيُخْرِجُهُمْ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: { رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ }

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا يَزَالُ اللَّهُ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ، وَيَرْحَمُ وَيَشْفَعُ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ! فَذَلِكَ قَوْلُهُ: { رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ }

وقال حمّاد: سألت إبراهيم عن هذه الآية: { رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } قال: حَدَّثْتُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِمَنْ دَخَلَ النَّارُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالَ: فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ، فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ: اشْفَعُوا ! فَيَشْفَعُونَ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، حَتَّىٰ إِنَّ إبليسَ لَيَتَطَاوَلُ رَجَاءً أَنْ يُخْرِجَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ .

وعن إبراهيم، أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: { رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } قَالَ: يَقُولُ مَنْ فِي النَّارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ: مَا أَغْنَتْ عَنْكُمْ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " ؟ قَالَ: فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَلْيُخْرِجْ مِنَ النَّارِ ! قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ: { يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } {

وعن إبراهيم في قوله: { رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } قَالَ: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَقُولُونَ: كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ وَكُفْرٍ، فَمَا شَأْنُ هَؤُلَاءِ الْمُؤَحِّدِينَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُ ؟ قَالَ: فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ { يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } {

وعن مجاهد، قَالَ: يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ لِلْمُؤَحِّدِينَ: مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ إِيْمَانُكُمْ ؟ قَالَ: فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ، قَالَ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ! فَعِنْدَ ذَلِكَ { يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } {

وعن حمّاد، قَالَ: سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: { رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } قَالَ: الْكُفَّارُ يُعَيِّرُونَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ: مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ، فَيَأْمُرُ النَّبِيِّينَ وَالْمَلَائِكَةَ فَيَشْفَعُونَ، فَيُخْرِجُ أَهْلَ التَّوْحِيدِ، حَتَّىٰ إِنَّ إبليسَ لَيَتَطَاوَلُ رَجَاءً أَنْ يُخْرِجَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: { رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } {

وعن مجاهد، قَالَ: إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، قَالَ: مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ! فَعِنْدَ ذَلِكَ { يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } {

وَيَقُولُ آخَرُونَ: بَلْ يُعَذِّبُ اللَّهُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَعْرِفُهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَيَقُولُونَ: مَا أَغْنَتْ عَنْكُمْ عِبَادَةُ رَبِّكُمْ وَقَدْ أَلْقَاكُمْ فِي النَّارِ ؟ فَيَغْضَبُ لَهُمْ فَيُخْرِجُهُمْ، فَيَقُولُ: { رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } {

وعن أبي العَالِيَةِ، فِي قَوْلِهِ: { رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } قَالَ: نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ .

وعن قتادة، قَوْلُهُ: { رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } وَذَلِكَ وَاللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَدُّوا لَوْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُسْلِمِينَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا يَزَالُ اللَّهُ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ وَيَشْفَعُ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ! فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: { رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } ٩٤٥

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: " إِنْ نَاسًا مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ قَوْلُكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ ؟ فَيَعْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ، فَيُخْرِجُهُمْ (فَيَقْذِفُ بِهِمْ) فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَبْرَعُونَ مِنْ حَرِّقِهِمْ كَمَا يَبْرَأُ الْقَمَرُ مِنْ كُسُوفِهِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: الْجَهَنَّمِيِّينَ ". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَنَسُ، سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ؟ فَقَالَ أَنَسٌ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ". أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ هَذَا. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، ٩٤٦

وَعَنْ أَبِي رَوْقٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ أَبِي طَرِيفٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: { رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } [الحجر] ؟ فَقَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ، يَقُولُ: يُخْرِجُ اللَّهُ أَنَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا يَأْخُذُ نَقْمَتَهُ مِنْهُمْ، قَالَ: لَمَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَلَيْسَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ فَمَا لَكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ، فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَيَتَشَفَّعُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ حَتَّى يُخْرِجُوا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمَّا أُخْرِجُوا، قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ، فَتُدْرِكُنَا الشَّفَاعَةُ، فَتُخْرِجُ مِنَ النَّارِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: { رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } [الحجر]، قَالَ: فَيُسَمَّوْنَ فِي الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ مَنْ أَجْلَسَ سَوَادٍ فِي وُجُوهِهِمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَذْهَبَ عَنَّا هَذَا الْإِسْمُ، قَالَ: فَيَأْمُرُهُمْ فَيَغْتَسِلُونَ فِي نَهْرِ فِي الْجَنَّةِ فَيَذْهَبُ ذَلِكَ مِنْهُمْ. ٩٤٧

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، وَمَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالُوا: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلَامُكُمْ، وَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ، فَأُخِذْنَا بِهَا، فَسَمِعَ اللَّهُ مَا قَالُوا، قَالَ: فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَأُخْرِجُوا، فَيَقُولُ الْكُفَّارُ: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ، فَتُخْرِجُ كَمَا أُخْرِجُوا، قَالَ: وَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ: { الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١) رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } (٢) [الحجر/١-٣] ٩٤٨

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى عُنُقِهِ عَلَى قَدَرِ ذُنُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْكُثُ فِيهَا شَهْرًا ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْهَا وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْكُثُ فِيهَا سَنَةً ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْهَا وَأَطْوَلُهُمْ فِيهَا مَكْثًا بِقَدَرِ

٩٤٥ - تفسير الطبري - (ج ١٦ / ص ١٨) (١٥٨٧٨ - ١٥٨٨٩) وهي أسانيد تقوي بعضها البعض

٩٤٦ - مجمع الزوائد (١٨٥٣٣) وفيه من لم أعرفهم .

٩٤٧ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٥٨) (٧٤٣٢) حسن

٩٤٨ - المستدرک للحاکم (٢٩٥٤) وصححه ووافقه الذهبي !! ضعيف

الدُّنْيَا مُنْذُ يَوْمٍ خُلِقَتْ إِلَى أَنْ تَفْنَى فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْهَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ وَالْأَوْتَانِ لَمَنْ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ فَتَحْنُ وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي النَّارِ سَوَاءٌ فَيَعْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ غَضَبًا لَمْ يَعْضَبْهُ لَشَيْءٍ فِيمَا مَضَى فَيُخْرِجُهُمْ إِلَى عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ " رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ " ٩٤٩ .

المبحث الثلاثون

تخاصم أهل النار

قال تعالى: { هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْسَخِ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنْ ذَلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُّمِ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) } [ص/٥٩-٦٣]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ، وَكَيْفَ يَتَنَكَّرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَكَيْفَ يَتَشَتَّئِمُونَ وَيَتَلَاعَنُونَ، وَيُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَحِينَمَا يَرَى جَمَاعَةُ الْكُبَرَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ، فَوْجًا يَدْخُلُهَا مِنَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَذَا فَوْجٌ مِنَ الْكُفَرَةِ الضَّالِّينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ مَعَكُمْ، فَلَا مَرْحَبًا بِهِمْ، إِنَّهُمْ سَيَدُوقُونَ عَذَابَ النَّارِ، وَسَيَصِلُونَ سَعِيرَهَا .

فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْأَتْبَاعُ الدَّاخِلُونَ قَائِلِينَ لَهُمْ، وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَهُمْ: بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ فَأَنْتُمْ الَّذِينَ أَضَلَلْتُمُونَا وَدَعَوْتُمُونَا إِلَى مَا أَفْضَى بِنَا إِلَى هَذَا

فَيَقُولُ الْأَتْبَاعُ دَاعِينَ عَلَى رُؤُوسِ الضَّلَالَةِ: رَبَّنَا عَذَّبَ مَنْ كَانَ السَّبَبَ فِي وُصُولِنَا إِلَى هَذَا الْعَذَابِ وَأَذَقَهُ عَذَابًا مُضَاعَفًا فِي النَّارِ: عَذَابًا لِضَلَالِهِ، وَعَذَابًا آخَرَ لِإِضْلَالِهِ غَيْرُهُ . ثُمَّ يَلْتَفِتُ أَهْلُ النَّارِ لِيَبْحَثُوا بِأَنْظَارِهِمْ فِي النَّارِ عَنْ فَقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَضَعْفَاتِهِمْ، الَّذِينَ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَعُدُّونَهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ، فَلَا يَرَوْنَهُمْ فِي النَّارِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِمَ لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ أَشْرَارًا فِي الدُّنْيَا، وَكُنَّا نَسْخَرُ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِيَّانَا إِلَى الْإِيمَانِ؟ (وَهُمْ يَقْصِدُونَ فَقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ) . ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلْ اتَّخَذْنَا لَهُمْ مَوْضُوعًا لِلْهَزْءِ وَالسُّخْرِيَّةِ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلًا لِذَلِكَ، فَكَانُوا عَلَى حَقٍّ، وَكُنَّا عَلَى بَاطِلٍ، فَفَازُوا بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَدْخُلُوا النَّارَ مَعَنَا، أَمْ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ مَعَنَا وَلَكِنَّ أَبْصَارَنَا زَاغَتْ عَنْهُمْ، فَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِمْ؟

٩٤٩ - أخرجه ابن أبي حاتم وفيه مجاهيل، تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٥٢٦)

وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَحَادِيثِ أَهْلِ النَّارِ وَتَخَاصُّمِهِمْ وَتَلَاَعُنِهِمْ، لَحَقُّ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقَعَ .

وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُغْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) } [الأحزاب/٦٤-٦٨]

إن الله طرد الكافرين من رحمته في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة نارًا موقدة شديدة الحرارة، ما كثر في فيها أبدًا، لا يجدون وليًّا يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيرًا ينصرهم، فيخرجهم من النار. يوم تُغْلَبُ وجوه الكافرين في النار يقولون نادمين متحيرين: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا رسوله في الدنيا، فكنا من أهل الجنة. وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلال وكبرائنا في الشرك، فأزالونا عن طريق الهدى والإيمان. ربنا عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا به، واطردهم من رحمتك طردًا شديدًا. وفي هذا دليل على أن طاعة غير الله في مخالفة أمره وأمر رسوله، موجبة لسخط الله وعقابه، وأن التابع والمتبوع في العذاب مشتركون، فليحذر المسلم ذلك.

وقال تعالى: { وَبَرِّزُوا لِلَّهِ حَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ { [إبراهيم/٢١]

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبَرُّزُ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا لِلوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَتَجْتَمِعُ فِي بَرَّازٍ وَاحِدٍ (وَهُوَ الْمَكَانُ الْوَاسِعُ الْخَالِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَسْتُرُهُ)، فيقول الأتباع (الضُّعَفَاءُ) لِلْقَادَةِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: لَقَدْ كُنَّا تَابِعِينَ لَكُمْ نَأْتِمِرُ بِأَمْرِكُمْ، وَقَدْ فَعَلْنَا مَا أَمَرْتُمُونَا بِهِ، فَهَلْ تَدْفَعُونَ عَنَّا الْيَوْمَ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ { فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا } ؟ فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْقَادَةُ الْكُبَرَاءُ قَائِلِينَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانَا لَهْدَيْنَاكُمْ مَعًا، وَلَكِنَّا ضَلَلْنَا فَضَلَلْتُمْ مَعَنَا، فَحَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَلَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ لِأَنَّ الْجَزَعَ لَا يُفِيدُ، وَسَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا فَلَا نَجَاةَ لَنَا مِنَ النَّارِ، وَلَا مَصْرِفَ لَنَا عَنْهَا .

وقال تعالى: { وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا نَصِيْبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) } [غافر/٤٧-٥٠]

وفي يوم القيامة أهل النار في الحجاج والخصام، فيقول الأتباع للقادة: إِنَّا أَطَعْنَاكُمْ فِيمَا دَعَوْتُمُونَا إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، فَهَلْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا عَنَّا قِسْطًا مِنَ الْعَذَابِ فَتَخَفِّفُوهُ عَنَّا؟ فَقَدْ كُنَّا

لَكُمْ أَتْبَاعًا، وَإِنَّمَا دَخَلْنَا النَّارَ بِسَبَبِ إِطَاعَتِنَا لَكُمْ. وَيَقُولُ الْكِبَرَاءُ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ: إِنَّهُمْ جَمِيعًا فِي النَّارِ يَدُوفُونَ الْعَذَابَ، وَقَدْ فَصَلَ اللَّهُ بَقَضَائِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ، فَلَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يُعَذَّبُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِذَنْبِهِ، وَإِنَّهُمْ جَمِيعًا كَافِرُونَ وَقَدْ اسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ .

وَلَمَّا يَبْسُ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَنَّ يَحْمِلَ السَّادَةُ الَّذِينَ كَانُوا سَبَبَ كُفْرِهِمْ، وَإِدْخَالِهِمْ فِي النَّارِ، شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ عَنْهُمْ، اتَّجَهُوا إِلَى خَزَنَةِ جَهَنَّمَ يَسْأَلُونَهُمُ الْإِتِّجَاهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالِدُّعَاءِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ فِي النَّارِ. وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ يَقْرَعُونَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُ رَبِّكُمْ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ مَا يَدْعُونَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَيَقُولُ الْمُسْتَضْعَفُونَ: نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ بِالْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ: إِذَا فَادَعُوا أَنْتُمْ وَحَدَّكُمْ. وَلَكِنَّ دُعَاءَ الْكَافِرِينَ لَا يُعِيدُ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ، وَيَذْهَبُ سُدىً .

وقال تعالى: { وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) } [الزخرف/٣٦-٣٨]

وَمَنْ يَتَعَاظِلْ وَيَتَعَامَ عَنِ الْقُرْآنِ، وَعَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَنْهَمِكُ فِي الْمَعَاصِي، وَلَذَاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا.. فَإِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَكُونُونَ لَهُ قُرْنَاءً، يُزَيِّنُونَ لَهُ ارْتِكَابَ الْمَعَاصِي، وَالِاشْتِعَالَ بِاللذَّاتِ، فَيَسْتَرْسِلُ فِيهَا فَيَحِقُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَعِقَابُهُ . وَهَؤُلَاءِ الْقُرْنَاءُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، الَّذِينَ يُفِيضُهُمُ اللَّهُ لِكُلِّ مَنْ يَعِشُوا عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ، يُحَاوِلُونَ صَرْفَهُ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَيُوسَّسُونَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى حَادَّةِ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنْ غَيْرُهُ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيُكْرَهُونَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ فَيُطِيعُهُمْ . وَحِينَ يُوَفِّي هَذَا الْعَافِلُ، الَّذِي تَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ، رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْرُمُ بِالشَّيْطَانِ الَّذِي وَكَّلَ بِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَبِئْسَ الْقَرِينُ أَنْتَ، لِأَنَّكَ أَضَلَلْتَنِي، وَأَوْصَلْتَنِي إِلَى مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ . وَيُقَالُ لِهَذَا الْعَافِلِ الْجَاهِلِ وَأَمْثَالِهِ، وَشَيَاطِينِهِمْ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا: لَنْ يَنْفَعَكُمْ، وَلَنْ يُعْنِيَ عَنْكُمْ اجْتِمَاعُكُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ وَقُرْنَاؤُكُمْ، وَلَا اشْتِرَاؤُكُمْ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُعَانِي مِنَ الْعَذَابِ مَا يَكْفِيهِ .

وقال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْتَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) } [سبا/٣١-٣٣]

وَقَالَ قَوْمٌ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَلَا بِالْكِتَابِ الَّتِي تَقْدَمْتُهُ، وَلَا بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، وَالْبَعْثِ، وَالنُّشُورِ، وَالْحِسَابِ، وَالْجَزَاءِ، وَيُرْذُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، قَائِلًا لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: لَوْ تَرَى يَا مُحَمَّدُ حَالِ أَوْلِيكَ الْكُفَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ وَقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمْ، لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَقَدْ عَلَتْهُمْ الدُّلَّةُ وَالْمَهَانَةُ.. إِذَا لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَجَبًا، إِذْ يَقُولُ الْأَتْبَاعُ الْمُسْتَضْعَفُونَ لِلْسَّادَةِ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِينَ حَمَلُوهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْغَيِّ وَالضَّلَالَةِ: لَوْلَا أَنَّكُمْ صَدَدْتُمْونا عَنِ الْهُدَى، وَحَمَلْتُمْونا عَلَى اتِّبَاعِكُمْ حَمَلًا لَكُنَّا آمِنًا بِرَبِّنَا، وَبِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ . فَيُرْذُ السَّادَةُ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ قَائِلِينَ: هَلْ نَحْنُ الَّذِينَ صَدَدْنَاكُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ؟ لَيْسَ هَذَا حَقًّا، إِنَّكُمْ الَّذِينَ مَنَعْتُمْ الَّذِينَ مَنَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ حَظَّهَا مِنْ اتِّبَاعِ الْهُدَى لِإِجْرَامِكُمْ وَإِثَارِكُمْ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ . فَقَالَ الْأَتْبَاعُ الْمُسْتَضْعَفُونَ لِلْسَّادَةِ: بَلْ أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُوسُوسُونَ لَنَا بِالْكُفْرِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَتُعَوِّنَا بِالثَّبَاتِ عَلَى الْكُفْرِ، وَالْإِقَامَةِ عَلَيْهِ، وَتُخْبِرُونَنَا أَنَّنا عَلَى هُدًى فِيمَا نَعْبُدُهُ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ وَأَنْدَادٍ . وَبِتَوَقُّفِ الْحَوَارِ بَيْنَ الْأَتْبَاعِ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَبَيْنَ السَّادَةِ الْمُتَبَوِّعِينَ، وَيُسِرُّ كُلُّ فَرِيقٍ فِي نَفْسِهِ مَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ حَسْرَةٍ وَنَدَمٍ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَمَا قَصَرَ فِي طَاعَتِهِ، حِينَ يَرَى الْعَذَابَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ. ثُمَّ تُوضَعُ الْأَغْلَالُ وَسِلَاسِلُ الْحَدِيدِ فِي أَعْنَاقِ هَؤُلَاءِ، وَهُمْ فِي النَّارِ . وَالْعَذَابُ الَّذِي يَلْقَوْنَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِنَّمَا هُوَ الْجَزَاءُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى مَا اجْتَرَحُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْآثَامِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا .

المبحث الواحد والثلاثون

في بكانهم وشهيقهم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: إِنْ أَهْلُ النَّارِ يَدْعُونَ مَالِكًا فَلَا يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا، ثُمَّ يَقُولُ: { إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ } (٧٧) سورة الزخرف. ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فَيَقُولُونَ: { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ } (١٠٧) سورة المؤمنون، فَلَا يُجِيبُهُمْ مِثْلَ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَقُولُ: { اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ } (١٠٨) سورة المؤمنون. ثُمَّ يَبْئَسُ الْقَوْمُ فَمَا هُوَ إِلَّا الزَّفِيرُ، وَالشَّهِيْقُ تُشَبِّهُ أَصْوَاتَهُمْ أَصْوَاتَ الْحَمِيرِ، أَوَّلُهَا شَهِيْقٌ وَآخِرُهَا زَفِيرٌ^{٩٥٠}.

الشهيق في الصدر -والزفير في الحلق وقال ابن فارس الشهيق ضد الزفير لأن الشهيق رد النفس والزفير إخراج النفس

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: { لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ } يَقُولُ: صَوْتُ شَدِيدٍ وَصَوْتُ ضَعِيفٍ^{٩٥١}

^{٩٥٠} - مجمع الزوائد (١٨٦٣٦) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَرَجَّاهُ رِجَالُ الصَّحِيْحِ وَالمُسْتَدْرَكُ (٣٤٩٢) صَحِيْح

^{٩٥١} - تفسير الطبري - (ج ١٤ / ص ٣٩٩) (١٤٣٠٦) صَحِيْح

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ بِكَالَالِيبِ الْحَدِيدِ فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وَجُوهِهُمْ فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونُهُمْ قَطَعَتْ مَا فِي بُطُونِهِمْ فَيَقُولُونَ ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى. قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. قَالَ فَيَقُولُونَ ادْعُوا مَالِكًا فَيَقُولُونَ (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قَالَ فَيَجِيبُهُمْ (إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ) ». قَالَ الْأَعْمَشُ نُبْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمْ أَلْفَ عَامٍ. قَالَ « فَيَقُولُونَ ادْعُوا رَبَّكُمْ فَلَا أَحَدَ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَيَقُولُونَ (رَبَّنَا عَلَبْتَ عَلَيْنَا شَقَوْنًا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) قَالَ فَيَجِيبُهُمْ (اِخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ) قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَمْسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ » ٩٥٢.

الضريع: نبت بالحجاز له شوك كبار

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَيَكُونُ حَتَّى يَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ ثُمَّ يَكُونُ الدَّمُ حَتَّى يَصِيرَ فِي وَجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الْأَخْدُودِ لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهِ السُّفْنُ لَجَرَتْ » ٩٥٣.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَنَبَاكُوا، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَكُونُ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، فَتَسِيلَ يَعْنِي الدَّمَاءُ فَتَقْرَحَ الْعُيُونُ، فَلَوْ أَنَّ سَفْنًا أُرْحِيتَ فِيهَا لَجَرَتْ ٩٥٤.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَكُونُ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفْنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَكُونُ الدَّمُ يَعْنِي مَكَانَ الدَّمْعِ ٩٥٥.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَكُونُ فِي النَّارِ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفْنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيَكُونُ الدَّمُ بَعْدَ الدُّمُوعِ، وَلِمِثْلِ مَا هُمْ فِيهِ يُبْكِي لَهُ. ٩٥٦.

الأخدود بالضم هو الشق العظيم في الأرض

المبحث الثاني والثلاثون

أعظم عذاب أهل النار

٩٥٢ - سنن الترمذي (٢٧٨٩) ورجح وقفه

٩٥٣ - سنن ابن ماجه (٤٤٦٧) ضعيف

٩٥٤ - مسند أبي يعلى الموصلي (٤١٣٤) ضعيف

٩٥٥ - المستدرک للحاکم (٨٧٩١) صحيح

٩٥٦ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ١٥٦) (٣٥٢٦٨) صحيح

كما أنَّ رضوان الله تعالى على أهل الجنة وتجليه لهم أعظم من كل نعيم الجنة، فإنَّ أعظم عذاب أهل النار هو حجابهم عن الله عزَّ وجلَّ وإبعادهم عنه، وإعراضه عنهم، وسخطه عليهم، قال تعالى: (كَأَلَّا بِلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ* ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ* ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) {المطففين: ١٤-١٧}.

وليس الأمر كما زعموا من أنَّ هذا القرآن هو من أساطير الأولين، وإنَّما هو كلام الله إلى رسوله مُحَمَّدٍ ﷺ، ولكنَّ الذي حجب عن قلوبهم الإيمان هو ما علا قلوبهم وغطَّاهَا مِنْ تَرَائِكُمُ الذُّنُوبِ، وتوالي الإقدام على منكِرِ الأعمال، حتَّى اعتادوها، وصارت سبباً لهم لحصول الرِّين على قلوبهم، الأمور عليهم. يزجر الله تعالى هؤلاء المكذِّبين، الذين يقولون إنَّ القرآن أساطير الأولين، والذين يدعون أنَّهم سيكونون عند الله من المقرِّين يوم القيامة، فيقول لهم: ليس الأمر كما زعموا، فهم سيُطرَّدون من رحمة الله، وسيُحجَّبون عن رؤيته. وبعد أن يحجَّبوا يوم القيامة عن رؤية ربِّهم، يُقدَّف بهم في نار جهنم، ويصلون سعيها، ويقاسون حرَّها.

فذكر الله تعالى ثلاثة أنواع من العذاب: حجابهم عن الله، ثمَّ صليهم الجحيم، ثمَّ توبيخهم بتكذيبهم به في الدنيا. وذلك بعد أن وصفهم بالرَّان على قلوبهم - وهو الصدأ - بسبب المعاصي والذنوب.

وعن أبي عمران الجوني، قال: لم ينظر الله تعالى إلى إنسان قط إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكنه قضى أنه لا ينظر إليهم.^{٩٥٧}

المبحث الثالث والثلاثون

أهل النار عذاباً

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ »^{٩٥٨}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا الَّذِي يُجْعَلُ لَهُ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ.^{٩٥٩}

^{٩٥٧} - حلية الأولياء - (ج ١ / ص ١)

^{٩٥٨} - صحيح مسلم (٥٣٦)

^{٩٥٩} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥١٣) (٧٤٧٢) صحيح

وَعَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؟ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لِعُضْبِكَ، قَالَ: نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ٩٦٠

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: ذَكَرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: لَعَلَّهُ يَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَجْعَلَ فِي ضَحَضَاحٍ مِنَ النَّارِ تَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ ٩٦١
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَفِي رَجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، ٩٦٢

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُتَّعِلٌ نَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » ٩٦٣ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُتَّعِلٌ نَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » ٩٦٤ .

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ وَالْقُمْقُمُ. ، ٩٦٥

الأخصص: باطن القدم الذي يتجافى عن الأرض عند الوطء -المرجل: القدر من النحاس أو الحجارة - القمقم: ما يسخن فيه من نحاس وغيره

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ لَهُ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ، مَا يَرَى أَنْ أَحَدًا أَشَدَّ عَذَابًا مِنْهُ وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا . ٩٦٦

أَمَّا الضَّحَضَاحُ فَهُوَ بِضَادَتَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ، وَالضَّحَضَاحُ: مَا رَقَّ مِنَ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى نَحْوِ الْكُعْبَيْنِ، وَاسْتَعِيرَ فِي النَّارِ. وَأَمَّا الْعَمَرَاتُ فَبِفَتْحِ الْغَيْنِ وَالْمِيمِ وَاحِدَتَاهَا غَمْرَةٌ بِإِسْكَانِ الْمِيمِ وَهِيَ الْمُعْظَمُ مِنَ الشَّيْءِ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: جَمَعَ (الدَّرَكُ) بِالْفَتْحِ أَذْرَاكَ كَجَمَلٍ وَأَجْمَالٍ وَفَرَسٍ وَأَفْرَاسٍ، وَجَمَعَ (الدَّرَكُ) بِالِإِسْكَانِ أَذْرُكَ كَفُلْسٍ وَأَفْلُسٍ. وَأَمَّا مَعْنَاهُ: فَقَالَ جَمِيعُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْمَعَانِي وَالْغَرِيبِ وَجَمَاهِيرِ الْمُفَسِّرِينَ: الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ قَعْرُ جَهَنَّمَ. وَأَقْصَى أَسْفَلِهَا، قَالُوا: وَلِجَهَنَّمَ أَذْرَاكَ، فَكُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ أَطْبَاقِهَا تُسَمَّى دَرَكًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٩٦٠ - مسند أبي عوانة (٢٠٩) صحيح

٩٦١ - مسند أبي عوانة (٢١٠) صحيح

٩٦٢ - مسند أبي عوانة (٢١٢) و صحيح مسلم (٥٣٧)

٩٦٣ - مسند أحمد (٢٦٨٨) صحيح

٩٦٤ - صحيح مسلم (٥٣٧)

٩٦٥ - مسند أبي عوانة (٢١٣) و صحيح البخارى (٦٥٦١ و ٦٥٦٢) ومسلم (٥٣٨)

٩٦٦ - مسند أبي عوانة (٢١٤) و صحيح مسلم (٥٣٩)

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا أَشَبَّهُهُ تَصْرِيحٌ بِتَفَاوُتِ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ كَمَا أَنَّ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مُتَفَاوِتٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَعَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ « أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ قَالَ نَعَمْ. قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي. فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ » ٩٦٧ .

وَعَنْ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيَقُولُ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي » ٩٦٨ .

المبحث الرابع والثلاثون

أشخاص بأعيانهم في النار

الكفار والمشركون في النار لا شك في ذلك، ولكن القرآن والرسول ﷺ أخبرنا أن أشخاصاً بأعيانهم في النار فمن هؤلاء:

فرعون موسى: قال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعَنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) [هود/٩٦، ٩٩]) يُخْبِرُ اللَّهُ عَنْ إِرْسَالِهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَكِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ (مَلَئِهِ)، مُؤَيِّدًا بِآيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَاتِ، الدَّلَالَاتِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ، وَفِيهَا السُّلْطَانُ الْمُبِينُ، وَالْحُجَجُ الْوَاضِحَةُ الدَّلَالَةُ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ .

لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَكِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ (مَلَئِهِ) مِنَ الْقِبْطِ، فَكَفَرَ فِرْعَوْنَ بِمَا جَاءَهُ بِهِ مُوسَى، وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِأَنْ يَتَّبِعُوهُ فِي الْكُفْرِ، فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ، وَمَسْلَكَهُ وَطَرِيقَتَهُ فِي الْعِيِّ وَالضَّلَالِ، وَلَمْ يَكُنْ مَسْلَكَ فِرْعَوْنَ مَهْدِيًا رَشِيدًا حَتَّى يُتَّبَعَ. (وَخَصَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَأَ بِالذِّكْرِ، لِأَتْنَهُمُ الْكِبْرَاءَ وَالْعَامَّةُ تَبَعَ لَهُمْ) .

٩٦٧ - صحيح البخارى (٣٣٣٤)

٩٦٨ - صحيح البخارى (٦٥٥٧)

وَكَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكَ قَوْمِهِ وَقَائِدَهُمْ فِي الدُّنْيَا، كَذَلِكَ يَتَقَدَّمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَبِئْسَ الْمَوْرِدُ الَّذِي يَرِدُونَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِإِطْفَاءِ ظَمْتِهِمْ، وَهُوَ الْمَاءُ الْحَمِيمُ .

وَلَحِقَتْ بِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَمَمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْعَنُهُمْ أَهْلُ الْمَوْقِفِ جَمِيعًا فَتَكُونُ اللَّعْنَةُ تَابِعَةً لَهُمْ حَيْثُمَا سَارُوا، وَبِئْسَتْ هَذِهِ اللَّعْنَاتُ عَطَاءً وَرِفْدًا يُعْطَوْنَهُ وَيَتَّبِعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

أوردتهم كما يورد الراعي قطع الغنم. ألم يكونوا قطعاً يسير بدون تفكير؟ ألم يتنازلوا عن أخص خصائص الآدمية وهي حرية الإرادة والاختيار؟ فأوردتهم النار. ويا بئساه من ورد لا يروي غلة، ولا يشفي صدى، إنما يشوي البطون والقلوب: { وبئس الورد المورود! } . وإذا ذلك كله. قيادة فرعون لهم، وإيرادهم موردهم.. إذا ذلك كله حكاية تروى، ويعلق عليها: { وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة }.. ويُسخر منها ويتهكم عليها: { بئس الرfid المرفود }.. فهذه النار هي الرfid والعطاء والمنة التي رfid بها فرعون قومه!!! ألم يعد السحرة عطاء جزيلاً ورِفداً مرفوداً.. فما هو ذا رfidه لمن اتبعه.. النار.. وبئس الورد المورود. وبئس الرfid المرفود!

.....

امرأة نوح وامرأة لوط: قال تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ } (١٠) سورة التحريم

يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِحَالِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُخَالِطُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُعَاشِرُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ مِنَ الْعِظَاتِ وَالذَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، بِحَالِ امْرَأةِ نُوحٍ وَامْرَأةِ لُوطٍ، فَقَدْ كَانَتْ كُلُّ مِنْهُمَا زَوْجَةً لِنَبِيِّ صَالِحٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ تَنْفَعَا بِمَا كَانَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَعَمِلْنَا أَعْمَالًا تَدُلُّ عَلَى الْخِيَانَةِ وَالْكَفْرِ، فَاتَّهَمَتِ امْرَأةُ نُوحٍ زَوْجَهَا بِالْجُنُونِ، وَكَانَتْ امْرَأةُ لُوطٍ تُرْشِدُ قَوْمَهَا إِلَى ضُيُوفِ زَوْجِهَا لِيَفْعَلُوا مَعَهُمُ الْخَبَائِثَ، فَأَهْلَكَهُمَا اللَّهُ مَعَ قَوْمِهِمَا، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمَا النَّارَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَنْ يَنْفَعَهُمَا قُرْبُهُمَا مِنْ نَبِيِّنِ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَلَا انْتِسَابُهُمَا إِلَيْهِمَا، وَيُقَالُ لَهُمَا: ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهَا .

إن مبدأ التبعة الفردية يراد إبرازه هنا، بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار. كما يراد أن يقال لأزواج النبي ﷺ وأزواج المؤمنين كذلك: إن عليهن أنفسهن بعد كل شيء . فهن مسؤولات عن ذواتهن، ولن يعفيهن من التبعة أهن زوجات ني أو صالح من المسلمين !

وها هي ذي امرأة نوح. وكذلك امرأة لوط. (كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين)..(فخانتاهما).. (فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً).. (وقيل: ادخلا النار مع الداخلين).. فلا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان. وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الأنبياء !

.....

أبو لهب وامرأته: قال تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) [المسد/١-٥])
خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْبَطْحَاءِ يَوْمًا فَصَعِدَ الْجَبَلَ، وَنَادَىٰ وَاصْبَحَاةً. فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ أَوْ مُمَسِّكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ إِلَيْكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ أَلِهَذَا جَمَعْتُنَا؟ تَبًّا لَكَ .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ السُّورَةَ .

وَمَعْنَى الْآيَةِ: الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُ وَالتَّبَاتُ لِأَبِي لَهَبٍ (وَأَبُو لَهَبٍ عَمُّ الرَّسُولِ)، وَقَدْ نَسَبَ تَعَالَى الْخُسْرَانَ وَالتَّبَاتَ لِيَدَيِ أَبِي لَهَبٍ لِأَنَّهُمَا أَدَاةُ الْعَمَلِ وَالْبَطْشِ، وَقَدْ تَبَّ وَهَلَكَ. (فَالْجُمْلَةُ الْأُولَى دُعَاءٌ، وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ إِخْبَارٌ بِأَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ قَدْ تَحَقَّقَ، وَأَنَّ أَبَا لَهَبٍ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) .
وَفِي الْآخِرَةِ لَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ وَلَا عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَقُومُ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ مُعَادَاةِ الرَّسُولِ وَإِذَائِهِ .
وَسَيَذُوقُ فِي الْآخِرَةِ حَرَّ النَّارِ، وَسَيُعَذَّبُ فِي لَذَائِهَا .

وَسَتُعَذَّبُ فِي هَذِهِ النَّارِ أَيْضًا زَوْجَتُهُ لِسَعْيِهَا فِي الْفِتْنَةِ وَالتَّمِيمَةِ لِإِطْفَاءِ نُورِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِذَائِةِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ .

وَفِي عُنُقِهَا حَبْلٌ مِّن لِّيفٍ غَلِيظٍ أَحْكَمَ فَنَلَهُ، وَهِيَ تَرْبُطُ بِهِ حُرْمَةَ حَطَبٍ إِلَى جِيدِهَا مِثْلَ الْحَطَّابَاتِ الْمُتَمَتِّهَاتِ . وَقَدْ صَوَّرَهَا تَعَالَى بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْمُرِّيَّةِ احْتِقَارًا لَهَا وَلَزُوجِهَا .

ولكن الصورة الزرية المثيرة للسخرية التي شاعت في آياتها، قد سجلت في الكتاب الخالد، وسجلتها صفحات الوجود أيضاً تنطق بغضب الله وحربه لأبي لهب وامرأته جزاء الكيد لدعوة الله ورسوله، والتباب والهلاك والسخرية والزراية جزاء الكائدين لدعوة الله في الدنيا، والنار في الآخرة جزاء وفاقاً، والذل الذي يشير إليه الحبل في الدنيا والآخرة جميعاً..

.....

عمرو بن عامر الخزاعي: فقد رآه الرسول ﷺ يجر أمتعاه في النار، فعَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ، وَالنَّاسُ فِي الصُّفُوفِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَتَنَاوَلُهُ، فَتَأَخَّرَ النَّاسُ، ثُمَّ تَأَخَّرَ الثَّانِيَةُ، فَتَأَخَّرَ النَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتَكَ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنْتَ تَصْنَعُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: إِنَّهُ عَرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ بِمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ وَالنَّضْرَةِ، فَتَنَاوَلْتُ قِطْفًا مِنْ عِنَبِهَا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُ مِنْهُ مِنْ بَيْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يُنْقِصُونَهُ، فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَعَرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَلَمَّا وَجَدْتُ سَفْعَتَهَا، تَأَخَّرْتُ عَنْهَا، وَأَكْثَرْتُ مَنْ رَأَيْتُ فِيهَا مِنَ النِّسَاءِ، إِنْ أَتَيْتُنَّ أَفْشَيْنَ، وَإِنْ سَأَلْنَ أَلْحَنَ، وَإِذَا سُئِلْنَ بِحِلْنٍ، وَإِذَا أُعْطِينَ لَمْ يَشْكُرْنَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ يَجْرُ قَصْبُهُ فِي النَّارِ، وَأَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ مَعْبَدُ بْنُ أَكْثَمَ

الْخَزَاعِيُّ، فَقَالَ مَعْبُدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَخْشَى عَلَيَّ مِنْ شَبَّهٍ، فَإِنَّهُ وَالِدِي ؟ فَقَالَ: لَا، أَنْتَ مُؤْمِنٌ، وَهُوَ كَافِرٌ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الْعَرَبَ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ^{٩٦٩}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ بَنَ قَمْعَةَ بَنَ خِنْدِفَ أَبَا بَنِي كَعْبٍ هَؤُلَاءِ يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ »^{٩٧٠}. الْقُصْبُ: الْأَمْعَاءُ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ بَنَ قَمْعَةَ بَنَ خِنْدِفَ يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ، وَسَيَّبَ السَّوَابِ، وَكَانَ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِأَكْثَمِ بَنِ أَبِي الْجَوْنِ الْخَزَاعِيِّ، فَقَالَ الْأَكْثَمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَضُرُّنِي شَبَّهُهُ ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ مُسْلِمٌ وَهُوَ كَافِرٌ.^{٩٧١}

قاتل عمار بن ياسر وسالبه: فعن عبد الله بن عمرو، أن رجلين أتيا عمرو بن العاص يَخْتَصِمَانِ فِي دَمِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَسَلَبِهِ، فَقَالَ عَمْرُو: خَلِّيا عَنْهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ أُولِعْتُ فُرَيْشُ بَعْمَارٍ، إِنَّ قَاتِلَ عَمَّارٍ وَسَالِبَهُ فِي النَّارِ^{٩٧٢}

رَأَى عَصَاةَ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بَضْبِعِي، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعَرًّا، فَقَالَا لِي: اصْعَدْ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ، فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ شَدِيدٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ ؟ قَالَ: هَذَا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيهِمْ مُشَقَّعَةً أَشَدَّ أَشَدَّ قُصْبُهُمْ تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحَلَّةِ صَوْمِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِقَوْمٍ أَشَدَّ شَيْءٍ انْتِفَاحًا، وَأَنْتَنَةً رِيحًا، وَأَسْوَأَ مَنْظَرًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ، قِيلَ: الزَّائِنُونَ وَالزَّوَانِي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ تَدْيِهِنَّ الْحَيَاتُ، قُلْتُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ ؟ قِيلَ: هَؤُلَاءِ اللَّاتِي يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِغِلْمَانٍ يَلْعُبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ ذُرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ شَرَفَ بِي شَرَفًا، فَإِذَا أَنَا بِثَلَاثَةِ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ لَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا: هَذَا إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ.^{٩٧٣}

وَعَنْ سَمُرَةَ بِنْتِ جُنْدُبٍ الْفَزَارِيَّةِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا يَقُولُ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْ رُؤْيَا ؟ فَيَقْصُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتَلَعُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَتَدْهَهُهُ الصَّخْرَةُ هَا هُنَا، فَيَقُومُ إِلَى الْحَجَرِ فَيَأْخُذُهُ فَمَا يَرْجِعُ

^{٩٦٩} - المستدرك للحاكم (٨٧٨٨) حسن

^{٩٧٠} - صحيح مسلم (٧٣٧١)

^{٩٧١} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٣٥) (٧٤٩٠) صحيح

^{٩٧٢} - المستدرك للحاكم (٥٦٦١) صحيح

^{٩٧٣} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٣٦) (٧٤٩١) صحيح

إِلَيْهِ أَحْسِبُهُ، قَالَ: حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخَرُ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَى وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الْجَانِبُ الْأَوَّلُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ، قَالَ عَوْفٌ: أَحْسِبُ أَنَّهُ، قَالَ: فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ، فَاطْلَعْنَا فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ وَإِذَا بَنَهْرٌ لَهَيْبٍ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ تَضَوُّضُوا، قَالَ: قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا عَلَى نَهْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ، قَالَ: أَحْمَرُ مِثْلِ الدَّمِ وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عِنْدَ شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي جَمَعَ الْحِجَارَةَ، فَيَقْعُرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا، فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْأَةِ كَأَكْرَهٍ مَا أَنْتَ رَأَى رَجُلًا مَرَأَةً، فَإِذَا هُوَ عِنْدَ نَارٍ يَحْشُشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَأَنْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ قَائِمٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوِيلًا فِي السَّمَاءِ، وَأَرَى حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانِ رَأْيْتُهُمْ قَطُّ وَأَحْسَنُهُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَأَنْطَلَقْنَا وَأَتَيْنَا دَوْحَةً عَظِيمَةً لَمْ أَرِ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ، قَالَا لِي: ارْقُ فِيهَا، قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلِسْنِ ذَهَبٍ وَلِسْنِ فِضَّةٍ، فَاتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَقُلْنَا: مَا مِنْهَا رِجَالٌ، شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَى، وَشَطْرٌ كَأَفْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَى، قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، فَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ الشُّوءُ عَنْهُمْ، وَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالَ: فَسَمَا بَصْرِي صُعْدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، ذَرَانِي أَدْخُلْهُ، قَالَ: قَالَا لِي: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ، قَالَ: فَإِنِّي رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ. أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَعْدُو مِنْ بَيْنِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ. وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاءُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ، فَإِنَّهُمْ الرُّنَاءُ وَالزَّوَانِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَيَلْتَقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ أَكَلَ الرِّبَا. وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْأَةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُشُهَا فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنٌ جَهَنَّمَ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ وَلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ.

قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ. وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ شَطَرُ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطَرُ مِنْهُمْ فَبِيحٌ، فَهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ٩٧٤

وفي حديث الإسراء والمعراج الطويل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا، وَفِيهِ: ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُرَضِّحُ رُءُوسَهُمْ بِالصَّخَرِ، كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَالَ: "مَا هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟" قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَنَاقَلُ رُءُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ، وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ، يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْإِبِلُ وَالنَّعَمُ، وَيَأْكُلُونَ الضَّرِيعَ وَالزَّقُومَ وَرَضَفَ جَهَنَّمَ وَحَجَارَتَهَا، قَالَ: "مَا هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟" قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ شَيْئًا وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ نَضِيجٌ فِي قِدَرٍ، وَلَحْمٌ آخَرُ نَيْيٌ قَدِرٌ خَبِيثٌ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنَ النَّيِيِّ الْخَبِيثِ وَيَدْعُونَ النَّضِيجَ الطَّيِّبَ، فَقَالَ: "مَا هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟" قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ الْحَلَالُ الطَّيِّبُ، فَيَأْتِي امْرَأَةً خَبِيثَةً فَيَبِيتُ عِنْدَهَا حَتَّى يُصْبِحَ، وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا، فَتَأْتِي رَجُلًا خَبِيثًا فَتَبِيتُ مَعَهُ حَتَّى تُصْبِحَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَى عَلَى خَشَبَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ لَا يَمُرُّ بِهَا ثَوْبٌ إِلَّا شَقَّتْهُ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا خَرَقَتْهُ، قَالَ: "مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟" قَالَ: هَذَا مِثْلُ أَقْوَامٍ مِنْ أُمَّتِكَ يَقْعُدُونَ عَلَى الطَّرِيقِ فَيَقْطَعُونَهُ، ثُمَّ تَلَا: وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْآيَةَ، ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حَزْمَةَ حَطَبٍ عَظِيمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلُهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟" قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عِنْدَهُ أَمَانَاتُ النَّاسِ، لَا يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَهَا، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشَفَاهُمْ بِمَقَارِيزٍ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، قَالَ: "مَا هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟" قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، ثُمَّ أَتَى عَلَى حَجَرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ، فَجَعَلَ الثَّوْرُ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ، فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟" قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ، ثُمَّ يَنْدُمُ عَلَيْهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّهَا، ٩٧٥

المبحث الخامس والثلاثون

أول من تسعير بهم النار

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلْ أَهْلَ الشَّامِ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ

٩٧٤ - صحيح البخاري (٧٠٤٧) و صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٤٢٧) (٦٥٥)

٩٧٥ - تهذيب الأثر للطبري (٢٧٦٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٦٧٩) حسن

الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيٌّ. فَقَدْ قِيلَ.

ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ «. ٩٧٦

وعن سُفْيَانَ، أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى فَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا، قُلْتُ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ بِحَقِّ، وَحَقٌّ لَمَا حَدَّثَنِي حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَعَلِمْتُهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لِأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْعَةً، فَمَكَثَ قَلِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لِأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْعَةً أُخْرَى فَمَكَثَ بِذَلِكَ، ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ، فَقَالَ: أَفْعَلُ لِأُحَدِّثَنَّكَ بِحَدِيثِ حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْعَةً أُخْرَى، ثُمَّ مَالَ خَارًا عَلَى وَجْهِهِ وَأَسْنَدُهُ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَزَلَ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ حَائِثَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلَّمْتُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُوسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعَكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ الَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِيٌّ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ٩٧٧

٩٧٦ - صحيح مسلم (٥٠٣٢)

٩٧٧ - المستدرک للحاکم (١٥٢٧) وسنن الترمذی (٢٥٥٧) حسن

وعن شُفَيِّ الْأَصْبَحِيِّ، أَنَّهُ دَخَلَ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا ؟
 قَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا، قُلْتُ
 لَهُ: أَنَشُدُكَ بِحَقِّي لَمَّا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ
 أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْعَةً فَمَكَثَ قَلِيلًا، ثُمَّ
 أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي
 وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْعَةً أُخْرَى، فَمَكَثَ كَذَلِكَ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ
 حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَعَ نَشْعَةً
 شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ، وَاشْتَدَّ بِهِ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ
 وَتَعَالَى، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيُقْضَى بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ. فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ
 جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْقَارِي: أَلَمْ
 أَعْلَمَكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي ﷺ ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ
 بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ
 اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فَلَانٌ قَارِيٌّ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوسِّعْ عَلَيْكَ
 حَتَّى لَمْ أَدْعَكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ
 الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ ؟ فيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ إِنَّمَا أَرَدْتُ
 أَنِّي، قَالَ: فَلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فيُقَالُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ ؟
 فيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ
 وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فَلَانٌ جَرِيٌّ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُكْبَتِي، فَقَالَ: يَا أَبَا
 هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ بْنُ شُفَيٍّ هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا الْخَبَرِ.
 قَالَ أَبُو عُسْمَانَ الْوَلِيدُ وَحَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّهُ كَانَ سَيِّفًا لِمُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 رَجُلٌ، فَحَدَّثَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فَعَلَ بِهَؤُلَاءِ مِثْلَ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ ؟
 ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةَ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ
 مُعَاوِيَةَ، وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، نُوفِّ إِلَيْهِمْ
 أَعْمَالَهُمْ فِيهَا، وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسُونَ } أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا
 فِيهَا، وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [هود: ٩٧٨].

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلْفَاظُ الْوَعِيدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ كُلُّهَا مَقْرُونَةٌ بِشَرْطٍ، وَهُوَ: إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى مُرْتَكِبِ تِلْكَ الْخِصَالِ بِالْعَفْوِ وَغُفْرَانِ تِلْكَ الْخِصَالِ، دُونَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا وَكُلُّ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ مِنْ أَلْفَاظِ الْوَعْدِ مَقْرُونَةٌ بِشَرْطٍ، وَهُوَ: إِلَّا أَنْ يَرْتَكِبَ عَامِلُهَا مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ، حَتَّى يُعَاقَبَ، إِنْ لَمْ يَتَفَضَّلْ عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ، ثُمَّ يُعْطَى ذَلِكَ الثَّوَابَ الَّذِي وَعِدَ بِهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْفِعْلِ.

المبحث السادس والثلاثون

صبغُ أنعم أهل الدنيا من أهل في النار

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ.^{٩٧٩}

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: اصْبُغُوهُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَصْبَغُ فِيهَا صَبْغَةً، فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ أَوْ شَيْئًا تَكْرَهُهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَكْرَهُهُ قَطُّ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَنعَمِ النَّاسِ كَانَ فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُ: اصْبُغُوهُ فِيهَا صَبْغَةً، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ، وَلَا قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ.^{٩٨٠}

المبحث السابع والثلاثون

جرائم الموحدين التي دخلوا بسببها النار

الذين يدخلون النار، ثم يخرجون منها هم أهل التوحيد الذين لم يشركوا بالله شيئا ولكن لهم ذنوب كثيرة، فخفف موازينهم، فهؤلاء يدخلون النار مُددا يعلمها الله تبارك وتعالى، ثم يخرجون بشفاعَةِ الشافعين، ويُخرج الله برحمته أقواما لم يعملوا خيرا قط

الذنوب المتوعد عليها بالنار :

^{٩٧٩} - صحيح مسلم (٧٢٦٦)

^{٩٨٠} - مسند أحمد (١٤٠١٠) صحيح

الفرقُ المخالفة للسنة:

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَامَ فِينَا فَقَالَ « أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ نِثْنَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ». زَادَ ابْنُ يَحْيَى وَعَمَرُوا فِي حَدِيثَيْهِمَا « وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ ». وَقَالَ عَمَرُوا « الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ »^{٩٨١}.

الممتنعون من الهجرة :

لا يجوز للمسلم أن يقيم في ديار الكفر إذا وجدت ديار الإسلام خاصة إذا كان مكثه في ديار الكفر يعرضه للفتنة، ولم يقبل الله عذر الذين تخلفوا عن الهجرة، فقد أخبر الحق أن الملائكة تبكت هذا الصنف من الناس حال الموت ولا تعذرهم عندما يدعون أنهم كانوا مستضعفين في الأرض: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا (٩٩) [النساء/٩٧-٩٩] ،

كَانَ فِي مَكَّةَ قَوْمٌ قَدْ أَسْلَمُوا، وَأَخْفُوا إِسْلَامَهُمْ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَهُمْ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ، وَأَكْرَهُوا فَاسْتَعْفَرُوا لَهُمْ. فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ. فَكَتَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَحْفِينَ فِي مَكَّةَ: أَنَّهُمْ لَا عُذَرَ لَهُمْ، وَأَنَّ عَلَيْهِمُ الْهَجْرَةَ .

والآية عامة تتناول كل من أقام بين المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً في موطنه من إقامة أمور دينه، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع. وظلمهم لأنفسهم هو تركهم العمل بالحق خوفاً من الأذى، وقد الكرامة عند ذوي قربانهم من المبطلين، وهذا الاعتذار مما يعتذر به الذين يسايرون أصحاب البدع بحجة دفع الأذى عن أنفسهم بمداواة المبطلين، وهذا لا يعتد به، لأن الواجب يفضي عليهم بإقامة الحق مع احتمال الأذى في سبيل الله، أو الهجرة إلى حيث يتمكنون من إقامة دينهم .

ومعنى الآية: إن الذين تحضرهم الوفاة، وهم مقيمون في أرض الشرك لا يستطيعون إقامة الشعائر الدينية، ولا إظهارها (وقد عدَّ الله تعالى هؤلاء ظالمين أنفسهم بتركهم الهجرة إلى دار الأمن

^{٩٨١} - سنن أبي داود (٤٥٩٩) صحيح لغيره ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فيه (هو حديث صحيح مشهور) ، وصححه الشاطبي في " الاعتصام " وقد جمع الشيخ ناصر الدين الألباني طريقه وتكلم على أسانيده وبين أنه حديث صحيح لا شك في صحته في الصحيحة (٢٠٤) والإتحاف ١٤٠/٨ وصحيح الجامع (٢٦٤١)

وَالْإِسْلَامَ)، فَتَسْأَلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ: لِمَ لَبِثْتُمْ مُقِيمِينَ فِي أَرْضِ الْكُفْرِ، وَتَرَكْتُمُ الْهَجْرَةَ؟ فَيَجِيبُونَ: إِنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَا الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ. فَتَقُولُ لَهُمْ الْمَلَائِكَةُ: أَلَيْسَتْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا إِلَى حَيْثُ الْأَمْنُ وَالْحُرِّيَّةُ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى إظهارِ الْإِيمَانِ؟ وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا. وَاسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ، الَّذِي يَنْتَظِرُ الْقَاعِدِينَ عَنِ الْهَجْرَةِ مِنْ دَارِ الشَّرِّكَ - وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ شَعَائِرِ دِينِهِمْ - الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَالَّذِينَ لَوْ قَدِرُوا عَلَى التَّخَلُّصِ لَمَّا اسْتَطَاعُوا الْإِهْدَاءَ إِلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ، وَإِيجَادِ السَّبِيلِ، كَالْعِجْزَةِ وَالْمَرْضَى وَالنِّسَاءِ وَالْمَرَاهِقِينَ الَّذِينَ عَقَلُوا. فَهَؤُلَاءِ الْمَعْدُورُونَ قَدْ يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنْهُمْ بَتْرَكَ الْهَجْرَةِ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ، وَاللَّهُ كَثِيرُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ ٩٨٢.

الجانرون في الحكم :

أنزل الله الشريعة ليقوم الناس بالقسط، وأمر الله عباده بالعدل، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) [النحل/٩٠])

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ، وَيَنْدُبُ إِلَى الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ، وَيَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحْمِ وَإِعْطَاءِ ذَوِي الْقُرْبَى مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَيَنْهَى عَنِ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْفَوَاحِشِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، مِمَّا يَأْتِيهِ الْعَبْدُ سِرًّا وَخَفِيَةً وَاللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَىكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالشَّرِّ، لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ مَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي الْفِطْرَةِ مِنْ وَحْيٍ قَوِيمٍ أَصِيلٍ، فَتَعَمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ .

لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة وينظم مجتمعا، ثم لينشئ عالما وقيم نظاما. جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس؛ إنما العقيدة وحدها هي الآصرة والرابطة والقومية والعصبية . ومن ثم جاء بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات، واطمئنان الأفراد والأمم والشعوب، والثقة بالمعاملات والوعود والعهود : جاء { بالعدل } الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجارة للصهر والنسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف. إنما تمضي في طريقها تكيلا بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع . وإلى حوار العدل.. { الإحسان } .. يلطف من حدة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إثارا لود القلوب، وشفاء لغل الصدور. ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحا أو يكسب فضلا. والإحسان أوسع مدلولاً، فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل، فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد

٩٨٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (ج ١ / ص ٥٩٢) ، وانظر كتابي (المفضل في أحكام الهجرة) صيد الفوائد

بربه، وعلاقاته بأسرته، وعلاقاته بالجماعة، وعلاقاته بالبشرية جميعاً. ومن الإحسان { إيتاء ذي القربى }
 إنما يبرز الأمر به تعظيماً لشأنه، وتوكيداً عليه. وما يبيّن هذا على عصبية الأسرة، إنما يبينه على مبدأ
 التكافل الذي يتدرج به الإسلام من المحيط المحلي إلى المحيط العام. وفق نظريته التنظيمية لهذا التكافل .
 { وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى } .. والفحشاء كل أمر يفحش أي يتجاوز الحد. ومنه ما
 خصص به غالباً وهو فاحشة الاعتداء على العرض، لأنه فعل فاحش فيه اعتداء وفيه تجاوز للحد حتى
 ليدل على الفحشاء ويختص بها. والمنكر كل فعل تنكره الفطرة ومن ثم تنكره الشريعة فهي شريعة
 الفطرة. وقد تنحرف الفطرة أحياناً فتبقى الشريعة ثابتة تشير إلى أصل الفطرة قبل انحرافها. والبغى
 الظلم وتجاوز الحق والعدل. وما من مجتمع يمكن أن يقوم على الفحشاء والمنكر والبغى.. ما من مجتمع
 تشيع فيه الفاحشة بكل مدلولاتها، والمنكر بكل مغرراته، والبغى بكل معقباته، ثم يقوم..

والفطرة البشرية تنتفض بعد فترة معينة ضد هذه العوامل الهدامة، مهما تبلغ قوتها، ومهما يستخدم
 الطغاة من الوسائل لحمايتها. وتاريخ البشرية كله انتفاضات وانتفاضات ضد الفحشاء والمنكر
 والبغى. فلا يهم أن تقوم عهود وأن تقوم دول عليها حيناً من الدهر، فالانتفاض عليها دليل على أنها
 عناصر غريبة على جسم الحياة، فهي تنتفض لطردھا، كما ينتفض الحي ضد أي جسم غريب يدخل
 إليه. وأمر الله بالعدل والإحسان ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يوافق الفطرة السليمة
 الصحيحة، ويقويها ويدفعها للمقاومة باسم الله. لذلك يجيء التعقيب : { يعظكم لعلكم تذكرون }
 فهي عظة للتذكر تذكروا وحي الفطرة الأصيل القويم^{٩٨٣} .

وفرض على الحكام والقضاة الحكم بالعدل وعدم الجور، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
 الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) [النساء/٥٨])

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا. وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الْوَاجِبَةِ
 عَلَى الْإِنْسَانِ: مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ...) وَمِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ (كَالْوَدَائِعِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْتَمَنُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ بِيَدِ أَصْحَابِهَا وَثَائِقَ وَبَيِّنَاتٍ عَلَيْهَا). هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ
 فِي عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَقَدْ كَانَتْ لَهُ حِجَابَةُ الْكَعْبَةِ. وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ طَافَ
 الرَّسُولُ ﷺ بِالْكَعْبَةِ، ثُمَّ دَعَا بِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَأَخَذَ مِنْهُ مُفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَدَخَلَهَا. فَجَاءَهُ الْعَبَّاسُ (
 وَقِيلَ بَلْ جَاءَهُ عَلِيٌّ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْمَعْ لَنَا حِجَابَةَ الْكَعْبَةِ مَعَ السَّقَايَةِ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُثْمَانَ
 بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِفْتَاحَ، وَخَرَجَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ .

^{٩٨٣} - في ظلال القرآن - (ج ٤ / ص ٤٨٤)

وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، وَأَنْ يَكُونَ الْعَدْلُ عَاماً لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَلِكُلِّ أَحَدٍ، وَأَنْ لَا يَمْنَعَهُمْ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ حَقْدٌ أَوْ كَرَاهِيَةٌ أَوْ عَدَاوَةٌ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَعْظُمُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ الشَّرْعُ الْكَامِلُ، وَفِيهِ خَيْرُهُمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِ الْعِبَادِ، بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ، فَيَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ . وقد تمهد الحق الذين لا يحكمون بالحق بالنار، فعن ابن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ » . قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَهَذَا أَصَحُّ شَيْءٍ فِيهِ يَعْنِي حَدِيثَ ابْنِ بُرَيْدَةَ « الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ » ٩٨٤ .

الكذب على رسول الله ﷺ :

عن رُبَيْعِ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ » ٩٨٥ .

وعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - كَمَا يُحَدِّثُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ. قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ٩٨٦ . - يتبوا: يتخذ منزله

وعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ لَمَّا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ « مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ٩٨٧ .

وعَنْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ « مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ٩٨٨ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْتُبُوا بِكُنْيَتِي، وَمَنْ رَأَنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ٩٨٩ .

وعَنِ الْمُغِيرَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ « إِنْ كَذَبَا عَلَيَّ لَيْسَ كَكُذِبِ عَلَيَّ أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ٩٩٠ .

٩٨٤ - سنن أبي داود (٣٥٧٥) صحيح

٩٨٥ - صحيح البخاري (١٠٦) ومسلم (٢)

٩٨٦ - صحيح البخاري (١٠٧)

٩٨٧ - صحيح البخاري (١٠٨)

٩٨٨ - صحيح البخاري (١٠٩)

٩٨٩ - صحيح البخاري (١١٠)

٩٩٠ - صحيح البخاري (١٢٩١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ قَالَ: عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. ٩٩١
والأحاديث بذلك متواترة

الكبر من الذنوب الكبار :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ، وَمَنْ أَقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا، أَقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ أَقْتَرَبَ مِنِّي ذِرَاعًا، أَقْتَرَبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ جَاءَنِي يَمْشِي، جِئْتُهُ أَهْرُولُ، وَمَنْ جَاءَنِي يُهْرُولُ، جِئْتُهُ أَسْعَى، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَطْيَبَ. ٩٩٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ. ٩٩٣

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي شَيْءٍ مِنْهُ أَدْخَلْتُهُ فِي النَّارِ. ٩٩٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ ». ٩٩٥

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ كِبَرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ خَرَدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. ٩٩٦

وَعَنْ أَبِي حَيَّانٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَلْتَقَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَابْنُ عُمَرَ فَانْتَحَيَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ انْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى أَصْحَابِهِ فَانْصَرَفَ ابْنُ عُمَرَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالُوا لَهُ: مَا يَبْكِيكَ ؟ قَالَ: أَبْكَانِي الَّذِي زَعَمَ هَذَا، أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ كِبَرٍ. ٩٩٧

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَجِيءُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذُرًّا مِثْلَ صُورِ الرِّجَالِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، قَالَ: ثُمَّ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولَسْ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبِيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَاةِ أَهْلِ النَّارِ. ٩٩٨

٩٩١ - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٢١٠) (٢٨) صحيح

٩٩٢ - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٣٥) (٣٢٨) صحيح

٩٩٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١٢ / ص ٤٨٦) (٥٦٧١) صحيح

٩٩٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١٢ / ص ٤٨٧) (٥٦٧٢) صحيح

٩٩٥ - سنن أبي داود (٤٠٩٢) صحيح

٩٩٦ - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٤٦٠) (٢٢٤) صحيح

٩٩٧ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ٩ / ص ٨٩) (٢٧١١٣) صحيح

٩٩٨ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ٩ / ص ٩٠) (٢٧١١٤) حسن

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ » ٩٩٩ .

البطر: التكبر على الحق فلا يقبله - الغمط: الاحتقار والاستهانة

قاتل النفس بغير حق :

قال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) [النساء/٩٣])

وَإِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ الْإِسْلَامَ وَشَرَائِعَهُ، ثُمَّ قَتَلَ رَجُلًا مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا قَتَلَهُ، مُسْتَحِلًّا ذَلِكَ الْقَتْلَ، فَجَزَاؤُهُ عِنْدَ اللَّهِ جَهَنَّمُ يَبْقَى مُخَلَّدًا فِيهَا، وَيَلْعَنُهُ اللَّهُ، وَيُعِيدُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلُهُ فِي النَّارِ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَلِلْفُقَهَاءِ ثَلَاثَةُ آرَاءٍ فِي تَوْبَةِ قَاتِلِ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا:

١ - ابن عباسٍ وفريقٍ من السلف - يَرَوْنَ أَنَّ قَاتِلَ الْمُؤْمِنِ لَا تَوْبَةَ لَهُ إِطْلَاقًا، وَيَبْقَى فِي النَّارِ خَالِدًا. وَيَسْتَنْدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: " كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلَ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوْ الرَّجُلَ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا " وَإِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ :

" مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ " وَإِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ :

" لَوْ أَنَّ الثَّقَلَيْنِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي النَّارِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْقَاتِلِ وَالْأَمْرِ بِهِ "

٢ - وَيَرَى فَرِيقٌ آخَرُ أَنَّ الْخُلُودَ يَعْنِي الْمَكْثَ الطَّوِيلَ لَا الدَّوَامَ، لِظَاهِرِ الثُّبُوصِ الْقَاطِعَةِ عَلَى أَنَّ عُصَاةَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَدُومُ عَذَابُهُمْ. وَمَا فِي الْآيَةِ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ أَنَّ جَزَاءَهُ ذَلِكَ، لَا أَنَّهُ يَجْزِيهِ بِذَلِكَ حَتْمًا، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْزِي كُلَّ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا لَعَارَضُهُ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: { وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ } فَلِالْمُرَادِ بِذَلِكَ أَنَّ هَذَا هُوَ جَزَاؤُهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ مُجَازَاتَهُ .

٣ - وَيَرَى فَرِيقٌ ثَالِثٌ أَنَّ حُكْمَ الْآيَةِ يَتَعَلَّقُ بِالْقَاتِلِ الْمُسْتَحِلِّ لِلْقَتْلِ، وَحُكْمُهُ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ . وَقَدْ فَسَّرَ عَكْرَمَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ (مُتَعَمِّدًا) ب (مُسْتَحِلًّا) فِي الْآيَةِ .

وَلَا يَجُوزُ فِي دِينِ اللَّهِ قَتْلُ النَّفْسِ الْمُسْلِمَةِ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثَ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ الثَّيْبُ الزَّانِ وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » ١٠٠٠ .

٩٩٩ - صحيح مسلم (٢٧٥)

١٠٠٠ - صحيح مسلم (٤٤٦٨)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يَحِلُّ دَمُ رَجُلٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا ثَلَاثَةً نَفَرٍ: التَّارِكُ لِلْإِسْلَامِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ، وَالثَّيْبُ الرَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ. ١٠٠١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيْبُ الرَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ » ١٠٠٢.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا » ١٠٠٣.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْفَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكُ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ ١٠٠٤.

وقد حذر الرسول ﷺ المسلمين أن يقتل بعضهم بعضا وأخبر أن القاتل والمقتول في النار، فعن الأحنف بن قيس قال خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقيني أبو بكره فقال أين تريد يا أحنف قال قلت أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ - - يعني عليا - قال فقال لي يا أحنف ارجع فإنني سمعت رسول الله ﷺ - يقول « إذا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ». قَالَ فَقُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ « إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ ». ١٠٠٥.

قال النووي: "وَأَمَّا كَوْنُ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمَحْمُولٌ عَلَى مَنْ لَا تَأْوِيلَ لَهُ، وَيَكُونُ قِتَالُهُمَا عَصِيَّةً وَنَحْوَهَا - ثُمَّ كَوْنُهُ فِي النَّارِ مَعْنَاهُ مُسْتَحَقٌّ لَهَا، وَقَدْ يُجَازَى بِذَلِكَ، وَقَدْ يَعْفُو اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ. هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ، وَعَلَى هَذَا يُتَأَوَّلُ كُلُّ مَا جَاءَ مِنْ نَظَائِرِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الدَّمَاءَ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ فِي هَذَا الْوَعِيدِ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَقِّ إِحْسَانُ الظَّنِّ بِهِمْ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَتَأْوِيلُ قِتَالِهِمْ، وَأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ مُتَأَوِّلُونَ لَمْ يَقْصِدُوا مَعْصِيَةَ وَلَا مَحْضَ الدُّنْيَا، بَلِ اعْتَقَدَ كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّهُ الْمُحَقِّقُ، وَمُخَالَفُهُ بَاغٍ، فَوَجَبَ عَلَيْهِ قِتَالُهُ لِيَرْجِعَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ. وَكَانَ بَعْضُهُمْ مُصِيبًا، وَبَعْضُهُمْ مُخْطِئًا مَعْذُورًا فِي الْخَطَأِ؛ لِأَنَّهُ لاجْتِهَادٍ، وَالْمُجْتَهِدُ إِذَا أَخْطَأَ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَكَانَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الْمُحَقِّقُ الْمُصِيبُ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ. هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَانَتْ الْقَضَايَا مُشْتَبِهَةً حَتَّى إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ تَحِيرُوا فِيهَا فَاعْتَزَلُوا الطَّائِفَتَيْنِ، وَلَمْ يُقَاتِلُوا، وَلَمْ يَتَّقِنُوا الصَّوَابَ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا عَنْ مُسَاعَدَتِهِ مِنْهُمْ ١٠٠٦.

١٠٠١ - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ٢٥٥) (٤٤٠٧) صحيح

١٠٠٢ - صحيح البخاري (٦٨٧٨)

١٠٠٣ - صحيح البخاري (٦٨٦٢)

١٠٠٤ - البخاري (٦٨٦٣)

١٠٠٥ - صحيح البخاري (٧٠٨٣) وصحيح مسلم (٧٤٣٤) وهذا لفظه

١٠٠٦ - شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ٢٦٥)

أكلة الربا :

من الذنوب التي توبق صاحبها الربا، وقد قال الحق في الذين يأكلونه بعد أن بلغهم تحريم الله له :
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) [البقرة/٢٧٥]

بعد أن ذكر الله تعالى الإنفاق في سبيل الله، والتصدق على عباده، وإخراج الزكاة، شرع في عرض حال أكلي الربا، وأموال الناس بالباطل، وأنواع الشبهات، فأخبر عن حالهم يوم خروجه من قبورهم، يوم البعث والنشور، فقال عنهم: إِنَّهُمْ لَا يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَّا قِيَامًا مُنْكَرًا، كَمَا يَقُومُ الْمَصْرُوعُ حَالَ صَرَعه وأكلهم الربا هذا قائم على استحلالهم له، وجعله كالبيع، فيقولون: كَمَا يَحْزُرُ أَنْ يَبِيعَ الْإِنْسَانُ سِلْعَتَهُ الَّتِي تَمْنَاهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ عَلَى أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِ عَشْرِينَ دِرْهَمًا بَعْدَ سَنَةٍ، فَالسَّبَبُ فِي رَأْيِهِمْ وَاحِدٌ فِي كُلِّ مِنَ الزَّيَادَتَيْنِ، وَهُوَ الْأَجَلُ .

هذه هي حجة أكلي الربا وهم وأهمون فيما قالوه، وقياسهم فاسد، لأن البيع فيه ما يقتضي حله لأنه يلاحظ فيه انتفاع المشتري بالشيء انتفاعاً حقيقياً .

أما الربا فهو إعطاء الدراهم والمثلثات وأخذها مضاعفة في وقت آخر. فما يؤخذ من المدين زيادة في رأس المال لا مقابل له من عين ولا عمل. فمن بلغه نهى الله عن الربا، فانتهى عن الربا فله ما سلف مما أكله من الربا قبل التحريم، وما سبق له أن أخذه أيام الجاهلية، وأمره مردود إلى الله. ومن عاد إلى الربا، بعد أن بلغه النهي عنه، فقد استوجب العقوبة من الله، والخلود في نار جهنم .

الذي يتخبطه الشيطان - أي المصروع. وكانت العرب تعتقد أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرعه .
جاءه موعظة من ربه - بلغه أمر نهى الله عن أكل الربا .

المس - الجنون والخبيل .

مراحل تحريم الربا في القرآن:

كما مرَّ تحريم الخمر في مراحل، كذلك مرَّ تحريم الربا في أربع مراحل متدرجة:

١- في المرحلة الأولى - قال الله تعالى في الآية المكية { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّاً لِيُرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ } أي إن الله تعالى يقول في هذه الآية إن الربا لا ثواب فيه عند الله .

٢- وفي المرحلة الثانية - ألقى الله تعالى على المسلمين درساً وعبرة من سيرة اليهود الذين حرم الله عليهم أكل الربا فأكلوه، فعاقبهم الله بمعصيتهم .

فقد جاء في سورة النساء { فَبْظَلَمَ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً. } كما جاء بعدها { وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. { وَهَذِهِ الْعِبْرَةُ لَا يَكُونُ لَهَا أَثَرٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ وَرَائِهَا نَوْعٌ مِنْ تَحْرِيمِ الرَّبِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَهْيٌ صَرِيحٌ عَنِ الرَّبِّ، وَلَكِنَّهُ أُلْمِحَ إِلَيْهِ .

٣- المَرَحَلَةُ الثَّالِثَةُ - وَلَمْ يَجِيءِ النَّهْيُ الصَّرِيحُ إِلَّا فِي الْمَرَحَلَةِ الثَّالِثَةِ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا نَهْيًا جَزْئِيًّا عَنِ الرَّبِّ الْفَاحِشِ الَّذِي يَتَزَايِدُ حَتَّى يَصِيرَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً .

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) [آل عمران/ ١٣٠]) .

يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَكْلِ الرَّبِّ، وَالتَّعَامُلِ بِهِ، بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَهُدَى اللَّهُ لَهُمْ، كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذْ كَانُوا يَقُولُونَ لِلْمَدِينِ إِذَا حَلَّ أَجَلُ الدِّينِ: إِمَّا أَنْ تَقْضِيَ دَيْنَكَ وَإِمَّا أَنْ تُرْبِي. فَإِنْ قَضَاهُ فِيهَا، وَإِلَّا زَادَهُ فِي الْمُدَّةِ وَزَادَهُ فِي الْمِقْدَارِ، وَهَكَذَا كُلُّ عَامٍ، فَرُبَّمَا تَضَاعَفَ الْقَلِيلُ حَتَّى يَصِيرَ كَثِيرًا مُضَاعَفًا. وَيَأْمُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالتَّقْوَى لَعَلَّهُمْ يَفْلِحُونَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ .

وقد عده النبي ﷺ واحدا من سبعة ذنوب توبق صاحبها، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ قَالَ « الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ »^{١٠٠٧}

أكلة أموال الناس بالباطل :

من الظلم العظيم الذي يستحق به صاحبه النار أكل أموال الناس بالباطل، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) [النساء/ ٢٩-٣٠]) .

يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ عَنْ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُهُمْ مَالَ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ، أَيْ أَنْ يَأْخُذَهُ بِطَرِيقٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ: كَالْقِمَارِ وَالرِّبَا وَالْحِيلِ وَغَيْرِهَا.. وَإِنْ ظَهَرَتْ فِي قَالِبِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيٍّ، مِمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ مَتَاعِطِهَا إِنَّمَا يُرِيدُ الْحِيلَةَ لِأَكْلِ الرَّبِّ. فَاللَّهُ تَعَالَى يُحَرِّمُ عَلَى النَّاسِ تَعَاطِي الْأَسْبَابِ الْمَحْرَمَةِ فِي اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ، وَاسْتَشْنَى مِنَ التَّحْرِيمِ الْمَتَاجِرَةَ الْمَشْرُوعَةَ الَّتِي تَتِمُّ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي، فَسَمَحَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِتَعَاطِيهَا، وَالتَّسَبُّبِ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ بِهَا. وَيَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ بَارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ رَحِيمًا بِهِمْ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَنَهَاَهُمْ عَنْهُ، لِأَنَّ فِيهِ صَلَاحَهُمْ .

^{١٠٠٧} - صحيح البخارى (٢٧٦٦) ومسلم (٢٧٢)

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَشْمَلُ أَيْضًا مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ قَتْلًا حَقِيقًا وَأَعْدَمَهَا الْحَيَاةَ بِحَدِيدٍ أَوْ بِسُمٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَهُ. وَجَعَلَ اللَّهُ جِنَايَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى غَيْرِهِ جِنَايَةً عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا.

وَمَنْ تَعَاطَى مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مُعْتَدِيًا فِيهِ عَلَى الْحَقِّ، وَظَالِمًا فِي تَعَاطِيهِ، وَعَارِفًا بِتَحْرِيمِهِ، وَمُتَجَاسِرًا عَلَى انْتِهَاكِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُعَذِّبُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ.

وَمَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ أَكَلَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا، وَقَدْ خَصَّ الْحَقُّ أَمْوَالَهُمْ بِالذِّكْرِ لضعفهم وسهولة أكل أموالهم، ولشناعة هذه الجريمة: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) [النساء/١٠])

يُهْدَدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِذُنُوبٍ سَبَبٍ مَشْرُوعٍ، وَعَلَى سَبِيلِ الْمَضْمِ وَالظُّلْمِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي إِبْصَالِهِمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا تَتَّحَجُّ

المصورون :

أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ خَلْقَ اللَّهِ، فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَائِيلٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - هَتَكَهُ وَقَالَ « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ ». قَالَتْ فَجَعَلَنَاهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ^{١٠٠٨}. - يَضَاهَوْنَ: يَشَابَهُونَ

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - وَفِي الْبَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُورٌ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَقَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ »^{١٠٠٩}.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَأَنَا مُسْتَتِرَةٌ بِقِرَامٍ فِيهِ صُورَةٌ فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ »^{١٠١٠}.

القرام: الستر من صوف ذي ألوان

وَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنَّ عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ مُسْتَتِرَةٌ بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَائِيلٌ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَهْوَى إِلَى الْقِرَامِ، فَهَتَكَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ.^{١٠١١}

^{١٠٠٨} - صحيح البخارى (٥٩٥٤)

^{١٠٠٩} - صحيح البخارى (٦١٠٩)

^{١٠١٠} - صحيح مسلم (٥٦٤٧)

^{١٠١١} - صحيح ابن حبان - (ج ١٣ / ص ١٥٨) (٥٨٤٧) صحيح

وَعَنْ مُسْلِمٍ بْنِ صُبَيْحٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ مَسْرُوقٍ فِي بَيْتٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ مَرِيَمَ. فَقَالَ مَسْرُوقٌ هَذَا تَمَاثِيلُ كِسْرَى. فَقُلْتُ لَا هَذَا تَمَاثِيلُ مَرِيَمَ. فَقَالَ مَسْرُوقٌ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ ».^{١٠١٢}

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّورَ فَأَفْتِنِي فِيهَا. فَقَالَ لَهُ اأَدْنُ مِنِّي. فَدَنَا مِنْهُ ثُمَّ قَالَ اأَدْنُ مِنِّي. فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ أَنْبِئْكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوْرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ ». وَقَالَ إِنْ كُنْتُ لَا بُدَّ فَأَعْلًا فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ^{١٠١٣}.

وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا بَالُ هَذِهِ النَّمْرُقَةِ ». قَالَتْ فَقُلْتُ اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لَتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنْ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذِّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ ». وَقَالَ « إِنْ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ »^{١٠١٤}. النمرقة: الوسادة

وعن أبي زُرْعَةَ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَارًا بِالْمَدِينَةِ فَرَأَى أَعْلَاهَا مُصَوَّرًا يُصَوِّرُ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً »^{١٠١٥}.

الركون إلى الظالمين :

ومن الأسباب التي تدخل النار الركون إلى الظالمين أعداء الله وموالاتهم: (وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) [هود/١١٣])
وَلَا تَسْتَعِينُوا بِالظَّالِمِينَ، وَلَا تَعْتَمِدُوا عَلَيْهِمْ، وَلَا تَعْتَزُوا بِهِمْ، وَلَا تَسْتَحْسِنُوا طَرِيقَتَهُمْ (لَا تَرْكُنُوا)
فَتَكُونُوا كَأَنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَصَابَتْكُمُ النَّارُ الَّتِي هِيَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، وَلَنْ تَجِدُوا يَوْمَئِذٍ مَنْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

لا تستندوا ولا تطمئنوا إلى الذين ظلموا. إلى الجبارين الطغاة الظالمين، أصحاب القوة في الأرض، الذين يقهرون العباد بقوتهم ويعبدونهم لغير الله من العبيد.. لا تركنوا إليهم فإن ركونكم إليهم يعني إقرارهم على هذا المنكر الأكبر الذي يزاولونه، ومشاركتهم إثم ذلك المنكر الكبير .

^{١٠١٢} - صحيح مسلم (٥٦٦١)

^{١٠١٣} - صحيح مسلم (٥٦٦٢)

^{١٠١٤} - صحيح البخاري (٥١٨١) ومسلم (٥٦٥٥)

^{١٠١٥} - صحيح البخاري (٥٩٥٣)

والركون إلى الشئك الميل إليه. يقال ركن فلان إلى فلان، إذا مال إليه بقلبه، واعتمد عليه في قضاء مصالحه. والمراد بالذين ظلموا هنا: ما يتناول المشركين وغيرهم من الظالمين الذين يعتدون على حقوق الغير، ويستحلون من محارم الله. والمعنى: واحذروا - أيها المؤمنون - أن تميلوا إلى الظالمين، أو تسكنوا إليهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى تقوية جانبهم. وإضعاف جانب الحق والعدل. قال بعض العلماء: ويستثنى من ذلك للضرورة صحبة الظالم على التقية مع حرمة الميل القلبي إليه. وقوله { فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } أى فتصبيكم النار بسبب ميلكم إليهم، والاعتماد عليهم، والرضا بأفعالهم. وقوله { وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِّنْ أُولِيَاءَ } فى موضع الحال من ضمير { تمسكم } .

أى: والحال أنه ليس لكم من غير الله من نصراء ينصرونكم من العذاب النازل بكم، بسبب ركونكم إلى الذين ظلموا ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم. وثم فى قوله { ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } للتراخى الرتبى. أى ثم لا تجدون بعد ذلك من ينصركم بأى حال من الأحوال، لأن الظالمين ما لهم من أنصار. قال بعض العلماء: الآية أبلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم، والتهديد عليه، لأن هذا الوعيد الشديد إذا كان فىمن يركن إلى الذين ظلموا فكيف يكون حال من ينغمس فى حمايته؟!.

ثم قال: وقد وسع العلماء فى ذلك وشددوا، والحق أن الحالات تختلف، والأعمال بالنيات، والتفصيل أولى. فإن كانت المخالطة لدفع منكر، أو للاستعانة على إحقاق الحق، أو الخير. فلا حرج فى ذلك. وإن كانت لإيناسهم وإقرارهم على ظلمهم فلا .

الكاسيات العاريات:

من الأصناف التى تصلى فى النار الفاسقات المتبرجات اللواتى يفتنَّ عباد الله، ولا يستقمن على طاعة الله، فقد روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - « صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَّعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَّائِلَاتٌ رُّعُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » ١٠١٦ .

البخت: واحدها البختية وهى الناقة طويلة العنق ذات السنامين

قوله (قَوْمٌ مَّعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ) قال العلماء: وهؤلاء هم الشرط الذين يضربون الناس بغير حق، معهم سياط كأذنان البقر يعنى سوط طويل وله ريشة يضربون بها الناس بغير حق، أما بحق فإنه يضرب المعتدي { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ } لا ترأفوا بهما اجلدوهما تماما لكن من ضرب الناس بغير حق فهو من أصناف أهل النار والعياذ بالله .

١٠١٦ - صحيح مسلم (٥٧٠٤)

والثاني: (نساء كاسيات عاريات مميلات...) هؤلاء أيضا النساء كاسيات عاريات قيل كاسيات بزياهن كسوة حسية عاريات من التقوى لأن الله تعالى قال: { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ } وعلى هذا فيشمل هذا الحديث كل امرأة فاسقة فاجرة، وإن كان عليها ثياب فضفاضة، لأن المراد بالكسوة الكسوة الظاهرة كسوة الثياب، عاريات من التقوى لأن العاري من التقوى لا شك أنه عار كما قال تعالى: { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ } وقيل كاسيات عاريات أي عليهن كسوة حسية لكن لا تستر إما لضيقها وإما لحفتها تكون رقيقة ما تستر، وإما لقصرها، كل هذا يقال للمرأة التي تلبس ذلك إنها كاسية عارية، مميلة مائلة مميلة يعني تميل المشطة كما فسرهما بعضهم بأنها المشطة المائلة التي تجعل المشطة على جانب، فإن هذا من الميل لأنها مميلات بمشطتهن، ولا سيما أن هذا الميل الذي جاءنا إنما وردنا من النساء الكفار، وهذا والعياذ بالله ابتلى به بعض النساء فصارت تفرق ما بين الشعر من جانب واحد فتكون هذه مميلة أي قد أمالت مشطتها، وقيل مميلات أي فائنات غيرهن لما يخرجن به من التبرج والطيب وما أشبه ذلك، فهن مميلات لغيرهن، ولعل اللفظ يشمل المعنيين؛ لأن القاعدة أن النص إذا كان يحتمل معنيين ولا مرجح لأحدهما فإنه يحمل عليهما جميعا، وهنا لا مرجح ولا منافاة لاجتماع المعنيين فيكون شاملا لهذا وهذا، وأما قوله مائلات: فمعناه منحرفات عن الحق وعمما يجب عليهن من الحياء والحشمة، تجدها في السوق تمشي مشية الرجل بقوة وجلد، حتى إن بعض الرجال لا يستطيع أن يمشي هذه المشية، لكنها هي تمشي كأنها جندي من شدة مشيتها وضربها بالأرض وعدم مبالاها، كذلك أيضا تضحك إلى زميلتها معها تضحك وترفع صوتها على وجه يثير الفتنة، وكذلك تقف على صاحب الدكان تماكثه في البيع والشراء وتضحك معه وربما تمد يدها إليه، لأجل يضع عليها ساعة اليد وما أشبه ذلك من المفاسد والبلاء، وهؤلاء مائلات لا شك أنهن مائلات عن الحق نسأل الله العافية، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، البخت نوع من الإبل لها سنام طويل ينضجع يمينا أو شمالا هذه ترفع شعر رأسها حتى يكون مائلا يمينا أو يسارا كأسنمة البخت المائلة، وقال بعض العلماء: بل هذه المرأة تضع على رأسها عمامة كعمامة الرجل حتى يرتفع الخمار ويكون كأنه سنام إبل من البخت، وعلى كل حال فهذه تحمل رأسها بتحميل يفتن، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريجها، نعوذ بالله يعني لا يدخلن الجنة ولا يقربنها وإن ريجها ليوحد من مسيرة كذا وكذا من مسيرة سبعين عاما أو أكثر ومع ذلك لا تقرب هذه المرأة الجنة والعياذ بالله؛ لأنها خرجت عن الصراط، فهي كاسية عارية مميلة مائلة على رأسها ما يدعو إلى الفتنة والزينة، وفي هذا دليل على تحريم هذا النوع من اللباس لأنه تواعد عليه بالحرمان من الجنة، وهذا يدل على أنه من الكبائر، وكذلك التشبهات من النساء

بالرجال تشبههن من كبائر الذنوب ، وكذلك المتشبهون من الرجال بالنساء تشبههم من كبائر الذنوب^{١٠١٧}

الذين يعذبون الحيوان :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ »^{١٠١٨}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ »^{١٠١٩}. الخشاش: هوام الأرض وحشراتهما واحده خَشَاشَةٌ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ لَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ »^{١٠٢٠}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ.^{١٠٢١}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ثَلَاثَةً يُعَذَّبُونَ: امْرَأَةٌ مِنْ حَمِيرٍ طَوَّالَةً رَبَطَتْ هِرَّةً لَهَا لَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَسْقِهَا، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، فَهِيَ تَنْهَشُ قُبْلَهَا وَدُبْرَهَا وَرَأَيْتُ فِيهَا أَخَا بَنِي دَعْدَعٍ الَّذِي كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِذَا فُطِنَ لَهُ، قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَالَّذِي سَرَقَ بَدَنْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .^{١٠٢٢}

إذا كان هذا حال من يعذب هرة، فكيف بمن يتفنن في تعذيب العباد؟ وكيف إذا كان التعذيب للصالحين منهم بسبب إيمانهم وإسلامهم!!

عدم الإخلاص في طلب العلم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^{١٠٢٣} . يَعْنِي رِيحَهَا. العرف: الرائحة

^{١٠١٧} - انظر شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (ج ٥ / ص ٣٥٠) وشرح النووي على مسلم - (ج ٧ / ص ٢٤٤) والمفهم لما

أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (ج ١٧ / ص ١٢٢)

^{١٠١٨} صحيح البخارى (٣٣١٨)

^{١٠١٩} - صحيح البخارى (٣٤٨٢) وصحيح مسلم (٥٩٨٩)

^{١٠٢٠} - صحيح مسلم (٥٩٩٢)

^{١٠٢١} - صحيح ابن حبان - (ج ١٢ / ص ٤٣٨) (٥٦٢١) صحيح

^{١٠٢٢} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥٣٤) (٧٤٨٩) صحيح

^{١٠٢٣} سنن أبي داود (٣٦٦٦) صحيح

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخِيرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ. ١٠٢٤

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ تَعْلَمَ عِلْمًا لِعَبْرِ اللَّهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ١٠٢٥.

الذين يشربون في آنية الذهب والفضة :

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجُ فِي جَوْفِهِ نَارَ جَهَنَّمَ. ١٠٢٦.

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ » ١٠٢٧. يجرجر: يحذر فيه

وقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ حُدَيْفَةَ فَاسْتَسْقَى فَسَقَاهُ مَجُوسِيٌّ. فَلَمَّا وَضَعَ الْقَدَحَ فِي يَدِهِ رَمَاهُ بِهِ وَقَالَ لَوْلَا أَنِّي نَهَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ. كَأَنَّهُ يَقُولُ لَمْ أَفْعَلْ هَذَا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ « لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيَّاجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ » ١٠٢٨.

الذي يقطع الصدر الذي يظل الناس :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبْشَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ » ١٠٢٩. السدرة: شجرة النبق

سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ يَعْنِي مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ فِي فَلَاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بَعِيرٌ حَقٌّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ » ١٠٣٠.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « إِنَّ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ السِّدْرَ يُصْبُونَ فِي النَّارِ عَلَى رُءُوسِهِمْ صَبًّا » ١٠٣١.

١٠٢٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٢٧٨) (٧٧) صحيح

١٠٢٥ - سنن الترمذی (٢٨٦٧) حسن لغيره

١٠٢٦ - صحيح ابن حبان - (ج ١٢ / ص ١٦١) (٥٣٤٢) صحيح

١٠٢٧ - صحيح البخاری (٥٦٣٤) وصحيح مسلم (٥٥٠٦)

١٠٢٨ - صحيح البخاری (٥٤٢٦) ومسلم (٥٥٢١)

١٠٢٩ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٦ / ص ١٣٩) (١٢٠٩٩) وسنن أبي داود (٥٢٤١) صحيح

١٠٣٠ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٦ / ص ١٣٩) (١٢١٠١) صحيح لغيره

١٠٣١ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٦ / ص ١٤٠) (١٢١٠٥) صحيح لغيره

جزاء الانتحار :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سَمًا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا » ١٠٣٢.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرَبَ سَمًا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ١٠٣٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ شَرَبَ سَمًا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا » ١٠٣٤ . يتحسى: يشرب ويتجرع - يتوجأ: يطعن

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ خَنَقَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا فَقَتَلَهَا خَنَقَ نَفْسَهُ فِي النَّارِ، وَمَنْ طَعَنَ نَفْسَهُ طَعَنَهَا فِي النَّارِ، وَمَنْ أَقْتَحَمَ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ أَقْتَحَمَ فِي النَّارِ. ١٠٣٥

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ، يَهْوِي فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُمٍّ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ مُتَعَمِّدًا، فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا. ١٠٣٦

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ خَنَقَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا فَقَتَلَهَا خَنَقَ نَفْسَهُ فِي النَّارِ، وَمَنْ طَعَنَ نَفْسَهُ طَعَنَهَا فِي النَّارِ، وَمَنْ أَقْتَحَمَ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ أَقْتَحَمَ فِي النَّارِ. ١٠٣٧

وعن الحسن، قال: حَدَّثَنَا جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، فَمَا نَسِينَا مِنْهُ، حَدَّثَنَا وَلَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ كَذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَرَجَ بِرَجُلٍ خُرَاجٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَأَخَذَ

١٠٣٢ - صحيح البخارى (٥٧٧٨)

١٠٣٣ - الْإِيمَانُ لِابْنِ مَنْدَه (٦٣٤) صحيح

١٠٣٤ - صحيح مسلم (٣١٣)

١٠٣٥ - صحيح ابن حبان - (ج ١٣ / ص ٣٢٧) (٥٩٨٧) حسن

١٠٣٦ - صحيح ابن حبان - (ج ١٣ / ص ٣٢٥) (٥٩٨٦) صحيح

١٠٣٧ - صحيح ابن حبان - (ج ١٣ / ص ٣٢٧) (٥٩٨٧) صحيح

سَكِينًا فَوْجًا بِهَا، فَمَا رَفَأَ الدَّمُ عَنْهُ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي بَادَرَنِي بِنَفْسِهِ، حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. ١٠٣٨

قال النووي: "أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: (فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا): فَقِيلَ فِيهِ أَقْوَالٌ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَحِلًّا مَعَ عِلْمِهِ بِالْتَّحْرِيمِ فَهَذَا كَافِرٌ، وَهَذِهِ عُقُوبَتُهُ. وَالثَّانِي أَنَّ الْمُرَادَ بِالْخُلُودِ طُولُ الْمُدَّةِ وَالْإِقَامَةُ الْمُتَطَوِّلَةَ لَا حَقِيقَةَ الدَّوَامِ كَمَا يُقَالُ: خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَ السُّلْطَانِ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ هَذَا جَزَاؤُهُ وَلَكِنْ تَكَرَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ مَنْ مَاتَ مُسْلِمًا. ١٠٣٩

المبحث الثامن والثلاثون

من يخرج من النار وآخرهم خروجاً

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أَنَسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ». قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ ». قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَائِنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ وَيَضْرِبُ جِسْرَ جَهَنَّمَ ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدَعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِبُ مِثْلِ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَّا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ، بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بَوَاحٍ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ قَشَبْنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذِكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ. فَيَقُولُ لَعَلَّكَ إِنِ اعْطَيْتَكَ

١٠٣٨ - صحيح ابن حبان - (ج ١٣ / ص ٣٢٨) (٥٩٨٨) صحيح

١٠٣٩ - شرح النووي على مسلم - (ج ١ / ص ٢٢١)

أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ. فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيَلِكُ ابْنُ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو. فَيَقُولُ لَعَلِّي إِنْ أُعْطِيتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ. فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. فَيُعْطِي اللَّهُ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَاقِفَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيَقْرِبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. ثُمَّ يَقُولُ أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيَلِكُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ تَمَنَّ مِنْ كَذَا. فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ تَمَنَّ مِنْ كَذَا. فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ فَيَقُولُ لَهُ هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. « قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا. ١٠٤٠ »

الذكاء: لهب النار واشتعالها - تضارون: لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر - قشبي: سمي وأهلكني - امتحشوا: احترقت جلودهم حتى ظهرت العظام

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوها، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ جَلًّا وَعَلَاً فِي غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَقَامُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، قَالَ: فَيَأْتِيهِمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، وَيُضْرَبُ جِسْرٌ عَلَى جَهَنَّمَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُهُ، وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِبُ مِثْلِ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ تَدْرُونَ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ، مَنْ أَرَادَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، قَالَ: وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، قَالَ: فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتَحَشُوا فَيَصْبُ عَلَيْهِمْ مَاءٌ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، قَالَ: وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ اللَّهُ جَلًّا وَعَلَاً: فَلَعَلِّي إِنْ أُعْطِيتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ، قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ جَلًّا وَعَلَاً: أَلَيْسَ

قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ وَبَلَّغْتَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكُ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: فَلَعَلَّكَ
 أَنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاقِيقَ أَنْ
 لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهُ، فَيَقْرَبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَلَمَّا قَرَّبَهُ مِنْهَا انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ
 اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي
 غَيْرَهُ، وَبَلَّغْتَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ، قَالَ: فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى
 يَضْحَكُ جَلَّ وَعَلَا، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ دُخُولَ الْجَنَّةِ، فَإِذَا دَخَلَ قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ كَذَا وَتَمَنَّ
 كَذَا، فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: هُوَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: هُوَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ: هُوَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ
 أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا. ١٠٤١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ
 أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُوءًا، فَيَقُولُ اللَّهُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا
 مَلَأَتْ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَحَدَّثْتَهَا مَلَأَتْ، فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا
 مَلَأَتْ. فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَحَدَّثْتَهَا مَلَأَتْ، فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنْ لَكَ مِثْلُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا. أَوْ
 إِنْ لَكَ مِثْلُ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ تَسْخَرُ مِنِّي، أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ ﷺ - ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاحِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَزَلَةً. ١٠٤٢ -
 الكبو: الحبو - النواخذ: جمع ناجذ وهو أقصى الأضرار

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا رَبَّاهُ، فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا: يَا
 لَبَّيْكَاهُ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ حَرَقْتَ بَنِيَّ، فَيَقُولُ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ أَوْ شَعِيرَةٌ مِنْ
 إِيْمَانٍ. ١٠٤٣

وَعَنْ مَعْبَدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتِ
 الْبُنَانِيِّ، يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ، وَقَالَ: خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ
 الْجَبَانِ قُلْنَا: لَوْ مَلَأْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَخْفِي فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَحَدَّثْنَاهُ
 الْحَدِيثَ، فَقَالَ: قَدْ حَدَّثْنَاهُ مِنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَلَقَدْ تَرَكْتُ شَيْئًا مَا أَدْرِي أُنْسِي الشَّيْخُ أَمْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ
 فَتَتَكَلَّمُوا، قُلْنَا لَهُ: حَدَّثْنَا، فَقَالَ: قَالَ يَعْنِي النَّبِيُّ ﷺ: ثُمَّ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ
 الْمَحَامِدِ، ثُمَّ آخِرُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ، وَقُلْ تُسَمِّعُ لَكَ، وَسَلِّ تُعْطِ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، فَأَقُولُ: يَا
 رَبِّ، أَتَذُنُّ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي

١٠٤١ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٤٥٠) (٧٤٢٩) صحيح

١٠٤٢ - صحيح البخاري (٦٥٧١) وصحيح مسلم (٤٧٩)

١٠٤٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٨٢) (٧٣٧٨) ومسنَد أبي عوانة (٣٣٠) صحيح

وَكَبِيرَايْنِي وَعَظَمَتَيَّ لِأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ^{١٠٤٤}.

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً ^{١٠٤٥}.

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ ^{١٠٤٦}.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، أَوْ نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً ^{١٠٤٧}.

وَعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ ^{١٠٤٨}.
وَعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَعَهُ حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلَّذِي ذُخِرَ لِلْأَنْصَارِ فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ فَاجْتَوَا الْمَدِينَةَ فَمَرَضَ فَجَزَعَ فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجمَهُ فَشَخِبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ فَرَأَاهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَرَأَاهُ مُعْطِيًا يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهَجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ مَا لِي أَرَاكَ مُعْطِيًا يَدَيْكَ فَقَالَ: قِيلَ لِي لَنْ تُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ"

قال الطحاوي: فكان من جوابنا له في ذلك بتوفيق الله وعونه أنه قد يحتمل أن يكون الرجل المذكور في هذا الحديث فعل بنفسه ما فعل مما ذكر فيه على أنه عنده علاج تبقى به بقية يديه ففعل ما فعل لتسلم له نفسه وتبقى له بقية يديه فلم يكن في ذلك مذمومًا وكان كرجل أصابه في يده شيء فخاف إن لم يقطعها أن يذهب بها سائر بدنه ويثلف بها نفسه فهو في سعة من قطعها فإن لم يقطعها، وهو يرى أنه بذلك يسلم له بذلك بقية بدنه ويأمن على نفسه، ثم مات منها أنه غير

^{١٠٤٤} - مسند أبي عوانة (٣٣٧) صحيح

^{١٠٤٥} - مسند أبي عوانة (٣٣٨) صحيح

^{١٠٤٦} - مسند أبي عوانة (٣٣٩) صحيح

^{١٠٤٧} - مسند أبي عوانة (٣٤٠) صحيح

^{١٠٤٨} - سنن الترمذي (٢٧٩٨) وقال: هذا حديث حسن غريب.

مُلُومٍ فِي ذَلِكَ وَلَا مُعَاقِبٌ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ هَذَا الرَّجُلُ فِيمَا فَعَلَ بِرَأْسِهِ حَتَّى كَانَ مِنْ فَعْلِهِ تَلَفٌ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ خِلَافُ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ طَاعِنًا لَهَا أَوْ مُتَرَدِّيًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ لِيُتْلَفَ نَفْسُهُ أَوْ مُتَحَسِّيًا لِسُوءِ لِقَتْلِهِ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يَبْنِ بِحَمْدِ اللَّهِ فِيمَا رَوَيْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَضَادٌّ وَلَا اخْتِلَافٌ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَبِذَا الْحَدِيثِ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَدِي هَذَا الرَّجُلِ بِالْغُفْرَانِ وَدُعَاؤُهُ لِيَدِيهِ بِذَلِكَ دُعَاءٌ لَهُ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ جَنَائَةٍ كَانَتْ مِنْهُ عَلَى يَدِيهِ اسْتَحَقَّ بِهَا الْعُقُوبَةُ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْغُفْرَانِ لِيَدِيهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ غُفْرَانًا لَهُ قِيلَ لَهُ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى مَا ذَكَرْتُ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَلِكَ الدُّعَاءِ لِيَدِي ذَلِكَ الرَّجُلِ كَانَ لِشِفَاقِهِ عَلَيْهِ وَلِعَمَلِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ كَانَ فِي قَلْبِهِ فَدَعَا لَهُ بِذَلِكَ لِهَذَا الْمَعْنَى لَا لِمَا سِوَاهُ كَمَا قَدْ رُوِيَ عَنْهُ مِمَّا عَلَّمَهُ حُصَيْنًا الْخَزَاعِيَّ أَبَا عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ ، فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَ أَبَاهُ حُصَيْنًا بَعْدَ مَا أَسْلَمَ فَقَالَ: " قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَخْطَأْتُ وَمَا عَمَدْتُ وَمَا جَهَلْتُ وَمَا عَلِمْتُ " فَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَعْلِيمٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُصَيْنًا أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا أَخْطَأَ يَعْنِي الْخَطَأَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْعَمْدِ، وَذَلِكَ مِمَّا هُوَ غَيْرُ مَأْخُودٍ بِهِ وَلَا مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ فَكَانَ الْخَطَأُ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ تَعَمُّدُ الْقُلُوبِ مَغْفُورًا عَنْهُ غَيْرُ مَأْخُودٍ بِهِ صَاحِبُهُ وَكَانَ أَمْرُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُصَيْنًا أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ بِغُفْرَانِهِ إِيَّاهُ لَهُ عَلَى الرَّهْبَةِ مِنَ اللَّهِ وَالتَّعْظِيمِ لَهُ وَالْخَوْفِ مِمَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ يُخَالِطُ قَلْبَ الْمُخْطِئِ فِي حَالِ خَطِيئَةٍ مِنْ مِثْلِ إِلَى مَا أَخْطَأَ بِهِ، وَكَذَلِكَ مَا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْغُفْرَانِ لِلرَّجُلِ الْمَذْكُورِ فِيهِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِمِثْلِ هَذَا أَيْضًا وَاللَّهُ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ ١٠٤٩

قلت: ولا يدخل تحت هذه الأحاديث العمليات الاستشهادية، التي يقوم بها بعض المجاهدين في سبيل الله، فليست انتحاراً، بل قتل في سبيل الله، بل أعلى قتل في سبيل الله، لقد تبين لنا من خلال كلام الأئمة رضي الله عنهم أن ذلك جائز إذا كان فيه نكاية بالعدو أو تشجيع المسلمين على القتال ونحو ذلك من مصالح شرعية معتبرة ... ولا علاقة له بالانتحار الذي حرمه الله تعالى، ولا بد أن تكون ضمن الشروط الشرعية. ١٠٥٠

المبحث التاسع والثلاثون

المخلدون في النار

١٠٤٩ - مُشْكِلُ الْأَثَارِ لِلطَّحَاوِيِّ (١٧٢ و ١٧٣) صحيح

١٠٥٠ - وقد فصلت القول فيها ورددت على المانعين في كتابي ((الخلاصة في أحكام الشهيد)) وكتابي " الأدلة الشرعية في مشروعية العمليات الاستشهادية "

أهل النار الخالدون فيها الذين لا يرحلون ولا يبيدون هم الكفرة والمشركون، قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) [الأعراف/٣٦]) ،
أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى أَحَدِ رُسُلِهِ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ قَبُولِهَا، وَعَنِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهَا، وَعَنِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا... فَهَؤُلَاءِ سَيَكُونُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيَوْنَ (خَالِدِينَ أَبَدًا) .
وقال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) [فاطر/٣٦])

أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَعَقَابُهُمْ سَيَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ فِيهَا بِمَوْتٍ فَيَسْتَرِيحُوا مِنَ الْعَذَابِ وَالْآلَامِ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا يُفْتَرُ. وَكُلَّمَا خَبَتْ نَارُ جَهَنَّمَ زَادَهَا اللَّهُ سَعِيرًا، لِيَسْتَمِرَّ عَذَابُهُمْ شَدِيدًا أَلِيمًا. وَمِثْلُ هَذَا الْجَزَاءِ يَجْزِي اللَّهُ بِهِ كُلَّ كَافِرٍ بِاللَّهِ، جَاحِدٍ بِأَنْعَمِهِ، مُكَذِّبٍ لِرُسُلِهِ .

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) [البقرة/٣٩])

أَمَّا الَّذِينَ سَيَكْفُرُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْكُتُبِ، وَيَمُنَّ بَعَثَهُمْ مِنَ الرُّسُلِ فَهَؤُلَاءِ سَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحُولُونَ عَنْهَا أَبَدًا . واستلزم كونهم خالدين فيها دوام العذاب وعدم انقطاعه، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٧) [المائدة/٣٦-٣٧])

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ، أَوْ أَشْرَكُوا مَعَهُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ غَيْرَهُ، وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَتُوبُوا، فَإِنَّهُمْ لَا نَجَاةَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَيَفْتَدِي بِذَلِكَ الذَّهَبِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي قَدْ أَحَاطَ بِهِ، لَمَّا تُقْبِلَ مِنْهُ ذَلِكَ، فَلَا مَنَدُوحَةَ عَنْ عَذَابِهِ، وَلَا مَحِيصَ لَهُ مِنْ أَنْ يُلَاقِيَ جَزَاءَهُ الْعَادِلَ مِنَ الْعَذَابِ، وَهُوَ عَذَابٌ مُوجِعٌ أَلِيمٌ . وَحِنْمًا يُحَسُّ الْمُجْرِمُونَ بِنَقْلِ الْعَذَابِ فِي النَّارِ يُحَاوِلُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا، وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ، وَلَهُمْ عَذَابٌ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ .

وتطلب هذا أن تكون النار مأوى لهم، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) [يونس/٨،٧])

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلِقَاءِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَاعْتَقَدُوا وَاهِمِينَ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا هِيَ مُنْتَهَاهُمْ، وَلَيْسَ بَعْدَهَا حَيَاةٌ، فَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلُوا لِمَا بَعْدَهَا، وَغَفَلُوا عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ .

فَهُؤُلَاءِ سَيَّدُخْلُهُمْ رَبُّهُمْ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَصْلَبَهُمْ بَنِيَّانَهَا، وَسَيَجْعَلُهَا مَأْوًى لَهُمْ وَمَنْزِلًا، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَعَلَى مَا اكْتَسَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ وَالْخَطَايَا وَالْإِجْرَامِ .
وقال تعالى: (فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) [الحديد/١٥]) .

فَالْيَوْمَ لَا مَهْرَبَ لَكُمْ، وَلَا لِلْكَافِرِينَ، مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْاِفْتِدَاءِ مِنْهُ وَلَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ بِمِثْلِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَسَتَصِيرُونَ جَمِيعًا إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَسَتَكُونُ هِيَ مَأْوَاكُمْ وَمَثْوَاكُمْ وَمُتَقَلِّبُكُمْ، وَهِيَ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ آخَرَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا ، كما أن أصحاب المبادئ الضالة والمذاهب الباطلة المخالفون لشرع الله هم دعاة النار كما قال تعالى: (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) [البقرة/٢٢١]) ،

يُحَرِّمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَزَوَّجُوا الْمُشْرِكَاتِ اللَّوَاتِي لَا كِتَابَ لَهُنَّ، طَمَعًا فِي مَالِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ وَحَسْبِهِنَّ، مَا دَمْنَ عَلَى شِرْكِهِنَّ، لِأَنَّ الْمُشْرِكَةَ لَا دِينَ لَهَا يُحَرِّمُ عَلَيْهَا الْحَيَاةَ، وَيَأْمُرُهَا بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَاهَا عَنِ الشَّرِّ، وَقَدْ تُفْسِدُ عَقِيدَةَ أَوْلَادِهَا. وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، الْأَنْصَارِيِّ، فَقَدْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ سَوْدَاءُ فَعُضِبَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَلَطَمَهَا، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَذِرُ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأُعْتَقِنَهَا وَلَا تَزَوَّجْنَهَا. فَعَابَ عَلَيْهِ أَنَا نَسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ. وَقَالُوا: نَكَحَ أُمَّتَهُ. وَكَانُوا يُفَضِّلُونَ نِكَاحَ الْمُشْرِكَاتِ، وَإِنِكَاحَ الْمُشْرِكِينَ بَنَاتِهِمْ طَمَعًا فِي أَحْسَابِهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ .

وَكَذَلِكَ مَنَعَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يُزَوَّجُوا بَنَاتِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَا دَامُوا مُقِيمِينَ عَلَى شِرْكِهِمْ .
أَمَّا زَوَاجُ الْكِتَابِيِّ بِمُسْلِمَةٍ فَحَرَامٌ بِنَصِّ السُّنَّةِ، وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ يُخَشَى أَنْ يُزَيِّعَهَا عَنْ دِينِهَا بِمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ سُلْطَانٍ. وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ مُعَاشِرَةَ الْمُشْرِكِينَ تَدْعُو إِلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَالْاِفْتِتَانِ بِهَا، وَإِلَى التَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيمَةٌ. وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْمَغْفِرَةِ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي شَرْعِهِ، وَبِمَا نَهَى عَنْهُ. وَهُوَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَ صِلَاةَهُمْ وَرَشَادَهُمْ .

وقال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨)) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَآخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطُرُّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠)) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١)) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) [القصص/٣٨-٤٢]) ،

كَانَ فِرْعَوْنُ يَدَّعِي الْأُلُوهِيَّةَ، وَقَدْ حَمَلَ قَوْمُهُ عَلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَى وَهَارُونُ يَدْعُوَانِهِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُحَذِّرَانِهِ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ إِنَّ اسْتَمَرَ فِي كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، خَذَ فِي الْمَكَابِرَةِ وَالْمَعَانِدَةِ، وَقَالَ

لَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ: إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ لِقَوْمِهِ إِلَّا غَيْرَهُ هُوَ. وَقَالَ لِمُوسَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: { لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ } ثُمَّ أَمَرَ وَزِيرَهُ هَامَانَ بِأَنْ يُوقِدَ النَّارَ لِشَيْوِي الطِّينِ، وَيَجْعَلَ مِنْهُ أَجْرًا لِإِشَادَةِ قَصْرِ شَامِخٍ لَهُ (صَرَحًا)، يَصْعَدُ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ لِيَرَى إِلَهَ مُوسَى. ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ مُوسَى مِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّ لَهُ إِلَهًا فِي السَّمَاءِ يَنْصُرُهُ وَيُؤَيِّدُهُ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ. وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَرْمِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَى تَخْفِيفِ أَثَرِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى وَهَارُونُ، فِي نُفُوسِ رَعِيَّتِهِ . وَطَعَى فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ وَجُنُودُهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَتَجَبَّرُوا، وَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ لَا قِيَامَةَ وَلَا حَشَرَ وَلَا مَعَادَ، وَلَا رَجْعَةَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا حِسَابَ لَهُمْ عَلَى عَمَلِهِمُ السَّيِّئِ، وَاعْتَقَادِهِمُ الْفَاسِدَ . فَجَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، وَأَغْرَقَهُمْ فِي الْبَحْرِ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُعْتَبِرُ بِالْآيَاتِ كَيْفَ كَانَ أَمْرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَهَذِهِ هِيَ عَاقِبَةُ الْكُفْرِ وَالْبَغْيِ وَالظُّلْمِ . وَجَعَلَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ أَتَمَّةً، يَقْتَدِي بِهِمْ أَهْلُ الْعُتُوِّ وَالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ، فَهُمْ يَحْتَشُونَ عَنِ الشُّرُورِ وَالْمَعَاصِي، الَّتِي تُلْقَى بِصَاحِبِهَا فِي النَّارِ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَصِيرَ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ، وَيَقْتَدِي بِهِمْ فِي الْكُفْرِ، وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ مِثْلَ مَصِيرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا يَنْصُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِمْ حَزْنُ الدُّنْيَا، مُتَّصِلًا بِذَلِكَ الْآخِرَةِ . وَأَلْزَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَزْنًا وَطَرْدًا مِنْ رَحْمَتِهِ (لَعْنَةً)، ثُمَّ قَضَى عَلَيْهِمْ بِالْبَوَارِ وَالْهَلَكَ، وَسُوءَ الْأُخْدُوثَةِ، وَسَيِّئَتِهِمْ لَعْنَةً أُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَذِلُّهُمْ وَيُخْزِيهِمْ حَزْنًا دَائِمًا مُسْتَمِرًّا لَا فِكَاكَ لَهُمْ مِنْهُ . وَفِي مَقْدَمَةِ هَؤُلَاءِ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) [فاطر/٦])

إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَهُوَ يُوسَّوسُ لَكُمْ لِيُضِلَّكُمْ وَيَدْفَعَ بِكُمْ إِلَى هَاوِيَةِ الْجَحِيمِ، فَاحْذَرُوا مِنْهُ وَكُونُوا أَنْتُمْ أَعْدَاءَهُ، وَخَالِفُوهُ وَكَذَّبُوهُ فِيمَا يَعْرِضُكُمْ بِهِ، وَهُوَ يَدْعُو حِزْبَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَشَيْعَتَهُ، إِلَى اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالرُّكُودِ إِلَى اللَّذَاتِ، وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ، لِيُضِلَّهُمْ وَيُلْقِيَهُمْ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ، فِي سَعِيرِ جَهَنَّمَ .

المبحث الأربعون

أعظم جرائم الخالدين في النار

(١) الكفر والشرك: وقد أخبر الحق سبحانه أن الذين كفروا ينادون عندما يكونون في النار، فيقال لهم: إن مقت الله لكم أعظم من مقتكم أنفسكم بسبب كفركم بالإيمان، وبين أن خلودهم في النار بسبب كفرهم وشركهم، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠)) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى

خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) [غافر/١٠-١٢]

وَحِينَمَا يُلْقَى الْكَافِرُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، يَمُقَّتُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَكْرَهُونَهَا أَشَدَّ الْكَرْهِ، بِسَبَبِ مَا أَسْلَفُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ أَوْصَلَهُمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، فَتَنَادِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَيَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّ مَقْتَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حِينَ كَانَ الْإِيمَانُ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ فَيَكْفُرُونَ، كَانَ أَشَدَّ مِنْ مَقْتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتَلَطَّوْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

فَيَقُولُ الْكَافِرُونَ: رَبَّنَا خَلَقْتَنَا مِنْ عَدَمٍ وَلَمْ نَكُنْ لَنَا حَيَاةٌ، وَأَمَتْنَا حِينَ انْقَضَتْ آجَالُنَا، وَأَحْيَيْتَنَا أَوَّلًا بِنَفْخِ الْأَرْوَاحِ فِينَا وَنَحْنُ فِي الْأَرْحَامِ، وَأَحْيَيْتَنَا بِإِعَادَةِ أَرْوَاحِنَا إِلَى أَبْدَانِنَا يَوْمَ الْبَعْثِ، وَالتَّشْوِيرِ، فَأَعْتَرَفْنَا بِأَنَّا كُنَّا أَنْكَرْنَا الْبَعْثَ فَكَفَرْنَا، وَاجْتَرَحْنَا السَّيِّئَاتِ، فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى إِخْرَاجِنَا مِنَ النَّارِ، وَإِعَادَتِنَا إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ؟ فَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

فَيَجَابُونَ عَلَى سَوَالِهِمْ هَذَا أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الرَّجْعَةِ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَأَنْكَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ الْأُلُوْهِيَّةُ خَالِصَةً لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِهِ مُشْرِكٌ صَدَّقْتُمُوهُ وَأَمَنْتُمْ بِهِ. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِفَسَادِ طَبَاعِكُمْ، وَرَفْضِهَا لِلْحَقِّ، فَإِذَا عُدْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا عُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ فُسَادٍ وَكُفْرٍ وَإِفْسَادٍ فِي الْأَرْضِ، فَالْحُكْمُ الْيَوْمَ لِلَّهِ، وَهُوَ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَهُوَ ذُو الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَقَدْ افْتَضَتْ حِكْمَتُهُ خُلُودَ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا .

وقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) [غافر/٤٩-٥٠]

وَلَمَّا يَتَسَّ الْمُسْتَضْعِفُونَ مِنْ أَنْ يَحْمِلَ السَّادَةُ الدِّينَ كَانُوا سَبَبَ كُفْرِهِمْ، وَإِدْخَالِهِمْ فِي النَّارِ، شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ عَنْهُمْ، اتَّجَهُوا إِلَى خَزَنَةِ جَهَنَّمَ يَسْأَلُونَهُمُ الْإِتِّجَاهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْدُّعَاءِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ فِي النَّارِ . وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ يَقْرَعُونَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَلَمْ تَأْتِيكُمْ رُسُلٌ رُبُّكُمْ بِالْحَقِّ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ مَا يَدْعُونَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَيَقُولُ الْمُسْتَضْعِفُونَ: نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلٌ مِنَ اللَّهِ بِالْحَقِّ وَالْبَيِّنَاتِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ: إِذَا فَادَعُوا أَنْتُمْ وَحَدَّكُمْ. وَلَكِنْ دُعَاءُ الْكَافِرِينَ لَا يُفِيدُ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ، وَيَذْهَبُ سُدًى .

وقال فيمن كذب بالكتاب: (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ

اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) [غافر/٧٠-٧٦]،

هؤلاء المشركون الذين كذبوا بالقرآن والكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله لهداية الناس، فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم حين تُجعل الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، وتسحبهم زبانية العذاب في الماء الحار الذي اشتدَّ غليانه وحرُّه، ثم في نار جهنم يوقد بهم.

ثم قيل لهم توبيخاً، وهم في هذه الحال التعيسة: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ فادعوه؛ لينقذوكم من هذا البلاء الذي حلَّ بكم إن استطاعوا، قال المكذبون: غابوا عن عيوننا، فلم ينفعونا بشيء، ويعترفون بأنهم كانوا في جهالة من أمرهم، وأن عبادتهم لهم كانت باطلة لا تساوي شيئاً، كما أضل الله هؤلاء الذين ضلَّ عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله، يضل الله الكافرين به.

ذلكم العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما كنتم عليه في حياتكم الدنيا من غفلة، حيث كنتم تفرحون بما تقتربونه من المعاصي والآثام، وبما أنتم عليه من الأشر والبطر والبغي على عباد الله. ادخلوا أبواب جهنم عقوبة لكم على كفركم بالله ومعصيتكم له خالدين فيها، فبئس جهنم نزلوا للمتكبرين في الدنيا على الله.

وقال في الكفرة المشركين المسوين آلهتهم رب العالمين: (وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) [الشعراء/٩١-٩٩]،

وأبرزت جهنم، وأظهرت لأهلها الكفرة الطغاة الغاوين، لتكون بمرأى العين منهم، وفي ذلك تعجيلٌ لحسرتهم وغمهم .

وقيل لأهل النار تقريباً وتوبيخاً: أين الآلهة الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من أصنام وأنداد؟ لقد كنتم أنتم تعبدونهم في الدنيا من دون الله تعالى، وتعتقدون أنهم سيشفعون لكم عند الله، فهل يستطيعون اليوم نصركم أو نصراً أنفسهم؟ وهل يستطيعون أن يدفعوا عذاب الله عنكم أو عن أنفسهم؟ فآلقوا في جهنم على وجوههم، بعضهم فوق بعض (كُذِّبُوا) هُمْ وَقَادَتْهُمْ وَكَبَّرُواهُمْ، الذين دعواهم إلى الشرك. وقذف في النار معهم جنود إبليس الذين كانوا يزبنون لهم الشرك والمعاصي، فصاروا جميعاً في النار. فيقولون مُعْتَرِفِينَ بِخَطِيئَتِهِمْ، وهم يتخاصمون في النار مع من أضلَّوهم من معبوداتهم. والله لقد كنا ضالين بصورة جليّة واضحة، إذ استجبنا لكم أيها المعبدون، وعظمتناكم تعظيم المعبود الحق، وسويناكم ربَّ العالمين في استحقاق العبادة .

وقال فيمن كذب بيوم الدين: (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) [الفرقان/١١-١٤])

وما كذبوك؛ لأنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، بل كذبوا بيوم القيامة وما فيه من جزاء، وأعدنا لمن كذب بالساعة نارًا حارة تُسعر بهم. إذا رأت النار هؤلاء المكذبين يوم القيامة من مكان بعيد، سمعوا صوت غليانها وزفيرها، من شدة تغيطها منهم. وإذا أُلْقُوا في مكان شديد الضيق من جهنم - وقد قُرنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم - دَعَوْا على أنفسهم بالهلاك للخلاص منها. فيقال لهم تغييسًا، لا تَدْعُوا اليوم بالهلاك مرة واحدة، بل مرات كثيرة، فلن يزيدكم ذلك إلا غمًّا، فلا خلاص لكم.

(٢) **عدم القيام بالتكاليف الشرعية مع التكذيب بيوم الدين وترك الالتزام بالضوابط الشرعية،** وقد بين سبحانه هذه الصورة في حوار أهل الجنة مع أهل النار فقال سبحانه على لسان أهل الجنة: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) [المدثر/٤٢-٤٨])

ثُمَّ يَسْأَلُونَ الْمُجْرِمِينَ وَهُمْ فِي النَّارِ: مَا الَّذِي أَدَخَلَكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ؟ وَيُرَدُّ الْمُجْرِمُونَ عَلَى سُؤَالِ الْأَبْرَارِ أَهْلِ الْجَنَّتِ قَاتِلِينَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَوَاتِ. وَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءِ، وَلَمْ يَكُونُوا يُطْعِمُونَ الْمَسَاكِينَ. وَإِنَّهُمْ كَانُوا يُشَارِكُونَ أَهْلَ الْبَاطِلِ فِيخُوضُونَ مَعَهُمْ فِيمَا يَخُوضُونَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ. وَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِحَشْرِ وَلَا نَشْرِ وَلَا بَعْثٍ وَلَا حِسَابٍ، وَلَا عِقَابٍ فِي الْآخِرَةِ. حَتَّى جَاءَهُمُ الْمَوْتُ، وَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَلِمُوا أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ. وَمَنْ كَانَ مُتَصِفًا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةُ شَافِعٍ فِيهِ، لِأَنَّ مَنْ مَاتَ كَافِرًا فَجَزَاؤُهُ النَّارُ، وَيَبْقَى خَالِدًا فِيهَا .

(٣) **طاعة رؤساء الضلال وزعماء الكفر فيما قرروه من مبادئ الضلال وخطوات الكفر التي تصدُّ** عن دين الله ومتابعة المرسلين، قال تعالى في هؤلاء: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْعَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ (٢٦) فَلَنُذِقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) [فصلت/٢٥-٢٨])

وَيَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ أَخْدَانًا وَأَقْرَانًا مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَلَمْ

يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا مُحْسِنِينَ، وَأَوْحُوا إِلَيْهِمْ إِنَّهُ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا حِسَابَ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا وَجَبَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلُوا مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ، فَكَانُوا جَمِيعاً فِي الْخَسَارِ وَالْدمَارِ، وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَتَوَاصَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِأَلَّا يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ، وَأَلَّا يَنْقَادُوا إِلَيْهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِذَا تَلَّى الْقُرْآنُ لَا تُنصِتُوا لَهُ، وَعَارِضُوهُ بِاللُّغُوِّ وَالْبَاطِلِ بِرَفْعِ الصَّوْتِ بِالشَّعْرِ، أَوْ الْكَلَامِ أَوْ الصَّفِيرِ.. لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ الْعَالِينَ .

وَيَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُ سَيَذِيقُهُمْ عَذَاباً لَا تُمْكِنُ الْإِحَاطَةُ بِوَصْفِهِ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ فِي الدُّنْيَا أَحْبَطَهَا الشَّرْكُ وَأَهْلَكَهَا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِلَّا الْقَبِيحُ السَّيِّئُ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَجَازُونَ إِلَّا عَلَى السَّيِّئَاتِ .

وَذَلِكَ الْجَزَاءُ الشَّدِيدُ، الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِأَعْدَائِهِ، هُوَ النَّارُ يُعَذِّبُونَ فِيهَا، وَيَبْقَوْنَ فِي الْعَذَابِ خَالِدِينَ أَبَداً، وَهِيَ جَزَاؤُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ سَمَاعِهَا .

وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِنَاهُمْ فِي الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا (٦٨) [الأحزاب/٦٤-٦٨]

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَعَنَ الْكَافِرِينَ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَاراً تَنْقُذُ وَتَسْعَرُ. وَيَبْقَوْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ أَبَداً، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ نَاصِراً مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ. وَهُمْ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَنْصُرُهُمْ، وَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، حِينَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ آخَرَ، كَمَا يُقَلَّبُ اللَّحْمُ فَوْقَ النَّارِ، وَحِينَئِذٍ يَقُولُونَ مُتَحَسِّرِينَ: يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا جَاءَنَا بِهِ فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى اللَّهِ، وَتَحْذِيرٍ مِنْ عَذَابِهِ، وَلَوْ أَنَّنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَمَّا كُنَّا الْيَوْمَ نَتَقَلَّبُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا نَجِدُ لَنَا سَمَنَ يُنْقِذُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، وَلَا مَنْ يُجِيرُنَا مِنْ عَذَابِهِ.

وَقَالَ الْكَافِرُونَ، وَهُمْ يُقَاسُونَ شِدَّةَ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ: رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا أَئِمَّتَنَا فِي الضَّلَالَةِ، وَكُبَرَاءَنَا، وَأَشْرَافَ قَوْمِنَا، فَجَعَلُونَا نَضِلُّ طَرِيقَ الْهُدَى وَالْحَقِّ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ وَإِلَى الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ. رَبَّنَا وَأَضْعِفْ لَهُمُ الْعَذَابَ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً لِكُفْرِهِمْ بِكَ، وَمَرَّةً لِإِضْلَالِهِمْ إِيَّانَا، اللَّهُمَّ وَآخِرِهِمْ وَاطْرُدْهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ .

(٤) **النفاق:** وعد الله المنافقين النار، وهو وعد قطعه على نفسه لا يخلفه، قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّهمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) (٦٨) [النوبة/٦٨]

وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ، وَوَعَدَهُمْ بِهَا عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَسَيَمَكُثُونَ فِيهَا مُخَلَّدِينَ أَبَدًا، وَلَهُمْ فِيهَا مِنَ الْجَزَاءِ وَالْعَذَابِ مَا يَكْفِيهِمْ (حَسْبُهُمْ)، وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ دَائِمٌ غَيْرَ عَذَابِ جَهَنَّمَ: كَالسَّمُومِ يَلْفَحُ وَجُوهَهُمْ، وَالْحَمِيمِ يَصْهَرُ مَا فِي بُطُونِهِمْ. وبين سبحانه موقعهم في النار وهو الدرك الأسفل من النار وهو أكثر الدركات عذابا وحرا: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) [النساء/١٤٥])

يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الْمُنَافِقِينَ سَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي أَسْفَلِ طَبَقَاتِ (دَرَكَاتِ) نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَنْ يَنْصُرَهُمْ أَحَدٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. إنه مصير يتفق مع ثقله الأرض التي تلصقهم بالتراب، فلا ينطلقون ولا يرتفعون، ثقله المطامع والرغائب، والحرص والحذر، والضعف والخور! الثقله التي تهبط بهم إلى موالاة الكافرين ومداراة المؤمنين. والوقوف في الحياة ذلك الموقف المهيمن: { مذبذبين بين ذلك. لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء }.. فهم كانوا في الحياة الدنيا يزاولون قهينة أنفسهم وإعدادها لذلك المصير المهيمن في { الدرك الأسفل من النار }.. بلا أعوان هنالك ولا أنصار.. وهم كانوا يوالون الكفار في الدنيا، فأنى ينصرهم الكفار؟ (٥) الكبير: وهذه صفة يتصف بها عامة أهل النار، قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) [الأعراف/٣٦])

أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى أَحَدِ رُسُلِهِ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ قَبُولِهَا، وَعَنِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهَا، وَعَنِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا... فَهَؤُلَاءِ سَيَكُونُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيَوْنَ (خَالِدِينَ أَبَدًا) .
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا » ١٠٥١.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَدْخُلُنِي ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَأَسْفَاطُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا. ١٠٥٢
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: اخْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا بَالِي يَدْخُلُنِي الْفُقَرَاءُ وَالضُّعَفَاءُ؟ وَقَالَتِ النَّارُ: مَا بَالِي يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ؟ فَقَالَ اللَّهُ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مِلْؤُهَا. ١٠٥٣

١٠٥١ - صحيح مسلم (٧٣٥١)

١٠٥٢ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥١٨) (٧٤٧٦) صحيح

١٠٥٣ - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٥١٩) (٧٤٧٧) صحيح

وَعَنْ مَعْبُدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ سَمِعْتُ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الْخُرَاعِيَّ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَبْرُهُ إِلَّا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلِّ جَوَاطٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ » ١٠٥٤ .

الجواظ: الجموع المنوع الذي يجمع المال من أى جهة ويمنع صرفه في سبيل الله - الزنيم: دعى النسب الملحق بهم

وهذا مصداق قوله تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) [الزمر/٦٠])

وَتَرَى يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ، فَرَعَمُوا أَنْ لَهُ وَلَدًا أَوْ صَاحِبَةً أَوْ شَرِيكًا، أَوْ عَبَدُوا مَعَ اللَّهِ شُرَكَاءَ.. الخ قَدْ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْحَزَنِ وَالْكَآبَةِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ النَّارَ لِيَلْقَوْا فِيهَا الْعَذَابَ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ. أَوْ لَيْسَتْ جَهَنَّمَ كَافِيَةً سِجْنًا وَمَوْثَلًا لِّلْمُتَكَبِّرِينَ فَيَرَوْنَ فِيهَا الْخِزْيَ وَالْمَهْوَانَ بِسَبَبِ تَكْبِيرِهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ. وَاسْتِعْلَائِهِمْ عَنِ الْإِنْقِيَادِ لِلْحَقِّ .

المبحث الواحد والأربعون

أهم الجرائم التي تدخل النار

سُئِلَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : مَا عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ وَمَا عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ ؟ .
فَأَجَابَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، " عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ " الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى، وَعَمَلُ أَهْلِ النَّارِ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ، فَأَعْمَالُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَالشَّهَادَتَانِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَحُجُّ الْبَيْتِ .

وَأَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ .

وَمِنْ " أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْجَارِ وَالْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَمْلُوكِ مِنَ الْأَدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ .

وَمِنْ " أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ، وَالْمَحَبَّةُ لَهُ وَلِرَسُولِهِ، وَخَشْيَةُ اللَّهِ وَرَجَاءُ رَحْمَتِهِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى حُكْمِهِ ، وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ .

وَمِنْ " أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَذِكْرُ اللَّهِ وَدُعَاؤُهُ ، وَمَسْأَلَتُهُ وَالرَّغْبَةُ إِلَيْهِ. وَمِنْ " أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " : الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ .

وَمِنْ " أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " : أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَغْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّهَا { لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) } الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) } [آل عمران/١٣٣، ١٣٤].

وَمِنْ " أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " : الْعَدْلُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَعَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ حَتَّى الْكُفَّارِ. وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَعْمَالِ .

وَأَمَّا " عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ " : فَمِثْلُ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ وَالتَّكْذِيبِ بِالرُّسُلِ وَالْكُفْرِ وَالْحَسَدِ وَالْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ وَالظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَالْعُدْرِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْجُبْنِ عَنِ الْجِهَادِ وَالْبُخْلِ، وَاخْتِلَافِ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْجَزَعِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، وَالْفَخْرِ وَالْبَطْرِ عِنْدَ النِّعَمِ، وَتَرْكِ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَاعْتِدَاءِ حُدُودِهِ وَاتِّهَافِ حُرْمَاتِهِ، وَخَوْفِ الْمَخْلُوقِ دُونَ الْخَالِقِ، وَرَجَاءِ الْمَخْلُوقِ دُونَ الْخَالِقِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى الْمَخْلُوقِ دُونَ الْخَالِقِ، وَالْعَمَلِ رِبَاءً وَسُمْعَةً، وَمُخَالَفَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَاعَةِ الْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَالتَّعَصُّبِ بِالْبَاطِلِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَجَحْدِ الْحَقِّ، وَالْكُتْمَانِ لِمَا يَجِبُ إِظْهَارُهُ مِنْ عِلْمٍ وَشَهَادَةٍ.

وَمِنْ " عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ " السَّحَرُ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ. وَتَفْصِيلُ " الْجُمْلَتَيْنِ " لَا يُمَكِّنُ ؛ لَكِنْ " أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " كُلُّهَا تَدْخُلُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ" أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ " كُلُّهَا تَدْخُلُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) } وَمَنْ يَعُصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤) [النساء/١٣-١٤] } وَاللَّهُ أَعْلَمُ ١٠٠٠.

وبين الرسول ﷺ جماع الذنوب التي تدخل النار، ففي صحيح مسلم عن عياض بن حمار المصاشعي أن رسول الله ﷺ - قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لَأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلَى بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانُ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذَا يَنْلَعُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةٌ قَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ وَاغْزِهِمْ تُغْزِكَ وَأَنْفَقَ فَسْتَنْفِقْ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَتْ خَمْسَةٌ مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ. قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ وَعَفِيفٌ

مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ - قَالَ - وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ» ١٠٥٦.

يثلغ: يكسر - اجتال: أضل - الزبر: العقل - الشنظير: سيئ الخلق - نغزك: نعينك

وعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، وَإِنَّهُ قَالَ: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عِبَادِي فَهُوَ لَهُمْ حَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلِّهِمْ فَاتَّهَمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمُهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَعْزُو قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، إِنَّهُمْ إِذَا يَثْلَعُوا رَأْسِي حَتَّى يَدْعُوهُ خُبْرَةٌ، فَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَتَّبِلِكَ وَأَتَّبِلِي بِكَ، وَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرُوهُ فِي الْمَنَامِ وَالْيَقَظَةِ، فَأَعْزُهُمْ يُعْزِكَ اللَّهُ وَأَنْفَقُ يُنْفِقُ عَلَيْكَ، وَأَبْعَثُ جَيْشًا نُمِدَّكَ بِخَمْسَةِ أَمْثَالِهِمْ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ، أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: إِمَامٌ مُقْسِطٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ غَنِيٌّ عَفِيفٌ مُتَّصِدٌّ، وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةُ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعٌ لَا يَتَّبِعُونَ بِذَلِكَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَرَجُلٌ إِنْ أَصْبَحَ أَصْبَحَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَرَجُلٌ لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا ذَهَبَ بِهِ، وَالشَّنْظِيرُ الْفَاحِشُ" قَالَ: وَذَكَرَ الْبُحْلَ وَالْكَذِبَ. ١٠٥٧.

المبحث الثاني والأربعون

نداء أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار

قال الله تعالى: { وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُفِّتِ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَى أَصْحَابُ

١٠٥٦ - صحيح مسلم (٧٣٨٦)

١٠٥٧ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٢ / ص ٣٣٢) (١٤٣٩٧) صحيح

النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١) { [الأعراف/٤٤-٥١]

وَبَعْدَ أَنْ يَسْتَقِرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا، وَيَحْمَدُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى النَّعِيمِ الَّذِي أَسْبَغَهُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ، يَطْلَعُونَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيَرَوْنَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّصَبِ، وَيَرَوْنَ قَوْمًا مِمَّنْ عَرَفُوهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بآيَاتِ اللَّهِ، وَيَكْفُرُونَ بِهَا، وَيَسْخَرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُشَكِّكُونَ فِي صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَاعِلِي الْخَيْرِ، وَعَنِ الْعَذَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُ الْمُكَذِّبِينَ الْمُجْرِمِينَ، فَيَخَاطِبُونَهُمْ قَائِلِينَ: لَقَدْ وَجَدْنَا نَحْنُ مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا مِنْ نَعِيمٍ، وَجَنَّاتٍ حَقًّا، جَزَاءً عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ أَنْتُمْ يَا أَصْحَابَ النَّارِ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ عَذَابٍ وَتَكَالَ حَقًّا؟ فَيَجِيبُهُمْ أَهْلُ النَّارِ: أَنْ نَعَمْ، لَقَدْ وَجَدْنَا ذَلِكَ. وَبَعْدَ أَنْ يَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ، يُعْلِنُ مُعْلِنٌ: أَنْ لَعْنَةَ اللَّهِ مُسْتَقَرَّةٌ عَلَى الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي. وَيَعْرِفُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ اتِّبَاعِ مَا شَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى، وَمَا جَاءَتْ بِهِ الثُّبُوتَاتُ، وَيَبْعَثُونَ أَنْ تَكُونَ سَبِيلُ اللَّهِ مُعْجَزةً غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ حَتَّى لَا يَسْلُكَهَا أَحَدٌ، وَيَكْفُرُونَ بِلِقَاءِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، لَا يُصَدِّقُونَ وَلَا يُؤْمِنُونَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يُبَالُونَ بِمَا يَأْتُونَ مِنْ مُنْكَرِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ اللَّهِ وَحِسَابَهُ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ حَاجِزًا (حِجَابًا) يَمْنَعُ وَصُولَ أَهْلِ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهُوَ السُّورُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى { فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَهُ بَابٌ } وَهُوَ الْأَعْرَافُ .

وَيَقُولُ الْمُفَسِّرُونَ: يَقِفُ عَلَى الْأَعْرَافِ أَنْاسٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ مَعَ سَيِّئَاتِهِمْ، فَلَا هُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَا هُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَطْمَعُونَ فِي أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَأَهْلُ الْأَعْرَافِ يَعْرِفُونَ كُلًّا مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الْجَنَّةِ بِسِيمَاهُمُ الَّتِي وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهَا (وَهِيَ بَيَاضُ الْوَجْهِ، وَنَضْرَةُ النَّعِيمِ الَّتِي تَعْلُو وَجْوهَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَوَادُ الْوَجْهِ وَالْقَتَرَةُ الَّتِي تَرْهَقُ وَجْوهَ أَهْلِ النَّارِ). وَيَتَوَجَّهُ أَهْلُ الْأَعْرَافِ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ بِالسَّلَامِ قَائِلِينَ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، يَقُولُونَهَا مُهَيَّئِينَ بِالْفَوْزِ بِالْحِسَابِ، طَامِعِينَ فِي أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ مَعَهُمْ. وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) إِنَّ أَهْلَ الْأَعْرَافِ يُسَلِّمُونَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَجْتَازُوا الْحِسَابَ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، إِذْ يَكُونُونَ طَامِعِينَ فِي دُخُولِهَا لِمَا رَأَوْهُ مِنْ يُسْرِ الْحِسَابِ .

وَكُلَّمَا اتَّجَهَتْ أَبْصَارُهُمْ إِلَى جِهَةِ أَهْلِ النَّارِ تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ، وَقَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَيَعْرِفُ أَهْلُ الْأَعْرَافِ رُؤُوسَ الْكُفْرِ، وَقَادَةَ الشَّرِّ، وَهُمْ فِي النَّارِ بِسِيمَاهُمْ (أَيْ بِسَوَادِ وَجْهِهِمْ) فَيَقْرَعُونَهُمْ قَائِلِينَ: لَمْ تَنْفَعَكُمْ كَثْرَتُكُمْ، وَجَمْعُكُمْ الْمَالَ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْكُمْ اسْتِكْبَارُكُمْ، مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَهَذَا أَنْتُمْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَسُوءِ الْمَصِيرِ .

ثُمَّ يَقُولُونَ لَهُمْ مُبَيِّنِينَ مُقَرَّرِينَ، وَهُمْ يَلْفِتُونَ أَنْظَارَهُمْ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَسْتَبْعِدُونَ أَنْ يُصِيبَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَرْحَمَهُمْ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قِيلَ لَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ، لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَقْتُمْ وَرَاءَكُمْ فِي الدُّنْيَا .

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلَّةِ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ، وَسُؤَالِهِمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَنْ يُعْطَوْهُمْ شَيْئًا مِنْ شَرَابِهِمْ وَطَعَامِهِمْ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْكَافِرِينَ . وَوَصَفَ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ وَالطَّعَامَ، بِأَنَّهُمْ: الَّذِينَ اتَّخَذُوا الدِّينَ لَهْوًا وَلَعِبًا، وَاعْتَرَوْا بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَزُخْرَفِهَا، فَأَنْصَرَفُوا إِلَيْهَا، وَتَرَكُوا مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ . وَكَمَا نَسِيَ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَجَحَدُوا بِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الشَّيْءِ الْمُنْسِيِّ، الَّذِي لَا يَبْحَثُ عَنْهُ أَحَدٌ، وَيَنْسَاهُمْ فَلَا يُجِيبُ دُعَاءَهُمْ، وَيَتْرُكُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يُعَذَّبُونَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: { وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ } الْآيَةُ، قَالَ: يُنَادِي الرَّجُلُ أَخَاهُ، وَيُنَادِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ احْتَرَقْتُ فَأَفِضْ عَلَيَّ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: فَيَقَالُ لَهُ: أَجِبْهُ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ. ١٠٥٨

وعن أبي بكر بن عبد الله، قال: ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يقال: أجبوهم، وقد قطع الرحم والرحمة، فيقول أهل الجنة: يا أهل النار، عليكم غضب الله، يا أهل النار، عليكم لعنة الله، يا أهل النار، لا لبيكم ولا سعدىكم، ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم، فيقولون: بلى، فيقولون: (أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) . ١٠٥٩

و قال الله عز وجل: { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَتِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَتَذَرُنَا وَكُفْرًا بَرًّا وَعِظَامَنَا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ (٥٤) فَاطْلَعُوا فَرَأَوْهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ (٥٦) وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعْذِبِينَ (٥٩) إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) [الصافات/٥٠، ٦٠]

وَيَأْخُذُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَهُمْ فِي جُلُوسَتِهِمْ تِلْكَ، فِي تَجَاذِبِ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ، وَيَتَنَاوَلُونَ فِي أَحَادِيثِهِمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

١٠٥٨ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٣٦٩) (٣٥٩١٨) صحيح

١٠٥٩ - تفسير الطبري - (ج ١٩ / ص ٧٥) معضل

قَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِينَ يَتَحَادَثُونَ: إِنَّهُ كَانَ لِي صَاحِبٌ (قَرِينٌ) مُشْرِكٌ فِي الدُّنْيَا يَلُومُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ، وَيَسْخَرُ مِنْهُمْ. وَيَقُولُ لِصَدِيقِهِ الْمُؤْمِنِ: هَلْ أَنتَ مُصَدِّقٌ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْجَزَاءِ؟

وَيَقُولُ مُتَعَجِّبًا: هَلْ إِذَا أَصْبَحْنَا تُرَابًا وَعَظَامًا نَخْرَةً، سَنُبْعَثُ لِنَحْصَبَ عَلَى أَعْمَالِنَا وَنُجْزَى بِهَا؟ إِنَّ ذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ أَبَدًا. وَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ الْجَالِسِينَ مَعَهُ فِي رِحَابِ الْجَنَّةِ: هَلْ تَوَدُّونَ أَنْ تَطْلُعُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي الْجَحِيمِ، لَتَرَوْا عَاقِبَةَ أَمْرِ هَذَا الْقَرِينِ الْكَافِرِ؟

فَاطْلَعَ إِلَى أَهْلِ النَّارِ، فَرَأَى قَرِينَهُ وَسَطَ الْجَحِيمِ، يَتَلَطَّى بِلَهْيَيْهَا. فَقَالَ الْمُؤْمِنُ لِقَرِينِهِ الْمُشْرِكِ مُوَبِّحًا وَمُقَرِّعًا: لَقَدْ كِدْتَ أَنْ تَهْلِكَنِي لَوْ أَنِّي أَطَعْتُكَ فِي كُفْرِكَ وَعَصِيَانِكَ. وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيَّ، لَكُنْتُ مِثْلَكَ مُحْضَرًا فِي الْعَذَابِ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ، وَلَكِنَّ رَحْمَتَهُ تَعَالَى أَنْفَذَنِي مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، إِذْ هَدَانِي اللَّهُ إِلَى الْإِيْمَانِ. ثُمَّ التَفَتَ الْمُؤْمِنُ إِلَى جُلَسَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُمْ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الْكَافِرِ، لِيَزِيدَ فِي أَلَمِهِ وَحَسْرَتِهِ وَعَذَابِهِ: هَلْ نَحْنُ مُخْلَدُونَ فِي الْجَنَّةِ، مُنْعَمُونَ فِيهَا، لَا نَمُوتُ، وَلَا تَزُولُ نِعْمَتُهَا عَنَّا؟ وَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ؟ فَقِيلَ لَهُ: لَا. فَقَالَ الْمُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ: إِنَّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، مَعَ مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَذَاتِ، هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَالنَّجَاةُ مِمَّا كُنَّا نَحْذَرُهُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

وعن خليلد العصري، قال: لولا أن الله عرفه إياه ما عرفه، لقد تغير خبره وسيرة بعده، وذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم، فقال: (تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ تُثَرِّدِينَ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)^{١٠٦٠} وعن مطرف بن عبد الله، في قوله (فَاطْلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) قال: والله لولا أنه عرفه ما عرفه، لقد غيرت النار خبره وسيره (الحسن والبهاء)^{١٠٦١}.

وقال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّمَاتِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينَ (٤٧) } [المثدر/٣٨-٤٧]

كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة رهونة بكسبها، لا تُفكُّ حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات، إلا المسلمين المخلصين أصحاب اليمين الذين فكوا رقابهم بالطاعة، هم في جنات لا يُدرَك وصفها، يسأل بعضهم بعضًا عن الكافرين الذين أجرموا في حق أنفسهم: ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيها؟ قال المجرمون: لم نكن من المصلين في الدنيا، ولم نكن

^{١٠٦٠} - تفسير الطبري - (ج ٢١ / ص ٤٨) صحيح مرسل

^{١٠٦١} - تفسير الطبري - (ج ٢١ / ص ٤٨) صحيح مرسل

نتصدق ونحسن للفقراء والمساكين، وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغواية والضلالة، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء، حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات.

وعن الشَّعْبِيِّ، قَالَ: يَشْرَفُ قَوْمٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَى قَوْمٍ فِي النَّارِ فَيَقُولُونَ: مَا لَكُمْ فِي النَّارِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نَعْمَلُ بِمَا تَعَلَّمُونَا، قَالُوا: كُنَّا نُعَلِّمُكُمْ، وَلَا نَعْمَلُ بِهِ. ١٠٦٢

وعن أنس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَشْرَفُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَيَنَادِيهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ: يَا فَلَانُ، أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُكَ، مَنْ أَنْتَ وَيَحَكَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي مَرَرْتُ بِكَ فِي الدُّنْيَا فَاسْتَسْقَيْتَنِي شَرْبَةَ مَاءٍ فَسَقَيْتُكَ، فَاشْفَعْ لِي بِهَا عِنْدَ رَبِّكَ، قَالَ: فَدَخَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى اللَّهِ فِي زُورِهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَشْرَفْتُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَنَادَى: يَا فَلَانُ، أَمَا تَعْرِفُنِي؟ فَقُلْتُ: لَا، وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُكَ، وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي مَرَرْتُ بِكَ فِي الدُّنْيَا فَاسْتَسْقَيْتَنِي فَسَقَيْتُكَ، فَاشْفَعْ لِي بِهَا عِنْدَ رَبِّكَ، يَا رَبِّ، فَاشْفَعْ لِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشْفَعُ اللَّهُ فِيهِ، وَأُخْرِجَهُ مِنَ النَّارِ ١٠٦٣

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ (٣٢) وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤِثُّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)} [المطففين/٢٩-٣٦]

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يُعَاتُونَ سُوءَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْخَرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، حِينَمَا كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا.

وَكَانُوا إِذَا مَرُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ وَيَتَغَامَزُونَ عَلَيْهِمْ بِالْعُيُونِ، اسْتَهْزَأَ بِهِمْ. وَإِذَا رَجَعُوا إِلَى جَمَاعَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالضَّلَالِ، رَجَعُوا مُعْجِبِينَ بَأَنْفُسِهِمْ لِمَا فَعَلُوهُ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنَ السُّخْرِيَةِ وَالْإِذَاءِ.

وَإِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: إِنَّهُمْ ضَالُونَ إِذْ بَدَّلُوا دِينَهُمْ، وَتَرَكُوا مَا كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ، وَاتَّبَعُوا مُحَمَّدًا وَدِينَهُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرْسِلِ الْكُفَّارَ رُقَبَاءَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَعْهَدْ إِلَيْهِمْ مُحَاسَبَتَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَلَا يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يَعِيبُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَالَهُمْ. وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُكْرَمُ فِيهِ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيُخْزِي الْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ يَضْحَكُونَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْخِزْيِ وَالذَّلِّ وَالْعَذَابِ. وَيَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ الْمَكْرُمُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَالِسِينَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. لِيرَوْا إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ قَدْ لَقُوا الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ الْمُحْرَمَةِ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وعن قتادة (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) ذكر لنا أن كعباً كان يقول: إن بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا، اطلع من

١٠٦٢ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٥٥٤) (٣٦٥٥٤) صحيح مرسل

١٠٦٣ - مسند أبي يعلى الموصلي (٣٤٩٠) والمطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني (٤٧١٢) ضعيف

بعض الكوى، قال الله جل ثناؤه: (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) أي في وسط النار، وذكر لنا أنه رأى جماجم القوم تغلي. وعن قتادة، قال كعب: إن بين أهل الجنة وبين أهل النار كوى، لا يشاء رجل من أهل الجنة أن ينظر إلى غيره من أهل النار إلا فعل. وعبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) كان ابن عباس يقول: السور بين أهل الجنة والنار، فيفتح لأهل الجنة أبواب، فينظرون وهم على السُرر إلى أهل النار كيف يعذبون، فيضحكون منهم، ويكون ذلك مما أقرَّ الله به أعينهم، كيف ينتقم الله منهم. ^{١٠٦٤}

المبحث الثالث والأربعون

خلود أهل النار فيها

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (١٦٢) } [البقرة/١٦١-١٦٢]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ وَرُسُلُهُ، وَكُتِبَ لَهُمُ الْحَقُّ وَلَمْ يُظْهِرُوهُ وَمَاتُوا وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيُخْلَدُوا فِيهَا أَبَدًا. وَيَتَّقُونَ خَالِدِينَ فِي هَذِهِ اللَّعْنَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتُصَاحِبُهُمُ اللَّعْنَةُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَلَا يُعَيَّرُ عَنْهُمْ سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا يُفْتَرُ بَلْ يَكُونُ مُتَوَاصِلًا، وَإِذَا طَلَبُوا الْإِمَهَالَ وَالتَّأخيرَ لَمْ يُجَابُوا إِلَيْهِ .

وقال تعالى: { وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جزاؤهم أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) } [آل عمران/٨٥-٨٨]

مَنْ ابْتَغَى دِينًا لَا يَقُودُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ الْكَامِلِ لِلَّهِ، وَالْخُضُوعِ التَّامِّ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ هَذَا الدِّينَ، وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ سَلَكَ طَرِيقًا غَيْرَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ. وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ: " مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ " .

أَسْلَمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالشَّرْكِ، ثُمَّ نَدِمَ فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ أَنْ اسْأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا فَعَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ .

^{١٠٦٤} - تفسير الطبري - (ج ٢٤ / ص ٣٠٤) فيه انقطاع

فَالَّذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ هُدَاهُ، وَقَامَتْ لَدَيْهِمُ الْبَرَاهِينُ عَلَى صِدْقِهِ، وَصَدَقَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ، كَيْفَ يَسْتَحِقُّونَ الْهِدَايَةَ؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ، الْجَانِينَ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُمْ تَنَكَّبُوا عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَتَرَكُوا هِدَايَةَ الْعَقْلِ، بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ نُورُ النُّبُوَّةِ، وَعَرَفُوهُ بِالْبَيِّنَاتِ. وَهَؤُلَاءِ يَسْتَحِقُّونَ سَخَطَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ، وَسَخَطَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ جَمِيعًا، إِذْ أَنَّهُمْ مَتَى عَرَفُوا حَقِيقَةَ حَالِهِمْ لَعَنُوهُمْ. وَمَنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ جَزَاؤُهُمُ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، وَيَبْقَوْنَ خَالِدِينَ فِي اللَّعْنَةِ وَالْعَذَابِ مَسْخُوطًا عَلَيْهِمْ إِلَى الْأَبَدِ. وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَا يُخَفَّفُ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُمَهِّلُونَ لِمَعْدَرَةٍ يَعْتَدِرُونَ بِهَا .

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) } [النساء/١٦٨، ١٦٩] يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْكَافِرِينَ بِكِتَابِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ، وَبِالْصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَبَارْتِكَابِ الْمَآثِمِ، وَانْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللَّهِ، بِأَنَّهُمْ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ، وَلَا يَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا إِلَى الْخَيْرِ وَالرَّشَادِ (طَرِيقًا) . وَيُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ لَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى طَرِيقٍ غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي تُوصِلُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، لِيَبْقَوْا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَذَلِكَ أَمْرٌ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ .

وقال تعالى: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالُوا نَارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) } [الأنعام/١٢٨]

وَإِذْ كُرِّ يَا مُحَمَّدٌ، فِيمَا تَقَصَّاهُ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَتُنذِرُهُمْ بِهِ، مَا يَجْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللَّهُ الْجِنَّ وَأَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَعُوذُونَ بِهِمْ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ إِغْوَاءِ الْإِنْسِ وَإِضْلَالِهِمْ، فَأَوْرَدْتُمُوهُمْ النَّارَ. وَقَالَ أَوْلِيَاءُ الْجِنِّ مِنَ الْإِنْسِ يُحْيِيُونَ اللَّهَ تَعَالَى: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، بِمَا كَانَ لِلْجِنِّ مِنَ اللَّذَّةِ فِي إِغْوَائِنَا بِالْأَبَاطِيلِ، وَأَهْوَاءِ الْأَنْفُسِ وَشَهَوَاتِهَا، وَبِمَا كَانَ لَنَا فِي طَاعَتِهِمْ وَوَسْوَاسَتِهِمْ مِنَ الْمُنْعَةِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالْإِنْعِمَاسِ فِي اللَّذَاتِ، وَبَلَّغْنَا، بَعْدَ اسْتِمْتَاعِ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ، إِلَى الْأَجَلِ الَّذِي قَدَّرْتَهُ لَنَا وَهُوَ الْمَوْتُ (أَوْ هُوَ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ) . فَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: النَّارُ مَثْوَاكُمْ وَمَنْزِلُكُمْ، أَنْتُمْ وَأَوْلِيَاؤُكُمْ، مَا كُنْتُمْ فِيهَا سَرْمَدًا، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُنْقِذَهُ، وَاللَّهُ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ، عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُ النَّاسُ .

وقال تعالى: { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) }

[التوبة/٦٧، ٦٨]

إِنَّ أَهْلَ النِّفَاقِ رِجَالًا وَنِسَاءً، يَتَشَابَهُونَ فِي صِفَاتِهِمْ وَأَخْلَافِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، يَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِفِعْلِ الْمُنْكَرِ، كَالْكَذِبِ وَالْحِيَانَةِ، وَإِخْلَافِ الْوَعْدِ، وَتَقْضِ الْعَهْدِ.. وَيَنْهَوْنَ عَنِ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ: كَالْجِهَادِ، وَبَذْلِ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَضُنُّونَ بِالْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ.. وَقَدْ نَسُوا أَنْ يَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ، وَاتَّبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ، فَجَازَاهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِحَرَمَانِهِمْ مِنْ لُطْفِهِ وَتَوْفِيقِهِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ. وَالْمُنَافِقُونَ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ فُسُوقًا، وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنْسِلَاحًا مِنَ الْفَضَائِلِ الْفِطْرِيَّةِ السَّلِيمَةِ .

وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ، وَوَعَدَهُمْ بِهَا عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَسَيَمَكُّنَّ فِيهَا مُخَلَّدِينَ أَبَدًا، وَلَهُمْ فِيهَا مِنَ الْجَزَاءِ وَالْعَذَابِ مَا يَكْفِيهِمْ (حَسْبُهُمْ)، وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ دَائِمٌ غَيْرَ عَذَابِ جَهَنَّمَ: كَالسَّمُومِ يَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ، وَالْحَمِيمِ يَصْهَرُ مَا فِي بُطُونِهِمْ .

وقال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) } [هود/١٠٦، ١٠٧]

أَمَّا الْأَشْقِيَاءُ، الَّذِينَ شَقُوا بِمَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ فِي الدُّنْيَا، فَيَصِيرُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَتَضِيقُ صُدُورُهُمْ بِثِقَلِ الْعَذَابِ، فَيُصْبِحُ تَنْفُسُهُمْ زَفِيرًا، وَأَخَذَهُمُ النَّفْسُ شَهِيقًا .

وَيَتَّقُونَ فِي النَّارِ خَالِدِينَ، مَا دَامَتْ هُنَاكَ سَمَاوَاتٌ تُظِلُّ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَرْضٌ يَقِفُونَ عَلَيْهَا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، إِذْ يُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِهِ الْعَصَاةَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ يَمَتِّنُ عَلَى الْآخِرِينَ فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ وَالْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ .

وقال تعالى: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مِثْلُوى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) } [النحل/٢٨، ٢٩]

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْعَذَابَ، هُمْ الَّذِينَ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ إِلَى أَنْ جَاءَتْهُمْ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِتَعْرِضِهَا لِلْعَذَابِ الْمُخَلَّدِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، يَسْتَسْلِمُونَ حِينًا، وَيَنْقَادُونَ حِينَ يُعَايِنُونَ الْعَذَابَ قَائِلِينَ: مَا كُنَّا نُشْرِكُ بِرَبِّنَا أَحَدًا، وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا. وَيَكْذِبُهُمْ تَعَالَى فِيمَا يَقُولُونَ وَيَقُولُ لَهُمْ: بَلْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَتُشْرِكُونَ وَتَرْتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَلَا فَائِدَةَ الْيَوْمَ مِنَ الْإِنْكَارِ، وَاللَّهُ مُجَازِيكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ . وَيَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِدُخُولِ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ لِيَقْتُوا فِيهَا، وَلِيَذُوقُوا أَلْوَانًا مِنَ الْعَذَابِ، جَزَاءً لَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَارْتَكَبُوا مِنَ الْمَعَاصِي، وَلِبَسَ جَهَنَّمَ مَقِيلًا وَمَقَامًا لِلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَالْإِهْتِدَاءِ بِالآيَاتِ الَّتِي أُنْزِلَتْ إِلَيْهِمْ .

وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) } [الأحزاب/٦٤-٦٥]

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَعَنَ الْكَافِرِينَ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَارًا تَنْتَقِدُ وَتَتَسَعَّرُ. وَيَبْقَوْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ نَاصِرًا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ .

وقال تعالى: { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) { [الزمر/٧١-٧٢]

وَيُسَاقُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ جَمَاعَاتٍ (زُمَرًا) سَوْفًا عَنِيفًا بِزَجَرٍ وَتَهْدِيدٍ، وَحِينَمَا يَصِلُونَ إِلَيْهَا، تَفْتَحُ لَهُمْ جَهَنَّمَ أَبْوَابُهَا، وَيَقُولُ لَهُمْ حُرَّاسُ جَهَنَّمَ (خَزَنَتُهَا) : أَلَمْ يَأْتِكُمْ فِي الدُّنْيَا رُسُلٌ مِنْ جَنْسِكُمْ يُحَذِّرُونَكُمْ مِنْ هَوْلِ هَذَا الْيَوْمِ؟ فَيَجِيبُونَ مُعْتَرِفِينَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلٌ مِنْ رَبِّهِمْ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الْكُفْرِ.. وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَخَالَفُوهُمْ، وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ لَمَّا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَعَدَلُوا بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ فَاسْتَحَقُّوا هَذَا الْمَصِيرَ. وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لَتَبْقُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَبُئْسَتْ جَهَنَّمُ مَصِيرًا وَمَقِيلًا لِمَنْ كَانُوا يَتَكَبَّرُونَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَرْفُضُونَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ، فَبُئْسَ الْحَالُ، وَبُئْسَ الْمَالُ .
وقال تعالى: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) { [الحشر/١٦-١٧]

وَمَثَلُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَعَدُوا الْيَهُودَ بِالنُّصْرَةِ أَنْ قُوتِلُوا وَبِالْخُرُوجِ مَعَهُمْ إِنْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ الَّذِي غَرَّ الْإِنْسَانَ، وَوَعَدَهُ بِالنُّصْرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، إِذَا أَطَاعَهُ وَكَفَرَ بِاللَّهِ، فَلَمَّا احْتِاجَ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ النُّصْرَةَ، تَبَرَّأَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ، وَخَذَلَهُ وَتَرَكَهُ لِمَصِيرِهِ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ إِنْ نَصَرْتُكَ أَنْ يُشْرِكَنِي رَبُّ الْعَالَمِينَ مَعَكَ فِي الْعَذَابِ. فَكَانَ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ بِالْكَفْرِ أَنْ صَارَ الشَّيْطَانُ وَمَنْ أَغْرَاهُ بِالْكَفْرِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، جَزَاءً كُلِّ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ
وقال تعالى { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) { [فاطر/٣٦-٣٧]

أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَعِقَابُهُمْ سَيِّئُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ فِيهَا بِمَوْتٍ فَيَسْتَرِيحُوا مِنَ الْعَذَابِ وَالْآلَامِ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا يُفْتَرَّ. وَكُلَّمَا خَبَتْ نَارُ جَهَنَّمَ زَادَهَا اللَّهُ سَعِيرًا، لَيْسَتَمِرَّ عَذَابُهُمْ شَدِيدًا أَلِيمًا. وَمَثَلُ هَذَا الْجَزَاءِ يَجْزِي اللَّهُ بِهِ كُلَّ كَافِرٍ بِاللَّهِ، جَاحِدٍ

بِأَنعَمِهِ، مُكَذِّبٍ لِرُسُلِهِ ، وَفِي النَّارِ يَذُوقُ الْكَافِرُونَ الْمُجْرِمُونَ حَرَّ النَّارِ وَلَهَيْبِهَا، فَيَأْخُذُونَ فِي الاسْتِعَاثَةِ وَالْإِصْطِرَاحِ وَالصَّحِيحِ وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ، وَأَعِدْنَا إِلَى الدُّنْيَا، لِنَعْمَلَ صَالِحًا، وَنَتَّبِعَ الرُّسُلَ، وَنُقَلِّعَ عَمَّا كُنَّا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْإِجْرَامِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِنْ عَادُوا إِلَى الدُّنْيَا عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَلِذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ قَائِلًا وَمُقَرَّعًا (أَوْ تَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى) : أَلَمْ نَجْعَلْكُمْ تَعِيشُونَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَارًا؟ وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يَنْتَفِعُونَ بِالْحَقِّ لَانْتَفَعْتُمْ بِهِ مَدَّةَ عُمرِكُمْ فِي الدُّنْيَا. وَجَاءَكُمْ الرُّسُولُ وَمَعَهُ كِتَابٌ يُنذِرُكُمْ بِالْعِقَابِ إِنْ خَالَفْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ، وَتَرَكْتُمْ طَاعَتَهُ، فَلَمْ تَعْتَبِرُوا، وَلَمْ تَتَّعِظُوا، وَلِذَلِكَ فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ عِقَابًا لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَمُخَالَفَتِكُمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَنْ تَجِدُوا لَكُمْ نَاصِرًا يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، وَلَا مُنْقِذًا يُنْقِذُكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ. وَلِأَهْلِ النَّارِ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ » ١٠٦٥ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ حَيَاءً بِالْمَوْتِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذَبِّحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ فَازْدَادَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَازْدَادَ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ » ١٠٦٦ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّهُ كَبَشٌ أَمْلَحٌ، قَالَ: فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُذَبِّحُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وَأَشَارَ بِيَدِهِ فِي الدُّنْيَا". ١٠٦٧ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ) قَالَ: "يُنَادِي: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ، فَيَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَبُونَ فَيَنْظُرُونَ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ الْمَوْتَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا قَالَ: فَيُجَاءُ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبَشٍ أَمْلَحٍ، فَيُقَالُ: هَذَا الْمَوْتُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ فَيُذَبِّحُ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ). ١٠٦٨ .

١٠٦٥ - صحيح البخارى (٦٥٤٥)

١٠٦٦ - مسند أحمد (٦١٣٦) صحيح

١٠٦٧ - تفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ٢٠١) صحيح

١٠٦٨ - تفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ٢٠٢) صحيح

وقال ابن عباس، في قوله (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ) قال: يصور الله الموت في صورة كبش أملح، فيذبح، قال: فيئأس أهل النار من الموت، فلا يرجونه، فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار، وفيها أيضاً الفرع الأكبر، ويأمل أهل الجنة الموت، فلا يخشونه، وأمنوا الموت، وهو الفرع الأكبر، لأنهم يخلدون في الجنة،^{١٠٦٩}



^{١٠٦٩} - تفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ٢٠٢) حسن لغيره

أهم المصادر والمراجع

١. تفسير الطبري الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٢. تفسير ابن كثير الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٤. تفسير الألوسي الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٥. زهرة التفاسير أبو زهرة - الشاملة ٢
٦. محاسن التأويل تفسير القاسمي - المطبوع
٧. أيسر التفاسير لأسعد حومد الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٨. التفسير الميسر الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٩. تفسير السعدي الشاملة ٢ + موقع التفاسير
١٠. تفسير ابن أبي حاتم الشاملة ٢ + موقع التفاسير
١١. في ظلال القرآن الشاملة ٢ + موقع التفاسير
١٢. الوسيط لسيد طنطاوي الشاملة ٢ + موقع التفاسير
١٣. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية الشاملة ٢ = دار عالم الكتب
١٤. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية= الشاملة ٢
١٥. الصارم المسلول ابن تيمية= الشاملة ٢= دار ابن حزم - بيروت
١٦. منهاج السنة النبوية ابن تيمية= الشاملة ٢ = محمد رشاد سالم
١٧. موطأ مالك المكنز
١٨. صحيح البخاري المكنز
١٩. صحيح مسلم المكنز
٢٠. سنن أبي داود المطنز
٢١. سنن الترمذي المكنز
٢٢. سنن النسائي المكنز
٢٣. سنن ابن ماجه الكننز
٢٤. مصنف عبد الرزاق المكنز الإسلامي + الشاملة ٢
٢٥. مصنف ابن أبي شيبة عوامة + الشاملة ٢
٢٦. مسند أحمد الكنز + الشاملة ٢
٢٧. مسند أحمد بن حنبل (بأحكام شعيب الأرناؤوط) دار صادر
٢٨. أخبار مكة للأزرقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٢٩. الإبانة الكبرى لابن بطة الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٠. الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣١. السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة+ الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٢. المستدرک للحاكم دار المعرفة + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٣. المعجم الكبير للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٤. المعجم الأوسط للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٥. المعجم الصغير للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٦. تفسير ابن أبي حاتم الشاملة ٢ + موقع التفاسير + جامع الحديث النبوي
٣٧. تهذيب الآثار للطبري الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٨. دلائل النبوة للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٩. السنن الكبرى للبيهقي المكنز + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٠. شعب الإيمان للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤١. غاية المقصد في زوائد المسند للهيتمي الشاملة ٢
٤٢. الترغيب في فضائل الأعمال وتوابع ذلك لابن شاهين الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٣. المسند للشاشي الشاملة ٢
٤٤. سنن الدارمي المكنز + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٥. مسند أبي عوانة الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٦. مسند إسحاق بن راهويه الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٧. مسند البزار ١-٤١ كاملا الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٨. مسند أبي يعلى الموصلي ت حسين الأسد دار المأمون + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٩. مسند الحميدي المكنز + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٠. مسند الروياني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥١. مسند السراج الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٢. سنن الدارقطني المكنز + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٣. صحيح ابن حبان مؤسسة الرسالة + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٤. صحيح ابن خزيمة الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٥. مسند الشاميين للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٦. مسند الشهاب القضاعي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٧. مسند الطيالسي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي

٥٨. مسند عبد بن حميد الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٩. مسند الشافعي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٠. المنقّى من السنن المسندة لابن الجارود الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦١. معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٢. موسوعة السنة النبوية – للمؤلف مخطوط
٦٣. الأحاديث المختارة للضيء + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٤. مجمع الزوائد + دار المعرفة + الشاملة ٢
٦٥. اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٦. المسند الجامع مؤسسة الرسالة + الشاملة ٢
٦٧. جامع الأصول لابن الأثير ت – عبد القادر الأرناؤوط + الشاملة ٢
٦٨. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٩. الترغيب والترهيب للمنذري + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٠. أخبار أصبهان الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧١. أمالي ابن بشران الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٢. الآداب للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٣. الأدب المفرد للخاري الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٤. الأسماء والصفات للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٥. الأمثال للرامهرمزي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٦. الاعتقاد للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٧. صفة الجنة لأبي نعيم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٨. صفة النار لأبي نعيم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٩. صفة الجنة لابن أبي الدنيا الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٠. البعث والنشور للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨١. البعث لابن أبي داود السجستاني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٢. الدعاء للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٣. الدعاء للمحامي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٤. الدعوات الكبير للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٥. الزهد الكبير للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٦. الزهد لأبي حاتم الرازي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٧. الزهد لأحمد بن حنبل الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٨. الزهد لابن أبي عاصم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٩. الزهد لهناد بن السري الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٠. الزهد والرفائق لابن المبارك الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩١. الزهد وصفة الزاهدين لأحمد بن بشر الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٢. السنة لأبي بكر بن الخلال الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٣. السنة لابن أبي عاصم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٤. السنة لعبد الله بن أحمد الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٥. السنة لمحمد بن نصر المروزي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٦. تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٧. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٨. خَلْقُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ لِلْخَارِيِّ الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٩. طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٠. فضائل الصحابة لأحمد الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠١. فضائل القرآن لمحمد بن الضريس الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٢. فوائد تمام الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٣. معجم الصحابة لابن قانع الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٤. قصر الأمل لابن أبي الدنيا الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٥. المقاصد الحسنة للسخاوي الشاملة ٢
١٠٦. كشف الخفاء للعجلوني الشاملة ٢
١٠٧. نظم المتناثر للكتاني الشاملة ٢
١٠٨. روضة المحدثين الشاملة ٢
١٠٩. تخريج أحاديث الإحياء للعراقي الشاملة ٢
١١٠. إتحاف السادة المتقين للزبيدي دار الفكر
١١١. تاريخ ابن معين رواية الدوري الشاملة ٢
١١٢. تاريخ معرفة النقات لابن شاهين الشاملة ٢
١١٣. مشاهير علماء الأمصار ابن حبان الشاملة ٢
١١٤. تحفة المحتاج في تخريج أحاديث المنهاج لابن الملقن + الشاملة ٢
١١٥. البدر المنير لابن الملقن + الشاملة ٢
١١٦. السلسلة الضعيفة للألباني + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي
١١٧. السلسلة الصحيحة للألباني + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي

| | |
|--|-----|
| رياض الصالحين ت الألباني + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي | ١١٨ |
| مشكاة المصابيح ت الألباني + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي | ١١٩ |
| صحيح الترغيب والترهيب + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي | ١٢٠ |
| صحيح وضعيف سنن أبي داود الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي | ١٢١ |
| صحيح وضعيف سنن الترمذي الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي | ١٢٢ |
| صحيح وضعيف سنن النسائي الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي | ١٢٣ |
| صحيح وضعيف سنن ابن ماجه الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي | ١٢٤ |
| صحيح وضعيف الجامع الصغير الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي | ١٢٥ |
| الجامع الصغير وزيادته الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي | ١٢٦ |
| علل الدارقطني الشاملة ٢ | ١٢٧ |
| تاريخ جرجان للسهمي الشاملة ٢ | ١٢٨ |
| موسوعة أقوال الإمام أحمد في الجرح والتعديل الشاملة ٢ | ١٢٩ |
| موسوعة أقوال الدارقطني الشاملة ٢ | ١٣٠ |
| التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر الشاملة ٢ | ١٣١ |
| فتح الباري لابن حجر الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٣٢ |
| فتح الباري لابن رجب الشاملة ٢ | ١٣٣ |
| شرح البخاري ابن بطال الشاملة ٢ | ١٣٤ |
| شرح النووي على مسلم الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٣٥ |
| عون المعبود للأبدي الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٣٦ |
| تحفة الأحوذى المباركفوي الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٣٧ |
| شكرُ الله على نعمة الخرائطي الشاملة ٢ | ١٣٨ |
| شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية الشاملة ٢ | ١٣٩ |
| فيض القدير، شرح الجامع الصغير الشاملة ٢ | ١٤٠ |
| التيسير بشرح الجامع الصغير - للمناوى الشاملة ٢ | ١٤١ |
| جامع العلوم والحكم الشاملة ٢ + تحقيق الفحل | ١٤٢ |
| حاشية ابن القيم على سنن أبي داود الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٤٣ |
| مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الشاملة ٢ | ١٤٤ |
| دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين الشاملة ٢ | ١٤٥ |
| شرح رياض الصالحين لابن عثيمين الشاملة ٢ | ١٤٦ |
| فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين الشاملة ٢ | ١٤٧ |
| مجموع فتاوى ابن تيمية الشاملة ٢ + دار الباز | ١٤٨ |
| فتاوى الأزهر الشاملة ٢ | ١٤٩ |
| الموسوعة الفقهية الكويتية الشاملة ٢ + موقع الإسلام + دار السلاسل | ١٥٠ |
| فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الشاملة ٢ | ١٥١ |
| مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين الشاملة ٢ | ١٥٢ |
| فتاوى السبكي الشاملة ٢ | ١٥٣ |
| فتاوى الرملي الشاملة ٢ | ١٥٤ |
| الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٥٥ |
| شرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد الشاملة ٢ | ١٥٦ |
| لقاءات الباب المفتوح الشاملة ٢ | ١٥٧ |
| دروس وفتاوى الحرم المدني الشاملة ٢ | ١٥٨ |
| فتاوى من موقع الإسلام اليوم الشاملة ٢ | ١٥٩ |
| فتاوى الإسلام سؤال وجواب الشاملة ٢ | ١٦٠ |
| فتاوى يسألونك الشاملة ٢ | ١٦١ |
| مجموع فتاوى ومقالات ابن باز الشاملة ٢ | ١٦٢ |
| فتاوى الإسلام سؤال وجواب الشاملة ٢ | ١٦٣ |
| فتاوى واستشارات الإسلام اليوم الشاملة ٢ | ١٦٤ |
| فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة الشاملة ٢ | ١٦٥ |
| الدرر السنية في الأجوبة النجدية - الرقمية الشاملة ٢ | ١٦٦ |
| طرح التثريب الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٦٧ |
| نيل الأوطار الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٦٨ |
| المحلى لابن حزم الشاملة ٢ | ١٦٩ |
| الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٧٠ |
| منح الجليل شرح مختصر خليل الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٧١ |
| التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة القرطبي الشاملة ٢ | ١٧٢ |
| بداية المجتهد ونهاية المقتصد الشاملة ٢ | ١٧٣ |
| روضة الطالبين وعمدة المفتين الشاملة ٢ | ١٧٤ |
| المجموع شرح المذهب للنووي الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٧٥ |
| الحاوي في فقه الشافعي - الماوردي الشاملة ٢ | ١٧٦ |
| المغني لابن قدامة الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٧٧ |

| | |
|---|-----|
| الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الشاملة ٢ | ١٧٨ |
| الإحكام في أصول الأحكام للآمدي الشاملة ٢ | ١٧٩ |
| المحصول للرازي الشاملة ٢ | ١٨٠ |
| المستصفى للغزالي الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٨١ |
| أنوار البروق في أنواع الفروق الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٨٢ |
| إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٨٣ |
| البحر المحيط للزركشي الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٨٤ |
| شرح الكوكب المنير للفتوح الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٨٥ |
| حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٨٦ |
| تلقيح الأفهام العلية بشرح القواعد الفقهية الشاملة ٢ | ١٨٧ |
| إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول الشاملة ٢ | ١٨٨ |
| معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة الشاملة ٢ | ١٨٩ |
| نهاية السؤل شرح منهاج الوصول الشاملة ٢ | ١٩٠ |
| إحياء علوم الدين دار الفكر + الشاملة ٢ | ١٩١ |
| حلية الأولياء لأبي نعيم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي | ١٩٢ |
| الأذكار للنووي الشاملة ٢ | ١٩٣ |
| أدب الدنيا والدين الماوردي الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٩٤ |
| المدخل لابن الحاج الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٩٥ |
| الأداب الشرعية لابن مفلح الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٩٦ |
| الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٩٧ |
| بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٩٨ |
| غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب السفاريني الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ١٩٩ |
| رياض الصالحين للنووي -ت الألباني - الفحل | ٢٠٠ |
| لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للشعراني الشاملة ٢ | ٢٠١ |
| مقدمة ابن الصلاح الشاملة ٢ | ٢٠٢ |
| قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث الشاملة ٢ | ٢٠٣ |
| الكفاية في علم الرواية الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي | ٢٠٤ |
| فتح المغيبي بشرح ألفية الحديث السخاوي + الشاملة ٢ | ٢٠٥ |
| قواعد في علوم الحديث للتهانوي ت أبو غدة + الشاملة ٢ | ٢٠٦ |
| منهج النقد في علوم الحديث - دار الفكر - العتر + الشاملة ٢ | ٢٠٧ |
| تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي + الشاملة ٢ | ٢٠٨ |
| نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر + الشاملة ٢ | ٢٠٩ |
| تحرير علوم الحديث لعبدالله الجديع + الشاملة ٢ | ٢١٠ |
| شرح شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر + الشاملة ٢ | ٢١١ |
| النكت على ابن الصلاح لابن حجر + الشاملة ٢ | ٢١٢ |
| النشاذ الفياض من علوم ابن الصلاح العراقي + الشاملة ٢ | ٢١٣ |
| شرح التبصرة والتذكرة العراقي + الشاملة ٢ ت الفحل | ٢١٤ |
| توجيه النظر إلى أصول الأثر الجزائري + الشاملة ٢ | ٢١٥ |
| الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للكنوي + الشاملة ٢ أبو غدة | ٢١٦ |
| زاد المعاد لابن القيم + الشاملة ٢ + موقع الإسلام | ٢١٧ |
| الإصابة في معرفة الصحابة للحافظ ابن حجر + الشاملة ٢ | ٢١٨ |
| ثقات ابن حبان + الشاملة ٢ | ٢١٩ |
| المجروحين ابن حبان + الشاملة ٢ | ٢٢٠ |
| التاريخ الكبير البخاري + الشاملة ٢ | ٢٢١ |
| الطبقات الكبرى لابن سعد + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي | ٢٢٢ |
| تذكرة الحفاظ للذهبي + الشاملة ٢ | ٢٢٣ |
| ميزان الاعتدال للذهبي + الشاملة ٢ دار المعرفة | ٢٢٤ |
| تاريخ دمشق لابن عساكر + الشاملة ٢ دار الفكر | ٢٢٥ |
| الجرح والتعديل لابن أبي حاتم + الشاملة ٢ | ٢٢٦ |
| الكامل لابن عدي + الشاملة ٢ | ٢٢٧ |
| معرفة الثقات للعجلي + الشاملة ٢ | ٢٢٨ |
| ضعفاء العقيلي + الشاملة ٢ | ٢٢٩ |
| تهذيب الكمال للمزي + الشاملة ٢ ت عواد بشار مؤسسة الرسالة | ٢٣٠ |
| الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة + الشاملة ٢ ت عوامة | ٢٣١ |
| تقريب التهذيب لابن حجر + الشاملة ٢ | ٢٣٢ |
| تهذيب التهذيب لابن حجر + الشاملة ٢ | ٢٣٣ |
| تعجيل المنفعة لابن حجر + الشاملة ٢ | ٢٣٤ |
| لسان الميزان للحافظ ابن حجر + الشاملة ٢ | ٢٣٥ |
| سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة + الشاملة ٢ | ٢٣٦ |
| تاريخ بغداد للخطيب البغدادي + الشاملة ٢ | ٢٣٧ |

| | |
|--|-----|
| النهاية في غريب الأثر + الشاملة ٢ | ٢٣٨ |
| تاج العروس للزبيدي + الشاملة ٢ | ٢٣٩ |
| الكنيات لأبي البقاء | ٢٤٠ |
| الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري | ٢٤١ |
| لسان العرب لابن منظور + الشاملة ٢ | ٢٤٢ |
| المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية + الشاملة ٢ | ٢٤٣ |
| المصباح المنير الفيومي + الشاملة ٢ | ٢٤٤ |
| المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي + الشاملة ٢ | ٢٤٥ |
| الحافظ ابن حجر ومنهجه في التقريب – للمؤلف | ٢٤٦ |
| منهج دراسة الأسانيد والحكم عليها للعاني – الأردن | ٢٤٧ |
| الإيمان لأبن تيمية الشاملة ٢ | ٢٤٨ |
| الدفاع عن كتاب رياض الصالحين للمؤلف | ٢٤٩ |

الفهرس العام

| | |
|----|--|
| ٥ | الفصل الأول |
| ٥ | صفات من يستحق الجنة في القرآن الكريم |
| ٥ | الذين آمنوا وعملوا الصالحات |
| ٧ | المنفقون في سبيل الله |
| ٧ | المتقون |
| ٩ | من أتى الله بقلب سليم |
| ٩ | اليقين بالآخرة والعمل لها |
| ١٠ | الوفاء بالذم والنذور والخوف من يوم الحساب |
| ١١ | من أسلم وجهه لله وهو محسن |
| ١١ | الذين صبروا على البأساء والضراء |
| ١٢ | المجاهدون الصابرون |
| ١٢ | العاملون بطاعة الله تعالى |
| ١٣ | من باعوا أنفسهم لله |
| ١٤ | المحسنون |
| ١٥ | المحافظون على الصلاة، البعيدون عن الشهوات |
| ١٥ | من صدع بالحق ومات دونه |
| ١٦ | أن يكونوا عبادا لله حقا |
| ١٧ | المستقيمون |
| ١٧ | التائبون الداعون الشاكرون |
| ١٨ | من قتل في سبيل الله |
| ١٨ | من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى |
| ١٨ | الذين يؤثرون ما عند الله على متاع الدنيا |
| ١٩ | الذاكرون الله في كل أحوالهم |
| ٢٠ | المحافظون على حدود الله |
| ٢١ | أداء الفرائض |
| ٢٢ | الذين آمنوا بالرسول ﷺ من أهل الكتاب |
| ٢٤ | الصادقون مع الله |
| ٢٥ | المجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم |
| ٢٥ | السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن اتبع طريقهم |
| ٢٥ | أن يكونوا من أولي الألباب |
| ٢٦ | المتواضعون الخاشعون |
| ٢٧ | من اصطفاهم الله تعالى من هذه الأمة |

| | |
|----|---|
| ٢٨ | المخلصون |
| ٢٩ | من تابوا واتبعوا سبيل الله |
| ٢٩ | طاعة الله والرسول ﷺ |
| ٢٩ | الذين لا يوادون من حادَّ الله ورسوله |
| ٣٠ | الإيمان بالله ورسوله والمجاهدون في سبيله |
| ٣١ | أصحاب التوبة النصوح |
| ٣١ | من اتصفوا بالصفات التالية |
| ٣٢ | الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر |
| ٣٣ | أن يكونوا من أولياء الله |
| ٣٤ | من أقرض الله قرضاً حسناً |
| ٣٤ | أن يحكموا الله والرسول في كل أمور حياتهم |
| ٣٤ | إعطاء المحتاجين حقهم |
| ٣٥ | الإيثار |
| ٣٦ | الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ |
| ٣٧ | الفصل الثاني |
| ٣٧ | نعيم الجنة في القرآن والسنة |
| ٣٧ | المبحث الأول |
| ٣٧ | حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ |
| ٣٨ | ١ - الجهاد في سبيل الله: |
| ٤٠ | ٢ - الصبر على الفوائب، والرضا بقضاء الله: |
| ٤٣ | ٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: |
| ٤٤ | ٤ - وغير ذلك من تكاليف الإسلام: |
| ٤٤ | المبحث الثاني |
| ٤٤ | الترغيب في الجنة ونعيمها |
| ٥١ | المبحث الثالث |
| ٥١ | أسماء الجنة |
| ٥٢ | المبحث الرابع |
| ٥٢ | أول من يدخلون الجنة وصفاتهم |
| ٥٥ | المبحث الخامس |
| ٥٥ | آخر من يدخل الجنة من الموحدين |
| ٦٢ | المبحث السادس |
| ٦٢ | بعض من نص على أنهم من أهل الجنة |
| ٦٩ | المبحث السابع |
| ٦٩ | أسياد أهل الجنة |
| ٧٦ | المبحث الثامن |

| | |
|-----|---|
| ٧٦ | في صفة دخول أهل الجنة الجنة |
| ٨٠ | المبحث التاسع |
| ٨٠ | فيما لأدنى أهل الجنة فيها |
| ٨٢ | المبحث العاشر |
| ٨٢ | في درجات الجنة |
| ٩٠ | المبحث الحادي عشر |
| ٩٠ | أبواب الجنة |
| ٩٤ | المبحث الثاني عشر |
| ٩٤ | خزنة الجنة |
| ٩٦ | المبحث الرابع عشر |
| ٩٦ | في بناء الجنة وترابها وحصبائها وغير ذلك |
| ٩٨ | المبحث الخامس عشر |
| ٩٨ | خيام الجنة وأسرتها وأرائكها |
| ١٠٥ | المبحث السادس عشر |
| ١٠٥ | نور الجنة |
| ١٠٧ | المبحث السابع عشر |
| ١٠٧ | ريح الجنة |
| ١٠٩ | المبحث الثامن عشر |
| ١٠٩ | أهل الجنة يرثون أهل النار |
| ١١١ | المبحث التاسع عشر |
| ١١١ | في أنهار الجنة |
| ١١٣ | المبحث العشرون |
| ١١٣ | في شجر الجنة وثمارها |
| ١١٧ | في أكل أهل الجنة |
| ١٢٦ | المبحث الثاني والعشرون |
| ١٢٦ | شراب أهل الجنة |
| ١٢٧ | المبحث الثالث والعشرون |
| ١٢٧ | أنهار الجنة |
| ١٢٩ | المبحث الرابع والعشرون |
| ١٢٩ | عيون الجنة |
| ١٣٠ | المبحث الخامس والعشرون |
| ١٣٠ | آنية الجنة |
| ١٣١ | المبحث السادس والعشرون |
| ١٣١ | لباس أهل الجنة وحليهم |
| ١٣٦ | المبحث السابع والعشرون |

| | |
|---------------|---|
| ١٣٦ | أطفال المؤمنين في الجنة |
| ١٣٨ | المبحث الثامن والعشرون |
| ١٣٨ | أكثر أهل الجنة |
| ١٤٠ | المبحث التاسع والعشرون |
| ١٤٠ | مقدار ما يدخل الجنة من هذه الأمة |
| ١٤٤ | المبحث الثلاثون |
| ١٤٤ | في فرش الجنة |
| ١٤٥ | المبحث الواحد والثلاثون |
| ١٤٥ | غلمان أهل الجنة وخدمهم |
| ١٤٦ | المبحث الثاني والثلاثون |
| ١٤٦ | في وصف نساء أهل الجنة |
| ١٥٣ | المبحث الثالث والثلاثون |
| ١٥٣ | نساء الدنيا |
| ١٥٦ | المبحث الرابع والثلاثون |
| ١٥٦ | العشرة المبشرون بالجنة |
| ١٥٨ | المبحث الخامس والثلاثون |
| ١٥٨ | في غناء العور العين |
| ١٥٩ | المبحث السادس والثلاثون |
| ١٥٩ | في سوق الجنة |
| ١٦٣ | المبحث السابع والثلاثون |
| ١٦٣ | في تزاورهم ومراكبهم |
| ١٦٧ | المبحث الثامن والثلاثون |
| ١٦٧ | في زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى |
| ١٦٩ | المبحث التاسع والثلاثون |
| ١٦٩ | في نظر أهل الجنة إلى ربهم تبارك وتعالى |
| ١٨١ | المبحث الأربعون |
| ١٨١ | أمانى أهل الجنة |
| ١٨٢ | المبحث الواحد والأربعون |
| ١٨٢ | في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر |
| ١٨٥ | المبحث الثاني والأربعون |
| ١٨٥ | في خلود أهل الجنة فيها وأهل النار فيها |
| ١٩١ | الفصل الثالث |
| ١٩١ | صفة من يستحق دخول النار في القرآن الكريم |
| ١٩١ | الكافرون |
| ١٩١ | الذي لا يؤمن بالله ولا يحض على طعام المسكين |

| | |
|---------------|--|
| ١٩٢ | أكلوا أموال اليتامى ظلماً |
| ١٩٣ | كفار بني إسرائيل |
| ١٩٤ | تعهد قتل صيد البر للمعمر |
| ١٩٥ | اتخاذ أولياء من دون الله |
| ١٩٥ | من ابتغى غير الإسلام ديناً |
| ١٩٦ | المتشبهون بما لم يعطوا |
| ١٩٧ | عدم قبول التوبة عند الموت والياس من الحياة |
| ١٩٨ | الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل |
| ٢٠٠ | مانعوا بناء المساجد |
| ٢٠٠ | المكذبون بآيات الله |
| ٢٠٢ | من يشتري لهو الحديث ليصد عن سبيل الله |
| ٢٠٢ | إيثار اتباع الآباء والأجداد على الدين |
| ٢٠٣ | الذين جاءوا بالإفك |
| ٢٠٣ | المروجون للفواحش بين المسلمين |
| ٢٠٤ | قوم نوح عليه السلام |
| ٢٠٥ | قوم هود عليه السلام |
| ٢٠٦ | قوم النبي صالح عليه السلام |
| ٢٠٨ | قوم النبي لوط عليه السلام |
| ٢٠٩ | قوم النبي شعيب عليه السلام |
| ٢١١ | من انعدمت حسناتهم |
| ٢١١ | الغراصون |
| ٢١٢ | من يكتُمون ما أنزل الله |
| ٢١٢ | المعتدون في القصاص |
| ٢١٣ | المرتد عن دينه |
| ٢١٤ | الذين يعبدون الطاغوت |
| ٢١٥ | أكلة الربا |
| ٢١٧ | المفترون على الله |
| ٢١٧ | قتلة الأنبياء والمرسلين |
| ٢١٨ | الظالمون |
| ٢٢١ | المنافقون |
| ٢٢٢ | تولي الكفار والفجار دون المؤمنين |
| ٢٢٢ | قتل النفس بغير حق |
| ٢٢٣ | المشركون |
| ٢٢٤ | عدم التناهي عن فعل المنكر |
| ٢٢٥ | المحاربون لله ورسوله |

| | |
|---------------|--|
| ٢٢٧ | الاستكبار في الأرض |
| ٢٢٧ | أصحاب الأعمال السيئة |
| ٢٢٨ | من كفر بالقرآن |
| ٢٢٨ | فرعون ومن سار بركابه |
| ٢٣٠ | الاشقياء |
| ٢٣١ | قساة القلوب |
| ٢٣٢ | منكرو البعث |
| ٢٣٢ | من وصف الله تعالى بوصف معيب |
| ٢٣٤ | المجرمون |
| ٢٣٥ | إيذاء المؤمنين بغير حق |
| ٢٣٥ | الفاستقون |
| ٢٣٦ | المسرفون |
| ٢٣٦ | أعداء الله |
| ٢٣٨ | الملعدون في آيات الله |
| ٢٣٨ | الغيانة في الدين |
| ٢٣٩ | من تاخذه العزة بالإثم |
| ٢٣٩ | عدم اتباع منهج الله |
| ٢٣٩ | من صد عن دين الله |
| ٢٤٠ | قتل النفس عدواناً وظلماً |
| ٢٤١ | قتل المؤمن عمداً |
| ٢٤١ | من تركوا الهجرة من بلاد الكفر وهم قادرون عليها |
| ٢٤٣ | مشافقة الرسول |
| ٢٤٣ | إبليس وأتباعه |
| ٢٤٤ | من أغلق حواسه عم سماع كلمة الحق |
| ٢٤٤ | الفرار من الزحف |
| ٢٤٥ | كانزوا الذهب والفضة |
| ٢٤٦ | معاددة الله ورسوله |
| ٢٤٦ | المتقاعسون عن الجهاد في سبيل الله مع قدرتهم |
| ٢٤٧ | عدم الاستجابة لله وللرسول : |
| ٢٤٧ | معصية الله والرسول |
| ٢٤٨ | الذين أخرجوا الرسل من بلادهم |
| ٢٤٩ | جاحدون نعم الله |
| ٢٤٩ | الطاغون |
| ٢٥١ | المناجاة بالإثم والعدوان |
| ٢٥١ | من فتن المؤمن عن دينه |

| | |
|---------------|--|
| ٢٥٤ | من استحب الحياة الدنيا على الآخرة |
| ٢٥٤ | أبو لهب وزوجه |
| ٢٥٥ | جحد نعم الله |
| ٢٥٥ | الجدال في آيات الله بالباطل |
| ٢٥٦ | الاستهزاء بآيات الله |
| ٢٥٦ | الذين يعبدون المسيح عليه السلام |
| ٢٥٧ | المكذبون بالآيات والمستكبرون |
| ٢٥٩ | الفصل الرابع |
| ٢٥٩ | عذاب النار في القرآن والسنة |
| ٢٥٩ | الترغيب في سؤال الجنة والاستعاذة من النار |
| ٢٦٠ | المبحث الثاني |
| ٢٦٠ | الترهيب من النار أعاذنا الله منها بمنه وكرمه |
| ٢٦٥ | المبحث الثالث |
| ٢٦٥ | الأعمال والأقوال التي تقي من النار |
| ٢٦٦ | وقد بينت النصوص الأعمال التي تقي من النار، ومنها : |
| ٢٦٦ | الشهادتان بإخلاص |
| ٢٦٨ | محبة الله تعالى ورسوله ﷺ |
| ٢٦٩ | كل معروف صدقة |
| ٢٧٠ | صيام التطوع |
| ٢٧١ | من يحب للناس ما يحب لنفسه |
| ٢٧٢ | الفجر في جماعة |
| ٢٧٢ | الاستجارة من النار |
| ٢٧٣ | الدعاء بعد الصلاة |
| ٢٧٣ | أربع ركعات قبل الظهر وأربعاً بعدها |
| ٢٧٣ | أربع ركعات قبل العصر |
| ٢٧٤ | ما يقول عند الصباح والمساء |
| ٢٧٤ | اغبرار القدمين في سبيل الله |
| ٢٧٥ | الخوف من الله والجهاد في سبيله |
| ٢٧٦ | اتقاء النار ولو بشق تمرة |
| ٢٧٧ | فضل الصلاة في المدينة المنورة وزيارة الرسول ﷺ |
| ٢٧٧ | عينان لا تمسهما النار |
| ٢٧٩ | عتق الرقاب |
| ٢٧٩ | الذب عن عرض المسلم |
| ٢٧٩ | الحمل حظ أمي من النار |
| ٢٨٠ | من قال لا إله إلا الله والله أكبر |

| | |
|-----|---|
| ٢٨٠ | تحرّم النار على كل هين سهل |
| ٢٨٠ | أشياء عديدة تمنع دخول النار |
| ٢٨١ | تَقُولُ الْعَدْلُ، وَتُعْطِي الْفَضْلَ |
| ٢٨١ | اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ |
| ٢٨٢ | أداء الفرائض |
| ٢٨٣ | الصيام جنة من النار |
| ٢٨٣ | من مات له ثلاثة من الولد |
| ٢٨٣ | الصبر على موت الأولاد |
| ٢٨٥ | الصبر على تربية البنات |
| ٢٨٦ | تمرّة واحدة تعتق من النار |
| ٢٨٦ | من أطعم أخاه حتى يشبعه |
| ٢٨٦ | مَا يُنْجِي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ |
| ٢٨٧ | الإكثار من ذكر الله |
| ٢٨٧ | عَتِقِ النَّسَمَةَ وَفُكَّ الرِّقَبَةَ |
| ٢٨٧ | من حافظ على الصلوات الخمس |
| ٢٨٨ | مجالس الذكر |
| ٢٨٩ | من قال هذا الدعاء ثلاثاً |
| ٢٨٩ | التعوذ بالله من النار ثلاثاً |
| ٢٨٩ | الباقيات الصالحات جنة من النار |
| ٢٩٠ | العمل الذي يقرب من الجنة ويباعد من النار |
| ٢٩١ | كلمة التوحيد آخر الزمان |
| ٢٩١ | الأذان لصلاة الفجر |
| ٢٩٢ | مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ ... |
| ٢٩٢ | المبحث الرابع |
| ٢٩٢ | خزنة النار |
| ٢٩٤ | المبحث الخامس |
| ٢٩٤ | أسماء النار |
| ٢٩٦ | المبحث السادس |
| ٢٩٦ | أبواب النار |
| ٢٩٨ | المبحث السابع |
| ٢٩٨ | وقود النار |
| ٣٠٠ | المبحث الثامن |
| ٣٠٠ | في شدة حرها وزمهريرها |
| ٣٠٥ | المبحث التاسع |
| ٣٠٥ | ملائكة النار وزبانياتها |

| | |
|---------------|---|
| ٣٠٨ | المبحث العاشر |
| ٣٠٨ | في ظلمتها وسوادها وشررها |
| ٣٠٩ | المبحث الحادي عشر |
| ٣٠٩ | في أوديتها وجبالها |
| ٣١٢ | المبحث الثاني عشر |
| ٣١٢ | سعة النار وبعد قعرها |
| ٣١٦ | المبحث الثالث عشر |
| ٣١٦ | دركات النار |
| ٣١٦ | المبحث الرابع عشر |
| ٣١٦ | في سلاسلها وغير ذلك |
| ٣١٧ | المبحث الخامس عشر |
| ٣١٧ | في ذكر حياتها وعقاربها |
| ٣٢٠ | المبحث السادس عشر |
| ٣٢٠ | في شراب أهل النار |
| ٣٢٤ | المبحث السابع عشر |
| ٣٢٥ | في طعام أهل النار |
| ٣٣١ | المبحث الثامن عشر |
| ٣٣١ | لباس أهل النار |
| ٣٣٣ | المبحث التاسع عشر |
| ٣٣٣ | النار تتكلم وتبصر |
| ٣٣٤ | المبحث العشرون |
| ٣٣٤ | تأثير النار على الدنيا وأهلها |
| ٣٣٥ | المبحث الواحد والعشرون |
| ٣٣٦ | هل ترى النار قبل يوم القيامة؟ |
| ٣٤٠ | المبحث الثاني والعشرون |
| ٣٤٠ | فراش أهل النار، وغطاؤهم |
| ٣٤١ | المبحث الثالث والعشرون |
| ٣٤١ | في عظم أهل النار وقبحهم فيها |
| ٣٤٤ | المبحث الرابع والعشرون |
| ٣٤٤ | أصناف أخرى من العذاب |
| ٣٤٤ | *تبديل جلودهم كلما نضجت. |
| ٣٤٤ | *يضربون بمطارق من حديد، فتتفتت أبدانهم، ثم يعودون |
| ٣٤٤ | *تقييدهم بالقيود والأغلال، وسحبهم على وجوههم. |
| ٣٤٥ | *الصهر : |
| ٣٤٦ | *اللفح : |

| | |
|---------------|--|
| ٣٤٧ | * السحب : |
| ٣٤٨ | * تسويد الوجوه : |
| ٣٤٩ | * إحاطة النار بالكفار : |
| ٣٥٠ | * إطلاع النار على الأفتدة : |
| ٣٥١ | * ومنهم من يعذب بالصعود إلى أعلى النار، ثم يهوي فيها |
| ٣٥١ | * ومنهم من يدور في النار، ويجر أمعاءه معه. |
| ٣٥١ | * قرن معبوداتهم وشياطينهم بهم في النار : |
| ٣٥٢ | * حسرتهم وندمهم ودعاؤهم : |
| ٣٥٦ | * ومنهم من يُلقى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة : |
| ٣٥٦ | * ومنهم من يتاذى أهل النار من تن رانعتهم، وهم الرنأة : |
| ٣٥٦ | المبحث الخامس والعشرون |
| ٣٥٦ | شدة ما يكابده أهل النار |
| ٣٥٨ | المبحث السادس والعشرون |
| ٣٥٨ | تفاوتهم في العذاب |
| ٣٦١ | المبحث السابع والعشرون |
| ٣٦١ | السُر في كثرة أهل النار |
| ٣٦٤ | المبحث الثامن والعشرون |
| ٣٦٤ | النساء أكثر أهل النار |
| ٣٦٦ | المبحث التاسع والعشرون |
| ٣٦٦ | ذكر الجهنميين |
| ٣٦٩ | المبحث الثلاثون |
| ٣٦٩ | تغاصم أهل النار |
| ٣٧٢ | المبحث الواحد والثلاثون |
| ٣٧٢ | في بكائهم وشهيقهم |
| ٣٧٣ | المبحث الثاني والثلاثون |
| ٣٧٣ | أعظم عذاب أهل النار |
| ٣٧٤ | المبحث الثالث والثلاثون |
| ٣٧٤ | أهون أهل النار عذابا |
| ٣٧٦ | المبحث الرابع والثلاثون |
| ٣٧٦ | أشغاص بأعيانهم في النار |
| ٣٨١ | المبحث الخامس والثلاثون |
| ٣٨١ | أول من تسعر بهم النار |
| ٣٨٤ | المبحث السادس والثلاثون |
| ٣٨٤ | صبغ أنعم أهل الدنيا من أهل في النار |
| ٣٨٤ | المبحث السابع والثلاثون |

| | |
|---------------|---|
| ٣٨٤ | جرائم الموحدين التي دخلوا بسببها النار |
| ٣٨٤ | الذنوب المتوعد عليها بالنار : |
| ٣٨٥ | الفرقُ المخالفة للسنة : |
| ٣٨٥ | المتنعمون من الهجرة : |
| ٣٨٦ | الجائرون في الحكم : |
| ٣٨٨ | الكذب على رسول الله ﷺ : |
| ٣٨٩ | الكبر من الذنوب الكبار : |
| ٣٩٠ | قاتل النفس بغير حق : |
| ٣٩٢ | أكلة الربا : |
| ٣٩٣ | أكلة أموال الناس بالباطل : |
| ٣٩٤ | المصورون : |
| ٣٩٥ | الركون إلى الظالمين : |
| ٣٩٦ | الكاسيات العاريات : |
| ٣٩٨ | الذين يعذبون الحيوان : |
| ٣٩٨ | عدم الإخلاص في طلب العلم : |
| ٣٩٩ | الذين يشربون في آنية الذهب والفضة : |
| ٣٩٩ | الذي يقطع الصدر الذي يظل الناس : |
| ٤٠٠ | جزاء الانتحار : |
| ٤٠١ | المبحث الثامن والثلاثون |
| ٤٠١ | من يخرج من النار وآخرهم خروجاً |
| ٤٠٥ | المبحث التاسع والثلاثون |
| ٤٠٥ | المغلدون في النار |
| ٤٠٨ | المبحث الأربعون |
| ٤٠٨ | أعظم جرائم المخالدين في النار |
| ٤١٤ | المبحث الواحد والأربعون |
| ٤١٤ | أهم الجرائم التي تدخل النار |
| ٤١٦ | المبحث الثاني والأربعون |
| ٤١٦ | نداء أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار |
| ٤٢١ | المبحث الثالث والأربعون |
| ٤٢١ | خلود أهل النار فيها |
| ٤٢٧ | أهم المصادر والمراجع |
| ٤٣٢ | الفهرس العام |